

# رحلة إلى وداي

الشيخ محمد بن عمر التونسي

تحقيق ودراسة :

أ.د. عبد الباقي محمد



شركة مناكب للنشر

Dr. Binibrahim Archive









# رحلة إلى وداي

الشيخ محمد بن عمر التونسي

تحقيق ودراسة :

أ. د. عبد الباقي محمد







## مقدمة:

### أولاً: قصة الكاتب والكاتب:-

على الرغم من أن كتاب 'الرحلة إلى وداي' يتحدث عن تاريخ دولة الوداي وشعوب السودان الأوسط إلا أنه يحكى أيضاً قصة حياة كاتبه الشيخ محمد بن عمر التونسي الذى عاش متنقلاً بين شمال إفريقيا ومصر وبلاد السودان، فقد انحدر كاتبنا من أسرة تونسية تحب الترحال والتجوال، فقد جاء أبوه عمر إلى مصر باحثاً عن أبيه، فوجد أن أباه قد غادر مصر إلى سنار حيث استقر به المقام، فالتحق عمر بالأزهر الشريف لأجل الدراسة، ثم تزوج من امرأة مصرية أنجبت له ابنه محمد، وكان يتتبع أخبار والده الذى أصبح من ذوى الجاه والسلطة فى سنار، فعزم على اللحاق به، فسافر مع أحد التجار المناريين، فالتقى بوالده فى سنار وعاش بجواره حتى وافته منيته، فورث عمر أعباء المسئولية فى العلم والجاه والمال، ثم خرج فى رحلة تجارية إلى دارفور، فرحب به السلطان عبد الرحمن الرشيد (١٧٨٧-١٨٠١م) وأكرمه، وأقطعته حاكورة فى منطقة جديد رأس الفيل، فألقى عصاه فيها واستقر به النوى، وأصبح من أهل المشورة والرأى فى الدولة.

شب محمد مع والدته فى القاهرة، ثم التحق بالأزهر الشريف فقرأ القرآن ودرس العلوم الإسلامية والعربية وتفقه فيها، وكان دائم السؤال عن والده، وعندما تأكد من وجوده وصيته فى دارفور، شد رحاله وسافر مع تجارها، وعند وصوله إلى الفاشر بعد رحلة شاقة استقبله والده بالترحاب، وقدمه إلى السلطان محمد الفضل (١٨٠١-١٨٣٧م) سلطان دارفور يومئذ فرحب به وكساه وأهداه، وهو دأب سلاطين دارفور إكراماً للأشراف والعلماء، وكان الشيخ محمد يومئذ لم يتجاوز عمره العشرين عاماً، فعاش مع والده فى الفاشر لحوالى سبع سنوات قضاهما منعماً مرفهاً يجالس الأمراء والوزراء ويتنقل بين ربوع دارفور ومروجها كيفما شاء ومتى أراد، فهو 'ابن الشريف عمر' كما أنه لا يمنع نفسه هواها فيجلس مع الصبيان أمثاله والصبيات، ويستمع إلى لحديثهم وأغانيهم عن الحب والغزل والهيام.



و يشاهد الرقص بأنواعه، فتكونت لديه ذخيرة ثرة من المعلومات عن دارفور وتاريخها وحياة سكانها، فسجلها في كتابه الذي سماه:

تسحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان' وهو أهم كتاب صدر حتى الآن عن تاريخ دارفور السياسي والحضاري. وقد قام بتحقيقه كل من الدكتور خليل عساكر، والدكتور مصطفى مسعد عام ١٩٦٤.

تلك الحياة الرعيدة التي عاشها كاتبنا في الفاشر لم تستمر، فسرعان ما انقلبت الأمور، فقد سافر والده في رحلة تجارية إلى وداي، وهناك وجد ترحيباً حاراً من سلطان وداي يومئذ السلطان عبد الكريم صابون، وقربه إليه وعينه وزيراً ومستشاراً له، فطاب له المقام فيها، فكتب إلى ابنه محمد بدارفور أن يأتيه مسرعاً و يأخذ معه جميع أمواله وأولاده لأنه يريد السفر إلى تونس، ولكن صانف وصول هذا الخطاب توتر العلاقة بين دارفور ووداي، فقد غزى السلطان صابون بلاد التاما وهي تتبع لدارفور، ثم كتب إلى السلطان محمد الفضل كتاباً يهدده فيه بأنه إن لم يرجع ويمنع أتباعه من التاما من العبث في دياره فإنه سيفزو قلب دارفور وعاصمتها، وهنا أخذ السلطان محمد الفضل يشك في أن يكون للشريف عمر دور في هذا الغزو، فاتهمه بنقل أسرار دولته العسكرية إلى سلطان وداي، ولهذا قام بمنع ابنه محمد من السفر إلى والده، ووضع في الحبس التحفظي في منزل والده وشدد عليه الحراسة، فعاش كاتبنا فترة من القلق والخوف امتدت لبضعة أشهر حتى توسط له الشيخ مالك الفوتاوي وهو صديق والده وإمام السلطان يومئذ، فقبل السلطان وساطته وسمح له بالسفر، فسافر إلى وداي في حراسة خاصة، وبعد دخوله واره عاصمة وداي وجد والده قد سافر إلى تونس بعد طول انتظار، فنزل في بيت والده، وبعث إليه السلطان ببشريات الترحاب والهدايا والضيافة، فبدأ الشيخ محمد بن عمر التونسي حياة جديدة لكتاب جديد ضمنه قصته وقصة هذه الدولة وشعوبها، وحياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويبدو واضحاً أنه ارتاح كثيراً في وداي وأعجب بها وبسلطانها وحياة الناس فيها، حيث وجد الجاه والنفوذ والمال، كما أن الشرف مازال معه، فهو ابن الشريف عمر، فالتبع نفس المنهج الذي ملكه في دارفور في جمع المعلومات عن



هذه البلاد في شتى مناحي الحياة، كما أنه استفاد من الموقع الجغرافي لوداي، فهي وسط بين دارفور وبرنو، وكانت تمر بها عدة طرق تجارية بين شمال الصحراء وجنوبها، فكانت ملتقى للتجار من كل الجهات، وبينما كان الجميع منهمكين في جمع المال، كان صاحبنا منهمكاً في جمع التاريخ والثقافة وحركة الحياة اليومية للإنسان والحيوان والنبات، فجمع من ذلك الشيء الكثير لكنه لم يجمع من المال شيئاً، فقد ضاعت أمواله كلها بطريقة درامية دون أن يأسى لها أو يحزن بعد أن طوف ببلاد السودان، ثم عاد إلى تونس موطن الأباء والأجداد وركب البحر متاجراً بين تونس وطرابلس والاسكندرية، حيث أخذ الحنين إلى أمه، وموطن النشأة والصبا فزارها بالقاهرة، لكن قلبه تعلق ببلاد الوداي الطيبة، فعاد إليها مسرعاً، لكنه وجد الأحوال قد تغيرت تماماً، حيث توفي الوالد، ولحق به صديقه العزيز السلطان صابون، وبدأ الكثيرون يقبلون له ظهر المجن مما دعاه إلى المغادرة النهائية لتلك البلاد التي طالما أحبها وجسد ذكرياته العطرة من خلال كتابه الذي جلس لمعالجته في مدينة القاهرة، فعقب استقراره فيها اكتشف الفرنسيون شخصيته وموهبته العلمية الفذة، فقد كانت مصر يومئذ تقع في دائرة النفوذ والاهتمام الفرنسي، وكانت فرنسا شغوفة بمعرفة الفريقين جنوب الصحراء، خاصة بعد احتلال الجزائر عام ١٨٣٠م، فأصبح الشيخ التونسي مصدر اهتمام كبير وتم تعيينه موظفاً بالمدرسة الطبية الفرنسية بالقاهرة، ونصحته الفرنسيون بجمع معلوماته وكتاباته عن بلاد السودان في كتاب، فكتب الجزء الأول منه عن دارفور، وهو "تشحيد الأذهان" أما الثاني فهو "الرحلة إلى وداي" وإذا كان الكتاب الأول قد وجد الاهتمام والملاحقة حتى رأى النور عام ١٩٦٤م فإن الكتاب الثاني ظل طي النسيان، حتى ترجمه إلى اللغة الفرنسية المستر بيرون مدير المدرسة الطبية الفرنسية بالقاهرة عام ١٨٤٥م ونشر في فرنسا، أما الأصل العربي فقد ظل مفقوداً لأكثر من قرن ونصف من الزمان حتى اكتشفه أخيراً في الثمانينات باحث سعودي في معهد الدراسات الشرقية بباريس وتم تصويره لجامعة الرياض، ومنها إلى جامعة الملك فيصل بتمن، وكنت دائم البحث والسؤال عن هذا الكتاب حتى عثرت عليه وشرعت على الفور في تحقيقه بعد أن تجمعت لدى ثلاث نسخ منه



بالإضافة الى الترجمة الفرنسية واستمر تحقيقه لمدة ثلاث سنوات، كل رجائي أن يرى هذا الكتاب النور ويضاف الى المكتبة العربية والتاريخية. أشار الكاتب في نهاية كتابه الى أن لديه كتابات أخرى عن رحلته الى الحج وإلى مكة والمدينة المنورة وعن سفره الى المؤرة وخاصة مدينة موشلقى في بلاد اليونان، ومأثهد فيها من أحداث وكوارث وذكر بان ذلك سيكون مادة لجزء آخر. ونأمل أن يجد الباحثون في البحث عن هذا الجزء الهام حتى تتكامل الصورة التاريخية التي رسمها لنا الشيخ محمد بن عمر التونسي.

### ثانياً: أهمية الكتاب

يعتبر كتاب "الرحلة الى وداي" من الكتب التاريخية الهامة، وتتبع أهميته من الآتي:-

- ١- تناول تاريخ منطقة كانت مهمة تماماً من قبل الكتاب العرب والمسلمين وهي منطقة السودان الأوسط، وهي منطقة انتشر فيها الاسلام منذ القرن الخامس الهجري (١١م) وبذلك يكون هو الكتاب الوحيد الذي تناول تاريخ هذه المنطقة باللغة العربية، وبمنهج أصيل وعميق.
- ٢- تحدث الكتاب عن تاريخ دولة وداي منذ نشأتها وحتى عصر السلطان صاهون وهو العصر الذهبي لهذه السلطنة، فقد هجم عليها الفرنسيون بعد ذلك بقليل وضموها الى مستعمراتهم، وبذلك يكون الكتاب قد كشف لنا تاريخ دولة اسلامية لم يعرف العالم عنها شيئاً الا من خلال كتابات بعض الأوروبيين التي كانت تكتب لأغراض خاصة بهم، وقد تناول الكاتب بعداً مهماً وهو دور هذه الدولة في نشر الاسلام في منطقة السودان الأوسط والدور الكبير الذي قامت به في هذا المجال.
- ٣- جاء الكتاب مكملاً لكتاب تشحيد الازهان، وبذلك أصبحت لدينا صورة متكاملة عن تاريخ المنطقة من برنو غرباً وحتى سنار شرقاً، ومن الصحراء شمالاً وحتى المنطقة الاستوائية جنوباً.



١- تناول الكتاب التاريخ السياسى والحضارى للمنطقة خاصة حياة المجتمع وأنشطته المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة.. وهو منهج متفرد فى كتابة التاريخ.

٢- كان الكاتب معاصراً وشاهد عيان لما يكتب، وكان مشاركاً فى بعض الأحداث، وكذلك والده، كما كان لنفوذ والده فى الدولة الأثر الكبير فى تمكينه من أخذ المعلومات من مصادر الأصلية، كل ذلك يجعل من الكتاب وثيقة تاريخية نادرة تستحق الاهتمام والاحترام، بدرجة أعلى من اهتمام الفرنسيين به.

٣- كشف الكتاب عن العلاقات الثقافية والتجارية بين شمال إفريقيا ودول جنوب الصحراء الكبرى، وهى علاقات مستمرة عبر العصور، لكنها لم تجد من يكتب عنها ويعيشها كما فعل الشيخ التونسى فى هذا الكتاب.

### ثالثاً: منهج الكتاب:

كُتِبَ الكتاب بلغة عربية جيدة، وبخط مغربى واضح، اتبع فيه الكاتب المنهج الوصفى التاريخى الشامل، وقسمه الى ثلاثة عشر فصلاً ومبحثاً، بدأها بسبب ارتحاله من دارفور الى وداى، واختتمها بوفاة السلطان صابون. تتميز أسلوبه بالوضوح والنقد الصريح لكل ماشاهده، وكان لسنه الشابة أثرها فى تشكيل منهجه الذى تميز بالجرأة والافتحام والمخاطرة فى سبيل الوصول الى الحقيقة، وكان لموقف سلطان دارفور الذى حبسه ومنعه من السفر الى وداى، أثره الواضح فى كتابته حيث تحامل على سلاطين دارفور وقتل من قدرهم، بينما رفع من شأن سلاطين الوداي بعامه، والسلطان عبدالكريم صابون بخاصة.

٤- اتسم منهجه بالدقة والتقصى عن الحدث، وكان يسافر لأيام وليالى لأجل الوقوف على الأحداث بنفسه، وقد سافر لثيهور عبر الصحراء ووصف لنا الحياة فى تلك القوافل التجارية ومآتانيه من أهوال الطبيعة، وتهديدات البشر، فهو رجل مغامر بطبعه حتى تعرض لحوادث عدة كادت أن تودى بحياته.



• وفوق ما يسجل من ملاحظات، فإنه كان يستعين في كتابته بأراء وروايات التجار والعلماء القاطنين من برنو ووداي ودارفور إلى القاهرة، بعد أن استقر الشيخ محمد بالقاهرة، وكان ليولاء التجار منازل خاصة بهم، وأحياناً يتجمعون في منزل الأمير أبو مدين بن السلطان إبراهيم حسين سلطان دارفور الذي قتله الزبير باشا، وأخذ معه حوالي العشرين أميراً إلى القاهرة عام ١٨٤٧م فكان الشيخ يجلس معهم لساعات طويلة لأخذ المعلومات.

• كما تميز منهج الكتاب بالاستدلالات الواضحة فنجد في الكتاب خرائط القرى والمدن، ورسومات مختلفة للأشخاص، وأنواع الأسلحة والحيوانات الأليفة والمتوحشة وغير ذلك لأجل تقريب المعلومة للقارىء.

• قسم منهج الكتاب أيضاً بالخروج عن الأسلوب التقليدى لسرد الأحداث التاريخية، فكان كثيراً ما يجرى المقارنات بين الدول في نشأتها ونظمها وشعوبها وصناعاتها، خاصة بين دارفور ووداي، كما كان يقارن بين الثورات والحركات الإسلامية مثل مقارنة بين حركة الشيخ عثمان بن فودي في غرب إفريقيا وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، مما يجعل منهجه أقرب إلى المناهج الحديثة في تناول التاريخ.

• تناول الكتاب الحياة السياسية والحضارية لدولة وداي، منذ نشأتها وحتى وفاة السلطان صابون، وفي هذا الجانب تحدث بالتفصيل عن السياسة الحكيمة التى اتبعها سلاطين الوداي فى بناء دولتهم، وكيف شئ السلطان صابون الحرب ضد الدول والملوك الذين يهددون وحدة بلاده واستقرارها كالغور والباقرمى والنامة، وانتصر عليهم وأجبرهم على توقيع العهود والمواثيق معه، فاستقرت وداي وازدهرت وأصبحت قبلة للعلماء والتجار من شمال إفريقيا ومصر والحجاز وبرنو وسنار. أما الجانب الحضارى فقد ركز عليه وأبرزه بشكل باهر وقوى مما يعطى منهج الكتاب ميزة خاصة، فقد تناول فيه أهم القبائل التى تقطن وداي وأصفاً الأقاليم التى تقطنها كل قبيلة، والأنشطة التى تقوم بها من زراعة وتجارة ورعى وصناعة، وتحدث بتوسع فى التجارة والرحلات التجارية وأنواع البضائع وأهمها، خاصة تجارة الرقيق الرابعة فى ذلك الوقت، وهو الجانب



الذى جذب اهتمام الفرنسيين، كما وصف نظام الحكم فى الدولة، والتقسيم  
الإدارى، والجيش وتقسيماته وأنواع الأسلحة المستعملة آنذاك، والحرب وكيف  
تدار فى وداى، كما وصف الأمراض فى هذه البلاد وأنواع الأدوية وكيفية  
التداوى.. وغير ذلك من الموضوعات الهامة التى تعكس سعة المنهج الذى  
ملكه الكاتب وبقته.

. إعتقد المؤلف أن يستل بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآيات الشعرية،  
والحكم والأمثال العربية، فيما يدعيه من قضايا، وما يثيره من مشكلات.  
. كما نجده يميل إلى السجع فى التعبير، وهو ما يوقعه فى مشكلات أحكاماً، فقد  
يضطّر إلى استعمال كلمة أو عبارة فى غير محلها لضبط الدافعية أو السجع،  
فيشوه المعنى لرضاء لملكة الشعر عنده.

. كما يلاحظ فى منهجه أنه يتناول موضوعاً ما ويحاول تشبيهاً أو الاستدلال عليه  
بقصة ما فيستمرس فى هذه القصة لصفحات طوال حتى يكاد القارىء ينسى  
أصل الموضوع ثم يعود بعد ذلك إلى أصل الموضوع ولكن قد يزدى هذا  
التطويل فى الجزئيات إلى اختصار فى الأصل، وهو أمر وارد فى منهج هذا  
الكتاب. كما أن هذا الاستمرس أوقعه فى بعض المغالطات مع نفسه، خاصة  
عند المقارنة بين دارفور ووداي.

. فضلاً عن ذلك فإن الكتاب فيه أخطاء لغوية ونحوية وإملائية متناثرة فى طياته  
ولعلها من أخطاء النقلة، كما أننا نجد أحياناً حشواً واضحاً، وعبارات غريبة  
وحياناً تركيباً تنقصه الصياغة، ولعلها لغة الشيخ فى ذلك الزمان والمكان حيث  
عاش سنين عدداً بين الفور والوداي ولقد أخذ من لهجاتهم الكثير وتأثر بها  
وظهرت فى كتابته.

### مراجعا: منهج التحقيق:-

استطعنا أن نحصل على ثلاث نسخ لمخطوط الكتاب مصورة من المخطوط  
العربى الأصيل، بالإضافة إلى الترجمة العربية من الأصل الفرنسى، فرقمناها  
كالتالى: النسخة (أ) من جامعة الرياض، والنسخة (ب) من جامعة الملك فيصل



بالجمينا - تشاد، والنسخة (ج) من مكتبة الشيخ موسى بنياللا، بالاضافة الى  
الأصل الفرنسي، ولكن بعد الاطلاع على النسخ الثلاث ودراستها اتضح أنها  
صورت من أصل واحد، وبالتالي فهي تشكل نسخة واحدة، مما اضطررنا الى  
ترجمة الأصل الفرنسي، وهو كتاب كامل، مأخوذ من الأصل العربي، فاستعنا به  
في مجال المقارنة والتدقيق واستكمال النصوص والنواقص حتى نستطيع بذلك  
تكملة الأصل العربي للكتاب، ونقدمه للقراء كاملاً محققاً ومطبوعاً.

لما المنهج الذي اتبعناه في تحقيق الكتاب، فهو المنهج العلمي المتبع في  
تحقيق كتب التراث العربي من المحافظة على النص، وعدم المساس به، أو  
بمضمونه الذي قصده المؤلف، وماكنا بإصلاحه من أخطاء لغوية أو نحوية،  
أشرنا إليها في الهامش، وإذا أضفنا كلمة ساقطة أو غير ذلك وضعناها بين  
حاصرتين ( ) وذلك حتى يستقيم النص.

كما لم نحاول تغيير تركيب بعض الكلمات أو الجمل التي تبدو ركيكة  
ولاستقيم مع قواعد اللغة الشائعة.

ونظراً لتعدد المشارب الثقافية للمؤلف من مغربية ومصرية وسودانية فقد  
درج أحياناً على عدم التزام القاعدة النحوية بإفراد الفعل ولو كان الفاعل مثى أو  
مجموعاً، بل اتبع قاعدة ما يطلق عليه النحاة لغة 'أكونى البراغيت' أى الحاق الفعل  
علامة التثنية أو الجمع إذا كان مثى أو مجموعاً، وهذا ما سنلاحظه في ثنايا هذا  
الكتاب، وقد اضطررنا أحياناً لابقائها لكثرتها حتى نقلل من التهميش.

• لم يكن الكتاب مرتباً ترتيباً موضوعياً، وربما تعرض لعبث بفعل النقلة  
والمترجمين فقمنا بإعادة ترتيبه بحسب تسلسل الأحداث والموضوعات، كما قمنا  
بتقديم الفصول ذات الطابع الميلاسى والحربى وتأخير الفصول ذات الطابع  
الثقافى والحضارى باعتبار أن هذه الأخيرة نتاج طبيعى للمراحل الأولى، وقمنا  
بترقيم الفصول حسب هذا المنهج الذي سلكناه في الترتيب حتى يبدو الكتاب  
أكثر انسجاماً.

• هناك نقص في بعض الفصول وطمس في بعضها الآخر، فاستعنا ببقية النسخ  
وبالأصل الفرنسى في تكملة النقص وإبراز المطموس.



• كما وجدنا فصلاً بأكمله مفقوداً من المخطوط العربي، فأضفناه من الترجمة الفرنسية، وبالتالي أصبح الكتاب مكتملاً ومتناسقاً.

• كما يلاحظ أن هناك تداخلاً بين بعض الفصول، فنجد مثلاً نهاية الفصل الرابع هي بداية الفصل السابع، أو حديثاً في منتصف الفصل لا يتسجم مع سابقه، أو مع لاحقه، كل تلك من أخطاء النقل، فيشير إليها أحياناً بقوله: قف هنا نقص لو قف هنا لمسن مما يجعل النص في غاية التعقيد، فقمنا بتصحيح ذلك كله.

• كما قمنا بتحقيق كل الآيات الواردة في الكتاب بنسبتها إلى سورها من القرآن الكريم، وكذلك الأحاديث النبوية ورددناها إلى أصولها من كتب السنة، كما اجتهدنا في شرح بعض الآيات الشعرية والأمثال والحكم التي وردت في المخطوط.

• وردت أسماء أشخاص من سلاطين وعلماء وتجار وأماكن ومسن وحيوان، وهي كثيرة قمنا بتعريفها وشرحها في الهامش، وأحياناً قد يطول الشرح في الهامش بحسب مقتضى الحال، وكما بتصحيح ما وقع فيه المؤلف من أخطاء في هذا الجانب.

• كما يلاحظ أن هناك تكراراً لفصول في هذا الكتاب حوالى فصلين وردا في كتاب تحشيد الأذهان قمنا بالثبوتها لأنهما يتحدثان عن بلاد السودان عامة أي دارفور ووداي وما جاورهما، لاسيما وأن فيهما إشارات واضحة لوداي، ومقارنات بينها وبين دارفور.

كما قمنا بالحق وكتابة التواريخ الهجرية التي اقتصر عليها المؤلف بالتواريخ الميلادية ووضعناها بين قوسين.

• ورد في المخطوط عدد كبير من الرسوم التوضيحية قمنا برسمها في أماكنها كما ورد في الكتاب، كما أضفنا بعض الخرائط للكتاب من الأصل الفرنسي مثل خريطة مدينة وادى عاصمة وداي، وخريطة لمنزل السلطان صابون، وكذلك بعض الصور للأشخاص والأسلحة وضعناها في مؤخرة الكتاب استكمالاً له وتعميماً لفائدته.



• ويشار إلى أننا أضفنا إلى البحث مقدمتي الدكتور السير بيرون وجومار بعد ترجمتهما من الأصل الفرنسي لما فيهما من معلومات مهمة عن ودای، وعن منطقة السودان الأوسط عموماً لم يتطرق إليها الكاتب.

وأخيراً نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يكون إضافة حقيقية للمكتبة العربية والإسلامية، وأن يكون حافظاً للباحثين والمؤرخين لمزيد من البحث والتنقيب عن تراث هذه المنطقة الأصيلة في انتمائها للأمة الإسلامية.

وإن كان لي من شكر بعد الله فإني أقدمه لآخوتي وزملائي الذين وقفوا معي من أجل أن يرى هذا الكتاب النور، وأخص بالشكر منهم: البروفسير/الزبير بشير طه وزير التعليم العالي والبحث العلمي، والدكتور/عثمان عبد الجبار وكيسل جامعة القاهرة، والاستاذ/عصام ودای مدير مركز أبحاث تراث دارفور بجامعة القاهرة، والاخ الاستاذ الدكتور/عبدالله محمد اتم استاذ اللغة العربية وأدبها بجامعة الرياض وجامعة إفريقيا العالمية، واستاذة اللغة الفرنسية الاستاذ/السر الأمين التكنية، والاستاذ/أتم داود بجامعة نيالا، ولا أنسى الاستاذ/أحمد دقرشم عبدالله الذي أشرف على طباعته، وإلى كل الجنود مجهولين شكري وتقديرى.

المحقق،،،،،



## مقدمة

### بقلم السيد بنوون

ما زالت معرفة الناس بدار ودأى أقل منها عن معرفتها بدارفور، وعنهما كتب شيخ قبل عدة سنوات مختصراً عن تمبكتو يحتوى معلومات عن بلاد السودان الغربى آثار ذلك اهتمام الجغرافيين كثيراً، ويبدو لى أن الكتاب الذى بين أيديكم ذو أهمية أكبر لما يحويه من معلومات تفيد الرحلة والمسافرين الذين ينوون سبر أشوار المراكز الشرقية لأفريقيا.

ويتجلى من بعض صفحات الكتاب (وقد أكنت لى ذلك مقابلاتى مع شيخى، أن تقسيمات السودان التى يعرفها ويقلها أدلة تختلف عن تلك التى يعرفها جغرافيو أوروبا.

ولهذا فقد عكنت على تحديث هذه التقسيمات: أماكن التقاطعها، مساحاتها، والمسافات التى تفصل بينها، وحاولت أيضاً اختطاط خريطة للسودان من خلال المعلومات التى جمعتها.

لقد أوضحت ما استطاع شيخى التونسى أن يبينه لى، أى ما يعرفه السودانيون كإقسام وأسماء ومسافات، فقد اتيت لشيخى كاتب هذا الكتاب لى رحلاته فرصة مقابلة واستفسار التجار والمسافرين وخاصة النخاسة الذين جابوا السودان عشرات المرات، وقد تلقى من هؤلاء النخاسة معلومات مفيدة عن هذه البلاد ومكانها.

من جهة أخرى فقد اتيت لى الفرصة بأن أقابل فى القاهرة عدداً من سكان دارفور، ودأى، برنو، باقرمى، ورجالاً من مندره، وأفناو، وقد كنت أستفسرهم عن مواقع البلدان التى جاءوا منها أو جابوها ترحالاً داخل السودان.

تبدأ من بحر قزوم، فى الخليج العربى مساحة واسعة تمتد نحو الغرب تمثل هذه المساحة أرض السودان، إذ تبدأ من رأس مولكن وتنتهى فى دارتبيكو لإمبراطورية الفلان أو الفلاتة فى الجنوب الغربى لدار تبكتو وحتى الحدود الغربية للسينغامبى، أى الأرض التى تمتد من البحر الأحمر وحتى المحيط الأطلن، لأن



جزء من السنيغامبي بعد جزءاً من دار ملاً، إذ يعتبر السودانيون الفوتا الذين يسكنون الاجزاء الشرقية للسنيغامبي جزءاً من دار ملاً وقد رأينا الشيخ التونسي يشير مرات عديدة في كتابه: رحلة الى دارفور، (تحتفظ الازهار) الى الفكي لو الشيخ مالك، بالفوتاوي، أي من فوتا تشكل كل النياز الواقعة الى الجنوب من الدولات الاسلامية جزءاً أصيلاً من السودان، فالحدود الجنوبية الغربية للحبشة تعتبر بالنسبة للسنايين على الاقل جزءاً من السودان.

اما القبائل التي تسكن جنوب غربي سنار ما وراء فازو على فتسمى بالنوبة، وفي مصر عندما يقال لعبد توبي "يقصد به الله قائم من جنوب سنار، من دار النوبة، ولا يقصد أبداً بذلك عيد ولد في ما يعرف اليوم بالنوبة. ففي القرن الثالث الميلادي دفع ديوكليتيني (Diocletien) قبيلة نوبية هي النوباد للسكن في جنوب مصر، ومن هنا أعطى الاسم للأرض الواقعة بين مصر وجزيرة مروى ومن قبل هذا التاريخ لا توجد نوبة اخرى غير التي تقع جنوب سنار، ويبدو أيضاً أن مصدر اسم نوبة هو الكلمة القبطية نوب (Naub) أي ذهب، حيث توجد في هذه المنطقة حقيقة رمال بلون الذهب.

وتسمى القبائل المجوسية - غير المسلمة - التي تسكن ما بعد كردفان الى الجنوب بالتزوج ومفردها ترجاوي.

اما الذين يسكنون ما بعد دارفور حيث يذهب الفور لصيد الرقيق فيسمون بالفرتيت، والذين ما بعد جنوب لواسط ودأى والذين ينعتهم الوداويون بالرق فيسمون بالجناخرة، اما المجوس الذين يتمددون جنوبى بالرمى وبرنو وبعد منخرة (Mandarah) فيسمون بالكرداويين، مفردها كرداوى - سكان دار كردى، ويبدو وارداً ان تكون للقبائل التي تسكن النطاق الجنوبي للسودان الى الجنوب من أغاديس، (Aghades) وأفادو وتمبكتو وملاً أسماء تميزها أيضاً، لكن شيخنا لم يذكرها، ويبدو أن جزءاً من شمالي غينيا يعده سكان دار ملاً وتمبكتو جزءاً من السودان أيضاً حيث تصل حملاتهم لصيد الرقيق.



من جهة اخرى فان الجبال التي يسميها الجغرافيون في خرطهم جبال القمر لم تكن هي الحدود الجنوبية للسودان، فقد توغل شيخنا في دار فريت وراى مزارع وارضى تغطيها الغابات، واكثر من ثلاثة مجارى مائية، احدهم يقع وراء دار بنقا، وشالا، وقولا، وهو بحر ادا (Ada) الرقيق، وراى جبالا لكنها متفرقة وارضى غير مستوية ملأى بمياه موسمية، لكنه لم يسمع أبداً بسلامل جبلية تسمى جبال الكمورو (Comer) والتي ترجمت الى 'جبال القمر' ومع ذلك يجهل اين تقع حدود السودان جنوباً.

يتضح مما تقدم أن الاراضى الواسعة التي تسمى السودان تنقسم الى جزعين جزء شمالي أسميه السودان المسلم والذي يشمل الدويلات العشر التي ذكرت في تشييد الاذهان وجزء جنوبي أسميه السودان المجوسى والذي يتكون من القبائل الوثنية والتي يعتمد عليها النخاسة في استجلاب مولود سنوية هائلة من الرقيق، وسرى في فصل من هذا الكتاب وصفا للطريقة الوحشية التي يتم بها اصطيد الرقيق والتي لا تبرزها اليوم حتى الديانة الاسلامية<sup>(١)</sup>. وهناك ايضا تقسيم أقامة النخاسة من الدويلات البربرية والذين كانوا يتابعون مطاردتهم حتى وسط افريقيا، ولهذا يقول الشيخ في كتابه أن التوائمة والغدامسين والفرانبيين لا يعتبرون السودان الحقيقى غير أغاميس وأفناو وتمبكتو وبالتالي فإن الدول الاخرى مثل: برنو، باقرمى، وداى، دارفور، كريفان، وسنار، لا تعتبر سودانا وسبب هذا الاستثناء هو أن الرقيق والبضائع الآتية من هذه الدويلات الشرقية ليست جيدة، اما فى الجزء الغربى فان الرقيق أنكى واغوى، وبالتالي مربح بقدر اكبر خاصة الرقيق الآتى من أفناو، فان قيمته اكبر وبفضله الجميع.

<sup>(١)</sup> في هذه المعارة نحن نوضح على الاسلام، وكأن الاسلام قد ظهر في حارب الرق منذ ظهوره وضيق مولوده وحصره فقط في راي العرب وذلك لغرض الامعاء بثلث حصة كل واحد اسرى المسلمين في دهم ووضع هذا اهدا لمولود مرميا للكمورو، مما لحد الدول الأوروبية لم تهر الرق الا في القرن العشرين بعدما سلبهم الاسلام بأكثر من قرنا عشر لمرا.



كان في السابق يطلق اسم التكرور على سكان برنو أما اليوم فيطلق على كل سكان المنطقة، برنو، منيرا، كاتم، باقرمي، ودأي،\* (انظر تشييد الأذهان، ص ١٢٦).

تفصل بين دول السودان مساحات خالية من أي وجود لسكان مستقرين والمساحات التي تفصل بين دارفور ووداي، وبين وداي وباقرمي تخلو حتى من الرحل، هذه الفواصل لا يستطيع قبيلة السكن فيها خشية غارات مهاجرة من الفور أو لوداويين أو الباقرمي، ولكونهم بين دولتين لا يستطيعون تفادي طلبات وهجمات جيوش هذه الدول. لكن الحال ليس كما هو في المسهل التي تقع بين برنو وأغاديس، أو بين أغاديس وأفناو والتي تمتد لمساحات شاسعة إلى الشمال من هذه الدول، وتسكنها في مساحات متباعدة عادة قبائل الطوارق المتشرذمة والتي تحمل دائما معها سلاحها: حراجهم في الأيدي وخناجرهم على الأزرع ويقطعون دوماً طرق القوافل التي نلأ رأ ماتبدى مقاومة تذكر.

أما في الجنوب فالفلاحة أيضا يجوبون المسهل على طرق القوافل، ويشبهون الطوارق في الجسارة والقسوة، يذكر التونسي: أن الطوارق ليست قبيلة عربية إذ ينحدرون من التبو ويشبه الطوارق والتبو والفلاحة أكراد ديار بكر، لقد التقيت في القاهرة أحد سكان غدامس وقد سافر عدة مرات بين غدامس وأغاديس وأفناو وحكى لي وللشيخ التونسي أن الطوارق ينتشرون كقبائل متقلبة في المساحات الصحراوية التي تفصل بين كل من غدامس وأفناو وأغاديس، وينطق الاسم طوارق أو طوارقة، ويشبه الطوارق عرب الجزيرة إذ يقيم بعضهم في خيام من الوبر، وآخرون في خيام من الكتان أو الجلد، ومدينتهم تسمى غات (Ghat) وتبعد خمسة وعشرين يوماً عن غدامس، وقد نصبوا من بينهم ملكاً يقيم في غات لعدة سنوات، وقد حاول فلاة ملأ الذين اقت بهم حروب الإصلاح إلى ما بعد شمال أغاديس وأفناو أن يهندوا بإخضاع أعداد كبيرة من الطوارق لكنهم أبعدوا عن الأقاليم التي احتلوها وعادت إلى الطوارق استقلاليتهم، وقد أعطاني الفكي الأبي الهلالي\* لقدام من ولاية عاصمة وداي والذي التقيته لمرات عديدة عام ١٨٤٣م



عند الشيخ التونسي في القاهرة والتي مر بها في طريقه إلى مكة، أعطاني معلومات قيمة عن الطوارق، ويسكن الفكي الهلالي نفس البيت الذي كان يسكنه الشيخ التونسي مع اثنين من أبناء عمه والذين ترك لهما الشيخ البيت ليقيموا فيه حتى الآن، لقد مدني الهلالي بجزء كبير من المادة التي نحاول بها رسم خارطة وداي، أي أسماء القرى واتجاهاتها ومواقعها وأسماء واتجاهات بحر أرو (Iro) من منبعه في جبل مرة ومجره في باقرمي واتجاه شارى وبحر فتري (Filry) وبحر رائد ونهر السلامات والبحر الأبيض في برنو، ولكنه لم يحدثنا عما إذا كانت هناك علاقة بين البحر الأبيض هذا والنيل الأبيض، ولم يعرف أيضا نهر المسالك وكلما رددت هذا الاسم على مسمع الهلالي بأنه نهر طويل المجرى يجيب، بأنه لا يوجد بحر أو مجرى مائي في سودانا أطول من بحر أرو والذي يسمى في نقطة ما بحر السلامات، كما لا يوجد بحر أعرض من الشارى ولا أسرع من بحر أبيض الذي يقع في برنو ومن هنا أميل إلى الاعتقاد بأن نهر أرو هو نهر مسالاد الذي ذكره براون.

باختصار لقد أعطانا الهلالي الأسماء والعلاقات والمسافات التقريبية بين أكثر من مائة وخمسين إلى مائتي قرية ومكان لم تكن نعرفها من قبل، لكن كم كلفنا ذلك من وقت ومحادثات وأسئلة ومراوغات لكي نحصل على المعلومات التي نريدها من الفكي الهلالي، وهذا الهلالي برغم سهولة التعامل معه إلا أنه كان على خلاف السودانيين الذين التفتيتهم وعرفتهم كان يتحاشى فضولنا باستمرار، وهذه عادة شائعة عند الزنج في السودان منهم من لا يعطون أي معلومات عن بلادهم ولولا الشيخ التونسي لما حصلت على شيء منه.

وذلك مساء وبينما كنا في دعوة لتناول طبق رائع من الكسكس في بيت الشيخ التونسي، وكنا ثلاثة فقط، قلت للهلالي لماذا ترفض أن تمد الشيخ بالمعلومات التي يريدها عن بلدك! أجاب: إن هذا شيء محظور وعقوبته الإعدام، سألته ثانية: كيف؟ عقب قائلا: بلاتك، إذا علم السلطان بأنني أنا الذي حدثكم عن طرق وديار وداي فسيقطنني بلا رحمة، قلت له: ومن يذهب لسلطانكم ليقول له



أنت الذي أخبرتنا عن الأرض في ودأى، فلا أنا ولا الشيخ ننسوي السفر إلى  
السودان، وحتى إذا جاعتنا الرغبة منحرص على ألا نقول أنت الذي أخبرتنا، قال  
أصدقكم، لكن أنتم تعلمون الخوف.. قلت له لا تخف نعاذك بالأمان نغولك، قال:  
أصدقكم، لكن أفسدوا إلى بانكم لن تقولوا أن الهلكى هو الذى أعطاكم معلومات  
عن ودأى وساقول لكم ما اعرفه لأننى سافرت كثيراً داخل ودأى ورافقت قسوات  
السلطان فى طريق وارة- ابوسمين فى حملتين ضد باقرمى وحملة أخرى فى  
أرض عرب السلاطى حين تمردوا وحملتين فى داركردى ودلر بنقا من أجل  
صيد الرقيق، قلت له: هل تسىرون النهار كله فى هذه الاسفار؟ أجاب: أبداً، تسير  
فى مراحل يوماً بيوم لمدة تتراوح بين خمس إلى ثمانى ساعات فى خط مستقيم  
لأن بلادنا ماهرة بالسكان ومن السهل أن يجوبها المرء ثم ان المحطات هى  
نفسها، سألته: ان الذين يتبعون الحملات ان كانت للحرب أو لصيد الرقيق يجيب  
أن يعرفوا...؟ أجاب: طبعاً، سألته: وكم محطة توجد فى الاتجاهات إلى زرتها؟  
أجاب: انها كثيرة حسبنا من الشمال إلى الجنوب لأن ودأى يزيد طولها بثلاث عن  
عرضها، قلت له هل تسمى مباشرة حدود دارفور أو باقرمى؟ قال: لا، يوجد بيتنا  
ودلر فور وادى اسكتا وكلكل من الجنوب إلى الشمال وهى منطقة مليئة بالغابات،  
لما الوادى الذى يفصلنا عن باقرمى فهو ابو راوى وتحفه الغابات من الجانبين،  
وعرضه يضاعف عرض الوادى الذى يفصلنا عن دارفور، ومن يومها واصل  
الهلكى طوعاً وصفه، وقد كتب الشيخ المسافات والاماكن بعناية، لكننا وجدنا  
صعوبة بالغة فى وضع المسافات وتحديد الاتجاهات.

وقد كان يبدو للهلكى أنه فى أسفاره هذه يسير فى خط مستقيم أو ماهر  
أشبه بذلك، سواء من الشمال إلى الجنوب أو من الشرق إلى الغرب. أو من احد  
الخطوط المتوسطة بين هذه الاتجاهات، هذا كل ما سمعنا معرفته وحتى الهلكى  
ما كنا نظنه يعرف اكثر من ذلك.



بعدها تحدثنا عن باقي السودان، لأن الهلاكى كان قد سافر الى أنشاسو فى  
الشمال ذات مرة، فقد أعطانا معلومات مهمة عن الطوارق والتي لم أجدنا مضمنة  
فى أى من الخرط التى وجدتها فى مصر.

الى الشمال من أغاديس قريبا من حدودها تسكن قبيلة الطوارق كلىوى  
الكبيرة، والتي تسكن الجبال وتمثل قبيلة كثيرة العدد وقوية، ويحتل جزء منها  
الأراضى الواقعة بين برنو وأغاديس أما الطوارق البدويون الحقيقيون - طوارق  
أولامون فيسكنون على الحدود الشمالية لتمبكتو ومنهم انقسم الفرع القوى أو  
لامون الشرقيون والذين يملكون كثيراً من الجمال والخيول، وتتكون كل واحدة من  
هذه القبائل من مجموعة تضم حوالى مائة ألف شخص، أما القبيلة الرئيسية الثانية  
فى الطوارق فهى الهجرس وبين هاتين القبيلتين الرئيسيتين تنزل قبيلة طوارق  
أجداكين، قبيلة الفقهاء المشعورين وتسكن قبيلة التمسجرن الى الشرق من البلاد  
التي يسكنها طوارق دار الطوارق الى الشمال من أولامودين الشرق وتحدث قبيلنا  
أسن وكيجرس لغة واحدة، وكانت الغلبة القبلية فى البداية لايتسن ولكنها زالت  
والت الى يد الكيل-جرس.

أما القبو أو النيو فيقومون بنفس أدوار الطوارق وينتشرون أيضاً فى  
شمالى السودان خاصة فى الجزء الشرقى وبشكل رئيسى فى طرق القوافل فى  
الصحراء بدءاً بفزان وانتهاء ببرنو ووداى ويجمعون الضرائب من القوافل التى  
تمر بهم، أما قبو رشاد أو قبو راشدى وتعنى قبو الصخور فيسمون بذلك لأنهم  
يسكنون متفرقين بين الجبال التى تقع بالقرب من الحدود الجنوبية الشرقية لفزان،  
ويسكن عدد منهم فى كهوف هذه الجبال.

أما فيما يخص التقسيمات الداخلية مثل ولايات الدولة والمحافظة فعدد  
منها يقع فى أماكن غير التى حددها الجغرافيون فى خريطهم حتى الحديثة منها  
وكنالك تسمية بعض القبائل جديدة تماماً، وقد رأينا نملازج من ذلك فى دارفور ذات  
الشيء فى دار فرتيت ودار النوبة، وأغلب القبائل العربية التى كانت تجاور



دارفور ودار ودأى كانت مجبولة ونفس الشيء بالنسبة لبرجوب ودار تروج ودار  
الجنائزة.

إن المنعرا حسب ما أكد لي أحد البرنو - والذي كنت التقيته في منزل سلطان  
دارفور - فيعبرها نهر شاري والذي يروي أطراف ماسينا عاصمة باقرمي وحسب  
ما قال صديقي البرنداوي فإن شاري هو الاسم الحقيقي للنهر لكنه حرف اليوم  
ليصبح شاري. أما اسم تساد أو تساد المكتوب على خريطةنا فيشير إلى البحيرة  
الكبيرة التي تقع بعد باقرمي في بلاد البرنو فإن هذا الاسم لم يكن معروفاً للبرنو  
الذين يطلقون على الكل أي البحيرة والنهر - بحر شاري - (في مصر يطلق اسم  
بحر على النيل) وهو صالح للملاحة وتجربه المراكب الصغيرة باستمرار.

يعتقد البرنو جازمين بأن بلادهم هي أرض البركة، فقط لأنه وقع تشابه  
لفظي ساذج يعتقدونه حجة، إذ يدعون أن سفينة نوح قد رست في أرضهم بعد  
الطوفان والدليل أن الكلمة برنو كما يزعمون تتكون من مقطعين 'بر' و 'نوح'  
والثاني جمعاً لتكونا 'برنوح' أي أرض نوح ثم صارت برنو. في برنو كما في  
دارفور وودأى وباقرمي فإن الحكام الذين يحملون لقب ملك يحكمون المقاطعات  
لكن ملك منعرا لقناد وأهمية بلاده فيحمل لقب سلطان ويحمل هذا اللقب أيضاً  
حاكم كنتو وكلاهما يشبه باشا حقيقي يحكم مقاطعته نيابة عن القسطنطينية،  
فكلاهما ينصب من قبل سلطان برنو ويحكم سلطان كنتو على رأس خمسة ملوك  
يقيم كل منهم في برني، أي عاصمة، وتقع إحدى هذه العواصم الخمس في لوقون  
مقر سلطان كنتو.

أما كاتم فيحكمها 'ألفه' وهو اسم يطلق على حاكم هذه المقاطعة وقد كان  
ألفه كاتم هو الذي نفذ برنو وباقرمي وودأى وحتى دارفور من غزوات الفلاحة  
الاصلاحيين 'بروتستانت' فهو الذي أوقف زحفهم بعد أن خرج الفلاحة من دار ملا  
يقودهم أحد العلماء على المودان الشرقي وهدد بالاستيلاء على ثلاثة أرباع  
السودان، ويخبرنا الشيخ أن هذه الحرب قد اجتاحت عدداً من البلدان في نفس  
الوقت الذي دعمت فيه الوهابية المعطلة ثورات اللبدو في شرقي الجزيرة العربية.



اما ادغيس أو اغاديس كما يسميها الجغرافيون فهي مقاطعة مجبولة نسبياً  
والموقع الأكثر اعتباراً في هذا الجزء من السودان يسمى ادغيس ايضاً والتي  
الشرق من هذه المحافظة ما يعرفه المغاربة بالسودان التجاري.  
بعد اغاديس تأتي أفناو وهي ارض ممتدة ومعها تتم معظم التجارة مع  
تونس وطرابلس وبلاد المغرب عموماً، وهذه المدن نادراً ما تذكر في الخرطوم  
ولأفناو علاقات تجارية ثابتة مع تونس، واكبر مدن هذه المقاطعة هي هوسا  
وكشنا، ونوفي، وهذه الاسماء هي ايضاً أسماء لثلاثة تقسيمات للبلاد، ويطلق  
الجغرافيون الاوربيون على أفناو اسم هوسا، الاسم الذي لا احد من السودانيين  
والمغاربة الذين التقيتهم في مصر يعرف ان يطلق على غير عاصمة أفناو  
ولا يعرفونه ابدأ كاسم لدولة.

لما دار تنبكتو فلا احتاج الى الحديث عنها، فهي معروفة وخاصة باسم  
مدينتها العاصمة تنبكتو، لما دار ملا أو دار الفلانة فهي ذات امتداد معتبر، ويقول  
الشيخ ان فلانة شرق دار ملا نوى رؤوس كبيرة وجباه عريضة، واقواء كبيرة،  
لما اولئك الذين هم في الغرب وخاصة شمال غرب ملا فرووسهم منتظمة نسبياً.  
ويوجد الفلانة منتشرين في كل مكان ابتداء من دارفور وحتى المسينغامبي  
رحلاً ومقيمين باعداد كبيرة ويحتلون ثلثي الجزء الغربي من الاقاليم الجنوبية من  
دويلات السودان الاسلامي وهناك يقومون بالادوار التي يقوم بها القبو والطولوق  
وباختصار يوجد الفلانة في كل السودان حتى كردفان، وابتداء من دارفور حيث  
توجد لديهم بعض القرى مثل التي في أسافل جبل مرة، فهم كثر في كل دولة لان  
حروب الاصلاح قنفت بهم في كل ارجاء السودان الاسلامي.  
ويذكر القونسي انه رأى فلانة يشغلون مناصب عليا في كل من دارفور  
ووداي ففي كتاب رحلة الى دارفور (تسحيذ الازهار) نرى ان الفكي ماتك  
الغوتاي يتمتع بنفوذ قوي لدى السلطان، من جهة اخرى نرى ان مشاعر الرعب  
وتارة الاعجاب بالفلانة التي اثارتها حروبهم قد ربطت باسم أولئك 'الوحوش'  
فكرة مرعبة، واشياء خرافية قالتهم الى تملك قوة السحر ضد قبائل السودان وعلى



ضوء هذه العلاقة فهم بإمكانهم فرض كل ما يريدونه على قبائل جاهلة متخوفة  
تؤمن بالخرافة وتكفي الإشارة باليد لتوقع بهم في الرعب أو التعجب أو الإعجاب.  
لنقل الآن شيئاً عن محاولة رسم خريطة ودای المضافة إلى هذه الرحلة لقد  
اتبعت في رسم هذه الخريطة نفس الخطوات التي اتبعتها في رسم خريطة  
دارفور، فالمسافات قد وصفت بالتقريب، ولعلی يمكن أن اضع لكل يوم ستة  
فراسخ ورابع، فهذا متوسط ما تقطعه القوافل في عدد معلوم من الأيام، وأحياناً  
تقطع في يومين أو ثلاثة أو أربعة أيام أكثر من خمسة وعشرين فرسخاً لكن إذا  
وضعنا في الاعتبار أن المسافرين بالقوافل السودانية عرب أو غبرهم يحسبون  
المسافة مقطرة بعدد من الأيام حتى أيام الراحة، فمثلاً في المسافة المقطرة بخمسة  
عشر أو عشرين يوماً من السفر يقضون أربعة أو خمسة أيام في الراحة، ولهذا فإن  
التقديرات التي وضعناها تمثل المسافات جغرافياً لتقريب الحقيقة.

إن طول ودای من الشمال إلى الجنوب يساوي ثلاثين يوماً، وعرضها أي  
من الشرق إلى الغرب يساوي حوالي عشرين يوماً وعرضها النهائي في الشمال  
أكثر قليلاً مما هو عليه في الجنوب، وإن مساحة ودای مأهولة بالسكان أكثر من  
مساحة دارفور، والكثافة السكانية أكبر.

وعدا الجانب الشرقي فإن ودای محاطة بقبائل عربية شبه متقلة لا تخضع  
لسلطان ودای، وعلاقتهم بسلطان ودای هي نفس العلاقة التي بين سلطان دارفور  
وتلك القبائل العربية المحيطة بدارفور، وقبائل البديات 'بنى بديات' وهم بدو رحل  
يعيشون على مسافة يومين أو ثلاثة من حدود ودای الشمالية ولهم طباع تشبه نمط  
الحياة العربية لكنهم ليسوا من أصول عربية ولا يتكلمون لغتهم.

وما زالت ودای تسمى ودای - برقو ودارصليح، والاسم الأخير هو الأكثر  
شيوعاً في كل السودان، واسم ودای هو الأكثر استخداماً بعد دارصليح، والودايون  
لا يسمون بلدهم إلا ودای وداراً ما يستخدمون اسم برقو، وهذا الاسم لا يستخدم إلا  
في أجزاء محدودة من السودان.



أما التقسيمات الإدارية الرئيسية في وداي فمقسمة بحسب الاتجاهات فتوجد خمسة أقسام رئيسية وهي محافظات: الشمال، الشرق، الغرب، البطيحة، والبطحاء، أي "الأراضي المنخفضة" ويحمل حكام هذه المحافظات اسم عقضاء، وهم: عقيد الريح، ويحكم الشمال، وعقيد الصباح، ويحكم الشرق، وهي المحافظة الحدودية مع دارفور والتي يسكنها المساليت وهؤلاء يشكلون قبيلة كبيرة العبد، وعقيد الغرب، ويحكم الغرب، وعقيد البطيحة، ويحكم المنطقة الواقعة من البطيحة الوسطى وحتى أقصى الجنوب، وعقيد البطحاء، ويحكم المنطقة من وسط وداي وإلى الجنوب حتى وادي البطيحة.

واسم بطحاء وتصغيرها بطيحاء هما اسمان لواديين كبيرين عريقتين هما عبارة عن أراضي منخفضة يجري الواديان فيها من الشرق إلى الغرب، ويقسمان دارصليح إلى ثلاث مناطق غير متساوية.

تتكون اسافل البطيحاء من واد رملي أبيض جميل تحفه على جانبيه الأشجار ويبلغ عرضه حوالي نصف ساعة مشياً على الأقدام ويمتد في خط مستقيم تقريباً تغمره مياه الأمطار الموسمية، وعندما يقل الماء يصبح صافياً جداً يعطى منظرأ رائعاً للرمال من تحته، وحسب مايقول التونسي، بأنه نادراً ماينقطع سيل الماء في هذا الوادي، لكن تقل سرعته ويضيق مجراه، لمانهر بنى راشد فيجف أحياناً ويغور الماء في الرمل ويتبخر جزء منه وفي الشتاء يضعف تيار الماء، فحسب توزيع فصول السنة في وداي فإن الصيف هو موسم الأمطار ويأتي مباشرة بعد الشتاء، وهذا مايعطى الفصول الترتيب التالي: الشتاء، الصيف، الخريف، الربيع.

تكون المياه أكثر وفرة في أثناء الحر الغافض، وعندما يأتي الربيع والشتاء بصفة خاصة لايتطبع درجات الحرارة المتواضعة من تبخير كميات كبيرة من المياه تحد البطيحة من الشمال والجنوب كميات من الأشجار، ومابعدهما مباشرة قرى ومزارع، وبعد نصف ساعة من السير نحو الجنوب يمكن الكشميرة وهي



قبيلة كبيرة تسكن عدداً من القرى من بينها أم حروية والتي بها أكثر من خمسمائة رجل قادر على حمل السلاح وكانت مقراً لاقامة الشيخ التونسي لعبد من المشهور. لما البطحة أو البطحاء فهي على بعد ستة أو سبعة أيام إلى الجنوب من البطيحة، أي حوالي خمسة وأربعين فرسخاً، والوادي يحتل نفس الموقع وربما نفس الطول والعرض كما هو في البطيحة، لكن مياه البطحة أكثر وفرة ولا تجف أبداً، ففي موسم الأمطار تتجمع مياه الواديين وتشبه أنهاراً كبيرة، وبالتالي تتعزل القبائل التي تسكن ما بعد الواديين لفترة حتى تجف المياه ويتفرع من البطيحة نهر التفرى.

بجانب الحكام الرئيسيين الذين تحدثنا عنهم سابقاً، يوجد ملوك برتبة ثانوية يحكمون بعض المقاطعات والديار والقبائل، وأغلب هؤلاء الملوك يتبعون لعقائد المناطق التي يعيشون فيها.

وكذلك القبائل العربية التي تسكن ما بعد الحدود لها علاقة أحياناً بعقيد المنطقة التي ينزلون بالقرب منها، لأن السلطان يرسل كل عام في طلب ضريبة الحماية، والتي تفرض على القبائل بشكل عشوائي أحياناً مما يجعل البعض يرفضها.

وتخضع لحاكم الغرب تقريباً قبائل البنى غياتية (غيات) والبنى زبدة. وللكاشميرة ملك يخضع لعقيد البطحاء، أما جناخرة ودای وهم عبيد تحت خدمة السلطان والذين تم جمعهم أخيراً في تنظيم أشبه بالعبيدية التابعين لسلطان الفور، فهم تحت إمرة ملك يحكم عدداً من القرى التي يقطنها هؤلاء الرقيق بين وارة والغرب، وإلى الشمال من المنطقة التي يقطنها الجناخرة تقع منطقة جبلية مأهولة بالسكان ويحكمها ملك يسمى ملك الجبل، ويبدو أنه يتبع مباشرة لسلطان ودای أكثر منه إلى عقيد الشمال.

وهناك قبائل أخرى ولكل قبيلة ملكها مثل: الكوكا، الكوركوس، البيقو، الداجو، الموبى، البرقد، الحيماد، البندلة، التفرى، وهؤلاء في الجنوب والغرب، وهناك البرتى والميمة، القمر، المسجى، المداقو، اللبالا، ومجموعة من الداجو



والهليلات في الشمال، والمساكن في الشرق بجانب مسيجة البطيحة والاب بكر  
والمرقى، اما القبائل العربية في ودأى فهي السلاط والرائدية وهؤلاء يقيمون  
داخل حدود ودأى، ولكل منها شيخ تتبع له، وهذا الشيخ يتبع لأكرب عقيد في  
المنطقة التي ينزل فيها، ويحكم الفترى خمسة ملوك يتزعمهم الملك المقيم في يالوا.  
وكل حاكم يمثل السلطان في مقاطعته، ويعتبر نفسه الحاكم الاعلى ويحكم  
مايراه حتى وإن كان ظالماً، ولكل عقيد الحق في حفظ النظام والدفاع عن  
مقاطعته.

تمثل قبيلة الكوكبة التي تسكن الى الشمال الشرقي من الفترى قبيلة منفصلة  
منذ زمن بعيد عن الكوكبة الموجودين في جنوب شرق ودأى، وقد وقع هذا  
الانفصال كما يقول الهلالي بعد نزاع لموى، وقد شكت هذه القبيلة التي تسمى  
نفسها مهندة الى السلطان فحكم لها بأن منحها حكم البطيحة حيث أقامت منذ ذلك  
الوقت.

أن الكوكبة الذين يسكنون الزاوية الجنوبية الشرقية لدار صليح يشكلون  
جزءاً من الجناخرة، والذين يكونون قبيلة كبيرة تشتهر بجمال نساءها فكل الفتيات  
الجميلات اللاتي كان اهل ودأى يخطفون عند غاراتهم في دار الجناخرة كن  
يتكن حريماً للسلطان، ويذكر ان السلطان نصح منذ زمن قديم بالرسالة حملة الى  
ارض الكوكبة والجناخرة المجوس لاستجلاب الفتيات والنساء والرجال والاطفال  
والاسر وترحيلهم للإقامة في جنوب ودأى حتى يتسنى له الحصول على ما يحتاجه  
من نساء شرعيات او سراري في كل عام، وقد عمل السلطان بهذه النصيحة،  
ومنذ ذلك الزمن يرسل حاكم كوكا كل عام أجمل فتياتها حريماً للسلطان وكانت  
الارسانية السنوية تتراوح ما بين المائة والمائة وخمسين من الفتيات العزراوات  
اللاتي لا تتجاوز أعمارهن عن الاربعة عشر عاماً.

ويقيم السلطان في مدينة وارة، وهي مدينة صغيرة، اعطاني الشيخ خريطة  
لها، وهي محاطة بالجبال التي تشكل موراً طبيعياً وحصناً لها، وحسب تقديمي  
للمسافات التي اعطاني اياها شينخي فتقع عند خط ١٣ شمالاً و ٢١ او ٢٢ شرقاً



بالتقريب، ولا تبعد كثيراً عن دلو تاما، لأن الحرب التي وقعت بين التاما وجيوش  
وداي، والتي سنتحدث عنها، وقعت على بعد خمسة أيام من وارة، داخل ارض  
التاما.

إن دلو التاما التي كانت غالباً تحت سيطرة الحكام الفور، قد سقطت مرات  
عدة على يد الوداويين، وهي بلد زراعية تتخللها الجبال، ويقع ملك التاما في قمة  
الجبل الرئيسي وهو جبل التاما.

يقسم وارة من الشمال إلى الجنوب شارع واسع ينتهي بميدان فسيح أمام  
قصر السلطان يسمى الفائر، وتسمى المدينة أيضاً الفائر، ليس كاسم علم لكن  
كاسم لمكان يقم فيه السلطان، وهذه التسمية تطلق على مقر السلطان ولو خارج  
وارة.

في برنو وباقرمي وبعض المحافظات الأخرى مثل كتكو تستخدم كلمة  
برني بدلاً عن فائر، فعندما نسمع عبارة برني باقرمي نفهم أن المراد بها هو مقر  
السلطان، وإيضاً كل الأماكن التي يقم فيها السلطان داخل الدولة، ولعمد بعيد  
كانت عاصمة الباقرمي في ماسينا التي يمر بها نهر شارى، وماسينا هو الاسم  
الذي يطلقه عليها سكانها، أما عند بقية سكان باقرمي فيسمونها كارنك، أما اسم  
ماسينا فقد كتبها كما ينطقها من سمعها منهم في القاهرة والذين سافروا مرات  
عديدة إلى برني باقرمي.

يتسع نهر شارى بشكل عجيب بالقرب من ماسينا حيث يسمى 'ميتو' كما  
يقول الهالكى - يمتد عرضه مع الاق، فلايكاد المرأ اذا وقف في أحد شاطئيه أن  
يرى شخصاً آخر على الشاطئ الآخر، ومعروف أنه حتى في فترة انخفاض  
المياه يصل عرض النهر في بعض الأماكن إلى ستمائة متر، وينبع نهر شارى من  
جبال مندرية، ويجرى من الجنوب إلى الشمال ويصب في بحيرة شارى، لقد ذكر  
لى الفكى الهالكى عدة مرات أن نهر إيرو يأخذ اسم بحر السلامات عندما يعبر  
أراضى العرب السلامات، وبالتالي فإن هذا الاسم يطلق على هذا الجزء فقط من  
نهر إيرو وليس نهراً خاصاً بنفس الشيء بالنسبة لبحر لم التيمان، ويبقى أن يقال



إن الأيرو مجرى مائي ضخم وعميق ويشكل قوساً ممتداً في دارقلا، ويتبع نهر  
راشد مجرى مقوساً مماثلاً، هناك ملاحظة يجب أن يضعها المسافرين في  
الاعتبار وهي أنه لا يوجد نهر معروف يجري طوال العام سوى نهر شاري.  
وينبع نهر ايرو من لزوم الذي ينبع من الاجزاء الغربية لجبل مرة في  
دارفور، ويعبر مسافة طويلة ومتنوعة، ويمتلىء في موسم الامطار ثم يفقد مياهه  
تدريجياً أثناء جريانه، وفي بعض اوقات العام يجف النهر وينقطع ويتلاشى،  
وهناك مجار اخرى اضعف منه وتجف في فصل الصيف وتصل الى ذات النهاية،  
ولهذا فإن نهر ايرو يبدأ في فقد مياهه بمجرد خروجه من وداي ودخوله الى دار  
ملاً حيث يفقد مياهه في الاراضي الرملية مما يجعل مجراه في نهايته ضيقاً حتى  
يتلاشى، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الجغرافيين يختلفون في وجود وعدم  
وجود نهر ايرو، وبحر الغزال، وبحر القري... الخ.

يصب نهر ايرو وبحر الغزال وعدد اخر من الودية والخيران في شاري  
الكبير على مايبو، فيفيض نهر لم النيمان عندما تصب الامطار مثل النية الذي  
يحدث مع نيل مصر، ومع تراجع المياه يزرع الاهالي الاماكن التي كانت قد  
غمرتها المياه.

لما بحر ابيض فيجري بين كتكو وبرنو من الجنوب الى الشمال، ثم يذهب  
ليصب مع ايبو في شاري، وله مجرى ضيق أشبه بقناة القاهرة لكنه لسرع.  
كل هذه المعلومات جمعتها مع الشيخ التونسي من أشخاص سودانيين يجب  
أن نذكرهم هنا طالما لم ينكروا في كتاب رحلة الى دارفور تشحيد الاذهان.  
إن هذه النقاط والمعلومات مستير وتعود لحدث الرحالة الاوربيين الذين  
سيكونون الاول في هذا الميدان ليجنوا المتعة والشرف برؤية هذه البلاد البكر،  
عالم وسط افريقيا المثلق منذ سنوات والمحفوف بالمخاطر للذين لم يجهزوا  
لرحلاتهم لمدة طويلة ولا يعرفون اسرار اللغة العربية - لغة المسلمين المقدسة -  
والذين لم يتأسلموا - أو يظهرنا اسلامهم لاجل سلامتهم، والذي لا يستطيع ان



يتقن شخصية الرجل سهل القيادة المؤمن القادر على مواجهة مشرسة مسلمي السودان من لم يتمكن من كل هذا يجب التفكير في السفر وأن يلزم بيته.

نذكر أن رحلات دونهام التي منيرة جاءت بنتائج متواضعة، إذ يجد المرء صعوبة في السفر بملابس حمراء لتجليزية، يستلزم الأمر ارتداء جبة دارفور أو ودلوية لجوب بلاد دارفور أو ودأى، ويجب تدكين لون البشرة حتى لا يثير اللون الأبيض نظر الزنج السود كالفحم، ويجب أيضاً الإقامة لمدة مواسم في كوبي وتنقلتي وولاية والتعرف على السكان المحليين والتجار والنخاسة، يجب كل ذلك بل والتغاضي عن أشياء كثيرة أيضاً يجب الانتعاض احداً، يمكنك أن تتبع صاندي الرقيق والتجار المحليين حتى حدود الفريتيت الجنوبية، أو حتى إلى أرض الجناخرة ويمكنك أخيراً التعرف على حدود السودان الجنوبية وموقع جبال القمر وعلى مواقع تجارية وحضارية كثيرة يمكن دراستها أثناء الرحلة إلى السودان.

أي شرف ينتظر الرحالة الشجعان والمثابرين متقدي الذكاء الذين يفضلون ست أو ثمان أو حتى عشر سنوات للتأخير للرحلة ويكتشف خطوة خطوة إفريقيا المجهولة. من بعدها يجب البحث عن وسائل تسمح من على وجه الأرض دروب الأمم والعمر التي عبرها يجر كل عام آلاف العبيد، لحم إنساني يباع في الأسواق أو يترك تطعمه الكوامر، ويجب أن تدخل إلى قلب إفريقيا أدوات جديدة واحتياجات جديدة واستبدال تجارة الرقيق بعلاقات تجارية جديدة، وحتى لا تفرك كميات هائلة من أموال الأوروبيين تهرب إلى داخل السودان وتبقى بلا فوائد حتى لمالكها، يقال أنه لا يستطيع المرء أن يتخيل كمية العملات الفضية التي دخلت إلى تلك البلاد.

وسنرى لاحقاً عند الاستيلاء على خزينة سلطان ما ما بداخل خزانته من هذه

العملات<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> هذه الفترة تمكن مدى المنع الذي يصره الأوروبيون والطمع الذي يلهيهم، فلم لا يمتدحون إلى كميات العملات الفضية التي يأمرونها من إفريقيا وحق البشر الذين صعدوا إلى أسواق العبيد فيها وراة البحر كل ذلك لا يمتدحون به، ويأمنون على القتل من العملات الأوروبية التي تكون عملة البحر والباطون.



والبرينة، هذه اللعب هي اول ما تربط السودان بالجزائر، ويتغير هؤلاء الاطفال تدريجياً عبر ادوات اكثر جدية وجنوى. ويصبح الاطفال رجالاً، ولاحقاً يفتح هؤلاء الرجال طريق الرب وينادى فيهم مبشر فى الصحراء..... ان مسلمى افريقيا الفرنسية وقد حملوا الى هؤلاء الفرنج الذين مازالتوا فى مهد الانسانية المنتوجات الصناعية، يتحدثون اليهم عن امة ارسلها الله الى افريقيا، لمة من الصفة يسموهم ان يعلموا الجائع ويرووا الظامى، وهى تتصل بشعوب العالم اجمع، لانها القبلة الكبرى حيث المائدة الالهية مفتوحة لكل الناس، وحيث يأخذ الجميع خبز الحياة وخمرة النقاء وملح الحكمة كنتيجة ضرورية لمحاولة التربية فى شمال افريقيا والسودان ويجب ان تحطم باتنية والعمل تجارة الرقيق، ويجب ان يرغم ملاك الرقيق على الاحترام اللازم لخلق الله الرحيم، ولبنى الانسان، وان يحقروا بما فعلوا لهؤلاء المساكين الذين يسلبون كل عام وبضربات منظمة متتامة تقطع الغابات ومن ثم يساقون قطعاناً يباعون فى البلاد الاسلامية<sup>(١)</sup> هذه التجارة هى احد الالام الاسلامية، وهى موضع تحقير عند لم اوروبا المستتيرة منذ وقت طويل، اصف الى ذلك ان محمد على قد عمل بكل ما اوتى من قوة فى تشييط هذه التجارة الدنيئة. واعرف ان عدداً من الرقيق الذين يباعون خارج السودان يعتبرون أعضاء جنداً فى العائلة مسخرين لخدمتها ويصبحون ملكاً لها، ويدعون لتبرير افعالهم الشنيعة ان هؤلاء الرقيق سعداء لانهم لايجنون مايجنونه هنا فى بلادهم بلها من طريقة غريبة للتصل من الجرم

الا يعلم الناس كم من هؤلاء العبيد، رجال واطفال ونساء يموتون قبل الوصول الى مصر، او المغرب، او القسطنطينية والى كل البلاد التى يعيش فيها

<sup>(١)</sup> يقول لشرم ما مثلك بلحق الحارة الرمال الافرى بالشرق والبلاد الاسلامية، بما لمة الخلفة من قبل الاوربيين هم الذين قادوا هذه الحارة ووسعوا من قوتها واستولوا الحارة الافرى من سكانها وغنواهم مبعثاً الى الاممى الخندة والامريكين وحسبوا الحطة الخندى والامول الاوربية، وقد امتدت هذه الحارة لاكثر من ثلاثة ارون حطت الامم الاوربية لقرتها من حوتها ورفسرة شافدا، وهى الحرة ان لا تصغر هؤلاء معها لمروا منها، كما رلقى الاسلام الرق صوماً من اكثر من اربعة عشر لراى ولت كانت له لوربا نراج الى نو الديكشورية واللكيات للثقة والخطبات لفرطة، وكان الرق يمارسا بشكل شيع الى لوربا القديسة والرمسية والحديثة وقرر تام من موروثها الذهبية والمطسبة.



المسلمون ويحكمها المسلمون، يموت الآلاف عند الغزو، والآلاف في الطريق، ثم الآلاف آخرون في هذه البلاد قبل التعمود على نمط العيش والعمل غير المعهود بالنسبة لهم، وهناك الآلاف يخضعون والآلاف يخرجون من السودان لعبور الصحراء والآلاف ليتحملوا برد سوريا وآسيا الصغرى وتركيا وفارس، وتموت الأماء في أعمار مبكرة، إذ تموت الترنجيات والحبيبات في أعمار لا تتجاوز الأربعين، وعند العشرين يكن قد عجزن لأنهن يصبحن منذ سن الثامنة أو العاشرة سراري للمسلمين، وكم يبقى من الأطفال الذين يولدون بعد الأمراض وسوء التغذية؟

بحمد الله لقد أخذت الدولتان مسروعات الصوت في العالم - فرنسا وإنجلترا - على نفسيهما أن تكونا شرطيين للامم المتخلفة، فقد بدلتا في تكميم تجارة الرقيق، ففي المتوسط وصلت هذه التجارة إلى اننى معدلاتها إذ صارت أعداد محدودة جداً من السفن التي تعبر إلى شمال البحر تحمل أطفالاً أو رجالاً أو نساءً للبيع، لكن ما زالت تهرب أعداد كبيرة عبر البحر الأحمر وعبر البر. ما عانت المجوسية موجودة والتي يمثل الرق احد وجوها فلماذا يمارس حتى زمن كهذا؟ لماذا حافظ محمد علي، على هذه الممارسة المخزية؟ ألم ير ان الرق لم يكن عملاً منطقياً الا في ديانة الاولمب؟ ألم ير محمد علي الذي حاول محاربة الشرك وامر بالتوحيد انه من الأفضل ان يحارب هذه التجارة المجوسية<sup>(١)</sup> عند الحديث عن وحدانية الخالق يجب ان نعترف أيضاً بوحدة الخلق ووحدة الاسرة البشرية التي خرجت من أب واحد وأم واحدة من يد الله.

بيروت - الناصرة - يوليو ١٨٤٥.

<sup>(١)</sup> سئل ابن الخرماني عن الاسلام قد حارب الرق بكل ادواته، ولم يلم سوى رقب الحرب، وهذا ألبتأ صفة لا يصدق المسلمون، لكنهم لم يهتموا بحديث بلقاء الغافل بتعليم الاسلام، ولما كان حال المسلمين في هذه الفترة انهم يمارسون فيها الرق، وهم بذلك يعملون بتعليم الاسلام فواضح في هذه الامور، وبالتالي ان الله منع على هذه الشريعة من المسلمين وليس على الاسلام، ورسول الاسلام صلى الله عليه وسلم الذي منع رسالته وأدى لسانه، وتركنا على هذه النعناء لأنها كنهانها، لا يصلح عنها الا هاتك، وهذه الشريعة تمارس في سوريا باحار من الأوربيين وتسلمهم لأن الأوربيين هم الذي يمترون الرقاب الارثوذكس من دولتهم البحر المتوسط ولحمهم الى أوروبا وليس هكذا.



## مقدمة المسد/حومار:

### ملاحظات عامة:-

ان الواقع الحالي للجزء الشمالي لا قريقيا والسودان الشرقي لجدير بالتدوين في كتاب مثل كتاب (الرحلة الي وداي) الرحلة التي قام بها قبل سنين عديدة الشيخ محمد التونسي احد علماء القاهرة والذي قام ايضاً بكتابة كتاب (الرحلة الي دارفور) والذي قام بترجمته الدكتور 'بيرون' وظهر في عام ١٨٤٥م وعلي ذات المثابرة ، فنحن مدينون له بهذا الكتاب الأول ، ولكنه قرر ايضاً ترجمة هذا الكتاب ، لأن هذا الرحالة قد بقي فترة من الزمن ، حيث كتب اهتماماته الدينية وتسجيل مذكراته.

حقيقة بفضل هذا العالم المستشرق اتاحت لنا الفرصة لمعرفة الحالة العسكرية والمدنية والسياسية لمملكه كبيرة في السودان كانت مجهولة الي يومنا هذا ، وسوف نعرف ايضاً عن مناخها وثروتها. وكذلك عن الاخلاق والتاريخ ، وبدون اي شك فان الشيخ يكشف لنا الوجود الحقيقي لوداي ، وهناك حقيقة يجب ذكرها. وهي: اننا في اوربا لم نعرف شيئاً عن هذه المنطقة الا اسمها قبل برخارد Borchard ويرجع الفضل الي هذا المراقب الذكي والممتاز الذي عرفنا بهذه المنطقة ، ولم يحدثنا عن العلاقات بين الطبيعة والسياسة الا بقدر جذب الانتباه لمزيد من المعرفة ، فعندما ذكر 'برخارد' الجغرافيين والعلماء 'وداي' ، فانها لم تكن ذات شهرة مثل دارفور ، ولم يذكر 'براون Brown' الذي قضى ثلاث سنوات في دارفور الا اسم 'وداي' بل كان هناك رجاله آخرون من امثال 'هورنمان Homman' 'ودي ستزن DeCitizen' 'ودي ليون Delione' 'ودي لتهام DeEnham' ، وآخرون زاروا المنطقة ولم يتحدثوا عن وداي أبداً ، وفي تلك الفترة فان الموقع الجغرافي لوداي برشحها لان تلعب دوراً في العلاقات التجارية ، والاحداث تؤكد ذلك ، فقط كانت تحتاج الي فرصة تحملها الي الماحة التجارية خاصة وانها قد قامت بهذا الجانب التجاري ، وكانت دارفور منذ قرون



عده تصدر الي مصر منتجاتها الزراعية ، والبضاعة والعبود ، وكان كل العتائم يعرف قوافل دارفور والتي كانت تضم آلاف الجمال ، وتدر الملايين من الاموال كمكادات لتلك البضائع .

وكانت مملكة وداي بعيدة كل البعد لتنافس دولة الفور ، ومن ناحية اخري كانت الحروب بين الدولتين تمنع الوداي من تصدير بضائعها مع الفور لتصل الي شواطئ النيل ، وكانت الفرصة غير المتوقعة هي الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨م وطرد المماليك وقواتهم نحو الصعيد ، حيث توغلوا جنوباً الي ما بعد اللّلال الأول وبدأوا ببلاد النوبة وبنقلا وحتى سنار وكردفان وكان يمكنهم البقاء فيها لولا تهورهم في العودة مرة اخري الي مصر لينازعوا محمد علي الحكم ، حيث اصبح الوريث للجيش الفرنسي بخطأ مفاجيء وبدأ في تكوين جيش وطرد المماليك للمرة الثانية ، حيث استقر جيش من المصريين في سنار وكردفان ، وكانت هناك شبه حرب مع الدولة المجاورة ، فكانت تجارة دارفور مع القاهرة قد تدهورت او قد توقفت تماماً ومنذ ذلك التاريخ بدأت العلاقات التجارية بين وداي وفزان ثم مع طرابلس وبنغازي ، واختت القوافل تلك طريقين جديدين ، حيث استقبل البحر المتوسط وأوروبا ولأول مرة بضائع مباشرة من وداي ، بدون أي واسطة ، وسوف نستعرض التفاصيل حول النقاط الآتية:

### التاريخ:

يجب ان ابين هنا صفة تاريخية مهمة ، وهي انه في الوقت الذي ظهر فيه علي ضفاف النيل رجل خارق وهو المسمى محمد علي ملك مصر ، في نفس ذلك العصر أي عام ١٨٠٤م ظهر في وداي السلطان عبد الكريم صابون وكان ينتمي علي حسب معلومات الراوي الي الجيل السادس من أبناء السلطان الأول لهذا البلد صليح او صالح الذي أقام الإسلام وأقام الحكم الوراثي فيها ، وقبل ذلك كانت وداي مملكة وثنية مثل ممالك الفرتيت والجنائرة وغيرها من القبائل الجنوبية .

أما فيما يخص السلطان صابون فقد اشتهر خلال فترة حكمه الذي اتسم بقصره وبريقه وقد اشتهر بصفات يشترك في بعضها مع محمد علي منها



الصرامة والذكاء والاستقامة والحكمة واخيراً الرغبة في التميز وأحياناً استعمال بعض الوسائل القاسية. كان السلطان صابون أصغر سنّاً من محمد علي ، وقد وصل إلى الحكم قبله بقليل ، ومات قبله أيضاً ، كان صابون يهتم بالتجارة مثل محمد علي ، ويبحث بالتوافل إلى مصر كما بحث إليه بالهدايا للاستقبال الذي وجده تجار الوداي بتقاهرة فقامت علاقات إياه بين الأميرين ، وعندما انتهت مؤامرات النور قبل مجيء محمد علي بقليل ، أرسل محمد علي بجيش إلى كردغان فاصبحت دار فور بين قوتين عدوتين لها ، فأصبح من الصعوبة بالنسبة للمسافرين الدخول أو الإقامة في دار فور ، ومثل ما رأينا في كتاب الرحلة التي دارفور أن هذا الوضع قد استمر بالرغم من موت أبي مدين<sup>(١)</sup> وموت محمد علي. إن السلطان صابون ترك سمعة بأنه سلطان ذكي عادل وحكيم وأنه رجل ذو بأس شديد، ورجل حرب بل رجل خير وكرم، وقد أخذ وبقوة أثناء حكمه النهب بعض القبائل، وباتفاق مع سلطان برنو فقد قام بحملات ضد الباقري، بقصد تأديب السلطان بسبب جبروته وسوء أخلاقه واخيراً لوسي السلام في ملرق إمبراطوريته.

وهذه بعض الصفات التي يختلف فيها محمد علي، ولني اعتذر لقاريء بأن أتحدث عن هذه المواضيع، برغم من أنني كنت متحفظاً لوجود الاختلاف بين الرجلين وبين الدولتين.

إن تلك الأحداث الكثيرة والتي لا نعرف عنها الكثير، قد رواها الشيخ محمد التونسي وهي أحداث كثيرة وعجيبة، أخذها شخصياً من وداي عندما أقام فيها فترة طويلة، وقد أخذ تلك الروايات من أبطالها أنفسهم، ونكر لنا مجموعة من الأحداث أظهرت لنا الإنسان والمكان بألوان زاهية، إن مؤلفنا قام بتعريف أصول الأسرة المالكة في وداي على الأقل منذ زمن السلطان صليح، والثين خلفوه: عروس

(١) أبو مدين : هو الامير محمد أبو مدين بن السلطان عبد الرحمن الرشيد ، واسم السلطان محمد فضل، تولى دلياً مهوراً. اختلف مع أبيه في الحكم وعرب إلى كردغان ومنها إلى القاهرة عام ١٨٣٤م حيث وعده محمد علي بالانضمام له من أبيه فحضر معه إلى دارفور وتصبه سلطاناً عليها إلا أن الحملة لم تنجح ونزل أبو مدين في ظروف صعبة.

متر: لشعر الانعام ص ٢٤١.



الكبير، عروس الصغير، جودة، صالح، وأخيراً في حوالي عام ١٨٠٤م أو ١٨٠٥م برز السلطان محمد عبد الكريم الذي لقب بصابون، هذا الأمير قد مات ميتة شنيعة عام ١٨١١م على حسب رواية الشيخ، ولكن رواية برخلود تشير الي انه مات في بداية عام ١٨١٥م، حيث أن عام ١٨١٦م كان يحكم فيه يوسف عبدالقادر بن صابون الملقب بخريفين، وبعد ذلك حكم راعب بن صابون، ومحمد شريف أخ صابون، إن هذا الأخير لم يستول على الحكم الا بمساعدة أمير دار فور السلطان محمد حسين، وقد قام بحملة ضد البرنو ويقال إن السلطان محمد حسين كان يحكم بالعدل ولكن يجب أن يشار الي انه لا يزال يوجد هناك من يطالب بالعرش وهو ابن لصابون وهو ابنه الأول، وقد أرسله الي القاهرة وعمره ثلاثة عشر عاماً لتلقي العلم هناك، وكان السلطان صابون الذي كان بدوره عالماً لرك أن يتلقى ابنه العلم من علماء الأزهر المعروفين بوزارة العلم، ولكن الأمير الشاب بعد ألف جولة لم يصل الي القاهرة الا في عام ١٨٢٧م أي بعد احدي عشرة سنة، من مغادرته ولادة، وفي هذا الموضوع يجب قراءة مغامراته التي دونت في كتيب غير معروف لدي الكثيرين، وادين فيه بالتفضل للعالم السيد: رينوار Renwar (سكرتير الجمعية الملكية الجغرافية بلندن) والذي سمي:

The story of Jafar son of the sultan of wadai. First published in the United kifgdom, jomal, for march, April and may, London, ١٨٥٠.

قصة جعفر بن سلطان وداي، الطبعة الاولى، المملكة المتحدة، جورنال مارش، أبريل، ومايو، لندن ١٨٥٠م.

فبذل أن يرسل السلطان صابون ابنه عبر طريق النيل الي القاهرة، فقد أرسله الي بنغازي عن طريق الصحراء، أي الي الشام مباشرة، وكانت ترافقه قافلة قوامها خمسمائة رجل، ولكن الأمير الصغير قبض عليه وعذب من قبل باشا طرابلس، ومن طرابلس قام الأمير بعدة محاولات للوصول الي نفسه، وأخيراً وبفضل الحماية الانجليزية استطاع أن يصل الي مصر.



ومن ناحية أخرى علمنا من مذكرات لم تكن ذات طابع فضولى، ولكنها كانت ذات طابع علمى، والتي كتبها: 'فلجانس فرسنال' Filgas Fersenal أن ولى العهد جعفر بعد محاولات عدة للاستيلاء على الحكم من عمه السلطان شريف قد انسحب إلى دارنقا عام ١٨٤٦م ثم سافر إلى دارفور عام ١٨٤٩م وكان دائماً في انتظار استرجاع العرش الذى كان مستحيلاً.

والحديث عن التباين جعفر يقودنا إلى الحديث عن علاقته بوداي ليس فقط لأنها تساعدنا فى معرفة الأسرة التى قدمت بالورثة تسعة ملوك للدولة، ولكن عندما نتابع مذكرات جعفر نجدهم ثلاثة عشر ملكاً. وعلى الرغم من أن الأمير جعفر قد سلك طريق ودای البحر المتوسط بامر والده قبل حوالي خمسة وثلاثين عاماً وهذا الطريق غير آمن إلا أنه يؤكد لنا الأهمية التى كان يعطيها السلطان صلبون لهذا الطريق منذ أمد بعيد، وبالطبع يجب قطع الصحراء الصعبة والتي كانت مليئة بقطاع الطرق ويمكن للإنسان أن يعرض نفسه للعطش، ولكن هذا الطريق كان قصيراً، ويذكر أحد الرواة بأنهم كانوا يتلقون مكافآت عندما يمرون بفزان، وإيضاً عند الوصول إلى بنغازي، ومن هنا يمكن للمرء أن يسافر عن طريق البحر إلى الاسكندرية أو إلى طرابلس، ولكن كما ذكرت ذلك سابقاً، ليست هناك مقارنة مع قوافل دارفور والتي تسافر إلى النيل مباشرة منذ زمن سحيق.

### الفلاحة والوهابية:-

قلت إن هناك تشابهاً بين الأحداث فى مصر وفى ودای، وهناك ملاحظة أخرى لا تقل أهمية، بأن هناك أحداث وقعت فى نفس الزمن تقريباً دعوى القوم بمقارنة أخرى كما فعلها الشيخ محمد التونسى، وكانت لها أهمية كبرى من الإصلاح التجارى والسياسى، ذلك هو الإصلاح الدينى الذى أدخل عن طريق الفلاحة أو القولة وكان الأثر فى إنشاء امبراطورية الفلاحة، حيث ظهر فجأة فى نهاية القرن فقيه من بلاد الفلاحة يدعى الزاكي، كان يعيب على رجال الدولة، وبصفة عامة على كل الناس فى السودان بأنهم قد تخلوا عن الطريق القويم



والسوى للإسلام، وتبعوا الطريق غير السوى، فانهم يشربون الخمر، ويمارسون عادات بعيدة كل البعد عن مبادئ القرآن، انها تقريباً نفس الأشياء التى كان ينتقدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويأخذها على مواطنيه فى نجد، والذى كان المؤسس الأول للطريقة الوهابية، وكان كل من محمد بن سعود ومن بعده ابنه عبدالعزيز كائناً قائدين للجيش الذى كان يحتاجه المصلح محمد بن عبد الوهاب لنشر فكرته النقية، ان فتوحاتهم فى الجزيرة العربية قد ازدادت فى نهاية القرن الثامن عشر، واخيراً وقعت مكة المكرمة فى يد سعود بن عبدالعزيز يوم ١٨٠٢/١٢/٢٥ الموافق عام ١٢١٧هـ، ووقعت المدينة المنورة عام ١٨٠٥م، ولكن الفلاكي الزاكي اعلن عن فكرته الاصلاحية فى السودان عام ١٨٠٠م، وقد جمع جيشاً كبيراً واستولى على دار ميللا، ومينا، وكشفا، وافنو، وأقنس، وبرنو، أى كل بلاد السودان تقريباً وقد تولفت فتوحات الفلاكي فى بلاد البرنو عندما انفجر على الزاكي الشيخ محمد الامين الكاشي، الذى لجأ اليه سلطان برنو.

وهناك سقوط سعود بن عبدالعزيز امام بغداد فى عام ١٨٠٨م، ومنذ عام ١٧٩٩م الى عام ١٨٠٥م مدد الوهابيون الاصلاحيون فتوحاتهم واستولوا على الحجاز ونجد واقاموا المملكة وهزموا الدولة العثمانية، كما نجد فى الفترة من عام ١٧٩٩م الى عام ١٨٠٥م استولى الفلاكيون الاصلاحيون على ستة ممالك فى السودان واسموا دولتهم الكبيرة، ان الوهابيين قد سبقوا الفلاكيين واستمروا فى الحرب بعدهم، ولكن الوهابيين لم ينشئوا نواة قوة سياسية<sup>(١)</sup>، اما الفلاكيون فقد استطاعوا ان ينشئوا امبراطورية قوية تشمل اجزاء كبيرة من السودان، تمتد من

(١) لا اقبل مع كتاب الطلبة فيما ذهب اليه من ان الوهابيين لم ينشئوا نواة قوة سياسية، فقد استطاعوا مسن لول بسوم مسلح فيه السعوديون الشيخ محمد بن عبد الوهاب تكون الدولة السياسية للمملكة السعودية والسلطات بذلك ان تنصر على اعدائها حرباً ومشاعاً، من نشأت مشكلة قوية نصرت على ابدائها نواة النزول الى عم عليها كل العالم الاسلامي وغير الاسلامي وتوحدت على يد ميسر الشعوب منطقة الحرية العربية لأول مرة في تاريخها، واصبحت المملكة السعودية اليوم نواة في حين الدول الاسلامية والحرية استقرراً ونمواً، هذا سقطت دولة العولان منذ نهاية القرن التاسع عشر على يد الانكليز، وتطاعت دولتهم لصبح ولاية مصر ولايات دولته بحرية القبرلية وانتشر العولان في كل انحاء القبرلية.



تتبعوا إلى برنو، إلى الجزء الأوسط من أفريقيا جنوب الصحراء والتي سبق تعريفها في بداية الكتاب.

ومن ناحية أخرى فإن قبائل من الفلاتة قد استقرت في وداي ودارفور، وقد خرج من تلك القبائل رجال مؤثرون بكفاءتهم وذكائهم، وقاموا بمهام في تلك الممالك، ولعلنا نتفق على الاعتراف بكفاءة رجال تلك القبيلة، وقد عرفنا ذلك من خلال سفر كلابرتون، وإيضاً من تقرير السلطان بيلو سلطان سكتو، ويبدو أنه من خلال حكم الذين اتوا من بعد لم تتحط الامبراطورية كثيراً، وعندما ننظر الآن إلى زمن الحملة الفرنسية لا نستطيع إلا أن نقول: إن تلك الأحداث وقعت خلال أو بعد تلك الحملة.

كانت تلك البزة التي أحدثها وجود قوة عسكرية كبيرة على ضفاف النيل وفي العالم الإسلامي قد أعطت الإشارة والقوة الروحية للأصلاحيين أن يتحركوا في إن واحد، في الجزيرة العربية وفي أفريقيا، ويلاحظ أنه منذ عام ١٨٩٨م ومنذ وصولي إلى القاهرة، فإن الجنرال بونابرت قد فتح علاقات أخوة مع سلطان دارفور من ناحية، ومع شريف مكة من ناحية أخرى لكي يضمن لمصر علاقاتها التجارية ورفاهيتها، وفي نفس الوقت لتعطيل أو تحذير العدوان الديني، وهذا يعود إلى الحكمة والنباهة اللتين يتمتع بهما الجنرال بونابرت، من يستطيع أن يقول أو أن يقول هذا الاتصال الأزدي في الجزيرة العربية وأفريقيا، ولم يمر على وصوله إلا أربع سنوات فقط، وهل الأحداث متسمح لخليفته أن يتابع هذه السياسة.

### العادات والتقاليد:-

إن الوثائق التاريخية لمؤلفنا بالرغم من حداثةها إلا أنها لا تمثل نفس الأهمية بالنظر إليها من ناحية العادات والتقاليد، ووضع المرأة والحالة العسكرية، القبائل المختلفة والسكان بصفة عامة وأخيراً للرق كما كان موجوداً.



وفى كل الاحوال المذكورة فلن علاقات الشيخ قد نتج عنها ملاحظات كثيرة  
لم تكن متوقعة من اتباع محمد<sup>(١)</sup>، وهذا الشيخ بطبيعة المسلم المتحمس ان يصبح  
مصلحاً يستجيب لرغبات حب استطلاع الاوربيين.

وكان هناك فى وداى عادات وتقاليد لا تخلو من الغرابة، وسأذكر مثلاً واحداً  
لذلك، فقد كان فى قصر السلطان سبعة ابواب تؤدي الى غرفة السلطان والتي يعقد  
فيها الجلسات، فاذا كان هناك زائر الى مجلس السلطان يطبق عليه هذا القانون،  
مهما كانت مكانته حتى على الوزير الاول، فعلى الزائر ان يترك فى كل باب  
قطعة من ملابسه:

فى الباب الاول يترك حذاءه، وفى الباب الثانى يترك عمامته، ثم يترك  
قميصه، ثم طربوشه الى اخر ذلك، وعندما يصل الى الباب السابع قد يصل عارياً  
تماماً أمام السلطان<sup>(٢)</sup>، وكان هناك حجاب تحجب السلطان، وهذه القاعدة انشئت  
لحمليته.

اذا استجوب السلطان شخصاً ما يجب عليه ان يجلس القرفصاء ويصفق  
بيديه، ويتميل يميناً وشمالاً الى ان يمس بجبهته التراب ويقول: اطيع سيدي وسيد  
والدى وسيد جدى.

كل الاحتفالات كانت تصاحبها آلات ولا تخلو من الصخب، فالالات  
الموسيقية كثيرة وتصاحب جميع الاحتفالات مدنية وعسكرية، كان الموظفون  
الكبار وضباط العرش وغيرهم من الموظفين كانوا بأعداد كبيرة فى وارة.

والذى يجب ملاحظته هو نظام التفتيش المعمول به فى وداى، فكل موظف  
يجب ان يخضع للتفتيش من مفتشين مختصين، وهؤلاء يؤدون مهامهم بفعالية  
ويظهرون الحزم والشدة عندما يكتشفون ان هناك تجاوزاً او جرماً.

<sup>(١)</sup> يصفه الكاتب بـ "الشيخ" وهو عبارة بلغة المحدثين عن علماء المسلمين من أهل السوننة خاصة فيما يخص المسألة  
الشرعية كما سألني

<sup>(٢)</sup> ورد في نص المخطوط بان الحاكم على السلطان يمنع ملابسه تدريجاً حتى لا يصل الى الباب السابع ثم يترك له سوى سرواله،  
لهذا ملابسه المخلوعة ويحرمها ثم بدأ رعايه الشاملة.

متر: المخطوط ص ١٣٧.



لما عن وضع الرقيق فيجب أن نقارن بين منكرات الشيخ وملاحظات الرحالة الأوروبيين، فقد كان صيد العبيد يمارس في جنوب وداي عند الجناخرة، مثلاً يفعل في جنوب دلفور عند الفريتيت، وكان هذا الصيد ينظم بطريقة منظمة وقانونية، وكان السلطان يستخرج رخص الصيد مثلاً يستخرج التصريح في أوروبا لصيد الارانب او الابل مع ان هذا العمل البشع الذي يمارس ليس له ما يبرره فان الشيخ الجليل وجد المبررات للاستعباد وتجارة الرقيق، وكانت ممن ضمن مبرراته ان الحرب التي كانت تشن ضد السود ماكانت الا لانهم كانوا اقواماً مجوساً وثنيين، انهم انما لم يعتنقوا بعد الايمان الحقيقي، وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم قد اباح استعمال القوة لادخال الناس في الاسلام<sup>(١)</sup>، وهذا هو السبب الوحيد الذي ادى الى تطبيق هذه القاعدة، أي خطف ملايين البؤساء ونقلهم الى كل اجزاء الارض، وكانوا يتركون ثلاثة ارباع هؤلاء في الطريق، ويبيعونهم ويشترونهم مثل الحشرات النجسة، وهذا العمل يمارس قبل قرون دون أن يتوقف الجلاذون، ودون ان يقاوم الضحايا<sup>(٢)</sup>.

وعلى كل يجب أن نذكر ان رحالتنا يشجب الهجوم على الكفار قبل دعوتهم لاعتناق الدين المحمدي، ودون ان توجه اليهم اذذرات متكررة وهذا لا يمنع بل انه عندما يقبض على هؤلاء فإن بيعهم حلال دائماً لانهم وثنيون وبدون شك فإن هذه

<sup>(١)</sup> ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر المسلمين بترحيل الناس بالقوة في الاسلام لهذا التعميم المزعوم، فالاسلام يحرر بل لا يكره في الدين ولم يمتنع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الامر ومما على هذه الشعوب من بعده ولما على الشعوب واليهود والنصارى في بلاد الاسلام ولازادوا دون راحة لو سوف، ولكن المنتشرة وردت هذه القولة بان الاسلام بشر بالصف فقط وذلك لتوسيع صورته واهله والمسلمين أنفسهم.

<sup>(٢)</sup> في هذه السطور يتحسر الكاتب ويألم من تصرفات المسلمين الاقرفة لهذه ارق والحارة، وعلى الرغم من ان حارة ارق كانت قديمة ومن هذه الفترة الا ان الجميع كانوا يمارسونها وكان الاوربيون في مقدمة احرار ارق في ارضها، وهم الذين احراروا هذه القارة ورواها على كثر العار والظلم الاقرفة كعمد الى الاراضي الجديدة في الامريكيتين وحرر المحيط الهادي وأوروبا واستمرت هذه القارة الراسخة لاكثر من ثلاثة قرون حيث بدأت في حوالي القرن الرابع عشر الميلادي ولم توقف الا في نهاية القرن الثامن عشر، حيث احرقت ارضها من دبابها وازكت السهل والصحف والرمس من اليوم، وبمثال على هذه الاوربيون القشة لاصال حمة ارق بالاسلام والمسلمين لمسي هذه القارة لتصبح تاريخهم المكنى مع الاقرفة. وهناك حقيقة يجب ان نعرفها وهي ان بعض السلاطين والحقير المسلمين في اوروبا قد مارسوا هذه القارة ولكن هؤلاء لا يظنون كل المسلمين مهم قلة قليلة، والبرهان على ذلك الاسلام، لان غير المسلمين من باع البشر، وهذا معنى التصريح من روح الاسلام والممارسات على المسلمين كما ان فعل هذه القلة لا يترك انعمه، كما اننا نرى ان المسلمين الاوربيين لهذه القارة في بحر.



هي نظرتة للامور، وفي انشاء سفره وجد البربرية في بعض الممارسات، فمثلا اذا اشترى احدهم عبداً بمال كثير، فخوفاً من أن يهرب يقيده في الليل فيربط قدميه بحبلين ويضع في عنقه الجنزير على وتد مثبتة في الارض وقد اعترف الشيخ محمد التونسي نفسه بأنه تعب من ممارسة هذا العمل والشيخ محمد التونسي هو رجل ممتاز وحكيم ووفى لدينه، ان الفكرة للحكمة لرحالتنا تتمكس في تصوره للحالة الاخلاقية للمسلمين وقد اعلن ان الثقافة العلمية والفنون لا تتعارضان مع الدين المحمدي ولا مع الورع والنتين الصائق وهو معجب بالحضارة الاوربية، وبطريقة الاوربيين في العمل والصناعة والفنون لاجل تطور الانسانية، وفي رأيه انه يمكن للشرقيين ان يتعلموا الدراسات العلمية دون المساس بالعقيدة، وقال: ان العلماء كانوا مخطئين عندما ابعنوا الحضارة الغربية وحننوا رفاة المسلمين في الماديات والرغبات الشنيعة، وتركوهم في ظلمات الجهل، وهذا نعترف بأن التفكير والمفكر قد اثرا في تكوين وتأهيل هذا الرجل، واستطاع أن يحب الحضارة الحديثة دون ان يغير من عقيدته الدينية، ودهشنا عندما عرفنا ان السلطان ينجذب للحدائث وفي نظام دكتاتوري مثل نظام وداي، والمؤلف قد ذكر أمثلة لماحصل لصابون نفسه السلطان غير العادي: منها:-

ان يوماً ما ارك ان يغير المولزين، ثم فيما بعد صاغ عملة، وكلا الشينيين ذات فائدة، ولكنه اجبر على تركهما وكان الراي العام قد ثار ضد هذه الفكرة وشكل خطورة لصابون لمقاومة هذه الثورة، ودخل الشيخ في تفاصيل كثيرة فيما يتعلق بوضع المرأة في وداي، وقد تكلم عن زينتهن ودلالهن، وكذلك تكلم عن الاشغال الشاقة التي كن يقمن بها في الريف، وقرأنا بكل دهشة مذكراته عن التعذيب الذي كانت تتعرض له النساء المتزوجات الزانيات، واترك الفرصة للحكايات المأجنة وبعض اللوحات التي نجدها مكررة نوعاً ما وفي اكثر من مكان. عند الفرقت المجوس توجد هناك موانع قاسية فيما يتعلق بالزواج، أدهشت الشيخ نفسه، مثلاً، ان الزواج غير مسموح به بين الادل والحلفاء -مهما كانت درجة القرابة، ولايستطيع الرجل الزواج ببنت عمه، وهذا الزواج يحيزه الاسلام،



وهذه الممارسة على قول الشيخ يجب أن تذكر إذا تذكرنا جهل هؤلاء القوم المتوحشون ونظرنا إلى ممارساتهم اليومية أن كلا الجنسين عاريين تماماً من الملابس.

فيما يتعلق بالزواج عند الوادي فإن الشيخ قد ذكر بعض المعلومات المنفرة منه، فإن دوائر القضاء بسيطة جداً ولكنها صارمة للغاية فإن احكامها لا تتألف، وعندما يصدر الحكم فإن السلطان نفسه لا يستطيع تغييره، أما الاحكام التي تصدر ضد المجرمين فإن القائمة طويلة جداً ومخيفة، فإن التعذيب مخيف بل هو أصعب مما هو في الصين، بل الواحد يشمتز من تعددها وفي نفس الوقت لا يستطيع الا الدفاع عن هذا القانون الظالم ونحن في ذلك المكان البعيد علمنا ان لا نكون بعيدين كل البعد عن الحضارة وقد شعرنا بالاهمية ليس فقط ان نذكر بالخوف هذا المنحدر السحيق بل بتخرج هذه العقوبات فهناك عقوبات خاصة لبعض الجرائم، مثال واحد لذلك وهو حالة الدائن الذي يتأخر في سداد ديونه، ونترك للشيخ براعته تحكي حتى لا تدخل الشك في هذا المثال.

عندما يلتقي الدائن مع مدينه الذي تأخر عن الدفع يأمره باسم السلطان أن يتوقف حالاً في المكان الذي وجدته فيه، ويقوم برسم خط حول المدين الذي لا يستطيع أن يغادر المكان مهما كانت الظروف ويظل في هذا المكان الى ان يقوم بسداد دينه او ان يضمه احد اصدقائه ويلتمس له الرحمة، والويل لمن يهرب، والويل ايضاً للدائن الذي يحبس شخصاً دون سند حقيقي مساري المفعول، وهو ما يعرف بالخيانة.

وحسب كلام الراوي فإن الوادي رجال شجعان ويتقدمون كثيراً على النور في البسالة وهم يتسابقون الى الموت دون تفكير فيه، وهم يلاقونه دون خوف، وقد ذكر كثيراً من امثلة الشجاعة في كتابه، والشخص الذي يظهر الخوف في الحرب يجلب اليه كراهية النساء ويجد صعوبة في الزواج، وبالرغم من ان طبيعتهم توصف بالشجاعة الا ان لديهم عادات وتقاليد يميزون بها الشجعان، وهذه العادة تتمثل في تثبيت المحاجم تحت الاذنين وينفخ في هذه المحاجم حتى يظهر على



الجسم تتوء يشبه فاكهة النوم، وتسمى هذه بدومة الشجاعة، وهذا العمل يمكن أن نقرنه بما نلاحظه عند الغال<sup>(١)</sup>، فعندما يبرز أحد الشباب الغاليين شجاعة في القتال، أو في صيد الأسود أو الحيوانات المتوحشة الأخرى فقد يتلقى حلقة بلبسها في أنفه الشمال، وحلفتين إذا أظهر شجاعة أكثر من مرة.

إن جيش ودای لهو أقل بكثير من جيش دارفور، ولكنه مدرب للغاية وعلى استعداد دائم حتى ولو لم يكن السلطان في حالة حرب مع جيرانه، إن الأسلحة والنروع مصانة دائماً، وأمر الحرب تحددتها القوانين العسكرية، ولكننا نلاحظ أن هناك استراتيجيات فعلية، لهذا فإن في الفريقين مثلما في كل العالم كانت فنون الحرب دائماً متقدمة والحرب دائماً تصاحبها الموسيقى والآلات والأغاني الحربية، والشيخ قد حفظ كثيراً من تلك الأغاني، ونستطيع أن نقرأ في كتابه أغاني كثيرة للودای وكذلك وصف الآلات الموسيقية المستعملة ونلاحظ أن معظم الأغاني توننت بدقة بعد سماعها، وهناك أيضاً عادة حربية جدير بنا أن نذكرها، ألا وهي المبارزة في صراخ خاص، وهو نوع جديد تماماً، ذلك إذا كان هناك شتم لربد الثار فيه، أو نزاع بين رجلين أراد أحدهما الانتقام من الآخر، يناديه أثناء المعركة بأن يخرج إليه، للمبارزة، فإن رفض الخروج أو تراجع أو هرب، يكون قد فقد شرفه وضاع، وعلى زوجته أن تطلب الطلاق منه، ولا يجد أحداً أن يعطيه ابنته أو اخته للزواج منها، وهذه القاعدة تعلب أيضاً على المتنافسين في وظيفة الدولة في حالة خلع أحدهما، وتولية آخر مكانه، فيضمها المخلوع في نفسه إلى أن تقوم الحرب فينادي غريمه الذي خلفه ويتحداه أن يقاتل في الحرب ببسالة حتى يفدى وظيفته، فإن لبي النداء وحارب بشجاعة يكون قد سدد دين الشرف وفدى وظيفته، وبالتالي تتوقف المنافسة نهائياً، وإذا حدث العكس، بأن دعى ولم يقاتل ببسالة ولم يقبل التحدي يخلع من وظيفته ويجرد من مسئوليته وتعطى لغريمه بل إذا هرب

<sup>(١)</sup> الغال: أو الغالة، من الغالي الأوربية القديمة، وكانت تطلق فيما يعرف برنسا الآن وقد كانت فرنسا تسمى بلاد الغال ومثل هذه الأوربية لم يكونوا يهتمون بالآداب والعلوم بل كان الغال والشجاعة التي ورثت في أوروبا حرفة الحبوب الوسطى.



من عدوه يمكن لغريمه أن يقتله دون عقاب يناله وهذا هو الشرف عند هؤلاء الرجال أشباه الوحوش وبهذه الطريقة فإن الصراعات والمبارزات الخامسة كلها ترجع للوطن وشرف الوطن كما قال الشيخ هناك أيضاً عادة أخرى يجب ملاحظتها عند الفريسيين وهم شعب وثني كما ذكرت من قبل، فمن هؤلاء من يبني مسكنه الطبيعي في الأشجار، داخل جنوع الشجر، وقد يحملون إلى بيوتهم غذاءهم من الحبوب، ولكي يبنوا هذا الكوخ يتخلصون من الفروع التي لم تكن ذات قيمة، ويقيمون لها لرضية وسقفاً ومن ثم الحجرة، ومن الأفضل لهم أن يخفوا كل معالم المسكن وقد يتعجب بعض الناس من هذا الفعل، وهنا نجد تشابهاً بما يحدث لهؤلاء مع ما يحدث في جزيرة فيجي وفي دلتا الأورنيوك، والهدف الأول للفريسيين هو الهروب من صيادي البشر وربما الهروب من الحيوانات المفترسة التي تتواجد بكثرة عندهم.

أن الصناعة كما فهمنا كانت متقدمة في وداي، والمسكان المحليون يصنعون أشياء صغيرة، معظم المنتجات الغذائية كانت تدخل عن طريق التجارة، أما عن الزراعة فهناك فنون كثيرة فيها، أما الصناعة فهناك الغزل وصناعة الأقمشة القطن، وهناك ورش الصناعة الحديد، وتزويج المعادن، وأخرى لصناعة الأدوات الزراعية والسلاح الناري والاقواس والسهام والثرق والحراش.. وكان هناك أيضاً صناعة تلوين الملابس.

أما التجارة فكانت متقدمة جداً خاصة الاستيراد، وكانوا يصدرون الصمغ العربي، العاج، التمر هندي، ريش النعام، السفينة، والجلود التي تصنع منها القرب، وأخيراً هناك تجارة الرقيق، التي تمارس بكثافة أما البضائع المستوردة، فمثل الزجاج، المرجان، الطرابيش، الأقمشة القطنية المختلفة، الملايات، والحرير إلى غير ذلك، ويستوردون أيضاً النحاس الأحمر والأصفر، والقسطير، البن، الصابون، التباكو، الكبريت، الملح، الأمولس، السكاكين، السروج، وأيضاً الورق، وبعض الكتب الدينية، والآلات الكتابية، وأخيرة العملة، وخاصة القرش الإسباني، ويسمى عندهم الريال أبو منفع كما هو الحال في مصر، لأنهم يشبهون أعمدة



هرقل التي على القرش بالمدافع، واستيرك العملة كانت التجارة التي تسد ربحاً كبيراً، كما يفعل كاتب علاقات الامير جعفر.

ويوجد بين الطبقات العليا في وداي من يكتبون بالفارسية، وهو كما يقول الامير، يرجع الى اصولهم الفارسية وهذا كلام غريب، وقد رفضه المؤلف الانجليزي ولكن يبدو ان الشيخ التونسي قد ايد هذا الكلام عندما ذكر ان قبيلة العريقات التي تسكن جنوب وداي يقال ان اصولها عراقية، ومنها جاء اسمهم، ان كلام الامير جعفر لم يكن عبارة عن حذوثة، من ناحية اخرى فان الشيخ تكلم عن رغبة عدد من امراء الوداي في العلم، وخاصة السلطان صابون، الذي كان يفضل الاطباء والعلماء، وهذا هو السبب الذي جعله يستقبل كاتبنا ووالده بكرم خاص، وهنا لريد ان أقول: ان كلمة عالم أو علماء تعني الرجال الذين كتبوا في الفقه الاسلامي.

لما عن اللغة التي كان يتحدث بها في وداي فقد وجدتها الشيخ خشنة وفقيرة، وانها في تغير دائم، كما انها تبين لهجات ولغات الامم والقبائل القريبة منها بل الاختلاف بين اللهجات عامة حتى بين القبائل المتلاصقة ومنجد في نهاية ملاحظات الدكتور بيرون، ان لغة الوداي لها مفردات كثيرة جداً تنفرع منها عدة لغات مثل لغات، دارفور، لغات فرنيت، لغات البرنو، لغات الباقرمي، ولغات بلاد التبو.

### الجغرافيا:-

تحدثت قليلاً عن الزمن الذي بدأت فيه اوريا معرفة وداي واصف الى ذلك احداث كثيرة: فقد ذكر لي احد الشباب المستشرقين ويسمى بروستر روزي، والذي ذهب الى السنغال عام ١٨١٦م ومنها دخل الى افريقيا الوسطى عن طريق شبه طريق منجو بارك<sup>(١)</sup>، وقد ذكر لي طريقاً يؤدي من شينو بولي الى مكة، ان هذا الطريق يمر ببرنو، كوكا، باقرمي، وداي، دارفور، كردفان، ثم سدار ثم شمال

<sup>(١)</sup> محمود بارك: رحلة فراسي حذاء الى تجارة الاربعية وكان مهتماً بهر البحر في غرب أفريقيا وهو الذي اكتشف منابع نهر النيجر العظيم.



الحبشة إلى ميناء مصوع، إن هذا الطريق الذي يمر إفريقيا من أقصاها إلى  
 أقصاها، ومن الغرب إلى الشرق هو في الواقع نفس الطريق الذي سلك منذ دخول  
 الإسلام إلى السنغال وزامبيا، وكان يسلكه سكان إفريقيا الغربية للذهاب إلى الحج،  
 إن مستر ن عرف ودای تحت اسم صليح، أو موبا على حسب الرواية التي نكرها  
 له أحد رجال البرنو في القاهرة، بينما يؤكد رورخارد أن لهذا البلد ثلاثة أسماء:  
 برقو، دار ودای، ودار صليح، وقد نكر زينتر معلومات ضعيفة عن هذه المملكة  
 حسب رواية أحد رجال البرنو، ونحن نعلم أن هذا الرحالة النكبي كان مستشاراً  
 لامبراطور روسيا، وكان يكتب قبل بورخارد، وقد نكر معلومات مفيدة عن  
 جغرافية شبه الجزيرة العربية وإفريقيا، وقال اندرين بالبي أن الذين أعطوا اسم  
 'ودای' لهذه المملكة هم سكان فزان والصحراء ولكن سكان تلك المنطقة يسمونها  
 بدار صليح، والبرنو يطلقون عليها اسم برقو، ولكن الاسم الحقيقي لهذه المنطقة  
 كما قال عالم الجغرافيا هي موبا، وإذا كان هذا صحيحاً فإنه لا مر غريب أن يسقط  
 هذا الاسم من نقد بورخارد الذي كان دقيقاً جداً في معلوماته، إن دائرة المعارف  
 الجغرافية التي كتبها (هوفى موراي) والتي ظهرت بعد كتاب بالبي أكدت هذا  
 الكلام، ونكر هذه المملكة باسم برقو، وتحت اسم صليح واسم ودای أو موبا، إن  
 اسم موبا ليس له أي اشتقاق خارجي، ولكن له علاقة برحلة مستر ن التي نكرتها  
 من قبل، ونذكر أن بورخارد قد ذكر أن لهذه المملكة ثلاثة أسماء ودای وسماها  
 البرنو والفزان والمغاربة، برقو، ويطلقها سكان دار فور وكردفان، صليح ويطلقها  
 سكان ودای أنفسهم، ويميل 'فيرسنيل' إلى الاعتقاد بأن تسمية برقو (برقو بورقو)  
 قد اطلق عن طريق الخطأ، وقد خلطوا اسمين لدولتين مختلفتين، ويتحفظ الدكتور  
 بيرون من تسمية برقو، وبين رأيه ليس فقط على شهادة الشيخ محمد التونسي،  
 ولكن على ما سمعه هو نفسه من الفقيه الهلالي (له صورة في هذا الكتاب)، ولكن  
 النوديين يسمنون من نكر هذا الاسم، لأن الذين أطلقوه هم الأجانب، ويفضلون  
 استعمال اسم دار صالح أو صليح، إن اشتقاق هذا الاسم 'برقو' يأتي تقريباً من  
 القبائل التي تقطن شمال هذه المملكة إلى فيا بابو، والتي تسمى تيبو توبو تيبو، لذا



وجب التمييز باسم: تيبو بوقو، أو برقو، بسبب الجوار، لهذا لا يوجد شمال وداي أو برقو دولة بهذا الاسم لأن ليست هناك ضرورة مهما كان السبب اتقاء هذا الاسم على وداي، أن الاسم المفضل للسكان الأصليين هو دار صليح أو دار صليح متما هو مكتوب في هذا الكتاب، وأخيراً كلمة صليح كما ذكر فرسنل مع اختلاف طفيف في النطق، يجب أن تتعلق الكلمة باللغة العربية، بوضع الفتحة كما فعل بورديارد: دار صليح، أو مع الفتحة: دار صليح.

إن الوضع الجغرافي لولاية عاصمة وداي غير مؤكد، وهذا يجب ذكره، ليس فقط لأن الخرائط التي تخص هذه الدولة ليست منظمة، بل لأن التبعث الطويلة التي أجريت على المعلومات الصحيحة والخالصة لم تصل إلى أي نتيجة مرضية، وأقول بأني وبكل صعوبة اطلعت على كل المراسلات، وخطت الطرق الصحيحة، وكنت اعتمد على النقاط الثابتة، مثل: الخرطوم، سنار، الأبيض، وأيضاً على كوبي، وهذه النقطة الأخيرة هي الأقرب، وقد عرفها براون، وبكل صعوبة، جمعت لهذا العمل المعلومات، واستعملت الحساب على الفضاء أو المسافة التي يمكن أن تقطع خلال يوم واحد، أو خلال ساعة واحدة، عن طريق وسائل السفر المختلفة: من الفرسان أو القوافل أو المرتجلة، محملين أو غير محملين، وكان يجب على أن أختلف معهم حتى أقوم برسم الخريطة من خلال هذه المعلومات، ولكن لم أقدم شيئاً دقيقاً.

مثلاً هذه المعلومات نتجت عن رحلة براون إلى دارفور، والتي سماها بخط طول كوبيه العاصمة، والتي حددها بمسافات قمرية كثيرة، وعن احتجاب كثير من الكواكب عن المشتري المطابق دائماً، ويجب أن يكون في خط عرض ونقطة ثابتة غير متحركة لكي يحدد موقع ولده، وفي الواقع هناك أراء كثيرة عن المسافة بين كوبيه ولده، وكثيرون يحددون اتجاهها بصفة غير دقيقة، ولكن هناك المقارنة بين بين الأبيض وكوبيه تؤكد أن كوبيه تقع في الغرب، بعيداً عن الوصف الذي ذكره براون، وإذا أخذنا المسافة باليوم، وهي أقل المسافات وحتى إذا افترضنا أنها في خط مستقيم، ولم نعط اليوم القيمة الحقيقية مثلاً: سبع، ثمان، تسع دقائق (أو ميل



جغرافى) فهي تحمل كوبيه الى الغرب كما ذكرها براون، وبالتالي فإن وجود واره تقع في الغرب في نفس الاتجاه، كما وضع العالم براون روبيل كوبيه في هذا المكان في خريطة الصغيرة التي عملها لكردفان دون أن يهتم بنتائج براون، وليست هناك صعوبة في اظهار بيان الرحلات المختلفة جداً، وتفسير هذا الاختلاف بدرجة كبيرة، ولكن الظروف تختلف عندما يكون الأمر خاص برسم خريطة، فالاتجاهات والمسافات يجب أن تذكر بتحديد دقيق دون أي استثناء، فهناك الكثير من الخرائط التي تظهر وتقول أنها حقيقية دون أن يبينوا آراءهم على حقائق دقيقة، ودون أن يشير المؤلفون الى الحجج التي يستندون عليها، ولم تأخذنا الدهشة في خروج مثل هذه الكتب، بل لم نتحسّن المعلومات حتى في الكتب التي صدرت حديثاً وهي تمثل في أحسن الأحوال أحسن الكتب الملفقة التي نقرأ بشكل جيد، هذه الملاحظات لا تنطبق إطلاقاً على النظرة الجغرافية المصاحبة لهذا الكتاب، إن الدكتور بيرون لم يفعل ولا يريد أن يفعل و يكتب إلا ما يميله عليه الشيخ، فهو يكتب الأماكن وأسمائها بكل دقة، مع تحديد حدودها، كما أنه في العادة لم يرسم خريطة لأي بلد إلا بعد مضي زمن مسحيق فاته من الأجدى أن نملك من الآن لوحة مرسومة يمكن أن نقرأ منها سهولة تحديد الأماكن والأقاليم، والتقسيمات الإدارية والحدود التي تميز الأحواض والوديان، وأماكن القبائل العربية، ومدونات كثيرة تسهل قراءة هذا الكتاب بكل يسر.

لم تكن هناك حملة مصرية منذ زمن بعيد الى دارفور أو الى وداي، فكان لا يمكن أن تقوم بحملة لجلب الأدوات العلمية، ولهذا فإن محاولة الخريطة هذه في هذا الكتاب لها أهميتها، وقد تعود بالفائدة بالنسبة للدراسات والرحالة.

ولكن هناك شيء مؤسف هو أننا لم نستطع تحديد عاصمة وداي بالنسبة لكوبيه والأبيض، وحتى أتمكن من القيام بذلك مع صعوبة، سأحاول أن أسأل عدة أسئلة، وتحديد جزء من المعلومات حتى نحصل بأننا في الوقت الراهن لم نكن متأكدين من مكان العاصمة، ويمكن أن نقول خلافاً لخريطة (براون) فإن عدة خرائط حديثة تضع واره موازية لكوبيه في جهة الشمال، منها خرائط: السيد رنو،



السيد كايو، السيد سيفانو، والسيد زيمر مان، وآخرون يضعونها في الجنوب، منها خرائط: الكولونيل لوك، والسيد ماك كوين، الذي وضعها على درجة ٢,٥ جنوباً، وخريطة السيد كبير، وخريطة نبذة دارفور، وهناك خريطة حديثة للسيد قابوريو، تضع واره على بعد ثلاث درجات شمال كوبيه، على خط طول ١٧ درجة، ليست بعيد عن بحيرة تشاد، ويبدو من ذلك: أن معظم الجغرافيين الحديثين قد قرروا بطريقة تعسفية، أو من خلال رسومات مختلفة جداً لتحديد موقعها، وسأفرضي السي معلومات أخذت من الرحلة أنفسهم.

يجب أولاً أن نتحدث عن الفواصل التي تفصل دارفور عن وداي، فكل الدلائل تشير إلى أن الفاصل عبارة عن مساحة صحراوية تقطع مسافتها خلال ثلاثة أيام، ويقول آخرون خلال يوم ونصف، وآخرون خلال يومين: وهناك اختلافات كثيرة في هذا الموضوع، وقال السيد كونيف في كتاب {الوراق جمعبة الجغرافيين} إن المسافة بين دارفور ووداي هي تسع ساعات فقط، وأن أراضيها تتكون من الرمل المخلوط بالطين وأن المكان خال من السكان، وفيها أشجار كثيرة، وبعض الغابات الكثيفة (مثلما هناك الصحراء التي تفصل بين كردفان ودارفور، وبها كثير من شجر التبدي).

إن التفاصيل التي ذكرت عن المحطات مثل كوبيه أو تنلتي التي واره قد تقل قليلاً من الشكوك، ولكننا نختلف في أسماء المحطات وعددها، على حسب رؤية براون، فأتنا نذهب من كوبيه إلى كيكاييه ثم إلى دار مساليت، ثم نعبّر الحدود إلى لم دخن ثم نأتي إلى أبو شارب ثم إلى واره، وتقطع هذه المسافة في أحد عشر يوماً ونصف اليوم من كيكاييه، ومن خلال معلومات أخرى فإن واره تقع على بعد ثلاثة أيام من كوبيه في الغرب والغرب الشمالي، أي أربعة عشر يوماً من عاصمة إلى أخرى، وهناك رأي آخر يقدر هذه المسافة بثلاثة وعشرين يوماً، وآخر يقدرها بتسعة عشر يوماً ونصف اليوم حسب كلام بورخارد، أي أقل من درجة ونصف تقريباً.



وقال الفقيه ابراهيم نقلاً عن رواية فرسند أن بين كيكاييه وواره خمسة وعشرون يوماً ونصف اليوم، بدلاً من أحد عشر يوماً ونصف التي ذكرها براون، أي نصف المسافة هذه، وهو نفس الطريق الذي يمر عادة بأم دخن وأبوشارب. والخلاف أيضاً كبير حول الطريق من دارفور إلى واره عن طريق دارنقا، إن نقطة الانطلاق هي الريل، وتقع على بعد ستة أيام إلى الجنوب والجنوب الشرقي من كوبيه، أما براون فقد قال إننا نتجه دائماً الشمال، أو إلى الغرب ستة عشر يوماً ونصف في اتجاه واحد، وتسعة أيام في الاتجاه المعاكس، أما قول الفقيه ابراهيم فإننا نذهب كثيراً إلى الجنوب وليس إلى الشمال خمسة وعشرون يوماً بثلث سبعة عشر يوماً، أما مجمل الأيام بين الريل وواره فتتفاوت ما بين خمسة وعشرين يوماً ونصف، وتسعة وخمسين يوماً ونصف، الحقيقة أن هناك خطأ في خريطة الكاتب الإنجليزي التي تقدر المسافة بتسعة وخمسين يوماً، إن النسبة التي دعا إليها براون من خريطة عن متوسط اليوم ليس فيها كثير مبالغة، فهو قد حدها بربع درجة طول، وهذه المسافة أي مسافة أربعة أيام عن الدرجة الواحدة (أو ستة فراسخ) فهذا يتطابق مع الطريق الذي نسلكه في المتوسط، والذي يتم قطعه في سبع ساعات إلى ثمان مشياً على الأقدام.

والآن كيف نصدق الفقيه ابراهيم، فربما يكون قد حسب اليوم في أقل من خمسة فراسخ، إن حساب تسعة عشر يوماً ونصف إلى عشرين يوماً على خط مستقيم من كوبيه إلى واره قد يطابق حساب مسافة الستة أيام من كوبيه إلى ريل، وخمسة وعشرون يوماً ونصف من ريل إلى واره، ولكنها ليست نفس المسافة بين كوبيه وكيكاييه وزغاوة إضافة إلى واره، فإذا تطابقت المسافات الستة تماماً مع ما ذكره براون والشيخ، فسوف نحصل على مقياسين مقبولين، ثم نصل في نتيجة تقريبية ومرضية عن اختلاف خطوط العرض على هاتين النقطتين المتباعدتين للغاية.

وهناك مواضيع أخرى مختلفة وردت في الرسوميات، ويشار إلى أنه إذا لم نستطع حتى الآن تحديد موقع واره بالنسبة لدارفور فإننا أيضاً قد لا نستطيع تحديده



بالنسبة لبغدادى أو فزان أو بيلما وكوكا برنو الى كاتم ولوقن واخيراً الى كاتو وكشنا وأفناو، وبالرغم من أننا لائملك رسومات بين ودائ وكل هذه الأماكن إلا أن المسافات بينها وبين واره كانت بعيدة جداً، مما يجعل ورود الخطأ وعدم الدقة أمر لا مفر منه بالنسبة لخطوط الطول والعرض.

وكنيت اعتقد في البداية بأننى أخذت قاعدة الانطلاق وهو خط ذو إبعاد متباعدة ومعروفة وهى: سنار وسكتو (وهما متوازيتان) ووزعت بعد ذلك بالتقريب كل الأماكن السودانية الواقعة على هذا الخط على حسب المسافات التى ذكرها الشيخ ورحالة اخرون، وكنيت واره تقع ضمن هذه الأماكن، وهكذا عرفت أن الشيخ بحسب اثنين وتسعين يوماً على الأقل بين سنار وأفناو (كشنا) فى سبع مسافات، ولكن خط طول كشنا معروف نوعاً ما بالنسبة لسكتو، ولكن يجب أن نترك أيضاً هذا الخط لذات الأسباب التى ذكرتها.

ولكى أوجز قد امتنع عن مقارنة عدة رسومات وشرحها، ونقبل كذلك أن الطرق التى يسلكها الرحالة وطرق الرحلات اليومية يمكن أن تفسر عدد الأيام، وباختصار فهناك اختلافات كثيرة تعيق تحديد مواقع عواصم دارفور وودائ اليوم. أما بالنسبة لوضع واره، فالأمر مازال صعباً لتحديد لها، لأنه مازالت هناك شكوك بالنسبة لخط طول كوبية ذاتها، وعلى كل حال فهناك احتمال أن تكون العاصمة واره تقع الى الشمال قليلاً أكثر منه جنوب كوبية وعلى حسب كلام الشيخ فإن مساحة ودائ أكثر من خمسين يوماً مشياً على الأقدام طولياً من الشمال الى الجنوب ومسيرة أربعة وعشرين يوماً من الشرق الى الغرب، وعلى حسب معلومات السيد فرسنل فالمسافة هى خمسون يوماً فى مثلها، وبذلك فهى بلد واسع لكنه ليس أطول من دارفور.



وقد ذكر الشيخ الكثير من المعلومات التي يمثلها معنى اليوم الواحد لكى يحدد مساحة المملكة ويحصل على نتائج سواء بالنسبة للسكان او بالنسبة للاراضى المزروعة، ولكن لاستطيع الا ذكر شيء واحد وهو ان مساحة وداى هى على الاقل مساوية لمساحة دارفور، هذا اذا لم تكن اكبر منها.

لما بالنسبة للسكان فمن الصعب معرفة أى معلومة محددة، ان البلد مقسم الى قبائل ويجب ان نميز بين تلك القبائل: خمس قبائل سماها الرحالة بالقبائل الاصلية او الملكية وهى القبائل التى اعتنقت الدين الاسلامى قبل غيرها، ودائماً يتم اختيار السلطان من هذه القبائل، ولايسمح لاي أسرة اخرى ان تحكم من غير تلك القبائل، وای قبيلة من غير هذه القبائل الخمس لايسمح لها ان تشارك فى هذا الشرف.

ونذكرنا فيما سبق ان جنوب وداى تسكنه قبائل ذات أصول شرقية، وواحدة من هذه القبائل ادعت انها من اصل عراقي، وهذا ما أكدته كتاب الامير جعفر. ان بلاد الخناجرة التى تقع فى جنوب المملكة تسكنه قبائل وثنية كما ذكرت من قبل، ومن الخطأ ان نعتبر هذه القبائل متوحشة لانهم يصنعون الحديد بشكل جيد وكذلك يجيدون صناعة الابنوس، ولهم فنون اخرى، ونحن نخطئ أيضاً فى تسمية كل القبائل الوثنية بأنها أكلة لحوم البشر، وبالرغم من وجود استثناء فى بلاد الترتيت جنوب دارفور، ولكنه ليس من السهل حمل الخناجرة على اعتناق الاسلام.

ويجب ان نعترف ان المسلمين حقاً لهم طريقة فى الحياة مختلفة عن حياة الافارقة، ان قبائل عربية كثيرة سكنت جنوب وداى كانت تشارك فى الحملات التى يرسلها السلطان او يسمح بها لاصطياد الخناجرة وهى التى تجهز للجلاية أو تجار الرقيق وكانت مهمتهم اقتياد العبيد الى القوافل، ومن ثم حملهم الى الاسواق العامة، حيث يبيعونهم بالعدد، ولان هذه التجارة مربحة جداً، ولهذا لاندش من اصرار تجار الرقيق فى ممارستها، الامر الذى يحول دون الغائها.



وهذا ملاحظة وهي أن الدول الخمس التي تقع موازية ومتجاورة في الدرجة ١٤ شمالاً وهي: كردفان ودارفور ووداي وباترسي وبرنو، لكن واحدة منها قبيلة وشية في الجنوب وهي بر تروج، فرتيت، جناجرة، كردي، وكرداي، وتعتبر هذه القبائل الوثنية ملكاً لتلك الدول وهم: تروج جنوب كردفان، وفرتيت جنوب دارفور، وجناجرة جنوب وداي، وكرداي جنوب باترسي، وكرداي جنوب برنو، ولكل دولة الحق في اصطلياد تلك القبائل، وقد ذكر الشيخ تفاصيل كثيرة ومثيرة حول تلك الممارسة وقد دهشنا لأن الباشا الذي يحكم كردفان لصالح سلطان مصر كان يقوم بنفس اعمال سلاطين دارفور ووداي، وهناك أيضاً النوبة جنوب سنار، وهناك قانون لم يكن مرغوباً فيه، وهو أن لمصر الحق في اخذ المواطنين المحليين كعمال لها في الرمال التي تحوى الذهب في النيل الأزرق في فازو على وفي فازيقورو وعلى ضفاف نومات، إن الارض خصبة للغاية وهؤلاء الوحوش كما يسمونهم كثيرون، يزرعون الارض ويحصدون الحبوب، وقد علمنا من تقارير السيد ارنو، ان السكان الذين يكسبون اعالي النيل الابيض وحتى خط عرض ٤ لهم طبع مميز وهادئ، على الرغم من انهم يملكون اسلحة ممتازة، ويعيشون على الحبوب وبعض النباتات ذات السيقان والالبان، وعلى الرغم من انهم يقومون بتربية عند كبير من البهائم، وليس بعيد أن تكون هناك علاقة طبيعية بين مصر وتلك القبائل الكبيرة التي تملك أرضاً خصبة ومنتجة.

وسأعود الى وداي واقول: أن أرضها أكثر خصوبة من أرض دارفور وأن مناخها أفضل من مناخ دارفور، وتقع بين مداري السرطان والجدي وبالتالي معرضة للعواصف والرياح العنيفة والتي تثير غباراً لا يمكن مقاومته وتستمر العواصف لشهر كامل عقب الخريف، والذي يبدأ عادة في دارفور ووداي من شهر يونية ويستمر في يولية وأغسطس وجزء من سبتمبر، ولهذا نجد كل أراضي وداي تغطيها الجداول والمياه الجارية من خلال الامطار الغزيرة كما تغطيها غابة كثيفة ذات خضرة دائمة طوال العام، وتنتج الحبوب مثل (الذرة والدخن) وتكثر فيها الفواكه طوال العام بشكل عجيب وكل هذه المنتجات موجودة في دارفور.



كما أن الحيوانات كثيرة في وداى والمراعى شخية، فالتقابل العربية فيها تربي الخيول والمواشى بكميات كبيرة، وهناك شىء لا بد من معرفته عن جغرافية وداى وهو علم وصف المياه (الهيدروغرافيا) ففي وداى يوجد حوضان كبيران تحدثت عنهما في البداية، وهنا يمكن القول: إن الشيخ لم يستطع تجميع كل المعلومات اللازمة للجغرافيين، إلا أنه قدم معلومات هامة صحح بها أخطاء قيمة، وفتح بها أفقاً جديدة فعلى حسب معلومات الشيخ بأن هناك واد كبير (بحر ايسرو) يقع جنوب وداى ويتجه من الشرق إلى الغرب، وهذا الوادى يحمل لسماء كثيرة منها: بحر سلامت، ولم التيمان، وفي الغرب أيضاً يجرى وادى كبير يسمى بحر الغزال وهو يتجه إلى الشمال والشمال الغربى.

أما في داخل البلاد فهناك واديان كبيران يستعرضان، تصب فيهما وديان ذات مصبات مختلفة، ومجرى غير محدد، وهما: بطحسة وبطيحة، ويجب أن نعرف أن مجارى المياه تتوقف في موسم الصيف، وتجرى في الخريف وتصب في بحر الغزال ويسدو أن الذين أخبروا السيد فرسنل أن أحد هذه الوديان يسمى البطحية، ويعرفه برلون بوادى مسلات، وهو أمر ظل يقلقنا منذ زمن بعيد لولا حتى فرسنل بإشارته إلى أن اسم مسلات مثل اسم مسلاتى (جمع مسلاتى أو مصلاتى) اسم لقبيلة ذكرت في كتاب (الرحلة إلى دارفور).

وعلى كل حال فإن المجرى من الشمال إلى الغرب الذى ذكره براون (يمكن فى الحقيقة أن يكون تعسفياً) لأنه يختلف كثيراً عن مجرى البطحسة الذى يتجه من الغرب إلى الجنوب الغربى، وليست هناك أى قوة تستطيع أن تقول أن اتجاهه إلى الغرب، سواء هذا المجرى أو المجارى الأخرى، خاصة وأن الجزء الشرقى من وادى فى هذا الجانب مرتفع جداً، وهو ما يؤكد التخمين الذى وضعناه فى مقدمة كتاب الرحلة إلى دار فور بالنسبة لهذا الخط المستقيم.



## أعلى النيل والسودان الأوسط:-

لا يمكننا في هذا المكان أن نتفحص أو نقف على المستندات الجغرافية الضعيفة التي بحوزتنا فيما يخص البلاد التي تقع بين وادي والبحيرة الوسطى (أو بحيرة تشاد) ذلك أن امتداد هذه المساحة هي أيضاً مشكوك فيها بسبب الشك الذي يحوم حول موقع ولزء بالنسبة لخط الطول.

إن أي شخص يدرس هذه المنابع دراسة متأنية يصل إلى أن أسماء مثل: بحر كلا ودار كلا (أوقلا) فترى، بحر فترى وبحيرة فترى حتى بحر الغزال، لا يجد لها في الوقت الحالي تطبيق صادق في أماكن معروفة على أرض الواقع، أن حدود كاتم هي أيضاً مشكوك فيها، أن تحديد تلك الأماكن مرة أخرى على خريطة دون الحصول على معلومات تصبح تحركات مشكوك فيها تقريباً والياً أن تكون ذات فائدة فقط تكون إضافة جديدة لتعقيدات السرد الموجود، ولا زال الأمر مبهماً حتى الآن، فهناك تساؤلات تصعب الإجابة عنها فمثلاً: ما هي الوديان التي تصب في بحيرة فترى، لو بحيرة تشاد من ناحية الشرق؟ وما هي الوديان التي تخرج منها؟ هل لهذه البحيرات تصريفات ما؟ وابن تنتهي مجاري المياه الأتية من الشرق؟ الاتجاه والأهمية والمصب النهائي للمياه التي تجري في وادي والأماكن التي تحيط بها، كل هذه التساؤلات مازالت تشكل معضلة للاستكشافات القادمة للوربيين الذين اتوا محملين بأدواتهم، وكانوا يلاحظون الأشياء بدقة.

ولهذا فلنكتفي بالخرائط الموجودة لننظراً لمعرفة المصطلحات وتعاقب الأماكن، ولا نستعمل هذه الخرائط الأبحر.

هناك سؤال مهم، ولكنه متقن قليلاً ويستحق منا الوقفة للخطوة: وهي مسألة النيل الأبيض الأعلى (في السودان وادي النيل الآن) فهناك جدل كبير دار بين الرحالة المشهورين والعلماء والكتّاب، وقبل هذا الجدل كان لي رأيي ولم تتبينني عنه تلك الملاحظات، بل ربما جاءت لتؤكد أني لن أتناول هذه النقطة بصفة عامة وبخطوط عريضة.



ان السيد ارنو الذى وصل الى النيل الابيض حتى الخط ٤٢ ر ٤ مسن خط العرض شمالاً قد عين اتجاهين لمجرى النيل الاعلى، احدهما يخرج الى الجنوب الغربى، والاخر الى الجنوب الشرقى، (مع فرع لهذا الاخير يخل للشخص بانه فرع يجرى من الشمال الى الشرق)، واضاف السيد ارنو فى كتابه ان النيل اذا وصل الى هذا الارتفاع يكون ارتفاعه صعباً بالنسبة للمراكب الاستكشافية، ان الصخور تكون مثلالات فتكون عقبة للملاحة، ان المجرى هنا ضيق ولكنه ليس عميقاً وكنا نقرب من المنبع، وبعد ذلك بشان منين يصل الاب اقلس كنوبليشر، ودلابامش محملين بأجهزة (بفضل اكتشافات السيد ارنو) صعدا الى مسافة ثلاثة وثلاثين ميلاً جغرافياً الى الجنوب، أى خط عرض ٩ ر ٤ شمالاً، وكان فى شهر يناير فتسلق الاب اقلس جبلاً يدعى لوقوبك، ومن هنا رأى النيل ومجرأه بلا نهاية وعلى مد البصر فى الاقليم الجنوبى الغربى ويسير على سلاسل من الجبال، وفى هذه النقطة كان متوسط عمق النهر مترين وثلاثين سنتيمراً، وعرضه حوالى مائة وثمانين متراً، وقالوا له ان النهر صالح للملاحة من هنا ولمسافة شهر، وكان المحترم اكنوبليشر يعرف لغة المواطنين المحليين والتى تعلمها فى الخرطوم، وكان يتلقى ويفهم مباشرة ويجب على كل الامثلة، ونشك ايضاً فى العلاقة التى يمكن ان تكون بين بحيرة نيلس (التي ذكرها الدكتور كرايف وقال انها تقع على خط ٤ درجة جنوب خط الاستواء، ولها اطوال متساوية كما يقال مثل الضفتين المتعارضتين لاقريقيا) وبين مجرى النهر الكبير، ولكن الذى لاشك فيه هو وجود وادى كبير وبعيد جداً فى الجنوب، والذى ذكره لنا قبل اربعة وعشرين عاماً السيد كونيغ، ومن هذا كله فان كل المعلومات المشتركة نقول: ان المياه تجرى خمسة وعشرين يوماً على الاقل جنوب باقرمى ووداى لتصب فى النيل الابيض.

ذكرت كل التقارير ذلك الوادى الكبير وهو كتليل الابيض يجرى فى اتجاه بلاد البيض، لكن هذا النهر لا يمثل الا رافداً من روافد النيل او النيل نفسه الذى ياتى من الاقليم الجنوبى ومن مسافة بعيدة جداً أى حوالى ٨٤ يوماً حسب التقارير الاخرى، وما هى اجهة اخرى مذهلة ذكرها لنا الشيخ نفسه، واخذها من الفقيه



مدنى الفتاوى، حيث ذكر أن بعثة استكشافية من اهل دارفور دخلت فى يوم ما بلاد القرنت وسارت الى اقصى الحدود الجنوبية لهذا البلد لمسافة خمسة شهور حتى وصلوا الى مستنقع عريض للغاية حيث لم يستطيعوا تمييز الأشخاص الذين يقفون على الضفة الاخرى الا بصعوبة، وكانت هذه الرحلة فى عهد السلطان عمر.

واعتقد من العيب أن اتحدث عن جبل كلمنجارو والذي يقع على الخط ٤ جنوب، والذي رآه الرحالتان: ريمان وكريف، وهو مغلى بالجليد الدائم، كما هو الحال بالنسبة لجبل كينيا الذى يقع غرب جبل كلمنجارو على خط ١ جنوب، وهذا الجليد الدائم على هذا الجبل يؤكد ارتفاعه الشاق أى حوالى ١٠٠٠٠ ر ٤ متر فوق سطح البحر على اقل تقدير، وهذا الجليد المتراكم ينوب فى بعض الفصول وخاصة فى فصل الامطار الموسمية، ولهذا فان انقطاع الفيضان لا يمكن أن يتغير من مواعده لان موعد ذوبان الجليد هو نفس موسم حلول الامطار الاستوائية، واذا كان الامر كذلك فان حوض النيل يمتد الى جبل كينيا فى جانبه الشمالى، وكذلك الى الجزء الشمالى لسلسلة الجبال التى ينتهى اليها جبل كينيا والتى تغذى المنابع العليا للنيل، ان المساحة التى تغطيها هذه التقديرات مهما كانت درجة صحتها فانها تعد كبيرة جداً، وهى خارجة عن البحوث التى قام بها الاوربيون والتى يجب ان نحافظ عليها بدل الطعن فيها، ولكرر انه ليس هناك أى فعل أو دليل مقبول الذى الان كذب فكرة أن الفرع الرئيسى للنيل الابيض يقع على بعد الدرجة ٤ شمالاً وينبع من الاقليم الجنوبى او من الجنوب والجنوب الغربى.

والان اقول حديثاً موجزاً عن مياه السودان الاوسط فيبدو ان السيد فيرزنل قد رأى ان بحر تملد اليوم قد يكون هو النيجر الحقيقى للقماء، وأنا أقول: ان هذه التخمينات قد تكون صحيحة لانها تركز على تقديرات جديدة حيث من المؤكد ان كمية المياه التى يحملها هذا النهر الى كوارا والى اسفل من كالكوندا يؤكد ان لها منابع بعيدة جداً فى الشرق، لان لها رواند كثيرة وايضا لها منابع ورواقد فى السودان، وهذا يجب ان نفكر فى كتاب الميجور دنهام الذى كان منذ زمن بعيد كان



فى مننرا جنوب بحيرة تشاد، فقد رآى من البعد وفى نفس الاتجاه جبلاً شديدة الارتفاع تمتد على مدى البصر، وبالتالي يمكننا ان نتخيل منذ ذلك الوقت ان ذلك الاتجاه هو منبع الشاد ومن الممكن ان نقول انه لا يخرج من هذا الاتجاه الا اشد واحد من روافد النهر، وان راسه بعيد تجاه الشرق، ويخرج من جبل منفى، وهناك سلسلة كبيرة من الجبال الصغيرة تتجه من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى تجمع بين جبال المنحرة والجبال التى ينبع منها النيل، او الى روافد بحر الهند ولكن من الصعب جداً ان ننفى وجود نظام لعلم الجبال فى وسط افريقيا خاصة وان هناك عملاً يؤكد وجود نظام متقدم لعلم الجبال وذلك من خلال تقرير روكا الاقريقى من كمكول (موقع على بعد ٦٨ يوماً شرقى كلبار الجديدة) يحكى هذا الرجل ان بلاده مليئة بالجبال وان كثيراً من هذه الجبال عالية الارتفاع وتكون دائماً مغطاة بالجليد والبرد، وقد قبلت هذه الفكرة على بساطتها لانها تتفق ومبادئ الجغرافيا الفيزيائية، ولكن يجب ملاحظة شىء ما، وهو ان البساطة الشديدة ليست قاعدة ثابتة، ولكنها نوع من التعقيد تهيه لنا الطبيعة مع مواكبة القوانين المختلفة وهذا هو السبب الذى يخفى لنا الحقيقة دائماً، مما يفقد المسألة ويؤخر كثيراً الحل الكامل لمشكلة المياه الكبيرة فى افريقيا.

ان المساحة الكبيرة التى تفصل بين تنبكتو وبوسا تمتد طولها لاكثر من ثلاثمائة فرسخ مازالت غير مستكشفة وغير معروفة ومن يستطيع تحديد أى من الروافد يصب فى النهر الكبير من هذه المساحة؟ ومن يستطيع ان يثبت بانه ليس هناك فرع للنهر بين تلكا النقطتان؟ فالامر يتطلب ان يستكشف منطقة الجبال فى بوسا، والطلوع الى كولرا، على الاقل فى مستوى مكتو، والطلوع الى الشاد، ثم الى المنبع البعيد لهذا الرافد الكبير تجاه الشرق، لاسيما وانه يوجد هناك شك كبير بالنسبة لمجارى مياه افريقيا الامتوانية.

انن مشكلة النيجر لم تنته تماماً، فلماذا نقول عن البحيرة الوسطى وعن بحيرة تشاد، اللتين لم تستكشفتا بعد تماماً مما يجعل الامر ينتظر طويلاً كاملاً



ويحتاج الى مثابرة وتفحص دقيقين لكل المجارى التى تصب فيه فنحن محتاجون الى معرفة مستوياته المختلفة ونهائياته اذا لم يكن هناك شئ اخر غير النيجر. وللمرة الثانية ينبغي ان نلاحظ ان نهر ايبو الذى يصب فيه ليس له رافد على الضفة اليسرى، ولا احد اليوم يوزع فكرة ان مياه بحيرة تشاد تصب فى حوض النيل، ان مستوى بحيرة تشاد فى الواقع منخفض من مستوى النهر ولكن ما هو الطول الاقصى لبحيرة فترى والتى لم يصفها أى اوروبى راما بعينه، ليس هناك لىنى شك فى الاماكن الهامة التى تقع بين برنو وسكتو، وكذلك ليس هناك شك فى الاماكن التى تقع جنوب شرق برنو، وايضاً بالنسبة لمدينة لوفون عاصمة باقرمى، هذه الاماكن حددت بشكل تقريبي فى خريطة سفر اودنى وكذلك ظهرت فى خرائط كلاهرتون ودينهام، وهناك ايضاً لماكن وضعت تقريباً شمال بحيرة تشاد وبحوار كافم وفترى، واذا كانت البيانات التى جمعها للرحالة الافارقة كافية لبناء خريطة لكل الاقاليم فان المعلومات ايضاً متوفرة اليوم، خاصة وأن السيد فرنزل قد جمع كما كبيراً من المعلومات بخصوص هذا الموضوع لم يتوافر مثلها من قبل، ولكن بالنسبة للدلة التى طرحتها آنفاً فانه من الصعوبة بمكان ان تحدد من خلالها خطأ واضحاً يلبي طموح الاشخاص طالبى الدقة، وعلى كل حال فحينما نجد نقاطاً كثيرة محددة ومختلفة فهذه الخرائط للرحالة الافارقة تكسون ذات اهمية كبيرة لمعلومات اضافية بالنسبة لنا خاصة عن العالم الشرقى.

فى هذا الخط وفى هذه المساحة التى تقع بين سكتو وكردفان فان الشيخ محمد التونسى قدم لنا مسافات تقريبية تصلح كمادة للمقارنة، هذا الخط الكبير الذى يمتد لما بين ٨٨ الى ٩٢ يوماً مثباً بين افنو وسنار، وهى مسافة كبيرة وايام اكثر بكثير مما ذكره السيد فرنزل فى خرائطه ولاستطيع نحن الان أن نترجم بدقة جغرافية المعلومات التى قدمها لنا كاتبنا، حيث قدم لنا مسافات تقريبية، فمثلاً المسافة بين الابيض وتندلتى من عشرة الى اثنى عشر يوماً، ومن افس الى افنو من اربعة الى خمسة ايام، ومن سنار الى الابيض ما بين خمسة عشر يوماً الى ستة عشر.. من ناحية اخرى فان السيد فرنزل قد جمع خرائط تجمع بين الاماكن بين

الشمال والجنوب أو الى اسفل منها وموازية، اوقع فى اتجاه منحرف الى الجنوب، فلذا تحصلنا على نقاط محددة كما قلت فهذه الخطوط تكون خريطة المستقبل.

وماهى امثلة لذلك: من لوقون الى واره نحسب واحداً وعشرين يوماً، ومن كاثو الى باقرمى سبعة وأربعين يوماً، ومن بحيرة فترى الى لوقون خمسة وأربعين يوماً، ومن باقرمى الى كاتم تسعة أيام، الى غير ذلك.

وباختصار شديد فالتنا نرى أن هناك الكثير من الامثلة المتعلقة ليس فقط بالنسبة للبلدان التى تقع غرب وداى الى برنو ثم الى أقصى الغرب من ذلك وكذلك هناك الكثير من الامثلة المتعلقة حول الودية التى تجرى فى هذه البلدان وكذلك بالنسبة لنظام كل المياه الجارية والراكدة فى هذه المساحة التى تشمل ايضا المنطقة بين خط الاستواء والخط الذى يربط تنبكتو وكردغان - فى وسط هذه الشكوك يجب أن نشيد بالجهود التى قامت بها الجغرافيا فى الجانب الشرقى فقد خلعت خطوات كبيرة يمكن تلخيصها فى الآتى:-

١- النظر بعين التأكيد بأن النيل ينبع من أقاليم بعيدة فى الجنوب أو الى الجنوب الغربى على خط ٤ درجات شمالاً بالقرب من خط الاستواء.

٢- تيقنا بأن دارفور أو جزءاً كبيراً منها ينتمى الى حوض النيل.

٣- أن المياه التى تجرى فى وداى هى مياه تنتمى الى حوض بحيرة تشاد.

٤- الوديان التى لها أسماء مختلفة مثل: بحر الاداء، أو (أدا) كى الاك، ايلمن،

كدادا، تصب فى النيل فى الدرجة ٩ ونصف شمالاً، وكان يعتقد والى زمن بعيد

بأنها منبع النهر، وماهى الارواقد كبيرة ككتيل الازرق الذى يصب فى النيل

عند الخرطوم.

٥- يوجد بين دارفور وبحيرة تشاد مملكة مزدهمة بالسكان، ولها دراية بالتحروب

وقد اخذت ذلك من الحضارة الاسلامية، هذه المملكة غنية بمنتجاتها وكان

موقعها لميز من موقع دارفور فتمكنت من إقامة علاقات تجارية مع أوروبا.



وفي الوقت الحالي يمكن أن يكون الكثير من الاسئلة الجغرافية الهامة عن افريقيا قد حلت أو في طريقها للحل، وذلك بسبب تضحية وشجاعة الدكتور ريتشاردسون.

### قوافل دارفور-

هناك طريق معبد يربط بين وداي وباقرمي مباشرة مع الساحل الاستوائي لاقرينيا وهذا الطريق الذي فتح للتجارة هو القصر بكثير من الطريق الذي يمر بمصر وقد تحدثنا في كتاب الرحلة الى دارفور عن قوافل وداي التي كانت تتجه الى البحر الابيض المتوسط، اولا عن طريق فزان: واليوم أصبحت العلوم والمعارف متقدمة جداً فقد ذهب السيد فرزنل الى تلك الاماكن، وب نفسه اخذ معلومات مهمة من السكان الاصليين في جالو، تحدثت عن الاصل التاريخي لتلك القوافل وما كانت تقوم به قبل ست وثلاثين عاماً وما يمكن التنبؤ به عن مستقبل هذه الاستكشافات وكذلك عن مستقبل ميناء بنغازي.

ومن الفائدة أن نقارن هذه التقارير بتقرير هذا الشيخ الذي قال للسلطان صابون كل مايسر عن هذه العلاقات التجارية الاولى، ولانه كان معاصراً وشاهد عيان لمايكتب، فقد كانت لعلاقته بعض الاهمية.

كانت وداي ومنذ زمن بعيد ترسل القوافل الى فزان وكان اول رجل يقوم بهذه المحاولة هو احد المغاربة من قبيلة اولاد علي، وقد ذهب هذا الرجل من جالو الى السودان مع مجموعة قليلة، وقد ضاع في الصحراء حتى وجده مجموعة من قبيلة البديات (قبيلة تسكن شمال شرق وداي) واحضرته امام السلطان صابون، فاقترح عليه هذا الاخير بان يأخذ معه قافلة الى المغرب وعن طريق مباشر (مستقيم) فاستطاع ذلك الرجل ان يعود تلك القافلة الى جالو بعد خمسة عشر يوماً قضاها في الصحراء وعندما عاد الى واره كافاه السلطان صابون عن رحلته هذه، ووعده بحملة اخرى اكبر نطاقاً وتذهب مباشرة الى درنة وبنغازي شمالاً تاركاً من الان طريق فزان وطرابلس الى طريق جالو بنغازي، وهذه القافلة ضاعت ايضاً في الصحراء، فقد انتهى ماؤهم ومات العبيد والتجار باعداد كبيرة،

وكذلك ماتت جمالهم وكانت الكارثة كبيرة، واستطاعت قنول تلك القافلة أن تصل إلى جالو، وتم إرسال جمال إلى مكان الكارثة، حيث تركت البضائع، وقد استطاعوا حمل جزء كبير من تلك البضائع، وبعد ذلك سلك الشيخ نفسه هذا الطريق للرجوع من وداى إلى المغرب، وقد انضم إلى قافلة ناحت بدورها في البداية، ولكن لحسن الحظ وصلت هذه القافلة إلى الأبار بسرعة، وكانت لهم بعد ذلك قضية مع النبو الذين يشكلون عقبة أخرى ومشاكل توسع فيها الشيخ طويلاً. إن خارطة الشيخ إلى القطرون، يعنى مدخل فزان ويجب أن نتوقف بهذه الكلمات الثقيلة عن طريق وداى التجارى، واترك القارى مع مراسلات كاتبنا ومذكرات السيد فرزى.

### أبوقرن-

متىما ذكر الشيخ اسم أبوقرن، فقلنى لايمكننى أن اترك الحديث عن هذا الحيوان الذى ذكره العالم الذى كان قنصلاً فى جدة، فهو أول من ذكر وجوده فى وداى بنفس هذا الاسم (أبوقرن) يعنى: وحيد القرن، ويقال له: مونوسورس، وقد قارنه بالقرن (حيوان اسطورى بجسم الحصان كان الاقدمون يسمونه ويبرز له قرن وسط الجبين) حيوان اسطورى بالنسبة للحيوانات الاليفة، وكذلك بالنسبة للجبين الذى رسموه له فى اوربا، ولكن هذا الحيوان له وجود حقيقى فى هذا الجزء من افريقيا.

أبوقرن يختلف عن وحيد القرن الحقيقى، هذا الاخير معروف تماماً فى افريقيا، ويسمى فى مصر: الخرتيت، والجغرافى الانريمى يسميه الكركن، الذى تجده بالقرب من سرنديب (سيلان) ولكن اسم كركن يستعمل ايضا فى اعالي النيل ونجد هذا الاسم فى المراسلات القديمة بين الهند والصين والنسب كتبها (رينودون).

اما الوداى فنجدهم يتفقون على أن وصف وحيد قرنهم يختلف عن وحيد القرن العادى، أو عن وحيد القرن الذى له ترنان هذا التميز الذى قام به المحليون



يرتكز بالضرورة الى صفات خاصة ولكن الثابت ان وحيد القرن الاقربى له قرون وسط الانف، ويقولون ان قرون ابوقرن مزروعة في جبينه.

أتانا كلودبليشر بملاحظات مهمة وحديثة عن اعالي النيل الابيض حيث يوجد حيوان مسلح بقرون مائل موضوع في اسفل جبينه بين العينين، هذا الحيوان بالنسبة للرحالة يختلف عن وحيد القرن المعروف لان جلده خال تماماً من التجاعيد، والان اتود الى شهادة شيخنا فيها بالطبع ليست شهادة احد رجال الطبيعة ولكن كشهادة أى اوروبى دخل الى باقرمى أو ودای وبالتحديد في المنطقة بين الدولتين حيث وقعت تلك الاحداث التى يرويها الشيخ.

فقد قام السلطان صابون بحملة ضد سلطان باقرمى المستبد، حيث وصلت الجيوش الى الاراضى التى تفصل بين الدولتين، هذه الاراضى تغطيها غابات كثيفة مليئة بالاسود والاقبال وأبى قرن، يقول الشيخ فعندما كان احد جواسيس الجيش يقوم بتطهير الطريق خرج ابوقرن كبير واتجه مسرعاً نحوهم، فقتل كثيراً منهم، فقد كان يضرب بقرنه كل من يلاقيه ويهاجم بشراسة الى ان وصل الى وسط الجيش ومن شدة الخوف تزعزع كل الجيش وظل السلطان وحيداً مكشوفاً دون حراسة وفجأة ظهر عبد باسل يحمل سكيناً طويلة ووقف امام الحيوان وانتظره، وعندما هجم عليه وقع على الارض وقطع عراقيب الحيوان، ومن خلال تقرير الودای ان ابى قرن حيوان نادر الظهور، ومن هنا كان سبب الخوف هو تلك الروايات والمبالغات التى تتسج حوله، ان حديث الشيخ هنا يطابق حديث السيد فرزقل حول الحيوان ومكان وجوده بين ودای وباقرمى.

### الخاتمة-

من كل ما سبق نتضح لنا اهمية ملكة ودای سواء اعتبرنا ذلك من الناحية العلمية التى مستفاد منها فى المستقبل الاستكشافات فى لقرنينا الوسطى، ولذا نظرنا للمستقبل بالنسبة للعلاقات السياسية والاجتماعية والتجارية لسكان السودان لشرقى، وإذا كان الامر كذلك فنستطيع ان نعتبر هذه الرحلة لهذا البلد لأول مرة

ينشر مثلها، بالرغم من عدم الجودة لأن الكتاب لم يكن نتاج قلم أوربي<sup>(١)</sup>، فتأمل  
أن يجنب هذا الكتاب فضول وانتباه الجمهور.

وهنا نعتقد بأننا يجب أن ننبه القارئ بالاستطراد والتطويل والتكوال الذي  
لا بد من ملاحظته، وإذا كان القارئ يتأثر ببعض الغرائب وبعض التفكرات التي  
تبدو ساذجة وملطخة بقليل من السخافة فنرجو من القارئ أن يتغاضى عن ذلك  
بسبب سلامة النية والصدق، وتثبيت الرواية، أن القارئ يمكنه أن يعترف بأن  
البساطة لا تمنع من سمو وانها أفكار لمليح من عقل عاقل ورجل حكيم  
وفيلسوف.

هذه الامياء ليست بغريبة على الشيخ محمد التونسي، لئنا نطلب التفران له  
لبعض اللوحات الفاضحة بالنسبة لبعض التقاليد الافريقية، وكذلك بالنسبة لكثرة  
الاستدلالات الشعرية، وهذا العيب<sup>(٢)</sup> له امثلة عند الكتاب المعاصرين، وإن الكتاب  
يلجأ الى مثل هذا العلم لما لتفسير حدث او لتبرير ملاحظة، لكن الطريقة الشرقية  
هي العناية في هذا الكتاب ويجب أن تغفى كما هو الحال في كتاب: الرحلة الى  
دارفور الذي نشر عام ١٨٤٥م بنفس ملاحظات البساطة والساذجة، ان تعاطف  
الجمهور مع احداث الكتاب جعلته يقبل لأول مرة لغة الشيخ العلي محمد بن عمر  
التونسي، واعتقد بأننا استطعنا ان نحافظ على كتابه دون تزوير واننا لم نغير  
ماورد فيه من تقاليد شرقية، وحتى في الحالات التي تبدو ضد لنزوق السليم، ولكن  
ايمان الرحالة وسلامة نيته قد جعلت له رضى القارئ الاوربي، فسلامة النية هذه

<sup>(١)</sup> مقدم الكتاب المرسوم بحقه بعدم الجودة لأنه لم يكن نتاج قلم أوربي، وهو حديث هو صائب، ومتفق مع ما نقلناه في ذكره بأنه  
كتاب مدرّس ووحيد، لكن ربما اختلف معه في التهجئة، فان متابع الكتب في الشرق اعرف اختلف عن متابع العرب الاوربي وهذا ليس  
طريقاً لا يخلو من ضلالت الكتاب الذي يترجم مصدراً مهماً لشرح السورى الاوسط ولم يخل من الكتاب الاوربي من الذين رادوا الشكوك  
الى الدقة والشجاعة التي كتبها التونسي. كتابه.

<sup>(٢)</sup> كثرة الاستدلال بالشعر ليس بالأمر المستغرب، كتابه الفريخ، حاشية وفي الادب من احواله بغير مصدرها مهماً للتاريخ، وليس ذلك  
والنقص في ترجمته الاسلامي، منه كان مدعياً من ان صدره يفتقر من حد من شربا الذي روى له الاصل بل بأنه بالاحتمال  
من وردت في الاحداث، فلهذا سألنا الامر بغير الحذف فيما لا أحد إلا ذكره، وكان مدعياً يستنح بالشعر وأحياناً بغير  
الشعر هو اصل على صدر الخبر، فلهذا "وأينما نجد ثبت وذكرنا شيئاً من حديثك من هذه، وقد علمت ان الشعر ليس  
العرب والمثل على أحسنها وأفضلها، والهاكم بهج في الغميلة، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كان من الشعر  
لملكة." مطر: ٥. حسن نظره لفظة الكلمة العربية، ص ١٨١٧.



ليست موضع شك وإن كنا أحياناً يمكن أن نشك فيها وهذا مثال لذلك: فمثلاً رواية الشيخ عن غزوة السلطان صابون ضد قراني ومرتكب المحارم سلطان باقرمي، هذه يمكن أن ترفض وبشك فيها، ولكن الرحالة الانجليزي كلابرتون قد احضر الى انجلترا مخطوطة عربية تكلمت في جزء منها عن (باقرمي) أو (باقرمي) وقرأنا في هذه المخطوطة ان هذا البلد قد اقلص تماماً، لأن سلطاناه تحلل عن العادات الى ابعد درجة الى ان تزوج بابنته، عندئذ أرسل الله صابون أمير وداي لتعطيمه وسلب بلده عقاباً له على هذا الكفر، والشيء المؤكد أن الشيخ لا يعرف مراسلات كلابرتون، ولا كلابرتون يعرف رحلة الشيخ التونسي.

وهناك أيضاً مراسلات الأمير جعفر التي أوردت هذا الحدث، وكذلك

بوهارو.

اقول كلمة عن اللوحات التي حواها هذا الكتاب: كان هناك شك يدور من قبل حول خريطة بيرون التقريبية، وهناك الصور الكثيرة التي ذكرت في الكتاب عن أشخاص من وسط افريقيا هذه الصور رسمت من الطبيعة، وقد رسمها فنان ذكي، فرنسي الجنسية يدعى السيد ماشيرو، وكان لابد أن يقدموا امامه (وهذا ليس بالأمر السهل) وهم أشخاص من وداي، ومن برنو، ومن مندر، ممن كانوا وقتئذ موجودين بالقاهرة، وقد لجأنا الى الحيل، وتدخل أيضاً السلطان ابومدين سلطان دارفور، وهؤلاء الأشخاص يجهلون مايفعل الرسام، ومن يبين هؤلاء: الفقيه الهلكي، الذي اعطى بيرون معلومات مفصلة عن وداي، وان رسومات الاسلحة والملابس التي قام بها نفس الفنان من خلال النماذج الاصلية التي قدمت له، ومما تجب معرفته انه كان من الطبيعي أن يحضر الى القاهرة رجال من وداي، ومن دارفور ومن باقرمي، ومن مندرا منهم من جاء للدراسة في الجامع الكبير الازهر، والآخرين في طريقهم الى الحج.

اما الخرائط فقد رسمت بناء على املاءات الشيخ، ومن خلال لمقاييس التي ذكرها، كل الامم اليوم تتجه بانظارها الى وسط افريقيا، فمثلاً فرنسا تمتلك الكثير من الابواب التي ستوصلها الى هناك قريباً اما انجلترا ولكن عزتها بالرحالة منذ

زمن بعيد، وكذلك الامر بالنسبة لبقية اوربا التى تنتظر الى مستقبل العلاقات التجارية ولتقدم علوم الملاحظة والرصد، كما أن ودائ بعد اكتشاف الطريق المباشر الى البحر أصبحت من النقاط القريبة جداً من السواحل الاوربية وكذلك برنو وباترمنى، ومن البديهي انه كان لودائ اهمية خاصة وإن أوائل الرحالة الذين دخلوها وتعدها كثروا ينتقلون من اكتشاف الى اكتشاف، فهناك مثلاً الكثير من العلامات المدهشة، وكانت لهم اكتشافات مهمة بالنسبة لعلم الاجناس الجغرافى واللغويات.

وقد لاحظنا اخيراً وجود شعب لسود بدائى يملك حروفاً وكتابة خاصة به، وهو بلد موبى، وقد كتب لغتها السيد نورى الذى حلها من ناحية القواعد وتبينوا انها بنيت بانتظام اذا حكمنا عليها من خلال عينة ذكرها السيد فورب، هذا البلد له مدارس وكتب أيضاً، وقد وجدت فى وثيقة قديمة وهى عبارة عن لطلن انجليزى.. خريطة لاقيقيا مع خرافة تدعو للفضول من اربعة لسطر ترجمتها الحرفية كالتالى:-

لقد علمت من اناس مؤمنين، قالوا ان البلد الذى يقع شمال ساحل غانا على بعد حوالي مائة فرسخ تقريباً، هذا البلد مسكون بالببيض، او على الاقل سكان يختلفون عن السود، وانهم يلبسون الملابس، ويكتبون ويصنعون الحريز، وكثير منهم يحتفلون بيوم مبات المسيحى (الاحد) ومؤلف الخريطة لم يذكر مصدر هذه المعلومات لكن من الفضول ان نلاحظ ماينتجون فى بدايات هذه الحضارة وقد مر عليها قرنان فى مثل هذا الطقس، ان هذا العمل الفردى يبدو قد تلامى تماماً عن الانظار، ولهذا السبب تخيلت بأنه جنير بأن افكره هذا، ولكن كم من المشاكل انارت الفضول والبحث عن مستكشفين جدد، انه عالم افضل من العلماء القماماء فى علم الاجناس الجغرافى، ولهذا ارسلت اوربا المهمة اليوم بالعلم الى الفريقيا جهة اعلى النيل العالم المحترم كنوبليشر على خطى مواطننا الفرنسى السيد ارنو وفى نفس الوقت ارسلت اوربا علماء الطبيعة مثل بارون ملر الى الشرق والجنوب وكراين وريغية وليفتون واوسول الى الشمال، والسيد الدكتور



ريشاردسون واعوانه وكثيرين ذهبوا بعده الى الجزائر والسنغال وناميبيا.. وغير ذلك.

ان النهضة الصناعية في اوربا اليوم قد جرفت معها كل انواع التقدم ووسائل الحضارة، وكان من المستحيل الا يحدث تغيير مستقبلي لأفريقيا خاصة العبودية وتجارة الرقيق الداخلية، ان محبى الحروب وصيادى البشر سيصبحون مع مرور الوقت لما رؤساء للقوافل التجارية ولما تجاراً هائنين، وهكذا قيل اذا عرف الافارقة ماتحويه ارضهم من كنوز غير نافذة، وانها قريبة من اوربا عشرات المرات من المستعمرات فى اسيا ومستعمرات العالم الجديد، فانهم سيجهزون لبيعوا لنا منتجاتهم وليس سكانهم وستصبح كل من: طرابلس وتونس واخيراً المغرب مثل مصر والجزائر بوابات من خلالها تستهلك صناعاتنا ويتم تبادلها مع المنتجات او المواد الغنية التى تملكها افريقيا، هذه الثورة لابد منها وكل يوم يقترب وقتها، ومصر التى تحررت نوعاً ما قد تكون مثالا لبقاى افريقيا، ومستقبل مرور العبيد من خلال وادى النيل من منبعه الى مصبه، أى فى خط طول ١٢٠٠ فرسخ وهذه التجارة الكريمة لاتجد طريقها الى تركيا او فارس او الهند، ومنذ زمن بعيد احتلت القوافل الا تحمل من شواطئ النيل شيئا سوى ثروات الارض وبالقالى ستربح افريقيا اكثر مما تخسر، وستكتسب مصر قوة جديدة، وهذا هو الموضوع الذى انتقد فيه سيد مصر الذى عرف بذكائه التجاري، وقد قصد تقريبا ان يحتفظ بعلاقات جيدة مع اهل دينه، ويهنيء لبراطوريته التى يعدها فى نفس الوقت بتنمية كبيرة فى الجيش والبحرية، وكان السياسة والدين طلبا منه هذه التضحية الرومينية، انه خطأ كبير جداً لايفلت منه أحيانا حتى الرجال العظام، وهنا فان عبقرية محمد على تركته ولم يتم بتحجيم هذه التجارة الحزينة الا مؤخرأ (تجارة العبيد) انه لم يستطع انهاء هذه التجارة ولكنه غيرها، فقد قدم الى مصر أمير نكي فقط فى مصالحه، وكان متأكدا من مساندة فرنسا وانجلترا له، ولحسن الحظ انه كان موافقا لهذه المسألة وقد نجح بدون صعوبة وكان تدخل تركيا لتعطيل هذه التغييرات دون فائدة حيث بدا واضحا منذ نصف قرن تأثير وقوة السلطان

على الساحل الاقربى وعلى ضفاف النيل حيث اخذت هذه التجارة فى التدنى  
باستمرار الا فى طرابلس فاتها ظلت تحتفظ على طول خط الاستواء بعلاقات  
حقيقية ذات طابع استعمارى.

ان الاحتلال الحالى لسواكن ومصوع فى الحبشة لا يتصور الا بسبب احتلال  
الجزيرة العربية التى تقع فى واجهة هذه المدن، ولكن هل حقاً اخضعت الجزيرة  
للاستعمار؟ ان النار التى اوقدها الوهابيون من قبل لا تستقر الا شرارة لتشتعل من  
جديد، وابراهيم باشا موجوداً لاطفائها.

جوماً،،،



## ملاحظة حول كتاب (تاريخ جعفر)

حتى يتمكن القارئ من القيام بمقارنة بين مراسلات الشيخ ومراسلات

الامير جعفر، ذكرت هنا بعض الفقرات لمراسلات الامير جعفر:

ان ودای مملكة وراقية مدى الحياة، ويقول جعفر إنه الابن الحادي عشر لرجل لبيض، وان عمه نصب على عرش باقرمي عن طريق السلطان صابون بعد طرد سلطان هذه المملكة عام ١٨٠٤م بسبب حياته الاباحية، وانه توجد في باقرمي بحيرة هائلة يمكن الدوران حولها خلال خمسة عشر يوماً، ان باقرمي مثل ودای فيها الجبال واليهضاب والوديان الكبيرة والصغيرة، ومناخها حار جداً وفي نهاية الصيف تهطل امطار غزيرة.

وفي باقرمي انواع مختلفة من الفواكه ويوجد فيها البن بكميات كبيرة وبشكل سلعة تصديرية، وليس فيها المناجم والذهب والاحجار الكريمة، وتعتمد تجارة باقرمي على الرقيق بشكل اساسي، وكذلك من الفيل وريش النعام، ويتغذى شعبها بالارز او الدخن، وكذلك لحوم الحيوانات الاليفة والسك، بالاضافة الى المنتجات الوفيرة حول البحيرات والوديان.

وتظهر على ارضها الزراعة وفرس النهر ولكن لا يوجد فيها التماسيح، لما العساكر ففيها اعداد كبيرة وهم مسلحون بالاقواس والحراب والشرق المصنوعة من جلد الجاموس، او من جلد فرس النهر، ويحمل بعضهم السيوف والاسلحة النارية التي يحصلون عليها من طرابلس، ويوجد في العاصمة لربع وحدات عسكرية، والقوة الاصلية هي الفرسان الذين يركبون على خيول ممتازة ذات اصل عربي.

ومدينة وارده بنيت بالطوب المصنوع من الطين المجفف على الشمس ومساكنها ذات طابق واحد فقط ماعدا القصر والجامع الكبير اللذان بنيا بالحجر والصقالات، وحريم السلطان يحرسه عدد من الرجال الخصيين، وتأتي عائدات الدولة من الضرائب المفروضة على منتجات الارض، اما الاقاليم فتدفع للضرائب نقدية في وارده وفي موعد محدد، وقيمة المبلغ تحدد بطريقة غريبة جداً، فقد كانوا

يعتقون الاموال على فرع شجرة ما حتى ينكسر هذا الفرع، وعندئذ يقولون: ان الاتاة كاملة.

والمحمديون كثيرون جداً، وهم الاغلب، والوثنيون ايضاً كثيرون وهناك  
ايضاً عباد النار، وبعض المسيحيين الاوليين، وهم سود، وهناك آخرون لونهم  
نحاسي، ويسكنون الجبل، وهنا اُضاف ناشر المراسلات مايلي:

ان وجود قبيلة ليست مسلمة ولاوثنية ليس هو الشيء الملفت فقد سمعنا عدة  
مرات عن وجود مؤسسة مسيحية جنوب جبل كمرى في الداخل ويفترض بعض  
الناس بأن هؤلاء القوم مسيحيون لانه ليست لهم مساجد وان اوانهم تختلف عن  
الوان جيرانهم، والبعض الآخر يعتقد بانهم يهود ينتمون الى قبيلة تشتت منذ زمن  
بعيد، على كل حال، فانه من المؤكد وجود اسرة معزولة في قلب افريقيا لها  
عادات مختلفة تماماً عن عادات الزنوج، وفيما يخص هذه النقطة تقدم هذا الجزء

من رسالة رسمية بتاريخ ٢٤ فبراير ١٨١٧م، حيث جاء فيها:

يجب أن اعرفكم ما علمته عن وجود قبائل مسيحية في قلب افريقيا، وكثروا  
يعرفون بأنهم جنس زنجي قوي جداً، ولكنني لم استطع اكتشاف أي ملاحظة تدل  
على ان لهم صفة دينية، صليب او أي شعار آخر، وعندما يأتون الى السوق فإنهم  
يعتقون الاسلام فوراً، وهناك الكاتب الفرنسي الذي مكث خمسة وعشرين عاماً  
في خدمة باشا طرابلس حيث قال:

ان كثيراً من هؤلاء قد اختيروا من بين اكثر الناس جمالاً، وعندما وصلنا  
الى الميناء سمعنا على ظهر إحدى السفن المسيحية اجراس المساء، وفي الحال  
عندما سمع هؤلاء الذين كانوا في الميناء، تلك الاجراس فرحوا، نالوا رفاقهم  
وسلموا عليهم بالاحضان، حيث وصفوا لهم تلك السفينة التي أتت منها تلك  
الاصوات وردوا كلمة: (كمناي) وهي كلمة محرفة من الإيطالية، وعندما سألتهم  
المترجم قالوا: ان في مدينتهم الاصلية يوجد مبنى كبير دون صنم او برش او كنية  
وفي هذا المبنى كثروا يستمعون الى نصيح الراحب.



وهذا شيء آخر يدعو إلى الفضول، وهو أن آخر بيه لبنغازي كان قد  
احضر في شبابه كميد، قال إنه يتذكر احتفالات في بلاده تشبه الصلوات المسيحية  
وكانوا يستعملون النبيذ المقدس.. إن عدم الختان بالإضافة إلى استخدام الأجراس  
والنبيذ كل ذلك يؤكد بأن الإسلام لم يكن يسيطر على هذا البلد، ويبدو لى من  
خلال هذه المراسلات المختلفة أنه في الوقت الذي فكر فيه الرحالة الجند الدخول  
إلى قلب القارة حتى يقتربوا من أماكن الحدث الذي اخفته من أسطورة خريطة  
هيرمان فول، يبدو أن هذا الحدث قد اهتم تماماً في ذلك الوقت.

## الفصل الأول

### في سبب ارحالي من دارفور الى وداي

اعلم اني بعد ذهاب والدي من دارفور اقممت سبع سنين وكسور وكنت في تلك المدة اجوس خلالها ولقيتاً ظلالها، واجول في بلادها، واعشر سكانها، فكنت مطوراً بمشرقها، ومطوراً بمغربها، ومطوراً بصعيدتها، واخر بمهب شمالها، على حد قول الشاعر:

يوماً بجروي ويوماً بالعتيق وبال  
عذيب يوماً ويوماً بالخليص<sup>(١)</sup>

ومع ذلك ما دخلت بلدة الا واجتمعت على كبارها، ولا ولجت قرية الا نائمت علماءها، استقصي منهم اعمال قل وجل، واستعطر الثوب والطل، لتنهز الفرص ولا ادع في قلبي محلاً للتقصص، حتى عرفت قليلها وجليلها، ومأمورها واميرها، ولما اقممت عرفان ماكن مجهولاً، ونلت من كل ما طلبته مأمولاً، توجهت امالي للاستقرار، واكتسب الدرهم والدينار، فبينما انا قار في مكاني راض بما الله اعطاني، منهمك في طلب معاشي، مقبل على كل امر فيه ارتياشي، اذ جاءني من والدي كتاب فيه بعد السلام:

اني لريد ان توجه الي امي بتونس، ولريد ان لا اخلف وراء ظهري احداً ممن له علة بي، فلذا لك كتابي هذا فعجل لي بنا بالتقوم، ليكون التمثل بسلوككم منظوم، واياك ان تترك احداً من العيال، وليكن ذلك من غير امهال، والسلام. فحين عرفت مضمونه انتزعت للسفر، وتأهيت في ايام يسيرة، ولم اتر مايجري به القدر، وخرجت من البلدة التي انا فيها بجميع ما عندي من العيال، وتوجهت الى الفاشر لاخت الان في السفر، الذي استقر عليه الحال، فحال حلولي بفاشر السلطان، بلغني ان السلطان محمد عبدالكريم سلطان وداي، غزا قبيلة

(١) هذا البيت اثر من كتبه الفاضل كما هو حال هذا الشاعر الذي امدّه يوماً بالليل و آخره منى، وثالثاً بالخدمة، وهو من ماكن مناهضة.



التاما<sup>(١)</sup>، وهي قبيلة عظيمة لها حاكم مخصوص بها، يسمى سلطاناً كما تقدم ذلك، وأرضهم كلها جبال، وهي (أي قبيلة التاما) من رعايا الفور، فأرجف بدارفور أن السلطان المذكور غير مقتصر على قبيلة التاما بل يريد اخذ مملكة الفور أيضاً، وسمع السلطان محمد فضل ذلك<sup>(٢)</sup>، فرجف فزاده وطار رقاده، وأظهر آلات السفر والمحاربة، ونوه على الرحيل في أيام متقاربة، فلما استقر بي الحال، دخلت عليه لاستأذنه في السفر إلى والدي كما أمر، فعبس وتولى، واستقر<sup>(٣)</sup> بشره الذي كان لاهل المجلس تحلى، وقال: عجباً لأبيك وأفعاله وما يبدو لنا من أعماله، أظن أننا لاستشعر بما أضمره ويخفى علينا الأمر الذي دبره، يريد أن يأخذك عنده، ويريح فزاده إلا لما يعلم أن سلطانه قائم علينا، وأن جيشه عن قريب واصل لنا، فأراد بأخذك نجاتك من قسطن المحاربة، ومن وقع السيوف وقت المضاربة، ونحن لاندعك أن تتوجه إليه، فلا نطمع بأن تقربك عيبيه، ثم أمر الشيخ عبدالله دكسا، الاحتفاظ على، حتى ينفصل الحال، والشيخ عبدالله دكسا هو الاب<sup>(٤)</sup> (شيخ)

(١) التاما: قبيلة نوبية مؤثرة في أحداث السودان الأوسط، وتقع في بقعة غرب دارفور على الحدود بين وادي دارفور، وكانت دائماً مرعاً وصل بين المواليد، ولكنها كانت تابعة لدولة الفور، ولما طامها الإداري الخائن لها، وتقدم حرباً صوب دارفور وطراً لولعها الاسم أصبح كانت كتوة أنواع مع الدول المتغيرة لها حكمة المسائل ووداد.

مطر: Macmichael, H. A. Nubian elements in Darfur. S. N. R. (١٩١٨). P ٨٥.

(٢) السلطان محمد فضل: هو ابن السلطان عبدالرحمن الرشيد، وكان أكثر تولاه حين أحداث الشهاب فطلبه الاب شيخ وأخيه مسالك المواليد السلطة، تولى سلطة واسعة بعد أن مهد له أبوه البلاد، وأصبح له فعلاً، فصار على فتح أبيه من القوة فتهد مصر حروباً مع الدول المتغيرة حكمة وذكى واستطاع أن يذم على دولة الفور وحوله حكامه مع الخارج وكان الشيخ محمد بن عمر التومسي أحد شهود العيان لدولة. مطر نشية الأدهان ص ١٢٩.

(٣) في الأصل: وأحضر مطر.

(٤) الاب شيخ: هو منصب رفيع في دولة الفور، في حين لهم المنصب وأندما حطراً عدهم، فهو الرجل الثاني بعد السلطان، وهو فورر الامتياز، أي رئيس الوزراء، والذات المدم للمعزة. فضلاً عن حكمه لأحدى ولايات دارفور الأربع، والتصرف في دولة الفور إلا بولن منصب الاب شيخ الأعدا حقي وفي تولاه محمد كراي عهد السلطان عبدالرحمن الرشيد، وهو منسب الأصغر له وصت ذلك بذال أن محمد كراي الذي تولى السلطة بمرور وأصبح مستقراً على ثروة تولاه ومصالحه الخاصة، وبمسائل أنه حصى له يده لرفع من حقه كلفة حالة سرده، وظنه السلطان خدعة أحد الوزراء فهدى مهاره فتقه في منه فكل ذلك أهله في التدخل في شؤون السلطة العليا حتى تمكن من مساندته السلطان عبدالرحمن الرشيد في الوصول إلى كرسي السلطة بعد وفاته أمه السلطان تريب، منه في منصب الاب شيخ، فصبح مرده في الأصحة أن مهمته الله كورة أصبح الاب شيخ فصبح فورر مطر في عصر قانون عالي، وهو القانون الذي تحكم به سلاطين الفور دولتهم.

مطر: الحرم خلود، تاريخ السودان، ج ٣، ص ١٣٦ - نشية الأدهان، ص ١٢٢، دلسي ٨.

الذي ولي عوضاً عن الشيخ محمد كراء الذي أسلفنا ذكره<sup>(١)</sup>، فإخذه الشيخ  
عبدالله، ووضعني أنا ومن معي في دار امام داره ووكن بحراستى عشرة أنفار من  
أتباعه فجاءوا بحذائيرهم، وجلسوا على باب الدار، وفي مسقيفتها، ومنعوني  
الخروج من باب الدار وكثوا بالليل يتأوبون الحراسة على التعقب، اثنين اثنين،  
لكن كانوا لا يمنعون اتباعي من الخروج لقضاء شئونى، فلما رأيت ذلك داخلني من  
الغم ما الله به عليم، وبقيت في واد من الفكر أهيم، لكن صانعت كبيرهم بالاحسان،  
وصرت ادعوه لطعامي واجعله في كل راي لامي، ومن لطف الله تعالى كان في  
طبعه رقة، فلا حظني وصار يقوم لقيامى، ويسرع بقضاء مرامى، وبقيت على تلك  
الحال حتى نفذ زادى، وقل اعتلدى، فطلبت ان ارسل الى اقطاعى وانى بشىء  
منها يكون به استمتاعى، فمنعت ذلك، وكان ما عني هو اتقيه مالك، فحلفت أبيع  
من رقيقى، فتكر لى كل منهم بعد ان كان رقيقى، فتحيلت إذ ذاك احدي الجوارى  
وفرت، ولم ادر في اي محل استقرت، فأردت الخروج نهراً للبحث عنها<sup>(٢)</sup>،  
فمنعت منه جهاراً، وقيل لى: ان في خروجك بالنيار عصيئاً لأمر السلطان، وإن  
بلغه {الأعلن}<sup>(٣)</sup> منا الانتقام لهذا الشأن، فاصبر الى ان يجن البهيم، وينقطع التهويم،  
وأذهب معك حيث تريد، وما انا لك الا كأحد العبيد، فأصغيت<sup>(٤)</sup> لقوله الجميل،  
وصبرت حتى جن الليل، فخرجت وتبعني هو وواحد من أتباعه، فتوجهت الى دار  
النفية مالك، ولخبرته بفرار الجارية، وإن دموعي على فقداء جارية، فتأسف على  
حالي في الظاهر، وأعد خروجي في الليل من المذاكر، وقال:

أعلم يا ولدي إن مولانا السلطان شديد الغيظ على أبيك، وإن علم بخروجك  
ربما يؤذيك، فإن حدث لك بعد هذا أمر مهم ارسل اليّ وأنا أسمى فيه بجهدى،  
فقلت له: كيف أصنع في هذه القضية التي دهنتي بكل بلية، فقال: كن خالي البائس،  
معلمن الحال، ولنا ارسل الي كل الجهات، وأسأل عن جاريك كاملة انصافات،

<sup>(١)</sup> مائة: الضميمة ذكره بنصه ما يرويه ذكره في كتاب نسخة الادب.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: تلعت عنها والعرب: عها.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: واد لله لأن من الانتقام.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: لمعنته.



فقلت: يا مولاي قد فني زادي، وكثر لفاته سهادي، وبعث إحدي<sup>(١)</sup> لجواري  
 لأتوت بثمانها الزراري، فهلا تستأذن لي حضرة الميثار إليه في إتيان شيء من  
 الغلال، يحسن لي به الحال، فقال: لك علي ذلك، ورب هذا الليل الحالك، فخرجت  
 من عنده مغتبطاً بمقامه، شاكراً لأفضاله، وتوجهت إلي داري، فمكثت مدة لم يظهر  
 لما قاله أثر، ولا جاني عن الجارية ولا عن الآنن بمجيء الغلال خبر، فعرفت أن  
 الأمر مموه علي، وأن كل ما قاله أمامي لا يغني شيئاً، فكتبت له ورقة فيها بعد ما  
 يليق بمقام والذي العزيز، إن الانتظار يربث الأصفرار، وإن من علامة الإيمان  
 الوفاء بوعد اللسان، وقد صبرت لمدأ طويلاً، ولم أر من إتجاز الوعد كثيراً أو  
 قليلاً وقد قال تعالى في الكتاب المكنون:

• يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون<sup>(٢)</sup> •

واعلم مولاي أتى صرت صفر اليدين من الغلة والعيث، وقد نفذ ثمن الجارية التي  
 بعناها، والأمر محتاج إلي الأقوات التي للقلب<sup>(٣)</sup> لوأدها، فالمؤمل من مولاي أن  
 يبرد حر الألباب، برد الجواب، وأرسلته صحبة أحد الحراس<sup>(٤)</sup>، فغاب ملياً  
 وحضر وأخرج لي جواباً فيه بعد التحية: إن المال لا ينخر إلا لمل هذا الحال،  
 وقد طلبنا من حضرة السلطان إطلاقك<sup>(٥)</sup>، فهاج غضبه وأوري لهبه، ولم يرد لي  
 جواباً شافياً، فأصبر حتي يحكم الله بأمره، وهو خير الحاكمين، ولولا أنك من أهل  
 البيت المكرمين، لكان الأمر علي غير ذلك والسلام.

فلما قرأته وفهمت ما حواه، زاد لهيب القلب وجواه، فصبرت علي  
 مضض، لعدم قضاء الغرض، وبعد ذلك بأيام، أبق مني جاريتان وغلّام، فنمست  
 علي إياق الرقيق، وصليت باباقهم نار الحريق، وقطعت الرسائل بيني وبين الفقيه  
 ملك، ولم أعلمه بشيء من ذلك، وحينئذ لم يبق عندي إلا جارية عوراء ومسريرة

<sup>(١)</sup> في الأصل: أحد الجواري.

<sup>(٢)</sup> سورة النمل، الآية (٢٠).

<sup>(٣)</sup> في الأصل: من القلوب نواعاً.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: أحد الحراسين.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: أطلقك والصواب: خلّصك.

لعمري، وأخري لي، وعبدتين مداسيين، فما راعني أن أصبحت فلم أجد مريتي،  
فقامت لذلك قيامتي، فصرت كالطائر الذي لا يجد مئاماً من ضيق الأقداس  
فدعوت رئيس<sup>(١)</sup> الحرس، وأعلمته بما حدث، فتعزّن وتحمر، وتلهف وتضجر،  
وسالني ببعض الكلام حتى أمسى المساء، فخرجت معه قاصداً دار الفقيه مالك  
المذكور، لآحكي له ما وقع من الأمور، وبينما أنا وإياه سائرين، إذ دهقتا كبة من  
الخيل، وكان السلطان في تلك المدة يطوف بالليل بنفسه، ويتولى الحرس خوفاً من  
الجواسيس والنخلاء<sup>(٢)</sup>، بل كلما وجد مسلحاً مجهولاً قتله، فقتل اناساً كثيرين علي  
ذلك الحال، لأن ذاك السلطان محمد عبد الكريم لم يرجع لي بلاده، فقال أحد  
الفرسان: من انتم، فقلت أنا الشريف محمد بن الشريف عمر التونسي، فقال لي:  
قف مكانك، حتي يأتي سيدنا، فوقفت، فتلاحقت الخيل وأحاطت<sup>(٣)</sup> بي، وصاحبي  
كان حين سمع بوقع حوافر الخيل فرّ كما يفر الطير، وبعد هزيمة جاء السلطان،  
ومن لطف الله تعالى أن جاء معه أحد وزرائه، وكان من أحبائي، وأخلص  
أصحابي، يقال له الملك سليمان تير، فوقف السلطان، وقال: من هذا، فقال له  
الفرس الأول وكان يعرفني: هذا الرجل الذي أبوه في دار برقس، فقال لي  
السلطان: يا هذا، ما الذي أخرجك في هذه الساعة، فشكوت له حالي وضيق  
رقيتي ومالي، وأسناني تصتّك من الفزع، فقال: أليس قد وكلنا بك جماعة من  
الحراس، فقلت نعم، ومنهم جاءني الضر والبأس، لأنهم يمنعونني الخروج،  
ولا يمنعون رقيتي، حتي لم يبق لي منهم أحد، واتي تحيلت علي الخروج في هذه  
الساعة، لأذهب الي دار الفقيه مالك، وأخبره بما وقع لي من الضنك والمهالك لعله  
يخير مولانا، أما أن يمن باطلاقي، أو يأمر بقتلي، فإنه خير من إيقائي علي هذه  
الحالة، فقال السلطان: ولم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، انه قد نفذ زادي، وفي  
اعتدادي، وفرت جواربي، وبقيت أليماً لا أنوق طعاماً، ولقد أصابني من الجوع ما

<sup>(١)</sup> في الأصل: دعوت رئيس الحرس....

<sup>(٢)</sup> في الأصل: نخلاء.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: استحوذت.



منعني الهجوع حتى اتني لاضطراري اختلست حفة من عتيق حمار جاري،  
واكلتها كما تاكل الدواب، وقد لصقت يدي بالتراب، فحينئذ تقم الملك سليمان تير،  
وقبل ركبة الملك، وقال: أعز الله مولانا، إن هذا الرجل مظلوم، وهو هنا الآن  
وقدره لديك معلوم، وعادة أبائك كمادة سعادتك، اكرام الأشراف والنظر إليهم بعين  
الرحمة والاشفاق، فنتوسل الي سيدنا أن لا يؤاخذ به بئس أبيه، وإن يغمره  
بالاحسان وللجميل يوليه، فلما سمع السلطان مقالته هزته أريحية الكرم، ونخوة  
حسن المكارم والشميم، وقال: قد رفعنا عتك الحراس وأبحنا لك الاجتماع بالناس،  
لكن لا نطلق لك المراح، إلا إن تحققتا أن ملك البرقو ترك الحرب وراح،  
فاستبشرت بذهاب الأنكاد، وأملت أن اليسر قد عاد، فقلت لسأل مولانا أن يطلق  
يدي لضييعتي لتكون منها معيشتي، فإنه لا ضرر بعد بؤس، ولا عطر بعد غرس،  
حتى يأتني لي مولاي بالرحيل، ولك عند الله الثواب الجزيل، فأجابني لمطلوبتي،  
وأنتني أقصى مرغوبي، وقال: قد اطلقنا يدك لصنيعتك، فرجعت وأنا فرح بما  
حصل، مسرور بنيل الأمل، وكان من وقت ما رسم عليّ في تلك الليلة أكثر من  
أربعة أشهر، فنكت إذ ذاك حلاوة الأمن، بعد مرارة الخوف والجزع، وقلت هذا  
مصدق قوله صلى الله عليه وسلم:

” لو كان العصر في جحر صنبل لتبعه اليسر حتى يخرجه “<sup>(١)</sup>

ومصدق قوله تعالى:

” فإن مع العصر يصر “<sup>(٢)</sup> ..

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ” لن يغلبه عصر يصر “<sup>(٣)</sup>

ومن قبيل ما وقع لي من العصر ما حكى أن الشيخ الإمام الحافظ أبو حفص  
ابن شاهين المحدث، كان في دكان رجل عطار في بغداد، وكان ذلك العطار يقرأ  
على الشيخ جزء من الحديث، وبينما هو ذات يوم في الدكان المفكور إذ جاءه

<sup>(١)</sup> الحديث: رواه الطبراني، وفيه إسناده الحسن، وهو ضعيف، مجمع الروايات ١٣٩/٢ .

<sup>(٢)</sup> سورة الانشراح، الآية ٦١ .

<sup>(٣)</sup> أخرجه الطبراني في المعجم (١٠٧/٢٠) رواه الحاكم في المستدرک من أسناده صحيحاً (٥٢/٢٠) .

رجل من الطوائف الذين يطوفون بالطعريات في الأزقة، ومعه خمسة دراهم  
وطبق، وكان رجلاً مسناً، فقال للعطار: اعطني بهذه الدراهم أصنافاً من الطعير  
سماها له، فأخذ العطار الدراهم ووضع له في الطبق من الطعير ما يساوي الخمسة  
دراهم، فأخذها الرجل وانتقل من محله وأراد أن يذهب، فزلقت برجله وانكسب  
الطبق بما فيه على الأرض، فجزع الرجل جزعاً عظيماً، وصار يحسب التراب  
على رأسه، فلما رآه الشيخ على الحالة، رق له، وقال له: يا هذا، لا تجزع هكذا،  
واعلم بأن أمور الدنيا كلها أهون من ذلك، فقال له: يا مولاي لقد علم الله تعالى أنني  
لست جازعاً على الخمسة دراهم، وأنني لأعلم أنها شيء يسير، ولقد كنت في  
الفاصلة الفلانية في السنة الفلانية وأنا أحد التجار، وضاع مني إذ ذاك هيمان<sup>(١)</sup> فيه  
أربعة آلاف دينار، وفصوص يواقيت، وماس يساوي أربعة آلاف أيضاً،  
فماجزعت ولا هلت، وذلك لأنني أعلم أن عندي غيرها، ولكن يا مولاي أني الآن  
في قل<sup>(٢)</sup>، ولم يبق عندي من العين إلا هذه الخمسة دراهم، وقد ولد لي ليلة  
البارحة مولود، واحتجت أن أتى لأمه بما تحتاجه النفس<sup>(٣)</sup>، وخفت أن اشتريت لها  
بهذه الدراهم أبقى بغير رأس مال، ولا أقدر على التكسب، فخطر ببالي أن أشتري  
بها عطراً، وأطوف به صدر النهار، لعلني أحفظ رأس مالي واستفضل منها شيئاً  
أمد به رفق النفس، فلما انكسب الطبق علمت أنه لا يعني إلا الفرار، فجزعت لذلك،  
فقال الشيخ أبو حفص للعطار: أجمع له من الأرض من الطعير ما تقدر على جمعه،  
وأكمل له ما نقص، وأجرك على الله، فامتثل العطار وجمع ما قدر على جمعه، وكمل  
له من عنده، وكان أمام دكان العطار، وكان آخر جالس عليه رجل من الجنود،  
وكان يسمع حكاية الطوائف فقام وقال للشيخ أبي حفص: يا مولانا أريد من فضلك  
أن تشرف منزلي أنت وهذا الرجل الفقير، فقال الشيخ في سره لعله يريد أن يعطيه  
ما يمد به رفق النفس، ويعينه على حاله، فأخذ الشيخ وتوجه به إلى دار الجندي،

<sup>(١)</sup> الهيمان: شيء يخط به الفرو والاشباه المصنوع.

<sup>(٢)</sup> في قل: أي في حال الفقر.

<sup>(٣)</sup> النفس: أي المرأة التي كانت معها ولم يمتزج عمره إلا من برأ.



مقتاربتيين ويقطع الجلد الذي بينهما (ثم) يقطع كذلك كل حد أربعة أو خمسة، ثم يضع القرن ويجنب الدم، وعندما يكتفى من اخذ الدم يقلع القرن، ولا يضغط على محله بيده، ولا بشيء آخر بل يضع في محل الجروح قطعاً، فيحبس الدم هنا ويجمد، ويبقى كالغدة وبهاتين الغلتين<sup>(١)</sup> يفتخرون، ومن لا غلتين له، يسمى عندهم جبناً فيهان ولا يكرم، وهاتان الغدتان يقال لهما في عرفهم دومتان تشبهان لهما بالنوم، الذي هو ثمر العقل، ويعتزون الأعراب، الذين لم يكن لهم عند مثيهم، ويقولون هذا من الجبن والخوف، ولو كانوا شجعاناً لكنت لهم دومتان، لأنهم يعتقدون أن الشجاعة انحصرت فيهم، وإن شجاعة غيرهم مهيما بلغت<sup>(٢)</sup> فهي بالنسبة لهم كلاً شيء وكليم عارياً<sup>(٣)</sup> الرؤوس كما ذكرنا إلا كبيرهم، فعلى رأسه عرقية سوداء، وعلى كتفه ملاء تدعى عندهم بالملحفة، فنزلوا عن خيولهم بعيداً عنا، ودعونا فسرنا إليهم، فقال كبيرهم: إن العقيد<sup>(٤)</sup> يسلم عليكم، فحيينا، ودعونا له والسلطان، ثم قال لنا: من أنتم، وماذا تريدون، فقلنا له كما قلنا أولاً، فدعانا وكتب أسامنا فرداً فرداً، وكم مع كل أسمان منا من جمل، وما بضاعتهم وما اسمهم، وما قبيلته، وما حاجته، ثم قال لنا: قتلوا وبعد القيلولة إرحلوا بنا إلى دار العقيد، فقلنا له: سمعاً وطاعة، فقلنا وأكلنا وشربنا ونمنا، حتى انبسط الخلل، وانكسر حر الشمس، فأمرونا بالنحميل، فحملنا، وركبوا خيولهم واحاطوا بنا، وسرنا سيراً حثيثاً فدخلنا البلد التي فيها العقيد آخر النهار، قبل غروب الشمس بقليل، فأدخلونا في دار العقيد، فوجدنا داراً في وسطها بطحاً واسعة، تقرب من رميلة القاهرة فلما رآنا على جبهة منها، فأخذنا المعلى فيها، وبعد أن رتبنا ما يلزمنا ترتيبه دعونا فقمنا جميعاً فأدخلونا وسط الدار، واجلسونا بأزاء ستارة، سائر من المرهيب، وخرج لنا رجل وقال: إن العقيد يسلم عليكم، فرددنا السلام، فقال لنا العقيد من وراء الستار: من أنتم؟ وماذا تريدون؟ ومن أين آبلتم؟ وما معكم من البضائع؟ فقلنا له ما قلناه

<sup>(١)</sup> في الأصل: وهن الغدتان.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: وإن شجاعة غيرهم وإن بلغت...

<sup>(٣)</sup> في الأصل: عارياً الرؤوس...

<sup>(٤)</sup> العقيد هو حاكم الأقليم الشرقي من دولة الروم كما هو معنى في هذا الكتاب...



وقال (له) يخرج في هذه الساعة بعض الثواني يتجسسون الاخبار، وأرسل فرساناً يذهبون الى اطراف البلاد، وينظرون ما حدث، ويكون بالاخبار، فقتل الوزير: سماً وطاعة، وذهب الى قائد البحر وأمره بأخراج احدى الثواني<sup>(١)</sup> كما أمر الملك، وأخرج فرساناً كذلك، فأخرج قائد البحر احدى الثواني وشحنها بالرجال فخرجوا بالمجاديف، وساروا ملجحين<sup>(٢)</sup>، فلما ابتعدوا عن الساحل سمعوا النساء ينادى يا غياث المستغيثين يا غياث المستغيثين ثلاث مرات، فنادوه ليبيك ليبيك، ويمموا نحوه وتركوه، ولذا هو رجل في اخر رمق، فأخرجوه من البحر ومالوه عن حاله فقال: انا كنت في سفينة وقد اتكمرت وتمزق شمل أهلها ما بين غريق وناج ولى ثلاثة ايام ولنا اسبح، ولو لم تتركوني في هذه الساعة لهلكت، فآخذوه ورجعوا من حيث اتوا، فلما أصبح قائد البحر وجد السفينة والرجال الذين أرسلهم، فسألهم لم لم يذهبوا؟ فحكوا له القصة وأروه الرجل الذي وجدوه، فقص عليه قصته، فقال السلطان: سبحان من لطفني لغريق في البحر حتى انجاء من ظلمات ثلاث: ظلمة الليل وظلمة الوحدة وظلمة البحر، فسبحان القادر على كل شيء.

قال الشاعر:

إن الأمور اذا النوت وقعت نزل النضا من الكريم فعلها

فأصبر لها فلعلها ولعلها ولعل من عند الأمور فعلها

ولنرجع الى ما كنا بصدد، فبت ليلتي ولنا في غاية من السرور، ولما أصبح الصباح جاعنا فلقناوى<sup>(٣)</sup> من طرف الاب شيخ عبدالله كماً، واخذ الحرمان بأجمعهم، كفانا الله همهم، وفي ضحى ذلك النهار توجهت الى دار الفقيه مالك وأعلمته بما حصل، فأظهر الفرح والاستبشار، وإن كان في قلبه المقيم المقعد من

<sup>(١)</sup> في الأصل: أحد الثواني وهو خطأ والأمور احدى

<sup>(٢)</sup> ملجحين: أي سارون بسرعة البحر ووسطه.

<sup>(٣)</sup> لقناوى: لغة العرب، وهي ملاقة، ويقوم الملاقة عادة بدمعة المستطير ومراحمه كما يلومون بعض الرحمة وصدقة المعروف في المصر.

نظر: نسخة الادب من ١٥٤.



حر النار، ثم انى أرسلت انى ضيعتى وقوت عائلتى ومكنت فى الفأشر حتى توالى  
الأمطار بصبها المزار، فامرت بالرجوع الى أبى الجدول<sup>(١)</sup>، وأن القيم بسىها ولا  
أحول، فارتحلت على الفور اليها، واقمت بين أظهر اهلها، واكثرت من زرع  
الحبوب لاسيما الدخن المرغوب، فنشأ زرعى على احسن حال، حتى تعامل لى  
الناس بحسن الحال، ولازال كذلك حتى امتلأ سنبله حباً، ومالت قلوب الناس اليه  
حباً، وقبل ايلان حصاده بقليل، قدم على من ملوك الفور ملك جليل والزمنى أن  
اصاحبه فى سفره، واكون جليسه فى حضره، ووعدنى بكل جميل ان وافقته على  
ذلك، فارتحلت معه من أبى الجدول رغبة فى رفته، وطمعاً فى الجزاء وعده،  
فسرت معه مسيرة يوم، وبست معه فى بلدة له فيها اصيلار، فمنعوه الذهاب وضيوفه  
ضيافة حسنة، وحو يلاطفنى ويحيينى، واذا دعوته<sup>(٢)</sup> ينيبنى، وبينما انا احسن معه  
حالى، بالبيان الحالى، اذ وصل اليها أحد رسل السلطان المدعوين بالفلاحة فى تلك  
الاوطن، فحيى الملك ومن حضر، وقال: أيكم ابن الشريف عمر؟ فقلت له أنا  
ذاك، جعلت فداك، فقال: إن السلطان يدعوك اليه، لتشرف بالمثل بين يديه،  
فاجبت بالسمع والطاعة، وجزعت حتى ظهر اثر الجزع لملك والجماعة، فقال  
لى: لم هذا الجزع والخوف والفرع؟ فقلت لانى لا أعلم لماذا يدعونى فقال: دع  
عك هذا التوسا، فما عليك فى هذا العلب من بأس.

وعلى ذكر لفظ ما عليك من بأس تذكرت حكاية وقعت من بعض الملوك  
وصورتها أنه كان له نديم ينادمه على الشراب، وكان له على الملك عادة، وحى  
انه كلما نادمه ليلة يعطيه جائزة، فوقع انه نادمه فى احدى الليالى ولم يجره بشيء،  
ثم انقضى المجلس وذهب الى داره، فقامت اليه زوجته فلم تر معه شيئاً، فقالت  
له: أين الجائزة؟ فقال لم يعطنى شيئاً، فقالت: أنا اعطيك، ثم دعت بجوارىها

(١) أو الجدول: معناه كبرى للبحر جنوب القاهرة، وكانت من القوافل التى تنقل على هذا نرى بها وبن سوق الفصاح معناه حرس

نام:

نظر: تشبه الامام من ٦٠.

(٢) أو الامل: (وما دعوت).

فحضرن، وأعطت كل واحدة منهن خفاً، وهى الأخرى ونزلت فى ساحة قفاه<sup>(١)</sup> وتبعنها فى ذلك حتى انضجته، ولما أصبح الصباح نوى الملك على الشرب، فأرسل للنديم يدعوه ليحضر المجلس فلم يقرر على الذهاب، لأن قفاه أصبح متورماً للغاية، فكتب للملك ما أصابه فى ليلته تلك، وكتب فى آخرها بيتين يقول فيهما شعراً:

وتراسلت بيض الأك كأنها الـ قصيق عند مجالس الاعراس

وتنابت سود الحفاف كأنها ـ وقع المطارق من بدى خامس

فلما وقف الملك على الرقعة والبيتين كاد أن يبك من الضحك، ودعا بالقاضى ورمى له الرقعة، وقال له: أجب عن هذين البيتين، فأجاب عنهما بقوله:

فأصبر على أخلاقهن ولا تكن ـ منخلتاً الابل خلق الناس

واعلم إذا اخلت عليك فانه ـ مافى وفوفك ساعة من داس

فأرسل إليه الملك البيتين وجائزة حسنة.. أمـ.

ومما يلحق بهذه الحكاية، ما وقع لأبى نواس، وهو أن الخليفة هارون الرشيد دعا بأحدى جواربيه، وقال لها انى معطيك لأبى نواس، وإياك أن تمكبيه من نفسك، بل كل ماطلب منك خذى الخف وانزلى فى ساحة قفاه، فقالت: مسمماً وطاعة، ثم دعا بأبى نواس وأعطاه الجارية، ففرح وأخذها وتوجه بها الى منزله، ولما كان الليل أراد فيها مايريد الرجل من أهله، فنزلت فى ساحة قفاه، فقال لها: ولم ذلك؟ فكانت لا تتكلم حتى ظن أبونواس أنها من البكم، وصارت كلما مد أبونواس يده اليها نزلت فى ساحة قفاه حتى انضجته، فأصبح متورماً فلما أصبح دعاه الخليفة، فلما مثل بين يديه، قال له: كيف كانت ليلتك يا أبانواس؟ قال: بخير يا أمير المؤمنين، إلا أن أمير المؤمنين عودها عادة كريهة، يشير بذلك أنها كانت تفعل بالخليفة ذلك، فضحك عليه وقال له: وقبح ما أردت.

<sup>(١)</sup> ونزلت فى ساحة قفاه أى نزلت مرة على ظهره.



ولنرجع إلى ما نحن بصدده، فلما أطولك<sup>(١)</sup> الليل خرجت على نية قضاء الحاجة، وأمرت غلامى أن يسرج لى دابتي، ويخرجها ظاهراً البلد، ويقف بها حتى آتية، ففعل، وغافلت القوم حتى ناموا، وخرجت وركبت دابتي وتوجهت أنا وغلامى وسرنا مجدين، فما أصبح الصباح إلا وأنا بأبى الجدول، فدخلت الدار، فاخبرت بان التفقاوى كان باناً عندهم فى الليلة الماضية، فأخذت زادى ووصيت أهلى وركبت دابة أخرى، وخرجت وجئت فى المير، ولم يقر لى قرار حتى دخلت القاهر وتوجهت إلى دار الفقيه مالك، فاستأذنت فى الدخول عليه، فأتى لى، فلما حضرت مجلسه رحب بى وأحسن لقاءى، وقال لى: إن مولانا السلطان أطلق سراحك، وأطال للسفر باعك، وأجل لك ثمانية أيام لاخير، فارجع وت بأهلك، وامرع كما يسرع الطير، فقلت: إن لى زرعاً قرب حصاده، فهلا يمهلى مسولاً حتى احصده، فقال: إن مولانا السلطان يريد أن يرسل الفقيه أحمد أبوسارة رسولاً إلى سلطان الوداي، ومرسلأ معه هدية ويريد أن تكون فى صحبتته، فإن أردت فجهز نفسك وسافر، وإن آبيت فلا تطمع فى السفر بعدها، وتكون قد خالفت أباك، بمكت بعد ذهاب الرسول المذكور، وأما ما تعنى من الزرع، فأمره يسير بالنسبة لما هو أمامك، وأنت امرؤ عاقل، فاختر لنفسك ما يحلو، فقلت له: أنا الولد وأنت الولد، فبرأيك أستدل، وبفيتك أستظل ولاغنى لى عن مشورتك، ولا أفعل إلا ماأمرنى به والمسلم.

فقال: يابنى لى نصحتك كما أمر الله، فإذا عزمتم فتوكل على الله واقطع الرأى الآن لأماى، لأعلم ما اتفق عليه رأيك، وأخبر به حضرة مولانا السلطان، فقلت: يامولاي على السفر قد أثبت عزمى خصوصاً بصحبة الفقيه أحمد أبى سارة، فإنه منخلص الاخوان، بل هو كالوالد الشفوق، فقال: إني فبادر لما أنت عليه عازم، واسأل الله يتيك المكاره والمغارم، فخرجت من عنده وتوجهت إلى أبى الجدول، وأخذت أهلى، وتركت جميع زرعى على سوقه، وقد أن نفاق سوقه، لكن جمعت أناساً كثيرين وأشهدتهم أنى قد وهبت الزرع لخادم لى كان يدعى عبدالله جراب،

(١) أطولك: أى انتصت ظمت، وأصبح سالكاً فى مثلاً.

وأخذت أهلي وارتحلت، فلما وصلت القاهرة دخلت على الفقيه مالك، فأعطاني حال دخولي عليه منشوراً من السلطان فيه الاذن لي بالسفر، والوصية على لجميع العمال، خصوصاً لعمال الولاية الغربية، وأن يركب معنا بجيشه حتى نصل إلى المحل الذي نأمن على أنفسنا وعيالتنا، وقال لي: خذ المنشور وارجل في هذه الساعة، وأترك الفقيه أحمد أبوسارة، فإنه في انتظارك في كباية<sup>(١)</sup>، فقلت سمعاً وطاعة، وأخذت المنشور وودعته، وبت ليلتي، وأصبحت مرتحلاً، فوصلت كباية بعد يومين، ونزلت بسوق الشجاع، في بيت السيد أحمد الصغير، وهو ابن أخ السيد أحمد البدوي الذي كان اخذني من مصر، فاقمت عنده نحو ثلاثة عشر يوماً، حتى اجتمع<sup>(٢)</sup> علينا الناس كثيرون، يريدون السفر إلى بلاد وداي ثم ارتحلنا إلى الولاية الغربية، وهي بلاد المساييط<sup>(٣)</sup>، فسافرنا مدة خمسة أيام، ونزلنا على ملك الولاية الغربية في ماسمها فنزلنا عليه وأطلعناه على الأمر السلطاني الذي معي، ومع الفقيه أحمد أبوسارة، فبش وبش واجاب بالسمع والطاعة، ووعنا أنه سيذهب معنا بجيش إلى محل الاطمئنان، كما وعد الله موسى ابن عمران<sup>(٤)</sup>، فاستقلنا الميعاد، وخفنا على زائدنا من النفاد، فقال الحق أقول، وعنه لا أحول، لني في هذه المدة مشغول، ولا اقدر فيها على تبليغكم المأمول، فإن رضيتم حباً وكرامة وإن أبيتم فبالسلامة، فقلنا له في الثروة والتحارب<sup>(٥)</sup> فأبى، وعن مقصدنا

<sup>(١)</sup> كباية: اسم مركب من كلمتين "كبا" ومعناها لغة الثور القوارق، وهي اسم مدينة كبيرة كانت منذ زمن التواري لغة السكان وضع على حد ٩٢ ميلاً من القاهرة، وهي سوق كبير لمحات عظم على مره، كانت مسرحاً لفتنة سلاطين الممور مع التواري صاحبة في مصر السلطان أحمد بك (١٦٨٢-١٧١٢) وكانت مسرحاً وأمن النصر فيها لسلطان دارفور على السودان والسوق بوزدها التواري في هذا الكتاب، ولما كانت كباية من اليوم من أهم مدن ولاية شمال دارفور.

<sup>(٢)</sup> في الأصل "اجتمعت"

<sup>(٣)</sup> المساييط أو المساييت: عرط من التروج والدير والحرب يتكلمون لغة خاصة بهم، بلغ مساحة بلادهم حوالي ٧٠٠٠ ميل مربع وأخذها من العرب والممور، دار وداي وصلاح، ومن الاحتلال الفرنسي ودار وداي، ومن التواري القور وهي قبيلة ذات تاريخ عريق معق، وهي من أهم القبائل التي جندت في الحرب ضد الاستعمار الفرنسي ١٨٧٠م وبوفاة في بلاد وداي بعد أن سقطت دولة القور التي كانت المساييت يعرفون لها أهم المساييت أن دولة السودان في عام ١٩٢٠م بموجب اتفاقية بلاد، وضع بلادهم ضمن ولاية غرب دارفور الآن.

مكرر: Macmillan: op cit pp ٥٨٠٨٨ - سجل الأحداث من ١٢٦ - لبلاد السودان - أحمد مصطفى إسماعيل من ٢٠٩.

<sup>(٤)</sup> روي أن الله قد وعد موسى بن عمران بالذهب إلى سيناء بعد ثلاثين يوماً، يخبرها موسى صلاته.

<sup>(٥)</sup> عبارة "فقلنا له في الثروة والتحارب" أي حاولنا حماة ولرواحه، كما روي من المحلل القار تحليل وملاحظة آخر صلاه.



نبا<sup>(١)</sup>، فلما رأيناه عزم على التصميم، وأبى إلا موعد الكليم، رضينا بما قال،  
وانتظرنا ما يزول إليه الحال، فلما تمت العدة شكونا له ما لقينا من الشدة، فوعظنا  
بالرحيل بعد ثلاثة أيام، ولم ندر أنه كعرقوب من المنام، فمضت ثلاثة فلي ثلاثة  
فسلمنا المقام، وعزمنا على الرجوع إلى المقام، ولما رأى منا ذلك همهم وندمهم،  
وتأسف وتندم واعتذر بأعذار موجبة للقبول، وقال بعد ثلاثة نرحل والله المأمول  
فصبرنا له رغباً عناء، وبعد الثلاثة جنأه وقلنا له: اتجز حر ما وعد وسح خال إذا  
رعد<sup>(٢)</sup>، فخرج بجيشه وجنده وأرتحل بنا مسيرة ثلاثة أيام كانت عندها كثرة  
أحلام، ونزل في رابع النهار على بيت له في آخر ليالته. أقام به أسبوعاً، يجمع  
في خيله ورجله، وقد طال علينا المطال، وخشينا تغير الحال، فوفيت عليه في تلك  
المدة وفود وأى وفود، حتى امتلأ السهل من كثرة الجنود، ولما رأى كثرة العساكر  
التي قدمت عليه وكثافة الجند الذي صار بين يديه، انن بالرحيل، وأمرنا بالتحميل،  
فأرتحلنا ضحى من النهار، ودخلنا في وسط ذلك الجيش الجرار، فرأينا جيشاً  
عمرماً، وجنداً كثيفاً متراماً، فدخلنا الخلاء الكائن بين الدارين، لفاصل بين  
الحكومتين، فرأينا فيها من الوحوش والغزلان والأرانب والفيلة ما لا يحصى عدده،  
ولقد رأيت في ذلك النهار أن الأرنب يخرج في وسط الصيف، ويجرى حتى  
يتعب، فيقتل ولا يجد للخلاص مناصاً فقتلوا من تلك الوحوش ما شاء الله أن يقتلوا،  
حتى جاء وقت القائلة وقال الملك وقتنا<sup>(٣)</sup>، وشووا من تلك اللحوم وأطعمونا فأكلنا  
كذابتنا ثم أرتحلنا وسرنا قليلاً، فوقف الملك وأراد أن يرجع فأبيت وقت له: إن  
رجعت رجعت معك، لأننا الآن في الخلاء، ولا نأمن على أنفسنا، فاعتذر بأعذار  
واهية، وقال: إن لي أشغلاً، فقلنا له: ليست أهم من هذا<sup>(٤)</sup>، فعند ذلك عين لنا قائداً  
من قواده ومعه ما ينوف عن خمسين فارساً، وأمره أن يصاحبنا حتى نبلغ مأمناً،  
ونقول له أرجع وأوصاه وأكد عليه وودعنا الملك والكفاً راجعاً، وصحبنا قائده

صح من الحرم وأمر أن

<sup>(١)</sup> أي أتى ولم يقطع غول الحصار: لا أعلم كمن لا يسهل ما

<sup>(٢)</sup> (وصح حال ما رعد) أي أن السحب لا رعدت لمطر.

<sup>(٣)</sup> (وقال الملك وقتنا) أي نزل وقت القائلة فقتلوا منه حتى لم يبق القائل.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: لا أعلم من هذا...

المنكور الى العصر، وأركب الرجوع، فما مكنا، وقتلنا له: كيف تتركنا هاهنا مع  
 اننا قوم عزل، وأن ظهر علينا أربعة شاكى السلاح<sup>(١)</sup> لأخذوا مالنا وأرواحنا ويبقى  
 دمننا في ذمتك، فقال: اعلموا أنكم قد دنوتم من زراعة الوداي ونحن لاأمن أن  
 يروناهم لنا أعداء، فيأتونا وتقع<sup>(٢)</sup> الحرب بيننا وبينهم، وتكونون أنتم السبب في  
 ذلك، فتوصلنا له بكل ولى ونبي، ووفقلنا له في الثروة والقراب، حتى مهلت  
 عريكته ولأنت سجيته، فمشى معنا بعد ذلك نحو ربع ساعة، وتوقف عن الذهاب  
 وقال: لاأقدر أن أقدم من هاهنا قنماً واحداً، وحلف أنه لم يسبق لأحد وصل  
 بالمساكر<sup>(٣)</sup> الى هذا المحل، الا أنتم ثم عين معنا أحد الأدلاء، وودعنا وانكفأ  
 يركض هو وجماعته.

فلما كان بعد ذهاب القائد بقليل استوحشنا، وصار كأن الأيك كله رجال  
 (الوداي) ودخلنا من الخوف مايعظم وصفه، وما أمسى المساء وفي أحد منا رموق  
 من الخوف، فلما ادلهم الغسق، أخذنا المطايا، ولخوفنا من السباع جمعنا حطباً  
 كثيراً، وأججنا الركايا<sup>(٤)</sup>، وبنا في أبج ليلة من الخوف، ولم يكتحل بالنوم فيها الا  
 كل بليد، لأن زئير الأسد وعواء الضباع والذئاب، قد أخذ باسماعنا<sup>(٥)</sup>، ولقد رأينا  
 في تلك الغابة من الفيلة ما لاأقدر على حصره، ورأينا أنياب الأفيال الميتة منها،  
 ما اصفر من الشمس، حتى ضرب الى السواء، ومنها الذاب الذى لايقطع اليأزك  
 ومنها الذاب المغلوق قطعتين، ومن كل صنف من الانياب المذكورة رأينا شيئاً  
 كثيراً.

فبنا حارسين لامتعتنا وأرواحنا الى الصباح وماطلعت الشمس الا ونحن قد  
 اتممنا التحميل، وأخذت العيس في الرحيل، فسافرنا نحو ثلاث ساعات، ثم دخلنا  
 في أرض يظهر أنها كانت مزروعة، وعند ذلك وقف الدليل، وقال مالى للمجازرة

<sup>(١)</sup> أربعة شاكى السلاح\* الى مسلح.

<sup>(٢)</sup> في الأصل\* وتقع الحرب\*.....

<sup>(٣)</sup> في الأصل\* لم يسبق لأحد وصول بالمساكر الى هذا المحل\*.....

<sup>(٤)</sup> أججنا الركايا\* أى أشعلنا النار على الحطب\*.....

<sup>(٥)</sup> في الأصل\* اطلنا باسماعنا\*.....



عن هذا المحل من سبيل، وودعنا وانصرف بهرول خائفاً على نفسه، وسرنا نحن نحو ربع ساعة، فما راعنا الا وأناس قد اقبلوا شاكين السلاح<sup>(١)</sup>، بأيديهم الحراش والرماح، ورمونا بالسلاح فوقنا وقتلنا لهم لآثرمونا، فنحن ضيوف، فقالوا لنا: تقوا مكاتكم، حتى نعلم الملك<sup>(٢)</sup> بكم، فوقنا في الحر، ومامكنونا من الدخول تحت الفيء فقيتنا ظلال المعلى، ووقفوا امامنا بالسلاح، ومانعينا من الغزو والرواح، ورجعوا ادهم ليعلم الملك، فغلب نحو نصف ساعة وقم الملك علينا في نحو عشرة فرسان، في عنق كل فرس من خيلهم ناقوس من نحاس، حاد الرنين، فجاءوا حتى قربوا منا، ونزلوا عن خيولهم، في ظل شجرة، ودعونا فجئنا اليهم، فانسب واحداً<sup>(٣)</sup> من اتباعه، فقال لنا: ان الملك يسلم عليكم، لان العادة ان الملك وان كان حاضراً لايتدى بالكلام بل يتكلم واحد من اتباعه، فردنا عليه السلام ثم قال: يقول لكم: من انتم؟ ومن اين اقبلتم؟ وماذا تريدون؟ فقلنا له: نحن جئنا من دارفور، فمننا من هو تاجر<sup>(٤)</sup>، ومعنا رسول من سلطان الفور الى السلطان، ومننا من ليس بتاجر كابن الشريف عمر التونسي، فكتب اسماعنا في ورقة كتبت معه، وركب الملك في خمسة فرسان، وأبقى معنا خمسة، وأولئك الرجال الأول، وقال: مكاتكم حتى ياتيكم أمرى، فأتينا مطايلنا، وجلسنا في ظل تلك الشجرة، وطلبنا ماءً فأتونا به، ومكثنا كذلك نحو ساعتين، ثم مارا عنا الا وكرويس من الخيل قد اقبل وفي عنق كل فرس جرس، وثيابهم كالثوب نساء فلاحى<sup>(٥)</sup> مصر، النسي تسمى بالبدوى، عاريى<sup>(٦)</sup> الرووس، وفي خد<sup>(٧)</sup> كل انسان منهم غدة، لثبه بغدة الطاعون من أثر الحجامة، وماذاك الا أن الحاجم وقت الحجامة بعد أن يجذب الجلد بالقرب حتى تتورم، ثم يمسك الجلد بين أصبعيه ويقطع بالموس فطعن

<sup>(١)</sup> شاكين السلاح، أي معلنين السلاح...

<sup>(٢)</sup> الصورة بالشك هنا هو لموس الناحية وليس مثلث الرووس.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: فانسب واحد وهو خطأ والصواب واحداً لأنه معروف.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: فسماعنا ناصر... والصواب: من هو، لأنها تعمل.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: فلاحين مصر...

<sup>(٦)</sup> في الأصل: عاريين الرووس...

<sup>(٧)</sup> في الأصل: في خد أو إحدى كل واحدة...

مقاربتي ويقطع الجلد التي بينهما (ثم) يقطع كذلك كل حد أربعة أو خمسة، ثم يضع القرن ويجنب اللحم، وبعدما يكتفى من اخذ اللحم يقطع القرن، ولا يضغط على محله بيده، ولا بشيء آخر بل يضع في محل الجروح قطناً، فيحبس الدم هنا ويجمد، ويبقى كالغدة وبهاتين الغدتين<sup>(١)</sup> يفتخرون، ومن لا غدتين له، يسمى عندهم جبلاً فيهان ولا يكرم، وهاتان الغدتان يقال لهما في عرفهم دومتان تشبیهاً لهما بالنوم، الذي هو ثمر العقل، ويعتزون الأعراب، الذين لم يكن لهم عند متلبهم، ويقولون هذا من الجبن والخوف، ولو كانوا شجعاناً لكانت لهم دومتان، لأنهم يعتقدون أن الشجاعة انحصرت فيهم، وإن شجاعة غيرهم مسها بلغت<sup>(٢)</sup> فهي بالنسبة لهم كلاً شيئاً وكلهم عاروا<sup>(٣)</sup> الرؤوس كما ذكرنا إلا كبيرهم، فعلى رأسه عريقة سوداء، وعلى كتفه ملاءة تدعى عندهم بالملحفة، فنزلوا عن خيولهم بعيداً عنا، ودعونا فسرنا اليهم، فقال كبيرهم: إن العقيد<sup>(٤)</sup> يسلم عليكم، فحيينا، ودعونا له والسلطان، ثم قال لنا: من أنتم، وماذا تريدون، فقلنا له كما قلنا أولاً، فدعانا وكتب أسماءنا فرداً فرداً، وكم مع كل اسم من منا من جمل، وما بضاعتيه وما اسمه، وما قبيلته، وما حاجته، ثم قال لنا: قبلوا وبعد القبلولة ارحلوا بنا إلى دار الفقيه، فقلنا له: سمعاً وطاعة، فقلنا وأكلنا وشربنا ونمنا، حتى انبسط الظل، وانكسر حر الشمس، فأمرونا بالتحميل، فحملنا، وركبوا خيولهم واحاملوا بنا، وسرنا سيراً حثيثاً فدخلنا البلد التي فيها العقيد آخر النهار، قبل غروب الشمس بقليل، فدخلنا إلى دار العقيد، فوجدنا داراً في وسطها بطحاً واسعة، تقرب من رميلة القاهرة فأشاروا لنا على جهة منها، فأتخنا المعلى فيها، وبعد أن رتبنا ما يلزمنا ترتيبه دعونا فقمنا جميعاً فدخلونا وسط الدار، واجلسونا بازاء مقارة، سائر من المرهيب، وخرج لنا رجل وقال: إن العقيد يسلم عليكم، فرددنا السلام، فقال لنا العقيد من وراء الستار: من أنتم؟ وماذا تريدون؟ ومن أين أتيتم؟ وما معكم من البضائع؟ فقلنا له ما قلناه

<sup>(١)</sup> في الأصل: وهدى الغدتان.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: وإن شجاعة غيرهم وإن بلغت...

<sup>(٣)</sup> في الأصل: عاروا الرؤوس...

<sup>(٤)</sup> العقيد: هو حاكم الأقاليم المطرف من دولة الدولة كما هو مع في هذا الكتاب...



أولاً وثانياً، فسأل كلاً منا عن اسمه ونسبه، ومن أى بلد مجيئه، فاخبرنا عن ذلك  
 كله، فقال بعد ذلك مرحباً بكم، وأنتم ضيوف مولانا السلطان، قوموا الى موضعكم،  
 ها لنا لرميل الى مولانا السلطان خبركم، وانتظر ماذا يكون جوابه فقمنا الى رحالتنا  
 (وقام) هو وأخرج فارساً فى تلك الساعة، وأعطاه مكتوباً للسلطان، وجعل القائمة  
 التى فيها اسمائنا طيه، فخرج الفارس من ساعتنا، وأقمنا فى انتظاره سبعة أيام  
 وفى كل ليلة نأتينا منه ضيافة، وكان ذلك العقيد يسمى جاب الله وهو حاكم الولاية  
 الشريكية، ويسمى فى عرفهم عقيد الصباح، أى حاكم الجهة التى يصبح منها  
 الصباح، فلما كان اليوم الثامن لم نشعر الا وكردوس من الخيل والرجل أقبل،  
 ومعهم طبل من خشب، طويلة كالكتابة السماء فى عرف المصريين بشراكة، له  
 صوت حاد ومعهم أبواق، كل بوق يقرب طوله من ثلاثة أذرع، له صوت غليظ  
 مفزع، فحين قربوا من البلدة ضرب الطبل، ونفخت البوقات، فخرج العقيد جاب  
 الله وجماعته، وتلقوا القادمين، فدخلوا فى دار العقيد وفى عنق كل فرس من خيلهم  
 ناقوس، وأغشية خيل الجميع كلها من جلد احمر، وكلهم فى ذلك سواء، العقيد  
 والملك والاتباع، وحين نزلوا من خيولهم واستقر بهم المجلس، دعونا فذهبنا اليهم  
 وجلسنا امامهم، فقال أحدهم: ان السلطان يسلم عليكم، فرددنا السلام وقرأنا الفاتحة  
 ودعونا للسلطان بالنصر والظفر، فقال لنا احدهم، وكان يسمى كامكلاك<sup>(١)</sup> ناصر،  
 من أنتم؟ ومن اين اقبلتم؟ وماذا تريدون؟ وما معكم من البضائع؟ فاخبرناه عن  
 اسمائنا كما أخبرنا العقيد وغيره، فوجده موافقاً، فأمرنا بالأهبة للسفر، ولنا الرحيل  
 فى غد، فبتنا فرحين، ولما أصبح الصباح ارتحلنا، وركب الكامكلاك وجماعته،  
 وساروا بنا يومين، وفى مغرب اليوم الثالث أنزلونا فى بلد يقال له عبالى، ينزلون  
 كل مسافر أتاها من مملكة غير مملكتهم، فيمكث بها ثلاثة أيام، أشبه بمايفعل من  
 فكرائتنا فى أمصار الاقرنج، وأمصارنا الآن، ولما أهل ودائ فانهم لا يعرفون

<sup>(١)</sup> الكامكلاك: والجمع كماكنة، وهم مستندون السلطان الذين يمسرون بحله عند السفر والدموى وشراعت ولم يرد كمر  
 تسمي شئون الدولة فى سلطة الرواى ويمكن تشبيههم بالاصول فى الحاكم الاعلى فى دارفور، واحداً بالتميز فى القضاء الاملى.

الكراتينا، بل وجدوا أسلافهم كذلك يفعلون ففعلوا مثملهم، فأخذنا في عبالى  
المذكورة، وبتنا ضيقى الصدر<sup>(١)</sup>، لحبنا عن احبابنا، ولما كان بعد العشاء لم  
نشعر الابعى المسمى زروق قد قبل، وذلك (بعد) أن بلغه انى جنت مع الفقيه  
أحمد لبي سارة وكان والدى لاذك توجه الى تونس بعد ان ينس من ادومى عليه،  
فلما علم بقومى استأنن السلطان فى نقلى من عبالى فى تلك الساعة، فأنن له،  
فجاء وأمرنى أن أحمل جمالى فحملت، وتوجه بى الى دار لبي، وكنت فى طرف  
البلد وقريبة جداً من عبالى، فما مشينا نحو خمس دقائق الا وقد أخذنا فى دلوننا،  
وبت مع عمى فى انعم ليلة<sup>(٢)</sup>، فلما أصبحت رأيت عمى، وحيوط الدار حمرا كما  
أخبرنى أسحاق الرمال، فتعجبت من ذلك، ولولم عمى وليمة لقومى، ودعا الناس  
للطعام، وازدحمت الدار من المسلمين على، ولما كان وقت المساء حضرت لنا من  
بيت السلطان ضيافة عظيمة، فيها اثنتى عشرة باطية<sup>(٣)</sup>، والباطية فى عرفهم أناء  
عميق مربع من خشب مستطيل، فى كل طرف من طرفيه عروتان، فى كل عروة  
سلسلة، وهذه الباطية قصعة، فى كل قصعة أربعة سلاسل، يعلقها أربعة من العبيد،  
فكانت جملة العبيد الحاملين للجفان ثمانية وأربعين عبداً، يقدمهم طواشي<sup>(٤)</sup> صغير،  
من طرف السلطان، يسمى فى عرفهم طويرق، لأن جميع العبيد الذين يرسلهم  
السلطان يسمون طويرات، وهم الذين يسمون فى عرف الفور بكوركوا، فتقدم  
الطويرة المنكور، وقال: إن السلطان يسلم عليك يا ابن الشريف، وقد أرسل لك  
هذا العشاء ضيافة، فقبلناه ودعونا للسلطان، وأعلننا العبيد الحاملين جفنة منها،  
فأكلوا حتى شبعوا، وبقيت فيها بقية، وهذه القصاع كانت كلها مملوءة بالطعام  
الفاخر، فكان منها اثنتان<sup>(٥)</sup> مملوءتان بارز مصنوع بعمل يسمى فى عرف مصر.

<sup>(١)</sup> فى الأصل "وما مهنى الصدر..."

<sup>(٢)</sup> فى الأصل "بعم لقا..."

<sup>(٣)</sup> فى الأصل "ثنى عشر باطية، وهو حقا : وأصوب : ثنى عشرة باطية..

(٤) الطواشي : طرد المبع طواشي وهو أحمد الحمى.

مطر : نسخة الادب من ١٧٢.

<sup>(٥)</sup> فى الأصل : منها اثنتان مملوءتان.



بالزردة، واثنان<sup>(١)</sup> مملوءتان بالدجاج المقلو في السمن، واثنان مملوءتان بفصوص الحمام، وأربعة مملوءة بالعصيدة المتقنة، والأدم العظيم، وواحدة مملوءة بالتفطير الجميل، وعليه العمل الذي لا نظير له، وواحدة مملوءة باللحم المحمر في السمن، وجميع ما ذكر من النجاج والحمام واللحم المعمول في السمن بحيث لو أركب الإنسان أن يصفى السمن منها لملأ قدراً، فأكلنا وفرقنا على الجيران والعبيد والخدم، وبقي من الحمام والدجاج واللحم شيء كثير، وفي ثاني ليلة أرسل لنا السلطان سبع جفان مملوءة كذلك، وفي الليلة الثالثة كذلك أيضاً، وفي ثالث الأيام حضر لدونا الكاملاك ومعه الشيخ محمد رئيس ترجمة السلطان، وهو كبقية الترجمة يسمى في عرفهم ختم الكلام، واخذوا مني الهدية التي أريد إهداءها للسلطان.

وكانت قليلة، فمنها عشرة أرطال من القهوة اليمني، وعشرة أرطال من كعب الطيب، وعشرة أرطال من الصابون، وحلقان من الملك النحاس الأصفر، زينة كل حلقة رطلان، فكتبوا جميع ذلك وذهبوا به، وبعد ساعة حضروا وقالوا إن السلطان يسلم عليك، وقبل هديتك، وكانت هديتي من أصفر الهدايا وأخسها منزلة، لكن إنما قبلها لحبه<sup>(٢)</sup> في الذي، ولما كان المساء حضر غننا طويرة من طويرات السلطان، ومعه بقعة وسريتين عظيمتين، أحدهما بكر والأخرى ثيب، لكن الثيب أجمل من البكر، وأحسن زينة، وقال: إن مولانا السلطان أهدي لك هاتين<sup>(٣)</sup> السريتين وهذه الثياب، فدعونا للسلطان، وقرأنا له الفاتحة، وبيتنا ليلتنا تلك، ولما كان ضحي الغد أتت طويرة ومعه أناس حاملون لأشياء كثيرة، وجمال محملة، فوضعوا ما على أعناقهم، وانزلوا الحمول، وقال الطويرة: إن السلطان أهدي لك هذه الأشياء، فإذا فيها خمسة<sup>(٤)</sup> جرار من العمل وعشرة سمن، وجمالان

<sup>(١)</sup> في الأصل: "اثنان مملوءتان".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "لحبه في الذي".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "هاتين السريتين".

<sup>(٤)</sup> القدر المذكور هو خمسة أرطال وثلثون درهماً في غل الشام وحسنه مارياً وجميع من أطعمنا السمن، لم يمسك وبنود وودعه.

من الثور، وجمل من السمك المملح، وجمل من التكاكي<sup>(١)</sup>، وجواد لزرق، عليه  
مرج يقوده عبد سباعي وجاريتان للخدمة، فقبلنا ذلك ودعونا للسلطان، (ثم) فتحنا  
البقعة، فإذا فيها ثوبان من أرفع ما يوجد من الثياب، أحدهما أبيض والثاني أسود،  
يساوي كل ثوب منهما رأسين من الرقيق، وطاقة من البفتة الانجليزية وكان في  
الهدية ثوران سميدان للذبح، وناقاة للذبح أيضاً.

وبعد قليل أخذ يتفقنني بالأطاف حتى أنه ارسل لي مرة ففتين صغيرتين،  
في كل فئة منهما مائة بيضة من بيض دجاج الولدي وملاك الابن الدجاج  
المذكور وحش فيبيض في وقت التربع في الخلاء بيضاً كثيراً، ويجمعه أهل تلك  
النواحي فيجتمع عندهم منه شيء كثير، وعليهم للسلطان عادة فيه، في كل سنة  
ياتون بها، فيجمعون للسلطان في كل سنة أكثر من مائة حمل بغير<sup>(٢)</sup> منه، فما  
كنت هناك في تلك السنة، وجاءوا بعوائد البيض، فرقه السلطان على أرباب دولته  
بحسب مقاماتهم وناقلني منه التفتلن.

فمكنت في دار ودای أربعة أشهر ولم أر السلطان، ولا رأيته إلى أن قدر  
الله عليّ واحترقت يدي من البارود، وذلك أنني كنت أريد أن اشتري زوج  
طبنجات، فأردت اختبار زندهما، فوضعت في قلب إحداهما<sup>(٣)</sup> باروداً من جراب  
فيه بارود، فحين اتكأت على الغماز، ثار البارود، (وكانت<sup>(٤)</sup> هناك) شرارة وقعت  
على الجراب وكان فيه نحو ثلاثة أرطال، فارتفع اللهب إلى الجو، فاحرق يدي  
اليمنى وذراعي إلى قرب الكتف، واحترق معي رجل يسمى شمس، كان خائماً  
لأبي، فقامت من الألم غاية المشقة حتى أشرفت على الموت، وبلغ السلطان  
خبري، فتألم ووصف لعلاجي زيت الزيتون القنيم، فأرسل لي قدره زيت عمره

<sup>(١)</sup> التكاكي: الثور؛ نكة، وهو نوع من الثمار يصنع منها في دار فور ورواني من انظر الحلي، ويأخذ في الاسوط في شكل قطع  
بعضها النسي وبمسوحها حاصلة الثراء وتواسط الناس.

<sup>(٢)</sup> هنا المدة صانع له، ولكنه يمر من كثرة هذا النوع من السفر في ودای في فصل الخريف وليس الربيع.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "في قلب أحدهما..."

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "وكان شرارة..."



أكثر من ستين سنة، حتى أحمراً وأمراراً<sup>(١)</sup>، فكان هو دوائي، ولما شفياني الله،  
وركبت وصليت الجمعة مع السلطان، أخبر بخروحي، فسر، ولما كان الليل أرسل  
لي طويرة، فاحضرني عنده، وكان في محل ليس فيه غيره، فسلم علي، وانساني  
ورحب بي ولاطفني، وأمرني بطلب العلم، وحضني عليه، وأن ألزم درس الفقيه  
السيد أحمد القاسي، فامتثلت أمره، ولأزمت درس الفقيه السيد أحمد المذكور مدة  
سنة، فحضرت عليه كتاب أبي الحسن، شارح رسالة أبي زيد القيرواني المالكي،  
وربع كتاب الأجاره من شرح الشيخ أحمد الترييري، علي مختصر الشيخ خليل،  
حتى ظهر لي منه عدم الود فقطعته.

<sup>(١)</sup> أمرار : أي أصبح مرراً، هكذا ورد في المؤلف.

## الفصل الثاني

في طول دار وداي وعرضها وما اشتملت عليه من الطوائف وكيفية ارضها

وأما أجناس ما فيها من الامر على اختلاف أحوالهم وقبايل اشكالهم

اعلم ان المنفرد في ملكه بالبقاء والدوام، الفعال في خلقه ما يشاء من الاحكام، اختار من اصطفاه من عباده علي حسب مراده، وتجلي عليهم بما لا سمه الباسط من الأنوار، فجعل كلاً منهم حاكماً على قطر من الأقطار، وإن مما افتخر بها ملوك السودان، وشاع ذكرها في جميع الأقطار والبلدان مملكة أولاد صليح، المسماة دار وداي، فهي كالورد بين الأزهار، وكجنة تجري من تحتها الأنهار، لما جعل الله فيها من انواع الخيرات، وما بسط لأهلها من البركات، فكم فيها من نهر راق سأل فصار كاللجين، وحنيفة تفتح أزهارها، فكانت تنظر كأنسان العين وكم فيها من أراك لرض علي شاطي النهر ثياباً، وببل غرد علي ذلك الأراك فلزال عن القلوب لزجاجاً، هذا وإن طول مملكة الوداي كطول مملكة الفور، وعرضها أقل من عرضها، فهي أخف لرضاً، فستان ما بين اليوم والامس، وأين القمر من الشمس، وأين الروض من القفار، وأين الجنة من النار، نعم وإن كان في دار فور بعض أماكن تقرب صفاتها من صفات لرض الوداي، إلا أن أكثرها أقولاً<sup>(١)</sup> بعيدة عن الماء، شديدة الظلماً، ترى أهلها أخذهم النحول والاصفرار، وأضر بهم العطش ثم إضرار، يقترون علي أنفسهم في شرب الماء، كأنهم في سفينة ضلت عن مقصودها، ولم تعرف في أرض هي أم في سماء، ولما أرض الوداي فمعظمها أنهار دافقة، وأشجار باسقة، عليها طيور بالألوان ناطقة، فلا تجد من دار الصباح التي هي أول بلاد الوداي من ناحية المشرق الي البحر الذي هو أقصى مملكة الوداي من جهة الغرب مفزة، يحتاج فيها الي حمل الماء، بل كلها أبار وأنهار، ومزارع وأشجار، وذلك مسافة نحو لتي عشر يوماً للمسافر.. وكلها عامرة أهلة ما عدا بعض أماكن قليلة، لا تعد لقتها، ولذلك إذا أعطي الانسان في

<sup>(١)</sup> النوار: جمع نورة، والنور هو حارة من أراضي رملية موحشة الخلق للحرارة، خاصة الخصب كالذي في السمر والقرى السودانية وهي من أصل لما كان في حارة في الطرف لسمو الأشجار فيها وحلوها من الغراب.



دار وداي إقطاعاً ولو بدأ واحداً، أحسن من أن يعطى في دار الفور عشرة بلاد، لعمار هذه وخراب تلك، فلذا تقرر ذلك علمت ما بينهما من التفاوت، ولو رأيتها لقلت أين الثريا من يد المتناول أو قلت أين الثريا من الثري، وأين الحسام من المنجل ومن أعابها فقد عذا شعراً:

كسر ان الحسناء قلن لوجهها حصداً وبغضاً إنه للذمير

على أن أهل الوداي وإن كثروا أقل تمدناً<sup>(١)</sup> فهم أكرم نفساً واشفق على الغرباء، ولهذا {فلن} سلطاتها لأكرم السلاطين على الإطلاق، وأحسنهم سياسة بالاتفاق، من رأي دار مملكته بهيم ويقول: إن هذا المقام كريم، لأن ولده قد وضعت بين ثلاثة جبال، وليس لها إلا طريقان في أي حال من الأحوال، أحدهما لو وقف فيه عشرة رجال لمنعوا من يريد التخلول فيها<sup>(٢)</sup>، وإن كانوا بعدد الرمل والحصى، وثانيهما لو وقف فيه شخصان لمنعوا من يريد التخلول فيها<sup>(٣)</sup>، ولرض ولده أرض طيبة، جلدة بين الصلابة والرمليّة، بخلاف تنديني<sup>(٤)</sup> التي هي قاعدة مملكة الفور، فإن أرضها رمل كرمل عالج تنفوس فيه الاقدام، وينثر منه النقع على الدوام، وفي ولده أبنية جميلة بالنسبة إلى أبنية تنديني، لأن جميع البيوت التي في تنديني من قصب النخن، حيوطاً وبيوتاً ونهاية الأمر أن لكل بيت زريبة من الشوك، ومحل السلطان هو وغيره في ذلك سواء، ما عدا أن في بيت السلطان أربعة<sup>(٥)</sup> بيوت مبنية بالطوب، جعلها مخزناً للأمتعة، خوفاً عليها من النار.

وأما بيوت ولده فأكثرها بناء وحيوط كالأسوار، خصوصاً بيت السلطان، فإن فيه القصور والمشربات والأسوار العظيمة، وليس عليه زريبة من الشوك، بل عليه سور من البناء محيط به إحاطة الهائلة بالتمر والأكمام بالنمر، كما أن أرض

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وإن كانت أقل تمدناً.."

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "لمنعوا من يريد التخلول إلى ولده.."

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "لمنعوا من يريد التخلول إليه.."

<sup>(٤)</sup> تنديني: وهي عاصمة مملكة الفورو، وهي ما عدا الشندان معسكر من الفرو (١٧٨٧-١٨٠٢ م) وصفت فيما بعد بالتفصيل، وتسمى نسبة تنديني كانت لفرزد الكور الذي استولى على حاكمه عاصمة الفورو.

مطر: نسخة الأديان ص ٦٤

... والمصوب: أربعة.



الوداي أحسن من أرض الفور، وليس في دلو فور أرض تشبه أرض الوداي، إلا  
الجانب الغربي الذي يقرب من جهة الوداي، ولما أرض الوداي فكلها من الحسن  
بمكان، وبلاد الوداي عامرة أهلة، بخلاف بلاد الفور، فإن أكثر البلاد فيها إما  
خراب أو كاد، لكثرة الظلم والتعسف الذي علي الرعية من قبل الحكام، ولا تجد في  
دلو فور بلدة عامرة كما ينبغي، إلا بلدة صاحبها ذو شوكة وجاه وما عدا ذلك  
فخراب، {أهلها} يقاسون النذل واليهون خصوصاً في الزمن الذي كنت فيه هناك<sup>(١)</sup>  
، فإن السلطان كان صغيراً قد اكتنفته رعونة الشباب، فكان لا يتأمل في أحوال  
الرعايا، ولا يرفع عن المظلوم الرزايا، بل كان منهمكاً في لذاته، يقطع بالكس  
واللهو أكثر أوقاته، فقصارى أمره إمراة يتخذها<sup>(٢)</sup>، أو كاس ينهلها، أو دابة حسنة  
يركبها، لو كان الملوك<sup>(٣)</sup> قد انتقلوا الوطأة علي الرعايا، وجلبوا إليها المصائب  
والبلايا، فلا يقدر أحد من الرعايا {أن} يقتني مالا، ولا من أشرف الناس أن يكتب  
اجلالاً، لأنه في تلك المدة ساد رعاع<sup>(٤)</sup> الناس أكابرها واستوزر العبيد، وأهمل  
الكرام الأماجيد: فصار كل منهم يقول:

أرى الناس مخسوفاً بهم غير أنهم علي الأرض لم يثلب عليهم صيدها  
وما الحسف أن تلتني أسافل بلدة أعاليها بل أن تسود عيدها  
ومما ينسب إلي ذلك هذا التخميس:

ليالي تقضي بالوصال عريتها بيت وأبت أن لا بدوم وضعها  
ولا تعجبوا إن تزمربوما مرضها تغيرت الأيام واسود يضها

<sup>(١)</sup> هذا من المؤلفات التي من مملكتها الفور وحكمتها وأهلها فعاد حديثها غير مصنف ومصحف أحياناً مع ما يورده عنها في  
كتاب تشييد الأديان، ومعنى في هذا الكتاب عندما يقول الشاعر: "والدولة وهذا قلب الكون من الرحلة والدماء مع القسوك  
والأمراء"

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "ممرأة بضمها..." وقد المؤلف: "ممرأة بضمها حسنة".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وكانت الملوك قد كملت الوطأة".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "ساعت".



وعادت أسوداً عند ذاك قرونها

وقد صار للجهال فينا مرياسة ومرك كلاب في الأنا مرياسة

فيا صالح إن دامرا ودامت خياسة ففي الموت فوز لأصيل ومرياسة

إذا حكمت أحرار قوم عيلا

خلاقاً للسلطان المرحوم محمد عبدالكريم صابون، فإنه أوسع الناس عدلاً، وأعمرهم إحساناً وفضلاً، فلا تجد في زمنه مظلوماً يشتكي دمه ولا ولا فقيراً يشتكي فقره، وقد أعطي القوس باريها، وأنزل للدار بانيها، فأقام حدود الله في عباده، وانتشر عدله في جميع بلاده، فكل الناس عنه راضون، إلا من كان في قلبه مرض، واستولي عليه داء الحسد، والعجب من الدهر كيف ينقص المسرات ويقبها بالاحزان والاساوات، لأنه اقتصه في عتقون شبابه، وجرع اصحابه كل من مصابه، وطالما خدمه بالخلف في الحرب، وأذاق أعاليه من يد أجناده الحثوف والكروب حتى خرب إقليم باقرمه الفجار، وثقي بإقليم التلمه الفجرة الكفار<sup>(١)</sup>، حتى ارتعت من هيبة فرائص<sup>(٢)</sup> الفور وسلطانها، وخشيت أن يسلمو عليها ويخرجها من اوطانها، لكن لاعتب على الدنيا في هذه الاعمال، لأنها تكمن في كأس مسراتها الداء العضال، ورحم الله الحريري حيث قال:

شرك الردي وقذارة الأكدار

أبكت غداً بآلها من دار

من صدأ الجمامة النرار

لا ينلني بخلائل الأخطار

يا خاطب الدنيا اللينة أها

دار منى ما أضحكك في يومها

وإذا أظلم سحابها المرتفع

غارائها لا تنقضي وأسیرها

<sup>(١)</sup> فقد حال الكلب ماء، وجاء من المني بوحده لثما والقرم بالعمار والكفار، لأن هذه النول والشعوب كانت مسلمة منذ قرون عدة قبل قيام دولة ودني، ولما ارتدت إسلامي كيو ١٠١٩، ولكن حرس الكلب للنول وماي للأسباب التي ذكرتها هنا على وصف أعدائها بكل منهم.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "فرائص الفور".

ومن أفعال الدنيا بالآسنان وإبدائها المصرة بعد الأحزان، ما وقع للخلفاء الراشدين، وكيف تدانت أجالهم، وقرب الي الله ارتحالهم، وقد قالوا في قصر مدة سيدنا عمر بن عبدالعزيز، الامام العدل في بني أمية حين قال بعض الناس: كيف أن أعمار ملوك بني أمية تطول سنين مع ما هم عليه من الجور والعسف المييسن، ويقتصر عمر عمر بن عبدالعزيز الذي هو بينهم كالذهب الأبريز، لما كان في أيامه من العدل الزائد، أن الدنيا دار محن وأكدار، وهم وغبار، ولو طالت مدة عمر بن عبدالعزيز لرجعت الدنيا إلى حال الثياب، مع أنها صارت عجوزاً<sup>(١)</sup> شمطاء، كما ورد عن النبي الأواب، لم لا وقد كن رضي الله عنه من الزهد في أرفع مكان، وهو الذي أبطل سب علي رضي الله عنه على المنابر<sup>(٢)</sup>، فلم يستقبله بقوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"<sup>(٣)</sup> وقد ذكر {إن} في أيامه رعت الثياب مع الأغنام، ولم تعد عليها، بأن الملك العلام.

نادرة: مما اتفق مع عنه رضي الله عنه أنه جاءه رسول من طرف ملوك الأكراد، فبلغ في لكرامه وزاده، ولما وضعت المائدة كن فيها حجلتان<sup>(٤)</sup> مقلوتان، فلما راحا الرسول وعلم لهما من الحجل، بكى وأفرط في البكاء، فسأله سيدنا عمر رضي الله عنه عن سبب بكائه فأجاب بعد تمنع وقال: يامسيدي إني كنت في أول أمري قاعلاً للطريق، فبينما أنا ذات يوم واقفاً في الطريق، (قم السبي) أحد التجار راكباً علي بقله، وتحتة خرج مملوء من المال، فتعرضت له وأخذت للبقلة منه، ولدت قتله، فقال يا هذا ليس مرانك المال، فقلت نعم، قال لي خذ هذه البقلة وما عليها وأعتني لوجه الله الواحد القهار، فقلت لا سبيل لذلك، ثم أخذت يده أريد قتله، فلما رأني صممت علي قتله قال لي أنت فاعل حقيقة، فقلت إي والله، فقال هل لك في أن تتركني حتي أصلي ركعتين، فقلت له لك ذلك، فقام فتوضأ وصلي،

<sup>(١)</sup> في الأصل: "صارت عجوزاً شمطاء".

<sup>(٢)</sup> كان الأمويون قد اتهموا سب علي رضي الله عنه على المنابر، وقد كان للامويين أممية الكسرى سب علي رضي الله عنه، حيث لقم الأحرار مثلاً بشارته في مقتل سيدنا عثمان بن عفان، بها حرف باسم الكسرى، ومن الأمر كذلك حسن أفضله الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

<sup>(٣)</sup> سورة العمل الآية ٩٠.

<sup>(٤)</sup> الملحكة جمعها حبل، وأخذت الذكر من الفرج، يقول صاحب المفسر المصنف أن لحمه معتدل والمذاق حلو مثلان من كبدته يلع الحمر، والاستعانة بمرارة كل شهر مرة يدكي اللحم حساً ويغوي الحمر. ينظر: المصنف في فضائل الخاء واللام من ٣.



ثم قال لي أنشدك الله الذي لا اله الا هو أن<sup>(١)</sup> تتركني، فقلت لا أفعل ولا بد لي من قتلك، فالتفت حينئذ يميناً وشمالاً فرأى حجلتين على شجرة فنادى بصوته إيتيا الحجلتان أشهدا عليّ اني قتلته ظلماً، فضحكت منه وقتلته بعد ذلك، وأخذت البقرة وما عليها، فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت تلك الواقعة، فقال له سيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، لقد شهدا عليك عند من أقادك ثم أمر به فقتل أو.

ولذلك كانت مدة السلطان محمد عبدالكريم صابون قصيرة جداً، لأنه لو طالت مدته لملك دارفور وغيرها، وكان يقال: إن شباب الدنيا رجع لها، فكشانت أيامه مواسم، ونغر المسرة به باسم، فكان غضبه لله ورضاه لله وكان رعاه لا ينفون عنه بديلاً، ولا يريدون عن حكمه تحويلاً، فكانت بلاده أهلة بالقاطن، عامرة بالساكن، مع أنهم جموع مجمعة، فكان فيها المساليت والميمية والداجو والكشموة والقرعان، وقبائل الوداي الخمس، والكوككة، والجناخرة، والبرقد، وكل من هذه القبائل له جبة يسكنها، فأما المساليت فمساكنهم دار الصباح، أي الجهة الشرقية من دار الوداي، وهي غربي دار الفور، وبينهم وبين مساليت الفور معاملات ونسب وقرابة، وسعة بلادهم نحو يومين عرضاً وثمانية أيام طولاً: وهم أناس ليسوا بالطوال ولا بالتقصار وسوادهم يميل إلى الاصفرار، وهذه القبيلة عالم عظيم في دار الوداي وأكثر بلادهم سهل، وإن كان فيها جبال قليلة.

وأما الوداي الذين هم أصل المملكة، فهم ساكنون وسط البلاد، ومنهم أكثر الأمراء والأجناد، وبلادهم جبال منها الجبل المسمى بأبي السنون<sup>(٢)</sup>، وهو أعظم جبل، وأهل يزعمون أنهم أصل للوداي، ومنهم ظهيرة السلاطين وقرعنت، ومنها (جبل) ملنقه وهو جبل آخر يجزي أبو السنون بنحو فراسخ، وأكثر السناويين<sup>(٣)</sup> يغلب على لونها السواد لذلك، وهم أناس طوال ضخام الأجسام كأنهم من رجال العمالة، وأما ملنقه فهم أقل منهم سواداً، يقرب لونها إلى الصفرة، وأما الكشموة فهم بالقرب من واد، مسافة يومين من الجهة الغربية أي

<sup>(١)</sup> في الأصل "الله الذي لا اله الا هو الا ما تركني".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "المسمى بأبو السنون" ولقد سار عليه في كل بحث دون غيره.

<sup>(٣)</sup> "السناويون" هم سكان جبال السنون.

ومسكنهم في البطيحة، وهي واد جميل كثير المياه، تزرع عليه أنواع الخضروات والتوابل كاللؤلؤ والكزبرة، والثوم والبصل وطائفة الكشوه على شفير<sup>(١)</sup> هذا الوادي، بمعنى أنهم بالقرب منهم، وهو عالم عظيم<sup>(٢)</sup>، ومسافة بلادهم نحو أربعة أيام طويلاً وأربع ساعات<sup>(٣)</sup> عرضاً، فتري قراهم مصطفة بقرب شفير الوادي المذكور، كتصنيف النر على عجور الخرز، هذا وبلادهم عامرة بالقطن، أهله بالساكن، يخرج من أقل حلة منها إذا وقع التنفير نحو الخمسة مائة مقاتل، ما عدا التصغير، ولقد كان المرحوم السلطان محمد عبدالكريم صليون القطع والذي فيها خمس بلاد، فكانت أحسن من خمسين بلداً من بلاد النور، لكثرة منافعها، وفي ظني أن قبيلة الكشموه لو استقرت كلها وانفردت من غيرها، لكانت وحدها جيشاً عظيماً، وهم أكثر الرعايا اتقياداً، واغنائهم مالا ولولاداً، واحوالهم وسط، وليس فيها شطط، وهم بين الطوال والتصار، وبين السود والاحمرار، ولغتهم غير الوداي، ولهم ملك يحكم على القبيلة ويفعل ما يختار. ولما الكوكة فماواهم جهة المغرب والجنوب وهم ثلاث فصائل، كل منها لدى أهل الوداي محبوب، منها فصيلة لا يوجد أحسن من نساها في الجمال، ويفضلون على بذات الحبش ربات الدلال، فتري الجارية منهم تسر الناظرين بجمالها، وتفك العشاق بدلالها، قد أقامت حرب الغرام على ساق، ونور جمالها في ميدان الصباية يسهم النساك، ويبلبهم<sup>(٤)</sup> بالاشواق، وهم طائفة عظيمة، عامرة قراها، كثيرة مياهها ومرعاهها، غير أن أهلها ليسوا ضخام الأجسام، لكن مع الطول والاعتدال، وعدم النحافة والهزال، ومن هذه القبيلة جوارى الملوك والسلطان، لأن أهل الوداي يزعمون أن ما عدا الخمس قبائل {هم قبائل الوداي} البقية عبيد يباعون ويشترون بغير تقيد.

ولما القرعان فماواهم من دلو الوداي جهة الشمال، وهم قبيلة عظيمة الأموال كثيرة الخيل والجمال، قد اشتملت على فصائل عديدة كل فصيلة قد صارت أحوالها شديدة، وهم أناس صغار الأجسام، غلب على لواتهم الاحمرار

<sup>(١)</sup> شفير الوادي : أي ضفة .

<sup>(٢)</sup> وهو أي الوادي عالم عظيم .

<sup>(٣)</sup> ساعة هنا ليست لساعة الزمنية المحددة بسنين بلغة الآن وإنما هي مدة مقطرة في ذلك الزمان قد تزيد على ساعة اليوم .

<sup>(٤)</sup> أي الأمل : هم السك والامم بالاشواق .



دون بقية الألوان، فتري ألوانهم تقرب من ألوان المصريين، كأنهم ليسوا من السودان، ولم أشاهد بلدهم، ولا نحوت قصدهم، غير أنني شأدت كثيراً منهم في الوداي، فرأيت نساءهم من أبدع النساء جمالاً، وأفتكها لحظلاً وأرماها نبالاً، والعجب أن الوداي لا يأنفونهن، لبياض ألوانهن، فالجارية منهن لا يتغالي في ثمنها لبياض لونها، نعم وإن كنا قررنا أن كلما خلس الإنسان من شدة السواد كان عندهم دليلاً على خلوصه من الترق، لكن إن خرج إلى البياض لبيضوه، فلا يأنفون إلا ما كان بلون الحبشة، وهو أعظم مرغوبهم، وقد قدمنا أن السيد محمد المروجي الطرابلسي كان قد أهدى للسلطان جارييتين {إحداهما} ببيضاء {والأخرى} حبشية وذكرنا أنه أحب الحبشية، ونالت منه حظوة، وأما البيضاء فلم يبن منها، وبقيت كل كل<sup>(١)</sup> حتى ماتت.

وأما الداجو فهم في جهة الجنوب، وبينهم وبين الكوكة مسافة قريبة، لأنهم يتأخمونهم<sup>(٢)</sup> في الأراضي، وهم أناس غلب السواد على أجسامهم. واستولت الوحشية على قلوبهم، فهم عند الوداي بمنزلة البرقي عند الفور، إلا أن البرقي يسكنون شمال الفور، والداجو في الجنوب، وبالجمله فلعم طول المكث هناك اضطربت أحوالهم.

وهناك قبائل أخرى مختلطة بما ذكرنا، نسبت أسماءهم وأماكنهم. وأما الجناخرة فأصلهم عبيد السلطان، وهم مقام العبيدية في دار الفور، وهم طائفة عظيمة وأهم جسيمة، قد سكنوا جنوب الوداي، لكن من جهة المشرق، واتصلوا بالمساليب، لكن مع ذلك لا تختلط أنسابهم بهم ولا يمتزج حسبهم بحسبهم، وأما النيمة فهو شعب عظيم، ذو قبائل وفصائل، وهم أناس حالكوا السواد، كان ألوانهم المداد<sup>(٣)</sup>، قد سكنوا الجنوب بين المغرب والمشرق، ولم يكن بينهم وبين الداجو والكوكة فرق، وما بين {هذه المنطقة<sup>(٤)</sup>} وأولاه إلى الجنوب جموع مجمعة، وبلاد

<sup>(١)</sup> كلمة كل كل، لغة بلصدها تعني ماتت، فإذ دون أن يفرها أحد.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "مطاميرهم".

<sup>(٣)</sup> أخذت من سواد النيمة ما بلغ له حسب مجموعهم الموجودة في السودان، فكتب على ألوانهم السمة العظيمة، وهم مسجونون بالأسطغرل والتمل بالقرامة والالمر.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "وما بين ذلك من أولاه".

واسعة أهاليها مختلطة الأنساب، فتري في البلد الجنسيتين والثلاثة والأربعة  
والأكثر، خصوصاً البرقة، فإن بلادهم غير منظمة لبعضها، بل يجد الإنسان هنا  
بلدة، وهذا بلنتين أو ثلاث، وهذا عدة بلاد وكلهم غلبت عليهم الطباع القبيحة،  
فيأنفون الخيانة والفضيحة، وأكثر بضاعتهم السرقة والخيانة، بل لا يعرفون المودة  
والأمانة، وهم لناس سود الألوان، نحاف الأبدان، قصيرهم أكثر من طويلهم،  
وعزيزهم في الطبع كحقيرهم، فهم أمة بلاد الوداي ومنهم الحدادون والصيادون،  
وهم أقل الناس اعتباراً، وأحقهم عند الوداي مقدراً، لأخلاقهم الخبيثة، وطباعهم  
الخبيسة<sup>(١)</sup>.

وقد احاط بذل الوداي عرب، فمن جهة المغرب عرب الزبدة والعريقات،  
وعرب البحر، وهذه القبائل الثلاث<sup>(٢)</sup>، من الغنى والقوة بالرجال في أعلى مكان،  
ولقد أخبرني الفقيه موسى بن سعيد الزبدة أخو الإمام بدر الدين، أمام السلطان، أن  
عرب الزبدة هؤلاء من عرب اليمن، ونسبتهم إلى زبيد<sup>(٣)</sup>، وأنهم من حمير، وكذا  
أخبرنا الفقيه العريقي ترجمان السلطان، أن لعريقات<sup>(٤)</sup>، من عرب العراق، وأنهم  
من بني لخم وجذلم، ولما عرب البحر فجموع مجمعة ولكن منها بريئة واسعة،  
وكلهم تحت قائد واحد، وكلهم أصحاب بقر واساس ومتاع ورياش، وكنت أعرف  
عقيدهم، وكان يسمى مسعود، وهو رجل كثير الأعوان والجنود.

ومن جهة الشمال المحاميد، وهي قبيلة عظيمة، ذات فصائل وبطون وهي  
صاحبة<sup>(٥)</sup>، أبل ونعم، وخيول وغنم، ورقيق ولجين ومرجان يحلو لنظر العين،  
وأصحاب عدة كاملة، ورماح عاملة.

<sup>(١)</sup> حديث الثوري عن البرقة أنه من العرب، لأن البرقة في السودان لم يكونوا لها وصف، فقد عرفوا بأفقه والاسطرار في ديارهم  
وتسموها، وهم الآن في منطقة الخائل للعلماء في دارفور، ولهم تاريخ إسلامي حافل مع هؤلاء العرب.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: هذه القبائل الثلاثة.

<sup>(٣)</sup> زبيد: بلدة كانت عامرة في جنوب اليمن، وكانت فيها معدة عشيرة كبرى خلال العصر العباسي ومملوك، وكان يسمونها بها  
الغلات والعشاء من مصر وشرق إفريقيا والمغرب، وبعد حروبها هاجرت فصائلها واستقر جزء منها في شرق السودان وهي معروفة الآن  
بالخائل الزبيدية، وواصل جزء منها هجرته غرباً واستقر بعلبم وداي وهم الزبيد.

<sup>(٤)</sup> العريقات: من عربى أو عراق، ويقال لهم هاجروا من العراق، وهم من عرب نخم وخدام وهم من الفصائل العباسية هاجروا إلى  
شمال الجزيرة العربية واستقر جزء منهم في العراق، وأصلاب سبابة هاجروا إلى مصر وعلل إفريقيا لم يبق بلاد السودان.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: وهي أصحاب الـ.



ومن جهة الجنوب عرب المسيرية<sup>(١)</sup> والغلان وهما قبيلتان عظيمتان  
اصحاب بقر جمعها غفير وعندها كثير، وليس بين النور والوداي عرب، لضيق  
المكان لان بينهما مسافة يوم بل اقل للمساقر الذي يمشى على مهل، ويتبع لدار  
الوداي تامة كما قدمنا والباقرمة وركا<sup>(٢)</sup> وفراوية<sup>(٣)</sup>، لان كلا من هؤلاء الملوك  
ماعد باقرمة يعطى خراجين، خراجاً لسلطان النور، وخراجاً لسلطان الوداي،  
ولانجد قبيلة من القبائل التي بدارفور الا (ونجد) مثلها في دار الوداي، ماعد  
التنجر والتموركة فليس منهما في دار الوداي احد.

ومن جهة الشمال مابلي المشرق قبيلة البديات وهم قوم من اعيان  
السودان، الا انهم كالبدر في ركوب الخيل ومرعاهم والاقليات بلبثها، ولكل  
مما نكرنا من القبائل ملك حاكم عليها يسمى في اصطلاح النور سلطاناً وفي  
اصطلاح الوداي ملكاً، لانهم يقولون ان لاسلطان هناك الا سلطانهم، وماعد ذلك  
فجميع سلاطين الدنيا عندهم ملوك، ولا يقر احد من الناس ان يقول نحن في بلادنا  
لنا سلطان، واذا (حدث بان قال احد الناس<sup>(٤)</sup>) ذلك، فان كان غريباً عرفوه ونهوه،  
وقالوا له لا تمل بعد اليوم انه لا يوجد في الدنيا سلطان<sup>(٥)</sup>، ابداً الا سلطاننا، وماعد  
ذلك فهم ملوك، وان كان من اهل البلد عنفوه ووبخوه، ومن العجب انهم يسمون  
السلطان بلغتهم يقولوا: 'ملك ملك كلك نيكاتيني' ومعنى ذلك: ملكنا الله يعطيه

(١) المسيرية: من القبائل العربية التي هاجرت الى السودان للدين، وينتمون الى مجموعة عرب جهينة، من جنوب افريقيا العربية، والاسرى  
هاجرت الى مصر ومنها الى غرب ليبيا ثم الى السودان الغربي ثم الى السودان والى النيل واستقروا في غرب السودان مع بقى  
عصبتهم البربريات والعمانية والحامية والخورمة وبين هذه والآخر، واستوطن حرة كبر منهم في إقليم لنداء، وهم الآن من القبلى  
التي العربية في لنداء ومنسحبهم لم حرة وكحلها، وبعد دعوتهم السودان انقسموا الى مسوية ررك ومسوية حرة، ويعملون  
حرفاً في الرعي ولهم تالو قوى على كل الدول التي تملك في غرب ليبيا.

نظر: الشيخ ابراهيم صالح: المربع السابق، ص ١٥٣

(٢) ركا: في لغة: قبيلة من العربيت ينتمون لقبلى جنوب دارفور وجزء غرب بحر الاحمر وحره منهم يسكن إقليم وداي ويقال لهم  
سكان جبل مرة الاصليين، ثم اخرجوا من واحة الدامر، ثم البحر والحدود وكذلك القبلى العربية،

نظر: Macmichael: OP.CIT.P. ٨٥

(٣) فراوية: في لغة: احدى قبائل العربيت القوية، كانت لها مملكة رمن المؤلف تتبع لدولة النور تحت حكم ابيها، ونفع بلادهم في  
جنوب دارفور ولهم اسبابات واتسعة في تمكن دولة النور وكذلك دولة الوداي

نظر: Macmichael: op.cit.p. ١٨٣

(٤) في الأصل: ملكا وقع وقال ذلك ان كان عربياً

(٥) في الأصل: لا يوجد في الدنيا سلطاناً

الحياة، والمراد الله بحليل حياة ملكنا، لأن لغتهم صعبة جداً، وفيها كاذبات كثيرة، ومن العجب أنهم يسمون الله "كلك" والولد الصغير "كلك" والعجوز "منجوكلك" وأكثر أسمائهم تنتهى بالكاف، كما تبدأ بها كما يسمون أحد الكماكلة، وللرجل الصالح "كرك" والقرعة كيزك "وكل كلامهم على هذا المنوال، وكنت فى أحد الأيام<sup>(١)</sup> سمعت أحد الكبرتو يغنى بنفيره، فسألت العقيد أحمد ود مختار عما يقوله فقال لى انه يقول "ككتك تدارونه كالانيامى" فسألته عن معنى ذلك بالعربية فقال: معناه ليها الطائر الجائع فلم فكل" يعنى انه يقتل الاعداء حتى يشبع الطير من لحومهم، ولقلة مكثى فى بلادهم وكثرة اللغة العربية لم احتج أن اتعلم لغتهم، ومع ذلك كنت عرفت منها جملاً تغنى الانسان فى أحواله الضرورية كأسماء الماء والخبز واللحم، وأسماء الأوتى والقياب، (ولكن) نسبتها بعد طول العهد وعدم المكثمة، ولاظن أن جميع ما فى الوداي من القبائل لغتهم واحدة، بل كل قبيلة لها لغة مستقلة لأنسبه الأخرى كما أن منحهم متغيرة، لأن منحة الوداي مغايرة لمنحة الكشموة، فالوداي كبار الرؤوس، مستديرو الوجه، ضخام الكرايس طوال القنود، والغائب أن نكورهم أجمل من إنائهم.

أما الكشموة، فطوال الوجوه، متوسطون فى طول القنود وضخامة الكرايس، والبرقد صغار الرؤوس، نحاف الابدان، قصار القامة يغلب عليهم السواد، أما الكوكة فصغر الألوان، صغار الأجسام، مساوهم أجمل من نكورهم، والحاصل أن لكل منهم منحة يتميز بها عن غيره، بحيث لو رأيت منهم شخصين معا كل شخص من قبيلة لا تركزت من منحتيها أن لكل شخص منهما قبيلة وهكذا.

### تبيية-

اعلم أن اهل الوداي كانوا متوحشين لم يدخلهم التمدن الا منذ زمن قريب، لأنهم كانوا قبل ذلك تقرب طبيعتهم من طبيعة اهل الصين ضناً منهم على ملكهم وبلادهم، فكثروا اذا اتاهم غريب ودخل بلادهم منعوه من الذهاب الى بلده حتى يموت، لكنه فى اكرام من المأكول والمشرب والملبس، ولايمكنوه من العود الى

<sup>(١)</sup> فى الأصل: "كنت فى عمر الأيام..."



دياره أبداً<sup>(١)</sup> (واستمروا على ذلك) حتى ملكهم السلطان صالح، وكان رجلاً عاقلاً  
 جليل القدر، يخشى الله ويتقيه فاتفق أن جاء<sup>(٢)</sup> في أيامه بعض التجار، فباعوا  
 وربحوا، ثم تركهم رجعوا إلى أوطانهم، فاتجرت اليهم لقواقل قليلاً قليلاً حتى  
 ملكهم ولده المرحوم السلطان محمد عبدالكريم صابون، فكثر لديه الخيرات،  
 وفاضت على يده البركات، وأعطى للتجار عطايا عظيمة<sup>(٣)</sup> حتى رغبهم في العود  
 إلى بلاده فتسامعت به الاقطار، وانهلث<sup>(٤)</sup> عليه لرباب البضائع لتهلل الامطار،  
 ووفد اليه العلماء والشعراء من الأمصار، فكانت منته ربيعاً وغيثاً مريعاً، وقع  
 ذلك على حد قول الشاعر:

يا أيها الملك الذي بصلاحه صلح الجمع

أنت الزمان فان عدا ت فكله أبداً مدح

فكان رضوان الله عليه ملبه عيب يشينه، سوى كرمه على حد قوله:

وليس لهم عيب سوى أن صنيعهم بصحبهم تس الاحبة والاملا<sup>(٥)</sup>

لو على حد قوله:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم من قلوب من قراع الكائن<sup>(٦)</sup>

ومع صغر سنه كان متمسكاً بالشرعية حسب الامكان، لاتأخذه في الله لومة لائم،  
 فكان يقيم الحد ولو على ولده، ولم أر حد الزنا لقيم على أحد الا في بلده، لائسى  
 رأيت حد زنا المحصن قد اقيم على امرأة، فحفرت لها حفرة وأوقفت فيها إلى  
 صدرها ورجعت حتى ماتت، وأما حد شارب الخمر، فقد رأيت في مواضع، ولحبه  
 رحمه الله في العلم وأدله اكتفه العلماء، فكان لايقطع لمرأ الابراهيم، وكان أكثر  
 لرباب دولته من اهل العلم، فكان أكبرهم منزلة في الزمن الذي كنت فيه وأقواهم

<sup>(١)</sup> في الأصل: "ولا يمكنه من العود إلى دياره أبداً حتى ملكهم."

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "فاتفق أن جاء..."

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "عطايا عظيمة..."

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "وانهلث عليه..." ورويت عليه العلماء...

<sup>(٥)</sup> اصل: انى ليس لهم عيب سوى كرمهم الذى يمسى الامساك احبه والله وهو نوع من الشج.

<sup>(٦)</sup> انى لا عيب فيهم الا ان سيوفهم فيها علامات من ضرب الاملاء في الحرب وهو مدح لهم.

حرمة شيخنا وأستاذنا المرحوم السيد أحمد الفاسي، وبإيه الامام الفقيه نور قاضي  
 للقضاء يومئذ بإقليم الوداي، وهو عربي الأصل وليس من الوداي، غير أنني نسيت  
 من أي قبيلة هو من العرب، وإليهما في الفضل والحرمة الامام الأجل سيدي  
 أحمدوه لمهيدى وإليهم الوزير الأجل المحترم الفقيه محمد جميل الزعفراني، وإليهم  
 الفقيه البار علي ودمهيدى، وإليهم في الفضائل الأديب الكامل الفقيه اللواتي  
 الباقوماوي، وكان شاعراً بليغاً، فامتدح حضرة المرحوم السلطان بعدة قصائد  
 ولعنم اعتناني بالشعر حينئذ لم أعلق فيها شيئاً، ولا حفظته، وكان رحمه الله تعالى  
 (أي السلطان) لا يعتنه بأهل العلم يقدمهم في الزكاة على غيرهم، ويغفرهم  
 بأفضاله، ويتفقد أحوالهم، وينتقم ممن نال منهم، ويغض الطرف عن مساوئهم،  
 ويهتم بقضاء حوائجهم إذا رفعت إليه، وكان إمامه الأعظم الإمام الفقيه محمد  
 بدر الدين فقيهاً ضليعاً في فقه مذهب الامام مالك، لم تر عيني في أقاليم السودان  
 أحب منه، ولا أفصح منه في الخطبة، فكان نادرة عصره، ووحيد دهره، وكذا  
 رئيس تراجمته الفقيه محمد الميرقي، كان من التفصاحة بأعلى مكان، جميل الهيئة،  
 ومما يلحق بهم الوزير الأجل الفقيه موسى عقيد الزبدة، وهو أخ الامام بدر الدين،  
 والفقيه محمد جميل الزعفراني، وقصمنا أنه هو الذي فتح الباب الحديد<sup>(١)</sup> للسلطان  
 ليلة دخوله دار المملكة للتولية حين مات والده السلطان صالح.

وأكثر وزرائه وأمرائه فيهم علمية وشجاعة وأدماً على الأخطار بخلاف  
 غيرهم من الممالك، لأننا قمنا أنهم أشجع من الثور ومن البقرة ولا يضاهيهم في  
 الشجاعة في إقليم الثور إلا الميذوب والزغاوة والنامة، وأشجع من البرنو وإن  
 كانت مملكة البرنو أوسع دياراً وأكثر رجالاً وأقوى عدة، ولقد بلغني عنهم حين  
 خرج عليهم الفلان، أنهم كسروهم مراراً وحين توجه والذي من باقرمة إلى برنو  
 كان الفلان متغلبين<sup>(٢)</sup> عليهم، حتى أن السلطان أحمد البرنواوي فر بنفسه من  
 مدينته ونزل في آخر عمله بإقليم كاتم، واحتضنه هناك الفقيه المصالح والوزير

<sup>(١)</sup> في الأصل: فتح الباب الحديد...

<sup>(٢)</sup> في الأصل: كان الفلان متغلب عليهم...



الناجح محمد أمين الكامي<sup>(١)</sup> وبذل معه المجهود في جمع العساكر، ولم يزل معه إلى أن رده إلى مقر سلطنته وكرسي مملكته<sup>(٢)</sup>.  
ومن غريب ما اتفق لعساكر البرنو أن السلطان أرسل أحد وزرائه مع جيش عظيم لقتال الفلان، فتوجه الجيش وكان معهم بعض المغاربة واعراب البادية، فبينما هم سائرون في صحراء مستوية المهل إذ رأوا أمامهم سواداً عظيماً قد ملأ تلك الصحراء فلما رأوا ذلك السواد وأيقنوا أنه جيش الفلان كثر خوفهم<sup>(٣)</sup>، ونزل الرعب في قلوبهم وفشلوا ورجعوا على أعقابهم، وقالوا لاطاقة لنا بقتال هذا الجيش فجاء أحد المغاربة إلى الوزير وقال له: كيف تتصرف العساكر من سواد لا تعلم حقيقته، فقال الوزير: من يكشف لنا عن ذلك، فقتل للمغربي أنا (أقوم بذلك) فقال له الوزير: أذهب، فذهب المغربي وحقق السواد فراه نعاماً كثيراً قد اجتمع ورفرف بأجنحته، وصار من بعد كآته جيش مصفوف، فرجع ينادي أيها الناس أرجعوا، هذا نعام، فلم يلو عليه أحد وتمائموا في هزيمتهم إلى أن دخلوا برنسى البرنو وهم في غاية الارتجاف<sup>(٤)</sup>، ولما ظهر هذا الأمر وفشا، خاف الفقيه محمد أمين الكامي أن يضيع هذا الخبر ويسمعه الفلان، فبازيد طمعهم في الدولة

(١) الشيخ محمد أمين الكامي، ولد في إقليم كامي برنو لأب كامي ولم عربية من حرب "طرابلس" وكان والده يمكن أن يقيم في كامي. علم الشيخ الأمين الفرائد بفران وانتقل إلى الأزهر، تزوج بالعظم والفرقة، ثم إن روح الشر الاسلام، وكان حلياً صلياً أديماً استطاع بلوة صعبة في بطرح الشيخ عثمان بن مودي ومحمد في عزوه لبرنو ثم جمع لعل برنو وقامهم لأعراج الفولان من برنو وأصبح ابتداءً مشتركاً لبرنو بعد أن قصروا الأسرة الشهية التي كانت تحكم برنو لأكثر من ثمانين عاماً، ولأجل أنه لا يمكن أن يولد برنو: مطر الشيخ آدم الأتوري الاسلام في مودو، من ١١١ - والشيخ إبراهيم صالح: تاريخ الاسلام وحياة العرب في اموطورية كامي برنو من ١١٥ وما بعدها.

(٢) يتحدث الكتاب عن عرو الفولان الدولة البرنو، وذلك عندما مر الشيخ عثمان بن مودي برنو في عام ١٨١٠ مذهباً ولم يكن بها بالوقوف مع أمته واستطاع أن يدخل مدينة برنو بسلام وهي مدينة كوكبة، وخرج منها السلطان دولة من أحمد ولاد بنهم كاسيم، وهناك التقى بالشيخ محمد الأمين الكامي وهو من السائرين العلم والشرعة ولاجل صغراً من الشيخ عثمان بن مودي واستطاع أن يوضح حوله الرجال، وإن يستمر كل لعل برنو حكومت لولة كبرى بلادة الشيخ الكامي والسلطان دولة استنظمت أن لحرم الفولان ولطردهم من العاصمة لاجل السلطان دولة عاصمت بعد أربعين يوماً.

(٣) في الأصل: فكر مولهم...

(٤) هنا أخذت من عرو حش برنو في شيء من الناحية، فلم لو كانوا كائنات لما استطاعوا إقامة دولة اسلامية في البرنسية، وحصلوا عليها حتى كانت من أطول الدول عمراً واكبرها مساحة إذ امتدت من الصحراء حتى النيل، واستمرت لأكثر من ألف عام، ونشأ وصلوا بنهم من أجمع القبائل في البرنسية، بطول صهم الشيخ آدم الأتوري: ثم لعل برنو هم لهر الفولان العروسة في البرنسية الغربية. وقد كان توري الفولان لعلت الحرف في شيء من اللوموعة: بطر موحث ترويح زحموا من ١٦٥ وإبراهيم طر حيا، اموطورية الدولة الاسلامية.

البرناوية، ثم طلب رؤساء الجيش الذي حصل فيه هذا الفشل وقتلهم، ثم نادى منادى السلطان في المعسكر أن يعد من هذا اليوم كل من فر من عنو لأجزاء له إلا السيف، وجمع المعسكر ورتبها وخرج لقتال الفلان، فبزمهم وأخرجهم من (بلاد) البرنو، وقتل منهم مئة عظيمة.

وأقول إن الذي دعا البرنو للفرار قبل التآمل ووقوع الحرب إنما هي الحضارة التي استولت عليهم، حتى صارت لهم عادة، لأنه قد شوهد أن الدولة كلما تمكنت من الحضارة كلما هابت القتال وأسبابه، وكلما كانت في أصالة الخشونة وعدم الترفه كانت أقم على الأهوال والقتحام المشاق والصبر على المكروه.

لما الحضارة التي تسبب للفشل والخوف في الدول، فأقول: الحضارة هي كثرة التمتع بالمأكل والمشرب والملابس والمراكب والمناكح النفيسة حتى يصير ذلك ديناً للنفس، فإذا جاء بعد ذلك ما يعارض ذلك الدين تشامت منه النفس وأبته، وتذكرت مآلوفاتها وحنّت إليها فتقول لصاحبها: مالك والقتال والرتكاب الأهوال الذي يكون سبباً للهلاك وسوء الارتباك، وترك المأكل العظيمة والمناكح الجميلة، وما أنت عليه من حسن الحال، فيخاف الإنسان ويظن أنه بمجرد دخوله الحرب يموت، وأن الموت متحقق عنده، وتسول له نفسه أنه إن انهزم ولم يباشر قتالاً<sup>(١)</sup> سلم من الويل، ورجع إلى مآلوفاته، فيحمله ذلك على الفرار، وترك القتال، وما علم أن الحضارة هي نهاية أجال العمران، وإن خوفه عليها يكون سبباً لزوالها بالكلية، فقد ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه الكبير في الجزء الأول منه فصلاً في هذا المعنى فقال:

إن العمران كله من بداءة وحضارة<sup>(٢)</sup>، وملكة وسوقة له عمر محسوس، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكنونات عمراً محسوساً، وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونحوها، وأنه إذا بلغ من الأربعين وقفت الطبيعة عن النمو برهة، ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط،

<sup>(١)</sup> في الأصل: "ومما نشره..."

<sup>(٢)</sup> الأصل: "من العمران كله من بداءة وحضارة."



والحضارة في العمران، كذلك، لانه غاية لامزيد وراءها، وذلك أن الترف والنعمة  
لذا حصل لأهل العمران دعاهم بطبعه الى مذاهب الحضارة والتحقيق بعوائدها،  
والحضارة هي التفتن في الترف واستجادة لحواله، والكلف بالصنائع التي توقف  
من أصنافه وسائر فنونه، كالصنائع المهيئات للمطابخ والملابس والمباني والغرض  
والأكبية، وسائر الأحوال للمنزل، وللتألق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة  
لا يحتاج اليها عند البداوة، وإذا بلغ التألق في هذه الأحوال للمنزلة الغاية تبعته<sup>(١)</sup>  
طائفة من الشهوات، فتكون النفس من تلك العوائد بأثول كثيرة، لا يستقيم حالها  
معها في دينها ولا دنياها، أما دينها فلا استحكام (في) صنعة العوائد التي يضر  
نزعها، وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمشروعات التي تطالب بها العوائد، ويعجز  
الكسب عن الوفاء بها، ويبانه أن المصير بالتفتن في الحضارة تعظم نفقات أهلها،  
والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران، فمتى كانت العمارة أكثر كانت الحضارة  
أقل<sup>(٢)</sup> لأن المصير الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجاته ثم  
تزيدها المكوس غلاءً، لأن غالب الحضارة إنما يكون حينئذ نهاية الدولة في  
استفحالها، وهو زمن وضع المكوس في الدولة لكثرة خروجها حينئذ فالمكوس  
تعود على المبيعات بالغلاء لأن السوق والتجار يتحسبون على ملئهم جميع  
ما ينفقونه حتى مؤونة أنفسهم، فيكون المكس لذلك داخل في قيم المبيعات، فتعظم  
نفقات أهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف، ولا يجتهدون وليجة عن ذلك  
لما ملكهم من أثر العوائد وطاعاتها، فتذهب مكاسبهم كلها في النفقات، ويتتابعون  
في الاملاق والخصاصة، ويقلب عليهم الفقر، ويقل المتأفون للبائع، فتكسر  
الاسواق، ويفسد حال المدينة على العموم في الاسواق والعمران.

وأما مفاد أهلها ففي ذواتهم<sup>(٣)</sup> واحداً واحداً، ثم الكد والتعب في حاجات  
العوائد، والتلون بالأثول، والشد في تحصيلها، وما يعود على النفس من الضرر  
بعد تحصيلها بحصول لون آخر من لواتها، ولذلك يكثر منهم التفسق والتشر

<sup>(١)</sup> في الأصل: "تبع طائفة..."

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "أقل..."

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وما يملكها في دولهم..."

والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجه ومن غير وجه، وتصرف النفس  
 إلى الفكر في ذلك، والغوص عليه، واستجماع الحيلة، فتجدهم لجرياء<sup>(١)</sup> على  
 الكذب والمغامرة والغش والخلاعة والسرقة والفجور في الأيمان والربا في  
 البيوعات، ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف أبصر بطرق  
 الفسق ومذاهبه والمجامرة به وبدواعيه، وطرح الحشمة بالخوض فيه، حتى يبين  
 الأقارب وذوي المحارم، الذين تقتضي البداوة للحياء منهم، وتجدهم أيضاً أبصر  
 بالمرء والخديعة، يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر، وما يتوقعونه من العقاب  
 على تلك القبائح، حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لأكثرهم إلا من عصمه الله تعالى،  
 ويموج بحر المدينة بالسفلة من أهل الخلق العظيم، ويجاريهم فيها كثير من ناشئة  
 الدولة وولدانهم، ممن أهمل عن التأنيب، وأهمته الدولة من أعتابها، وغلب عليه  
 خلق الجوار، وإن كانوا أهل الغلب، وذلك أن الناس بشر متماثلون، وإنما تفاضلوا  
 أو تمايزوا<sup>(٢)</sup> بالخلق، واكتساب الفضائل، واجتباب الرذائل، فمن استحكمت فيه  
 صفة الرذائل بأي وجه كان، وفسد خلق الغير فيه، لم ينفعه ذكاء نسبه ولا طيب  
 منبته، ولهذا تجد كثيراً من أعتاب البيوت وذوي الأحساب والأصالة وأهل الدول  
 مستغرقين في أعمار، ومنتحلين للحرف الدنية في حياتهم، مما فسد من أخلاقهم،  
 وما تلونوا به من متعة وترف وسفسفة، فإذا كثر ذلك في المدينة والأمة كان إيذاناً  
 بخرابها، وهو معنى قوله تعالى:

‘ وَإِذَا أَرْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا<sup>(٣)</sup>

ووجهه أن مكاسبهم حينئذ لا تغطي<sup>(٤)</sup> حاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس  
 بها، فلا تستقيم أحوالهم، وإذا فسدت أحوال الأشخاص واحداً واحداً اختل نظام  
 المدينة وخربت، وهذا معنى ما يقول بعض أهل الخواص: أن المدينة إذا أكثر فيها

<sup>(١)</sup> (أجرى)، جمع جرى، ويمكن أن يقول “مرجاء”.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: “تمايزوا...”.

<sup>(٣)</sup> الآية: سورة الإسراء الآية ١٦.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: “لا تغطي”.



غرس النارنج<sup>(١)</sup> تأثنت بالخراب، حتى أن كثيراً من العامة يتجافى غرس النارنج بالنور، وليس المراد ذلك بأنه خاصة في النارنج، وإنما معناه أن البساتين وأجراء المياه<sup>(٢)</sup> من نوابح الحضارة، ثم إن النارنج والليمون والمرو وأمثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة له، هو من غاية الحضارة، إذ لا يقصد بها في البساتين إلا لشكلها فقط، ولا تفرس إلا بعد التفتين في مذاهب الترف، وهذا هو الطور الذي يخشى فيه هلاك مصر وخرابه لما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدنيا<sup>(٣)</sup>، إذ لا يقصد بها إلا تلون البساتين بنورها ما بين أحمر وأبيض وهو من مذاهب الترف. ومن مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات والامتراسات فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في الشهوات البطنية من المأكول والمشروب وملازمها، ويتبع ذلك التفتن في شهوات الفرج وأنواع المنالك من الزنا والتواط، فيفضي ذلك إلى فساد النوع إما بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزنا، فيجهل كل واحد ابنه إذ هم لغير رشده، لأن المياه مختلطة في الأرحام، فتتدفق الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون، ويؤدي ذلك إلى انقطاع الأنساب، ومن ذلك يحصل العقوق من الولد للوالد، وغير ذلك من المفاسد باختصار.

وبالجملة فإن أشجع قبائل السودان الوداي، فاتهم لا يخافون الموت، ويهابون الفوت، وأجبنهم البرنو، وأوسطهم الفور، وأما في اتساع المملكة، فأوسعهم البرنو، ويليهم الفور ويليهم الوداي والباقرمة، على أن بلاد الوداي وإن صغرت إقليمياً فقد عظمت خيراً عيماً، ورقيقها أجمل من رقيق الفور وأحسن خدمة، ولا يوجد في بلاد السودان المتوسطة أحسن من رقيق الباقرمة، لما فيهم من الرقة وحسن الخلق والقيام بخدمة أسيادهم خصوصاً الأثلاث منهم، وحين ملك السلطان صلبون بلاد الباقرمة وإفنت الوداي بنسائها كرهوا نساءهم، وقتلوا أمثالهم فتزوج إلا الآن، وهؤلاء (من) النساء وما سواهم عدم، بل يوجد في رقيق الجناخرة الذي تجلبه

<sup>(١)</sup> النارنج : وهو نوع من الفواكه الحمضية من أصناف البرتقال.

<sup>(٢)</sup> وأجراء الماء : أي للفقراء والمصريين.

<sup>(٣)</sup> الدنيا : يدعو لها نوع من الزهور ذات الألوان المختلفة.

الوداي من هو في غاية المال وحسن المعاشرة في درجة لا توجد في قبله من الرقيق المجلوب من جهة القور، مع أن جناجرة الوداي والقور متساخمون، وقد قلنا أن العساكر ربما<sup>(١)</sup> تلاقى مع بعضها في الغزو في بلاد القرييت فكان من العجب أن الرقيق الذي يجلب لدارفور ربيعاً جداً، والذي يجلب لدار الوداي عظيم، ويغالبوا في ثمنه<sup>(٢)</sup>، ولذلك نجد أنفع الرقيق في دار القور هو الرقيق المجلوب من الوداي.

والجناجرة أمة عظيمة لا يعلم عندها إلا الله تعالى، تفرعت إلى فروع كثيرة وقبائل شتى، مسكنها الجنوب من بلاد السودان الإسلاميين أولها من جنوب سنار على خط مستقيم إلى أن تنتهي إلى جنوب كشة<sup>(٣)</sup> من بلاد المغرب من قبائل هؤلاء المجوس لأنك<sup>(٤)</sup> إذا سرت من سنار على خط مستقيم إلى ناحية المغرب تصل إلى كردفان<sup>(٥)</sup> بعد (خمسة عشر)<sup>(٦)</sup> أو ستة عشر يوماً، ثم بعد عشرة أيام من الأبيض<sup>(٧)</sup> أو اثني عشر تصل إلى دارفور، ثم منها إن كان من الفاشر إلى وداي خمسة عشر يوماً للمثاني، وعشرة للمجد فتصل إلى دار وداي، ثم منها إذا أردت التوجه إلى الباقرة فتتجه إلى الغرب مع انحراف قليل إلى الشمال،

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. كما تلاقى. ومرتفع لا يستقيم مع سائر الكلام...

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. ويغالبوا فيها...

<sup>(٣)</sup> كشة: أو كسبا، ولاية من ولايات هوسا السبع وتقع شمال بحيرة دسها الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي وتقع إلى الشرق من ولاية كاتو وكانت مدينة تجارية زارها الرحالة من غرناطة في ذلك التاريخ، وذكر أن فيها نخلاً من المسلمين المصريين والقور، ويسكنها أهل القور والقور كما زارها الشيخ محمد بن عبد الكريم الفعلي، وتولى القضاء فيها واستبح أحوالها العامة والاحتصاصية، ومن فيها مسجداً متيناً كما كان للموكها المسلات، مشهور الأهر حاصلة الشيخ السويدي.

نظر: د. عبد الله محمد كيو، المصدر السابق، ص ٢٩٨

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "لأن لنا سرت..."

<sup>(٥)</sup> كردفان: أو كردفان هي الأقليم الذي إلى دارفور شرقاً، ويمتد من الحدود مع ولاية الخرطوم، تألفت منها مملكة النسمعات أيام عمومة القور، وظلت في أيديهم حتى أصبح الترك السوداني عام ١٨٢١م حيث انتزعت من دارفور وصعدت للسودان المصري آنذاك، ويسكنها العديد من القبائل العربية في الشمال، وهناك القوية في الجنوب، وتعتبر كردفان من المناطق القروية الغنية في السودان بحسب الزراعة التي يعمل لها معظم سكان الأقليم.

نظر: نعم لغزو، المراجع السابق، ص ١١٧.

<sup>(٦)</sup> في الأصل: سبع أو ستة عشر يوماً. فهناك عبارة باللغة (خمس عشر)

<sup>(٧)</sup> الأبيض: هي عاصمة كردفان ومن المدن المهمة في السودان وأولها فيها أكو سول تصنع الحمر والفاشية في غربها.



لأنك إن لم تتحرف وقعت في كاتم، وهو أول أعمال مملكة باقرمة بعد عشرة أو  
اثني عشر يوماً<sup>(١)</sup> وإن أردت التوجه إلى برنو، فهناك طريقان:-

أقربهما إن تتوجه على خط مستقيم من المشرق إلى المغرب، فتصل إلى برنو بعد  
عشرين يوماً، وإن توجهت عن طريق باقرمي يحتاج إن تعبر<sup>(٢)</sup> بحراً عظيماً من  
الباقرمة وبرنو، وهذا الطريق طويل، لأنه يمر فيها على برنسي منشرة<sup>(٣)</sup> وهو  
عمل<sup>(٤)</sup> مستل لحاكم مستقل ويمر على إحدى ممالك الكنكو، وتطول الطريق نحو  
خمس وثلاثين يوماً، ثم إذا خرجت من برنو وأردت التوجه إلى لركز تتوجه على  
خط مستقيم نحو خمسة عشر يوماً وهكذا.

لكن كل قبيلة حازت مملكة من ممالك السودان الاسلاميين<sup>(٥)</sup> تسمى باسم  
خاص، فالتى حازت سزار تسمى بالنوبة، والتى حازت كردفان تسمى بالسائروج،  
والتي حازت دارفور تسمى بالفرتييت والتي حازت وداي تسمى بالجناخرة، والتي  
حازت الباقرمي والبرنو تسمى بالكرداويين وهكذا، وإن كان كل من حازوا مملكة  
من (الممالك هم عبارة عن) شعوب وقبائل وبطون وفصائل لأنك إذا قست  
السودان الاسلاميين بمن حازهم من هؤلاء المجوس تجد الاسلاميين بالنسبة لهم  
كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، فإن قلت كيف يتأتى للاسلاميين الغلب على  
هؤلاء مع أنهم أضعافهم، قلت إنما غلبهم الاسلاميون لارتباط كلمتهم واجتماعهم  
على رأى واحد، وهؤلاء المجوس كلمتهم منحلة، ولايعاونون بعضهم وزيادة على  
ذلك إن بين أهل كل بلدين منهم عدوة فيأتى العدو لهذه البلدة فيحارب أهلها  
ويسبي نساءها وأولادها<sup>(٦)</sup> وأهل البلدة الأخرى، ينظرونهم بشغراً ولايعينوهم،  
وحين يخلصون من هذه يأتون الأخرى، فيفعلون بها كما فعلوا بالأولى، وأهل بلد

<sup>(١)</sup> في الأصل: لو أن عشرة يوماً وهو خطأ والصواب: إن عشرة يوماً

<sup>(٢)</sup> في الأصل: إن تعدي بحراً... فعبارة تعدي تعني تمر حسب لغة أهل دارفور ورواها

<sup>(٣)</sup> منشرة: أنهم شامع بلع حبوب أنهم باقرمة، بالمغرب من كنكو، فاعل حبوب دولة الكمبرون الحالية، وكان حاصداً لدولة السودان  
ويمكنها حاكم مستقل يحمل لقب سلطان

مطر: الترجمة الفرنسية... Voyage au Waday PP. ١٢-١٤.....

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .... وهي عمل

<sup>(٥)</sup> مرجع المؤلف على نسبة أهل السودان المسلمين للاسلاميين وقد بحثت أن مجوسهم من مجوسهم من السكان النوبيين

<sup>(٦)</sup> في الأصل: ولولادهم....

آخر ينظرون اليهم ولا يساعونهم وهكذا، والا لو كانوا يجتمعون كما تجتمع القبائل  
الاسلامية لما قدر عليهم أحد، كيف وطول مسافة بلادهم أكثر من شهرين للمجد  
وثلاثة أشهر للمثاني، وقد ذكرنا سابقاً أن السرايا التي تذهب من النور والوداي  
تغيب ستة أشهر، ثلاثة ذهباً وثلاثة ألباً مع أنهم لا يقطعون<sup>(١)</sup> البلاد ولا يصلون  
إلى نهايتها، وإنما متى تمت لهم ثلاثة أشهر وهم ذاهبون يرجعون، وقد أخبرني  
شيخنا الفقيه مدني الفتاوى أن سرية من سرايا النور توغلت في بلاد القرطيت<sup>(٢)</sup>  
في طلب المكسب واجمعوا أمرهم أنهم لا يرجعوا<sup>(٣)</sup> إلا إذا أتوا على آخر البلاد  
وعرفوا نهايتها، فدام بهم الأمر حتى مضى عليهم الزمن نحو خمسة أشهر وهم  
ذاهبون ورجعت جميع السرايا ولم يرجعوا هم، حتى ظن أهلهم أنهم أصيبوا  
بجائحة أهلكتهم، وبعد هذه المدة انتهوا إلى بحر عظيم متسع لا يري من كان واقفاً  
على أحد ساحليه الواقف على الساحل الآخر إلا بشق الأنفس، فرأوا على الساحل  
الثاني أناساً عليهم ثياب حمراء، فتعجبوا منهم وتحيروا في الوصول إليهم لقسم  
المركب الذي يوصلهم اليهم، وأخبروا أن أولئك الناس<sup>(٤)</sup> حين رأوا العساكر  
وكثرتهم خافوا على أنفسهم وفروا هاربين، قال الفقيه مدني المذكور: ثم اني سألت  
كثيراً<sup>(٥)</sup> ممن توجهوا في تلك السرايا فلم يجد من يخبرني في ذلك خبراً شافياً،  
وبقيت متحيراً مدة، حتى عثرت على رجل ممن كان قد سافر كثيراً إلى بلاد  
القرطيت فسألته عن هذا البحر وهؤلاء الناس فقال: أنهم أشبه شيء بالهنود، والله  
اعلم بحقيقة الحال.

وهؤلاء السودان على كثرتهم لكل قبيلة منهم سيما تميزهم على بعضهم<sup>(٦)</sup>،  
عن بعضهم (فمثلاً) يبرون أسنانهم بالمبرد ماعدا الأضراس وهؤلاء يسمون بنده،

<sup>(١)</sup> لا يقطعون البلاد أي لا يقطعونها من بلادها إلى بلادها...

<sup>(٢)</sup> بلاد القرطيت اسم القوافل التي كانت مسكونة في أقصى جنوب الجزيرة وديار العرب طائفة منهم رعيه الخمر  
والملاح والمناو وملاح وقرطيت والقرطيت وهم هؤلاء، ومن العرب كانوا هم سكان جبل مرة الأملاك لم يرد لهم اسم  
والسودان والهنود مشهوراً وسكنوا في جنوب السودان

<sup>(٣)</sup> في الأصل: نعم لا يرجعون...

<sup>(٤)</sup> في الأصل: هم تلك الأناس...

<sup>(٥)</sup> في الأصل: ان سألت من كثرة ممن توجه...

<sup>(٦)</sup> في الأصل: سيما تميزهم ماعدا الأضراس والاسنان التي توضع في فمهم على أوجه...



وبعضهم يتقبون شفاهم العلوية والسفلية تقوياً متتابعة وهؤلاء يسمون كارا، وبعضهم يتقبون الآن من حافة الصيوان تقوياً متتابعة، وهؤلاء يسمون درنة، ومنهم من يشرط وجهه بالموس ثلاث شربات في كل وجنة، وهؤلاء يسمون الشك.

ولما بلادهم فهي لخصب البلاد وأحسنها هواً، وقد قيل إن المطر عندهم كثير جداً حتى أن بعضهم لا ينقطع عنه المطر إلا شهرين في السنة وعندهم ضروب من الكماة، منها ضرب عظيم جداً يسمونه الأبو، يشوونه في الجمر فيكون على هيئة مخ البيض لوناً وطعماً، ولكثرة الأمطار كثرت الأشجار في بلادهم، وتأكلوا أن أكثرها مما يثمر، والعجب منهم مع وحشيتهم وعدم استئناسهم ومخالطتهم {لأهل} المدن يعرفون بعض الصنائع العجيبة التي لا يمكن إتقان مثلها إلا في المدن العظيمة من بلاد الأوربا، منها كراسي الأبنوس التي يصنعونها لجلوس ملوكهم، فتري الكرسي منها يبهز النظر ويحير الفكر، من حيثة صنعة وصقلته وملاسته، ولا تفي عبارة المجاز بما فيه من الإتقان، ومنها صناعة الحراب والمكاكين التي لا يمكن إتقانها في غير بلادهم، إلا أن كان في بلاد الإنكليز، ومن أعجب ما رأيته عندهم الشبكات التي يشربون فيها النبا، فأنها غريبة الإتقان جداً، كأنها عملت في إحدى مدائن الأوربا لأنهم يعملونها مع الحديد الخالص النقي، فيعملون الشبك طول فتر أو شبر ويعملوا له حجراً من الطين ويلبسونه بالحديد وقضيب الشبك ليس معتداً، بل فيه انحناء كما يوجد في شبكات أهل أوربا<sup>(١)</sup>، بإتقان الصناعة لأنك إذا رأيت الشبك منهم لا تظنه أنه من الحديد، بل ربما جازمت أنه صبغ من فضة الصفالبة، لونه وحسن صناعته، وكذا ما يصنعونه من النعالج والأساور، فأنه غريب جداً، مع أنهم لا يصنعون الثياب ولا يلبسونها، بل عرايا الأجساد، والرجال يسترون عوراتهم بشقة صغيرة، قليلة العرض وطولها نحو ذراعين وأكثر، وعرضها أقل من شبر، وتسمى بلغة

<sup>(١)</sup> في الأصل: عمل الأوربا.

القرنيت جوكو. وأما نساؤهم فيستترون<sup>(١)</sup> بأوراق الشجر من القبل لا غير، وأما الذئير فيتركونه عارياً بلا ستر<sup>(٢)</sup>.

عجيبه من قبائل القرنيت الكائنين بين دار فور وكردفان قبيلة تسمى جنقيه<sup>(٣)</sup>، وهم أهل بقر، وأبقارهم<sup>(٤)</sup> صغيرة الأجسام، كبيرة القرون، ولكل واحد منهم من البقر عدد كثير، وهؤلاء عراة لا يسترون عوراتهم، إناثاً وذكوراً، وهذه القبيلة من أقوى القرنيت بأساً، ولشدتها مراساً، لا يدركها طالب، ولا ينجو منها هارب، لشدّة عنوها وقوة أعصابها، ومن عاداتهم أنهم يبيتون في الرماد إناثاً وذكوراً، وذلك لأن أدانتهم بعد حلب البقر وأخذ البلبها وقضاء مصالحهن، يآخذن أنية ويذهبن إلى الخلاء فيجمعن روث البقر الذي وجدنه ويجعلنه كداساً كداساً، كل امرأة تجعل كداساً أمام بيتها، ومتى جف الكداس تلهب فيه النار وتتركه يحترق من نفسه، فإذا كان بعد العشاء ولربك الرجل النوم جامته لمرأته بقطعة من الزبد فادهن بها جسمه<sup>(٥)</sup> ثم يدخل في الرماد المذكور فيبيت فيه فإذا أصبح ذهب إلى غدير فاغتسل فيه ومن العجب أنه ينام في الرماد المذكور وأن الرماد لا يدخل في خياشيمه بالتنفس وكيف يطبق ذلك، وهل تلك<sup>(٦)</sup> عادة اعتادوها، وأنهم يدخلون أجسامهم في الرماد ما عدا رؤوسهم، ولهم في ذلك بصيرة<sup>(٧)</sup>، ومن العجب أيضاً أنهم لا يسمون بقرهم، بل كل انسان منهم يختار بقرة بقرونها، بأن تكون قرون بقرة كلها على هيئتها،<sup>(٨)</sup> فمنهم من يجعلها معوجة إلى الامام، ومنهم من يجعلها معوجة إلى الخلف، ومنهم من يجعلها معوجة ذات اليمين، ومنهم من يجعلها معوجة ذات الشمال، ومنهم من يجعلها متعالية، ومنهم من يجعلها

<sup>(١)</sup> في الأصل: "يسترون..".

<sup>(٢)</sup> شجرة العري في القبائل الأعرابية معروفاً وأهلها خصوصاً مرتبطون بالعبادات الروحية والتعبدات الدينية لكن هذه الظاهرة أحدثت منذ الآن مسبب القامع المسكن والغمرات من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال، كما أورد الأستاذ مظهر سرمد وسط هذه القبائل.

<sup>(٣)</sup> الخليل في الحاشية: هو بطنه لعل دار فور وكردفان على القبائل السليمانية حارة الذهبية والفضة واليور.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "ونعمرهم صغرة..".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "ومل ذلك عاده..".

<sup>(٦)</sup> بصيرة: أي بصيرة ووجهة نظر، وهي كلمة يستعملها أهل دار فور ووداي حالياً.



ملتوية<sup>(١)</sup> وهكذا، ولقد سمعت خبر هؤلاء القوم من عدة أناس ممن وصل بأبقارهم  
إلى بلادهم وحكوا هذا الخبر، والعهد عليهم، ولقد رأيت بقرات من بقرهم،  
وبقرهم صغير الأجسام كبير القرون وقرونها متلاقية كالهلالين والله أعلم بحقيقة  
ذلك.

والحاصل أن الفرثيت أمة عظيمة وأجناس مختلفة، وهم مجوس لا يكتفون  
بدين، فكل من غلبهم تدينوا بدينه، وأنا اعرف من أسماء أجناسهم عدة، وهي  
النبوة<sup>(٢)</sup> والتروج<sup>(٣)</sup> والثلث<sup>(٤)</sup> والمجقة والجنقية<sup>(٥)</sup>، والشمالا<sup>(٦)</sup> والبيقوا<sup>(٧)</sup> والرتو  
والكاره<sup>(٨)</sup> والينزة والقة والفراوقية والففترو والبايا والجناخرة والشارة والذنفو  
والكوكة، وما عرفت منهم إلا قليلاً من جل ساعة<sup>(٩)</sup>، من قبل أن أخرج من دار  
الفور بسنة، كان {هذا الرجل} قد ذهب إلى الغزو على عاقته، وكان بعض المكوك  
استأنن السلطان في الغزو فلما خلاص من دار الفور وأرك أن يدخل الفرثيت جاءه  
قوم من أعراب البادية وأخبروه أنهم مروا على أمة عظيمة من الفرثيت لم يسروا  
غنائم قط، ومنحوا له في حسن رقيقهم، فتوجه إليها ومكث يغزوها أياماً، ولكنهم  
رجع مغلولاً ولم يكسب منهم إلا القليل، فاجتمعت {١٥ من تلك القبائل} على بعض

<sup>(١)</sup> في الأصل: ملتوية.

<sup>(٢)</sup> النبوة: حسب المصطلح في السودان لا ينتمون إلى قبائل الفرثيت وهم أجناس كثيرة سكنت حيل جنوب كردفان وحلم  
ميلات مع قبائل عرب وحلم السودان أكثر من صلاتهم مع قبائل جنوب السودان، ولانتموا بطور كرو في كل الأحداث الوطنية التي  
لوت إلى قيام السودان الحالي.

<sup>(٣)</sup> التروج: رمن الخراف تطلق على القبائل التي تسكن حيل الغني جنوب كردفان، حيث طلب السلطان يواب أصنافاً منهم والسكهم  
مدينة كمكينة خدمة الدولة في الجيش والمواعظ للمحكمة وأطلق عليهم اسم العبدية.

<sup>(٤)</sup> الثلث من القبائل البلية التي تسكن أعالي النيل، وينتمون إلى مجموعة الديكا، ولم حينهم الخاصة ووسمهم الخمس ويصل معظمهم  
في تربة الأحواز، وليست لهم علاقة بقبائل الفرثيت إلا القليل.

<sup>(٥)</sup> المجقة: سق لهم بطر من

<sup>(٦)</sup> الشمالا: عشيرة من قبائل الفرثيت في جنوب بحر العراق والبحر في صبحا، ومنها الفارحون بأنما من أديم القبائل لكثرة الانتشار  
عندهم لأنما لا ينقطع إلا لندهم من طوط، والارتجاع درجة الرضوة.

<sup>(٧)</sup> البيقوا: قبائل من موطنهم الأصلي في منطقة بحر العراق وأقام هاجروا منها إلى دار فور منذ زمن بعيد حيث منحهم سلطان دار فور  
إقطاعاً يربطون به، بشرط أن يخدموا الشريم السلطان في كل عام، ولما كانت ثم السلطان محمد فضل (١٨٠٢ - ١٨٢٩م) تنتمي إلى  
هذه القبيلة عند أصابع من هذا القليل، ومنحهم حريتهم ورفض طوية الإقليم على من ذكر في اسمهم.

<sup>(٨)</sup> الكوكة: من مجموعة قبائل الفرثيت جنوب بحر العراق، وهم مثلث بمكهم وهي من القبائل النوبة.

<sup>(٩)</sup> جل ساعة: هو أحد الحار الذي تقدم الخراف لتوبيل معطونه، وكلمة ساعة معناها إسماعيل في لغة عرب دارفور.

عسكره فاخبروهم أنهم قوم جبارون يأكلون الأدمى حياً، فقلت له وكيف ذلك؟ قال: لما توغلنا في بلادهم خرج علينا من قرية من قرأهم عالم عظيم، بأيديهم كراييج طوال معوجة، وهذه الكراييج حادة الشفرة كالنموس، وخرجت نساؤهم خلفهم على رؤوسهن القداح ملأته بالعصيدة، مغطاة وحين تلاقينا صار الرجل منهم يهجم على الرجل منا ويضربه بالكرباج على كتفه، فحين يسيل الدم يمد يده إلى زوجته فتكفي منه القداح الذي فيه العصيدة، فيقطع منها لقمة ويغسها في الدم ويأكلها وهكذا، ومتى قتلوا منا واحداً أكلوه، فقررنا منهم، فقلت: وما يقال لهذه<sup>(١)</sup> القبيلة قبحها الله، فقال هم أعجيفه والله أعلم بحقيقة الحال، لأنه كما ذكرنا أنهم عالم عظيم قد سكنوا الجنوب من أول بلاد السودان من جهة المشرق إلى آخره من المغرب التي دارملا، التي هي قاعدة ملك الفلان، وهي بلاد واسعة، وهؤلاء الفلان عالم عظيم، والعجب منهم أنهم كانوا أحقر أهل السودان، وأهل السودان كانوا يحقرونهم، ويقولون أنهم أولاد الحرباء، أي أنهم لا لب لهم معروف، بل إن أمهم الأصلية نامت فجاءتها ذكر الحرباء فحملت منه بأيديهم الذي تقاتلوا منه<sup>(٢)</sup>، وهم يزعمون أنهم من أولاد سيدنا عمار بن ياسر أحد الصحابة الأعلام الأجلاء والفضلاء والله أعلم بحقيقة الحال.

وأقول إن أهل السودان إنما اخترعوا لهم هذه المقالة أعني قولهم أنهم أولاد حرباء لينلوهم بذلك، لكن الحق يقال إن هؤلاء القوم فيهم علمية ومعرفة بالنسبة إلى غيرهم من أهل السودان وهم يرون أن جميع أهل ممالك السودان عصاة، بل يكفرون بعضهم ويقولون إنهم استحقوا الجهاد لأنهم غيروا وبدلوا في شريعة الإسلام، فأسقطوا الحدود وأخذوا أنماها، أي جعلوها مائية، وهذا محرم منهي عنه شرعاً، وابتدعوا مظالم كثيرة، واعتقدوا أنها مباحة، وجأهروا بالمعاصي، كالزنا

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وما يقال هؤلاء القبيلة".

<sup>(٢)</sup> الحديث من لسان الفلان أو الفلاني كثير في كتب التاريخ، وربما قصد المؤلف لسان {الأمير} وهم فرع من الفلاني والذين ما رأوا يمشون البؤرة والوصية، أما الحديث من أمولهم كما ذكر المؤلف بأنهم أبناء حرمة فهو حيل محض وهو ضمن الاصطلاح العربي حول كثر من القضاة، لأن الفلاني لسان كثير عاصرت إلى العربية منذ قبل الإسلام ضمن العبارات الأسبوعية، وتوغلوا في العربية تفرغاً من النسل إلى الجنوب وعندما ظهر الإسلام في العربية كانوا من لسان الفلاني العربية إسلاماً وظهر دورهم الإسلامي العربي على يد الشيخ عثمان بن عودي في بداية القرن التاسع عشر الهجري.



وشرب الخمر، والملاهي كالغناء والرقص وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، ومنعوا الزكاة فلا يؤدونها، وهذه الأمور يجب القتال علي كل واحد منها<sup>(١)</sup>، ولما قوي عزمهم علي ذلك قام منهم رجل يسمى بالفتية الزاكي وجمع الجموع، وكان رجلاً متنفذاً عندهم، وأرسل الي ملك ملاً<sup>(٢)</sup> رسولاً معه كتاب يقول فيه: من عبد الله الزاكي الي ملك ملاً لما بعد: فإن الله حدد حدوداً فتعديتموها، وفرض فرائض فأهملتوها، ونهى عن محرمات فارتكبتوها، وأنا أنبئك عن جميع ما حرم الله ورسوله، وأمرك بالتباعد الشريعة الغراء، بأن تبطل المكوس، وتقيم الحدود، وتتمسك أنت وأهل مملكتك بشرائع الاسلام، وتتوب الي الله مما أنت فيه، لأنه ليس لكم من الإسلام إلا الاسم، وإن أبيت فاني مقاتلك علي ذلك، كما قاتل الصديق مانعي الزكاة.

فلما وصل الخبر الي ملك البلدة قرأ الجواب، قام وقعد<sup>(٣)</sup> قال: يسهنني بالقتال هذا الفلاني، ويعد علي هذه القبائح، ويزعم أننا لسنا مسلمين، ويتجراً علي بذلك، لا أتركه أبداً، فجهز السلطان جيشاً كثيفاً وأرسله اليه، وأمر رئيس الجيش بالقتال حتي لا تقوم للفلان بعدها قائمة، وأوصاه إن ظفر بالزاكي ألا يقتله<sup>(٤)</sup>، بل يقبض عليه حتي يأتي به اليه ليوقفه علي أقواله ويسأله عن<sup>(٥)</sup> أفعاله، ثم بعد ذلك يري فيه رأيه، فخرج الجيش وتوجه الي الفلان، وبلغ الخبر للفتية الزاكي فقال: هذا ما كنا نبغي فجمع أصحابه وركب هو علي بعير تواضعاً منه وليس علي البعير ومطاء الا فروه من فرو الضأن وتوشح بسيفه، وصف أصحابه ووعظهم وقال لهم: أعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، وهؤلاء القوم أرادوا قتالنا ظلماً منهم، لأننا نصحتناهم، فكان جزاؤنا عندهم القتال، وقد قال الله تعالى "تلك السدور

<sup>(١)</sup> في الأصل: "يجب القتال علي كل فرد منها".

<sup>(٢)</sup> ملاً أو ملياً أو مان، هي أسماء لمملكة مالي الإسلامية والتي نشأت علي حوض النهر عذب سقوط دولة غامضة عام ١٠٦٥م علي يد المرابطون، وكانت مالي عبارة عن ولاية من ولايات دولة لانا فأعلنت تنبو علي يد قبائل المانديج حتى وصلت الي الأربعين في عصر ملكها مساموسي (١٣٠٦ - ١٣٣٩م) ثم أخذت تضعف بعد ذلك حتى سقطت في يد قبائل السنن الثانية وكانت مالي من أهم الدول الإسلامية التي نظرت الاسلام في حوض النهر، وربما يتحدث المؤلف عن ولاية من ولايات دولة مالي.

بشر: المرادهم طر حان: دولة مالي الإسلامية.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "فلا يفتد".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "وسأله علي أفعاله".

الأخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين<sup>(١)</sup> ..  
فأصبروا على قتال أعدائكم، وأبشروا بالنصر والفرج، لقوله عليه الصلاة  
والسلام: "لو بني جبل على جبل لذكّ الباغى<sup>(٢)</sup>" فثبت بكلامه قلوبهم، ووطن  
على الموت نفوسهم. ولاقوا جيش الفلان، فكان أن هزمهم بسرعة<sup>(٣)</sup>، واستولوا  
على أسلابهم وخيولهم ورجع الوزير إلى الملك بالخبيبة والوبال، (ثم) زحف الفقيه  
الزكّاء في أصحابه حتى حاصر الملك، فخرج الزكّاء في جنده وأعدائه، صفوة  
الفلان إلى<sup>(٤)</sup> الملك فانهزم جيش الملك هزيمة شنعاء، ودخل الفقيه الزكّاء دار  
المملكة، فقتل من العلماء وأعداء الملك ما شاء الله أن يقتل، وأرسل وراء الملك  
سرية فجاءت به، فأمر بقتله، وبعد أن مهد الأمور بدار ملاً جمع العساكر وأقام  
في ملاً نائباً عنه، وأمره أن يقيم الشرع، ولا يأخذ إلا الزكاة وخراج الأرض على  
القانون الشرعي، وأن يجعل ذلك في بيت مال المسلمين، وخرج قاصداً مملكة  
كشنا<sup>(٥)</sup>، وكان بينه وبينها نحواً من أربعين مرحلة، فالتحمتها بالجيش ولم تصيبه  
أفة، وسمع به العلماء فجاءوا إليه يهرعون لأنه كلما حصله<sup>(٦)</sup> من الأموال يفرقه  
على الجيوش ولا يأخذ لنفسه شيئاً، وكان في سفره يصوم النهار ولا ينعد ساعة  
بغير وضوء، ولما وصل إلى كشنا خرج إليه ملكها وكان قد بلغه ما وقع بدار  
ملاً، فجمع له الجموع (وذهب إليه) حتى وصله<sup>(٧)</sup>، فراسله الفقيه الزكّاء كما راسل  
ملك ملاً، فمزق كتاب الزكّاء وسبه وخرج إليه في جيش عسير كثيف، فنصر  
الزكّاء (على الملك) وقتله واستولى على ملكه والمرايا في البلاد، فاستأصل جميع  
الأموال السلطانية وبسط العدل على الرعايا فأحبوه، وضيق عليهم فسي الأمور  
الشرعية، ونادي مناديه الا كل من سمع المؤذن يؤذن للصلاة ولم يبادر إلى

<sup>(١)</sup> سورة القصص، الآية ٨٣.

<sup>(٢)</sup> الخديث: رواه ابن الموزي في العمل للشاه، ورواه ابن أبي حاتم في مثل الخديث.

مطر: موسوعة أمثال الخديث ٧٤٩/٦.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "فكان بالفرج بما هزمهم .."

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "على الفلانة".

<sup>(٥)</sup> كشنا: سق لم ينفها، مطر من

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "مكل ما حصل له من الأموال .."

<sup>(٧)</sup> في الأصل: "فجمع لها الجموع حتى وصل إليه مراتب الخديث الزكّاء .."



المسجد فدمه هدر<sup>(١)</sup>، وأبطل الخمر والمكوس، ومكث هناك ماشاء الله له أن  
يمكث حتى تمهدت له البلاد وأقام فيها عاملاً من طرفه، {ثم} جمع العساكر وقال:  
إني آليت علي نفسي أن لا أترك ملكاً من ملوك السودان الظلمة إلا وفعلت به كما  
فعلت بهذين الملكين، ولأملأن الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم خرج بهم السي  
مملكة نفه<sup>(٢)</sup> ومن عجيب الاتفاق أن خروجه ولفق خروج سعود بن عبدالعزيز  
الوهابي من الدرعية إلى مكة والمدينة<sup>(٣)</sup>، مدعياً أن الناس تركوا الشريعة  
والتزموا البدع، ولذلك هم قباب الأولياء والصحابه التي بالمدينة ومكة، وكان له  
شرطى يضرب الناس إذا أذن المؤذن للصلاة ولم يدخلوا المسجد<sup>(٤)</sup>، وحرم شرب

<sup>(١)</sup> الخمر يمل من لا يمشي في المسجد، فهو نوع من التشديد، وهو أمر لا يخفى الشرع بقرع من أي البلاد وما وصلت إليه من فساد  
وبعد عن الدين يتطلب شيئاً من التشدد، لكنه لا يصل إلى حد القتل لمن لم يلب الصلاة في المسجد.

<sup>(٢)</sup> بعد أن تولى من قبله تسكن على حدود بحر القلعة، في الجهات الحدية لبلاد بوروفا في الضفاف الجنوبية، وقد سكنت  
هذه المناطق منذ القدم، وكانت عاصمتهم مدينة رابا، ولهم سلطان يحكمهم عن ظهور الشيخ عثمان بن فودي حركت لأهلها  
عن مملكتهم، وانتشر فيها الإسلام مثل واسع، لم تلبث العاصمة إلى مدينة بذا، ومن نعم ملكها بقمي ولا يسي، وحسب هذه  
المملكة ضمن جمهورية بحروفا القبلية :

ينظر : آدم عبد الله الفوري : الإسلام في بحروفا والشيخ عثمان بن فودي العلالي الطعة الثالثة ١٩٧٨. ص: ١٢١ .  
<sup>(٣)</sup> تولى الأمر سعود بن محمد بن ملون إمارة الدرعية في بداية القرن الثامن عشر الهجري (كان عشر الحري) وأبى تسب المملكة  
السعودية وألقى بذلك شيخه تعالى بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الشهير بالشيخ صاحب الدعوة الإسلامية في نجد،  
والأمير محمد بن سعود بن محمد، حيث انتقل إليه الشيخ في الدرعية فوجد منه تأييداً فاعه الذي يدعو إلى إصلاح المجتمع المسلم بما خلق  
به من عادات وتقاليد بعيدة عن الإسلام وأعاليمه فدخل إلى الصفات بالكتاب والسنة الطهارة، وجمع آثار السلف الصالح، فحررت حركته  
بالسلفية بجهة تلك، ويعد هذا الاتصال بين الطرفين أساس النهضة الدينية والسياسية التي انطلقت في الحاضرة العربية كنهج، في السعي  
الحديث منذ ذلك الزمان ككتاب الجهاد بالسيف والقتال على كل الشرائع لم يكن النصر عليهما حيث انتزعا على منسى محمد  
والمحضر وكان ذلك تمهيداً لنظام المملكة العربية السعودية التي انبثقت من الرياض عاصمة لها، فاجتمع قبل القتل في هذه البلاد ولاول  
مرة في تاريخها تحت راية دولة واحدة، وقد ساعد نصر النزول في تمكين أمر السعوديين، فاعكس ذلك بشكل واضح على الامساكن  
للثقة، فسهلت كل الصعوبات للمسلمين في أداء فريضة الحج والعمرة، مما جعل بحاراً مستمراً وحاملاً لهذه الحركة الإسلامية في نجد،  
بما لها اثرات للمملكة خاصة في الخليج معاً ودعيتها للشركات بحرد وفاة رعايتها وذلك مثل حركة الشيخ عثمان بن فودي في  
بحروفا، وحركة الشيخ عمر القوي في البحر والسفلى، والحركة المهدية في السودان.

ينظر : د. حسن مؤنس، الخطى تاريخ الإسلام، ص: ٢١١.

د. عثمان محمد كيرة، المصدر السابق ص: ١٢٠.

<sup>(٤)</sup> من أمر حرك الشيخ محمد بن عبد الوهاب المسلمين على السبيل الذي، وحرر انشعاق في أداء فريضة طو طو طو، وهو من  
قبل الأمر بالعرف والامر على الشكر \* وكذا من رضى الله به يومه الأسوا والخرافات والامرة في هذه من رضى كسل من قبل  
مهاجرين يسمى لأمارة من في الحوس، ولت العالم الاسلام كله بحروفا المملكة السعودية في هذا الأمر، لما رزق الشيخ الراكن بفلي  
من لا يمشي في المسجد، فهو أمر لا يخفى الشرع لأن الأرض كلها مسجد للمسلمين لقول الله عز وجل: وما من مسلم سمعت في الأرض  
مسجداً وترتها ظهوراً، فأبى رجل لركته الصلاة ففعل \*، وبما لا يخفى على المسلم الذي لا يمشي في المسجد.

التبكي<sup>(١)</sup> والتخلى، ونهى الناس عن قراءة الدلائل<sup>(٢)</sup>، والتوسل بالاولياء والانباء، بل لايقول الانسان الا بالله، وكان اذا سمع انساناً يحلف بالنبي يضربه ويقول له: تب يا مشرك، ويجلده<sup>(٣)</sup>، فكانت عقيدة الزاكي هذا تشبه عقيدة الوهابيين في أمور كثيرة وكان خروجهما في زمن واحد.

ولما وصل الفقيه الزاكي الى مدينة نفه خرج اليه أهلها صحبة ملكهم فقاتلهم وهزمهم واستولى على المدينة، وهي أعظم مدينة توجد في بلاد السودان، بما فيها من الخيرات وحسن اخلاق أهلها، لان أكثر أهل تجارة، يتوجهون الى تبكتو<sup>(٤)</sup> والى كسنة وغيرها، فيأتون بالتاجر العظيمة، وهذه المملكة محاذية لمملكة مراکش من بلاد المغرب.

ومما لفتق من كثرة غني<sup>(٥)</sup> أهلها، ان تاجراً حل بها (وارك لن) يمتحن أهلها بأمواله، وكان معه نحواً من ألف رأس رقيق وخمسمائة بعير، ولما دخلها جاءه التجار مسلمين عليه ومهنتين له بالتقدم، فلم يحفل بهم لعدم معرفته إياهم، فاحتفظ

<sup>(١)</sup> التبكي: هو التمسك، ويسمى في دارفور "قبا" ويسكن من ورق صلب يروح في دارفور، ويحرق ثم يحمل في شكل قناع لمرأة واحدة لعدة يدي في مهرس حتى يمس دهنها ثم يغير مرة أخرى بعد خلطه بالمطرون ومواء أخرى، فصيح راحته كرهية حبيبة الانسان بالدور لثامته وبالحال فهو نوع من التعذبات، وثالث التماسك العظيمة مدى تفرده الصعبة بالاسك، فهو من مسكنات مرضى سرطان الدم، ولهذا في سرته لانتك منها، لما قد كان في ذلك الزمان، فهو حسن الثناء، ويطلق عليها اسم دحان، وقد يستعمل البعض وهو مخرج في شكل ثعلب بالورق ويدهنها، ولذلك كان يهرب من حكم على القبا يهرب على الدخان.  
متر: نسخة الانعاش من ٣٠٠.

<sup>(٢)</sup> الدلائل: المقصود هو كتاب دلائل الخوارج.

<sup>(٣)</sup> لعل النسخ عن ذلك ليس الاسلام عن الخلف بمر الله، حيث جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم: قال: (من كان حلفاً متحلفاً، بالله أو لهجت) وبالتالي فإن الحلف بالله أو التبرج هو الآلهة أو بالطلاق، كل ذلك ممنوع شرعاً.

<sup>(٤)</sup> تبكتو: هو تبكت، مدينة اسما طورق مضمون على البحر الاطلسي لمر البحر، وهي في مدخل الصحراء، وتسمى كلمة من طوطنة "تب" ومعناها في لغة الطوارق، ويكنو اسم الزرك التي كانت ترميها، است من ١١٠٠م وأصبحت مسأوى لشاعر المسلمين ولصداها المشاء، وشدة العلم من كل الآباء، قال عنها السعدي: "عاشها عتبة الاوثان، وما سعد على انبائها لطف لمر فرحن" فطورت مرسماً بتوقد اطباء، وانتشار عليها من شمال إفريقيا ومصر والمغرب وحتى من بلاد فارس، فاصبحت مساهداً عمرة بالعلماء والطلاب خاصة مسجد سكوري، ومسجد سيدي يحيى الذي وعمرها، ولد رارها في حالة الحبس لسورقة في القصر، الحاضر لمعري (١٦م) ووجد في الكتب فيها أصلي من الذهب وقد بلغت سكت خيراً بعداً في عالم العلم والتجارة في عصر اسكيا الحاج محمد حاكم دولة سني (١٤٩١-١٥٢٨م) حيث رارها الشيخ محمد بن عبد الكريم النعيلي بعد اعراسه من الغرب والصحراء بسبب تورته على اليهود في الغرب، كما كان ليكنها مراسلات مع الشيخ السوطي. واضمنت تبكت عمرة حتى ولدت في سنة لثراكنتون (١٥٩٠-١٧٥٠) لم الفولاني ١٨٢٧م، لم ولدت أمراً في بد القرون عام ١٨٧٨.

متر: د. عبد الحفي محمد كبر: الدور الذي للشيخ احمد بن محمد السبكي تحت هذا التماسك الارملة عدد ٩.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "من كثرة غنا أهلها".



منه رئيس التجار وأخفى غيظه في نفسه ولم يبده، غير أنه تَعَمَّد أن يغيظه أيضاً، {فجاءوا} <sup>(١)</sup> وسألوه ما معه مما يباع، فقال لهم: معي هذا الرقيق لكن لا يبيعه إلا لشخص واحد، هو والابل والحبال والأجربة والآنية كلها، فمن يقدر على ذلك يتقدم اليّ، ومن {لا يقدر فلا يتقدم} <sup>(٢)</sup> اليّ فسمعوا منه ذلك، وقالوا له استرح الآن وسيأتيك من يأخذ منك ذلك فمكث نحو ثلاثة أيام، وكان بلغه أن في هذا البلد شخصاً لا تعرف أمواله لكثرتها، وكان هو رئيس التجار الذي جاء ولم يحفل به مع من أتاه للتهنئة، فلما كان اليوم الرابع أرسل اليه الرئيس المذكور أحد عبيده أحقرهم لديه وأقلهم مالاً، وكان يسمى سعيداً، وقال له: اذهب واشتر جميع ما عند هذا الرجل، ولا تبق معه شيئاً، وأهل هذا البلد يتعاملون بالودع، فلبس العبد أفخر ثيابه وتوجه الي التاجر، فلما راه احتفل به، وظن أنه رئيس التجار، ولما استقر به الجلوس قال له العبد: إني أريد أن تعرض عليّ ما معك من الرقيق إن كنت تريد بيعه، فإني محتاج لأن أرسل شيئاً من الرقيق الي بعض الجهات، وبلغني أنك تريد بيعه كله صفقة واحدة، وهذا أحسن لي من أن اشتري من كل جهة بعضاً، فأنعم عليه بذلك وعرض عليه أحسن ما عنده فقال له العبد أترك أحسن ما عندك وأبيع ما عندك، وهات شيئاً من الوسط نقومه بقيمة تسري علي باقيه، وكان كذلك، فجاءه التاجر بعبد وجارية، فاشتري منه كل رأس بستين ألف ودعه، وأخذ يده علي ذلك، وكذا الحبال والأجربة والآنية وجميع ما عنده ولم يبق له إلا أم ولده، ووعده بعد ثلاثة أيام يأتي ويقبض المال، فلما كان في اليوم الثالث لبس الرجل أفخر ثيابه وتوجه الي رئيس التجار ظناً منه أنه هو الذي اشتري منه الرقيق فنخل داراً تشهد لبائيتها بالثروة، فرأى هناك ازدهاماً وأناساً <sup>(٣)</sup> كثيرين، وصاحب المنزل جالس كأنه ملك من الملوك والناس داخلون عليه وخارجون من عنده، فسلم الرجل علي صاحب الدار فرد عليه السلام وتشاغل عنه، ولم يحفل به حتي قضى جل لشغاله، ثم بعد ذلك توجه الي الضيف وقال له: أنك حاجة، قال نعم جئت لأخذ ثمن

<sup>(١)</sup> و الأصل: "نجد ان يهد أيضاً مسكوة".

<sup>(٢)</sup> و الأصل: "من يقدر على ذلك يتقدم الي ومن لا يقدر فلا يتقدم".

<sup>(٣)</sup> و الأصل: "فراى هناك ازدهاماً وأناساً كثيرين". وهو خطأ والصواب رأى ازدهاماً وأناساً.

الرقيق، فقال له وما الرقيق الذي جئت تأخذ ثمنه، قال: الرقيق الذي اشتريته مني أول البارحة قال له يا هذا إنك غلطان، وأنا لي كذا وكذا سنة ما اشتريت رقيقاً، وإذا أردت أن تشتري مني فلما أبيع لك ما تريد، ولو عشرة آلاف رقيق، فتحسب الرجل وقال للتاجر: أليس<sup>(١)</sup> رئيس التجار فلان، قال نعم، قال وهل يقبر غيرك أن يشتري مني ألف رأس من الرقيق بأدواتها صفقة واحدة، قال نعم إن لي نحواً من ثلاثين عبداً تاجراً، وأقلهم يقدر أن يشتري أعظم مما ذكرت، فأصبر الآن حتى نرسل وراء العبيد وننظر من الذي يشتري منك ذلك، فجلس الرجل متعجباً من تلك الحال، فإذا بعد من عبيد التاجر قد أقبل على سيده وقبل يده وحكى له أنه في ذلك اليوم اشتري من الرقيق كذا، ومن الذهب كذا، ومن الودع كذا، وأنه يريد أن يرسل الرقيق إلى ناحية كذا، والرجل الغريب فزع<sup>(٢)</sup> يسمع ولا يدي شيئاً فلما أتم مقفه لسيده قال له سيده: هل اشتريت من هذا الرجل أول البارحة رقيقاً، فقال له العبد لا والله، وماذا أصنع بالرقيق وهو عندي كثير، فقال له سيده: أرسل إلي أخواتك حتى يلتوا ونسألهم أن كان منهم أحد يشتري منه الرقيق يدفع ثمنه، لأنه رجل غريب، ويجب علينا أن نسمي في قضاء مصالحه، فكان كذلك، وبعد ساعة جاء كثير من العبيد وكل منهم يعرض على سيده ما اشتراه وما باعه، ومساءهم سيدهم عن من اشتري الرقيق، وكل منهم يحلف ويقول أنا ما اشتريت رقيقاً حتى طال الحال على الرجل، وظن أن رقيقه قد ضاع، فقال: سيدهم انظروا من يشتري هذا الرقيق منكم، فقال: أن صنفتي حزري يكون سعيد هو الذي اشتراه، لأنه قد بلغني أنه يشتري رقيقاً كثيراً صفقة واحدة، فقال سيدهم لحضروه لعنه الله، هو الذي يفعل هذه الأفاعيل، فما كان إلا قليل حتى حضر، فسأله سيده هل أنت الذي اشتريت للرقيق، قال نعم، ومن أعلمكم بذلك، قالوا له هذا صاحب الرقيق جاء يطلب ثمنه، فالتفت إليه وقال له يا هذا بنس ما صنعت، جئت وشكوتني لسيدي من غير نذب مني، فهلا أتيت إلي داري وطلبت مني ثمن رقيقك وأختته بغير أن تشكوني، قم معي وأقبض مالك، وصار يوبخه على أتيانه إلي دار سيده، فقام معه،

<sup>(١)</sup> في الأصل: كبير رئيس التاجر.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: وأرسل الرقب، معاً يسمع.



فلما وصل العبد الي داره رأي من الرجل ما أبهره من كثرة الرقيق والمال، ففتح العبد مخزناً له وابتدأوا يعدون الثمن، ولم يبرح {مكانه} حتى قبض جميع المال من ثمن الرقيق والحبال والأجربة والأبل، وبعد ذلك قال له العبد اني تبست الي الله ورسوله من اليوم أن اشترى من ملكك شيئاً، أفقتني وتفضحتني وتشكوني<sup>(١)</sup> الي سيدي مع اني اشتريت أضعاف ما اشتريته منك وسيدي لا يعلم، فعند ذلك صغرت عند الرجل نفسه، وحلف أن لا يقيم في هذا البلد، وعرف أن ماله بالنسبة الي مال أهل رجل فيها ليس بشيء، وجيز حاله وخرج منها مسرعاً، وحكي لي رجل من أهل فزان أنه توجه الي نفه ومكث فيها أربعين يوماً، فلم ير بلداً أحسن منها، ولا من أهلها، ولا أرخص من أسعارها، ولا أكثر من خيراتها، حتى أنه تعشقاها، قال: ولما إيت مكثت في الطريق أكثر من أربعين يوماً وأنا أري نفسي فيها، فتعلق قلبي بها.

ونرجع لحديث الفلان، ولما استولي الفقيه الزاكي عليها استخارها<sup>(٢)</sup> وحسنت في عونه، فأمر أن تبني له فيها داراً، ويجعلها دار ملكه وقاعدة سلطنته، فيتوجه الي أي محل أراد، ثم يعود اليها، فمكث فيها نحو عام لا يخرج منها، حتى أراح جيشه، ومهد الأمور ورتب قواعد الدولة، وأخذ الخراج وأعطى العطائيات، وتوجه منها الي عضواء، وهي المدينة المشهورة بحسن الرقيق، لأنه لا يوجد أحسن من الرقيق الذي يجلب من هذه المدينة، وهي قاعدة إقليمها وهو عمل واسع، فحاربها الزاكي واستولي عليها كاستنلائه على غيرها، وتوجه منها الي لنكر، ومنها الي برنو، كما ذكرنا، ولما استولي على المملكة أقام بها، وخرج ملكها فلراً بنفسه الي كاتم<sup>(٣)</sup>، فلتقاء الفقيه محمد أمين الكاظمي وأنزله هو وعساكره خير نزل، وصار يجمع له العساكر من الأفاق ويرغبهم بالاعطاءات، ويرغبهم بأن عزيمته دفع العدو عن البلاد، {وأخذ} يعظهم ويحرضهم على قتال عدوهم، ويعرفهم أن هذا الفلاني باغ عليهم، لأنهم مسلمون ولم يرتكبوا محرماً يوجب

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وتشكون".

<sup>(٢)</sup> "استخارها" بمعنى استعمل الله في أمرها.

<sup>(٣)</sup> كاتم: هذه الأحداث هي الثورة التي قادها الشيخ عثمان بن عودي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر كما سبق تفصيله.

القتال، وأما ما يقوله من أنهم خالفوا الشرع وتبعوا أهواءهم، إنما هي على اقتراحها ليقل إنما قاتلهم على الدين، وهو في نفس الأمر طالب ملك، ومكث على ذلك سنة كاملة، حتى جمع جيشاً عظيماً ثم أخذ السلطان وتوجه بالعساكر إلى برني برنو بعد التوبة والاستغفار والتضرع إلى الله الواحد القهار، وطلب النصر على أعدائهم الفجار، ولما وصل إلى البرني خرج لهم الفلان، ووقع القتال، وكان يوماً مشهوداً، فهزمهم جماعة السلطان، واستلموا منهم ما لا يحصى كثرة، وفر الزاكي بمن بقي معه، ودخل السلطان البرني مؤيداً منصوراً ببركة الفقيه محمد أمين الكاشاني المذكور وصار له الأمر والنهي على جميع القولا والأمراء، وجدد السلطان ما بينهم من الشرف والمجد، وقد كان سائر ملوك السودان خائفاً<sup>(١)</sup> من قتلان، ونزل الرعب في قلوبهم، فلما هزمهم البرنو قويت قلوبهم، وذهب ما كانوا يجدونه من الخوف. أ. هـ.

وأقول: إن جميع ما جري لبلاد السودان من كثرته إلى برنو إنما كان سببه الحضارة وما فيها من الشرف الذي ذكره العلامة ابن خلدون في تاريخه، فإنهم لما ألفوا الأماكن الجميلة، والمأكلة الشهية، والمناكب الحسنة وتمكنوا منها، كرهت نفوسهم القتال {ولأقبلت} على الحياة خوفاً من فوات ما ألفوه، ورضوا بعمار الهزيمة، وفاتهم التمدح بفخر الغنيمة.

فإن قلت: كيف تكون الحضارة بهذه المثابة مع أن طوائف الاقترنج لما عظمت حضارتها اتسعت ممالكها، وأخافوا عدوهم، واشتدت شوكتهم وانقلب على أعدائهم وطاعتهم، ولو كانت الحضارة مودية لما ذكر لكانوا متفرقين أبادي سباً، وأموالهم وأولادهم في يد أعدائهم نهياً، لأنهم بلغوا الغاية القصوى من الشرف، وأخذوا من كل حذب وطرف.

قلت: نعم أما ما ذكرتم من حضارة الاقترنج فأمر لا ينكر، لكن فرق بين الحضارتين، لأن حضارة أهل السودان إنما هي مقصورة على المأكلة والمشرب والمناكب والمباني والفرش والأواني والمراكب والأغاني مع الجهل بالعلوم العقلية والرياضية التي لا يتميز الإنسان عن الحيوان بدونها، كالمهندسة وقانون الحسرب

<sup>(١)</sup> والاصل: "خائفاً".



والطبيعة والطب والكيمياء وحياة الحيوان، وعلم النبات وخواص الأشياء، بل من تفقه منهم انتصر على كتب مذهبه فعرف ما فيها، وحضر قليلاً من علم التوحيد والنحو، وهذا هو الذي عندهم يسمى عالماً، وإذا رأوا من يمارس كتب الفنون التي ذكرنا بعضها نسبوه إلى الجنون والفلسفة أو الاعتزال، مع أن هذا ظلم منهم، حتى أن علم المنطق الذي يصبوب الفكر عن الخطأ حرمة بعضهم، مع أن به تقام الأدلة وتتركب القضايا، وتؤلف القياسات، وتستنتج النتائج، وهذا جاء من أمرين: الأول: عدم اعتبارهم من أول الزمن، لأنهم لو كانوا رأوا أسلافهم يتدارسون هذه الفنون لرغبوا فيها.

والثاني: أنهم اعتادوا الراحة، والمعالجة في هذه الفنون تتعصب قرانهم وتذهب براحتهم، خصوصاً وولاية الأمور لم يعتنوا بهذه الأمور، ولا يجيزون بها، والناس على دين ملوكهم، فرق بين حضارة مع علوم حكيمية باعثة على حب الوطن والقتال عليه، مغرية على شرف النفس، جاذبة إليه، وحضارة ليس فيها إلا لذة المأكّل والمشرب والجهل البسيط بالعلوم المذكورة فما كان هو إلا بييمة ترعى، مهما جاعت ومهما شبعت رقت، ومهما شبق جامع، وقصاري الأمر إن الإنسان منهم لا يعرف من الحرف إلا الحنية أو الفلاحة والتجارة مع عدم الانتقال، ولما الاقترنج فلنعتلمهم العلوم المذكورة عرفوا طبائع الأشياء، فاخترعوا الآلات العظيمة، والتحف الأنيقة، فترى كل ما علوه متقناً، سواء كان من آلات الحرب كالسلاح، أو من الملابس كالثياب، أو من الأولي، أو من التراكيب النافعة للأمراض، وعرفوا أنواع السموم القاتلة، والتداول وعلم جر الانتقال<sup>(١)</sup>، حتى أن العشرة منهم ربما أقلوا<sup>(٢)</sup> ما لم نقله المائة منا.

فإن قلت قد تقرر أن الاقترنج المذكورين عندنا معاشر المسلمين كفار، وحب الكفار كبيرة ربما جرت إلى الكفر، قلت: إن كان حبهم من جهة الدين والاعتقاد لا من جهة كونهم فعلوا كذا وكذا، أجمل من فعلنا، بل لا نسلم أن هذا

<sup>(١)</sup> العلم المؤلف من علم جر الانتقال، وهو راجع إلى الجهل في معرفة الأشياء، بالحواس والتمسك، حيث أصبحت اليوم تعني لها الدوران المثلثة، وإن عرفت باسم كامل الموي ..

<sup>(٢)</sup> كلمة أقلوا بمعنى رغبوا.

حب لهم، بل هو من قبيل حكاية الواقع، وأنا أعوذ بالله أن أكون مائل القلب إليهم في اعتقاد أو دين، فإن قلت: يمكننا أن نتعلم تلك الحرف والصنائع منهم، إما بالذهاب إلى بلادهم، أو بجلب معلمين منهم بالأجرة الوفرة، لكن إنما يمنعنا من ذلك أن علينا خمسة أوقات مفروضة، وإذا أوغلنا في تلك الحرف والفنون ربما شغلنا عنها، مع أننا مسئولون عنها، ومعاقبون على تركها، قلت لا نسلم أن الاشتغال بتلك الحرف والفنون يلهي عن الصلاة والعبادة، بل المتدين متى جاءه وقت عبادته ترك حرفه وبارئ إليها، وغير المتدين سواء كان فارغاً أو مشغولاً لا يعبأ بالوقت، ويسرف حتى تفوته العبادة.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول:

وبالجملة فالخالق جل جلاله جعل أحوال العالم على حكم علمها، وجعل منهم الشجاع والتجبان، والمتكين، والمفرط والذكي والبليد، والجواد والبخل، في كل نوع من الأنواع، إلا أن بعضهم يغلب على كذا دون كذا، وبعضهم لا كذا ولا كذا، شأن الوداي في ذلك شأن النور، فهذا (نجد طبيعة حياتهم متقاربة) وبينهما مشابهة في الكلام والشجاعة والجبن، والكبر والتواضع، وحب الراحة والميل إلى الزينة، والافتخار والانتقام ممن قنروا عليه من الأعداء، وإهمال بعض الأمور المهمة، والاشتغال بسفاسف الأمور، إلا أن النور فيهم بخيل لا يكاد يوصف خصوصاً أعجامهم، ولما ملوكهم فكرائهم<sup>(١)</sup>، لأنهم ليسوا من النور على الصحيح<sup>(٢)</sup>، وفي النور طيش وعدم تودة، وإن كان هؤلاء (أي النور) سود في إقليم أشعث أغبر، وهؤلاء (أي الوداي) بيض في إقليم عظيم الخيرات، ونجد طباع الوداي تشابه طباع الفرنسيات حتى في الكرائنة إلا في البخل فإن أكثرهم كرماء ولا يوجد مثل كرمهم إلا في العرب، وفي مجلس الملك فإن الأمر للكماكنة لرئيس الشوري، وهم أهل البلد، فإن خالفهم السلطان سطوا عليه كما تفعل أهل فرنسا،

(١) كرمهم "أي كرماء، نو كرم.

(٢) عبارة أنهم ليسوا من النور "هذه العبارة لأن الرواية الشيعية تذكر أن جد ملوك النور هو شفيع صولوا من أحد الظفصور، وهو عرب من نوسر، لكن شفيع ولد من لم عربوية وشفيع من النور وروح منهم وأبى أمه الذي قالوا في النور والشمعوا حكمتهم يتخللون بنفوسهم ويحدثون بينهم وبالتالي تسعوا من النور في وضع الأمر، لما إلى العرب فهو حده، وهي رواية قد تكون صحيحة، لأن حدة ملوك العرب المسلمين يسرون أسرارهم إلى العرب سناً في الإسلام.



وطبائع الباقرما والكتكو كطبائع الايطائيا، حتى في ادلال كلامهم واحوالهم، وطبائع البرقد والناما والزغاوة والميدوب كطبائع الاروام في الخيانة وعدم الأمن، وفي النذل اذا وقع في الأسر، وطبائع الفلان كطبائع الموسكوف<sup>(١)</sup> في حب الغلبة علي سائر الأقاليم، وكثرة العساكر والجنود، لكن في الديانة كطبائع المسياتبول<sup>(٢)</sup>، لأنهم ربما قتلوا المرء علي ترك فضيلة واحدة وحكموا بكفره، وطبائع البرنو كطبائع الإنجليز في القساوة والزينة وكثرة الأموال، وطبائع الداجو والبيكو كطبائع فلاحى الإقليم المصري، فأنهم يحبون الكسل والقفارة والأوساخ، ويتحملون التكاليف الشاقة من الحكام، من السخر ولخذ الأبناء والبنات، وهم لا يجدون حيلة ولا يهتدون مسيلا، بل لا خصوصية لهاتين<sup>(٣)</sup> القبلتين، بل البرتي والمماليك أكثر تحملاً منهم مع أنهم أكثر مالا ورجالا، لكن يخافون من قعقة السلاح كما تخاف الغنم من الذئب، فتجد الرجل من القور يسوق المائتين من البرتي أمامه بعصاه<sup>(٤)</sup>، فسبحان من هذه حكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

<sup>(١)</sup> ربما يقصد بانوسكوف "فروس" من ليل موسكوف.

<sup>(٢)</sup> المسياتبول : ربما يقصد "أكرات".

<sup>(٣)</sup> في الأصل : "الطين" وهو حقا.

<sup>(٤)</sup> لم يسمع مثل هذا الكلام في القور من قبل، ولا أدرى من أين وحده المؤلف.

### الفصل الثالث

#### في أحوال دار ودای وعوادهم

#### وعواد ملوكهم وأسماء مناصبهم

لما كان الخالق الأكبر تزهت ذاته وتقدس صفاته مخالفاً لجميع مصنوعاته فلا يماثله أحد في ذاته ولا في صفته ولا في أفعاله، نوع العوائد كما نوع العوائد، وجعل زينة قوم شينة آخرين، ولو شاء لجعلهم أمة واحدة، ولكن بتسوع العادات واختلاف الاصطلاحات يعلم اللبيب الخائق أن الحكمة الإلهية تقتضت لكل قوم ما اعتادوا عليه: ويشق عليهم تغيير عوادهم دينية كانت أو دنيوية، فإذا تقرر ذلك أقول: إن عادة الودای تقرب من عادة الفلور في بعض الأحوال وتخالفها في البعض الآخر، أما وجه التقرب ففي المأكل والمشرب وملابس النساء وزينتهن، فإنها وإن لم تكن بينهما مماثلة كلية في ذلك فهي قريبة منها مبتدأ، وأما وجه المخالفة ففي أسماء المناصب وعوائد الحكم وترتيب الديوان والكرم الذي لا يدرك مثله، فكلهم كرام فقيرهم كغنيهم وكل يجود على قدر حاله، وقبل أن نذكر العوائد وأسماء المناصب نذكر السلطنة وبناء الملك، وكيف يتوارثونه وما عاداتهم في ذلك فنقول:-

لما استوطنت دار ودای وصلبت الجمعة في مسجدهم الجامع سمعت الامام يدعو للسلطان في الخطبة يقول: اللهم أنصر السلطان محمد عبدالكريم ابن السلطان محمد صالح بن السلطان محمد جودة بن السلطان صليح، فسألت من منيهم هل أحد يعرف كيف كان ابتداء أمر السلطان صليح، وإلى أي قبيلة ينسب، فاختلفت الآراء فبعضهم يقول هو مسناوي من قبيلة يقال لها المسناوية، نسبة لجبل عندهم يقال له ابو المنون<sup>(١)</sup>، وهذه للقبيلة أعظم قبائل الودای شرفاً ورفعة، ثم لني

<sup>(١)</sup> أبو المنون: أن منسوب اسم هذا على جبل في ودای وله نسب له المسنون أو أي من ذلك، كانت هذه القبيلة على تسمية لم أصح، فترادفها الاسلام على يد السلطان صليح، واستطاع بواسطتهم أن يطرأ الاسلام في ودای فاستلهم بعض الناس منها منتقاه مدداً وترادف السلطان صليح هذه القبيلة الأربع برزخ الحضرة ومنها جميعاً شأت الأسرة الحاكمة في ودای، كما ورد في أصل هذا الكتاب.

متر: الترجمة الفرنسية Voyage au Wzday. PP. 69-73



رأيت في خاتم السلطان (عبارة) السلطان محمد عبدالكريم بن السلطان صالح  
العباسي، فبحثت عن هذا النسب الشريف من أين وصل الى هؤلاء الاعجام حتى  
امتزج بهم وصار كأنه منهم، فمن قائل يقول: إن هذا النسب مفترى، وإبه لعلقة  
له بالعرب البتة، ومن قائل إن هذا النسب حق إلا أننا لانعلم وقت دخوله فينا، ثم  
سألت العقيد احمد من رؤساء الدولة ودهاتهم فاخبرني أن القطار لما تغلبوا على  
بغداد وخرّبوا بيت ملك العباسيين انتقلت الخلافة الى مصر وبقيت كذلك حتى  
تغلب الاتراك والمماليك على الخلفاء وذلك بعد دولة الفاطميين تفرقت أولاد  
الخلفاء في البلاد وكان منهم رجل فر الى أرض الحجاز واستوطن بها حتى ولد له  
ولد فسمي ولده صالحاً، فلما كبر صالح اجتمع مع حجاج علماء سنار<sup>(١)</sup>، وكان  
فقيها ورعاً عابداً فأحبوه وكان رجلاً كثير السياحة في البلاد فحكوا له عن بلدهم  
ومافيهما وشوقوه لرؤيتها، فتوجه معهم اليها ولم يطل الإقامة بها، لما رأى فيها من  
الفسق والفجور فخاف على نفسه وفر وتقل في سياحته من بلد الى آخر حتى نزل  
بجبل ابي السنون باقليم وداي، وكانوا مجوساً لا يعرفون الاسلام ولا الكفر، فتخل  
بينهم وصار يعبد الله ويصلي ويصوم ويكثر الذكر والقراءة فأحبه السيناويون<sup>(٢)</sup>،  
وسألوه لاي شيء يفعل ذلك، فقال: عبادة الله، فقالوا له: وما الله؟ فقال: الذي خلق  
السموات والارض والليل والنهار، والشمس والقمر والكواكب والاشجار والأنهار  
فهذا هم الله على يده وأسلموا، فعلمهم سوراً من القرآن والصلاة والصيام، وملازم  
بهم حتى تمكن الايمان من قلوبهم، وكانوا طائفة عظيمة فسموه شيخاً، وكان يأخذ  
الزكاة من أغنيائهم فيصرفها في فقرائهم، ثم قال لهم: إن الله أمرنا بالجهاد فهلموا  
نجاهد من لم يوحد الله، فأجابوه فخرجوا معه الى أقرب القبائل بجوارهم فأرسل  
لهم رسولا يدعوهم الى الاسلام فأسلموا وذهب الى طائفة اخرى فأسلمت وهكذا

<sup>(١)</sup> سنار هي مدينة منطقة المروج والفرات ضمنها أيضا ملكة سنار كما عرفت باسم السلطنة البردانة، قامت هذه المملكة على  
التي هي منطقة دولة المسيحية لوقال لهم لاجلهم لغيري الستم من الملاحى على يد رهم المولج صبرة دلس وعقبة مدنة حجاج  
ميج عرب الموحدة من جهة وحظمت سنار خلال القرن السادس عشر الميلادي ولحظمت مساحتها من حواكس شرقاً الى قبل غرباً  
ومن أقصى شمال فزار على حدود الى الشمال ثلاث بلدان، وقامت بدور كبري في نشر الاسلام والفتنة العربية في السودان وكسبت  
معمرة الموانئ السود والى في الغرب، واستمرت سنار في العهد العثماني حتى حررها الاتراك طهارة محمد على باشا عام ١٨٢٠م.

<sup>(٢)</sup> في الأصل "فأحبوه السيناويون".

حتى أسلم منهم أربع طوائف<sup>(١)</sup> من أعظم طوائف السودان، وهم أهل المملكة الآن، ومن عاداتهم أن الملك إذا لم تكن أمه من هذه الطوائف الأربع<sup>(٢)</sup>، لا يرضون بولايته، ثم جاهدوا بقية طوائف السودان، فمن أسلم منهم بدون قتال عندهم يسمى حراً، ومن لم يسلم إلا بالقتال يسمى رقيقاً لكن المناويين<sup>(٣)</sup>، وثلاث طوائف<sup>(٤)</sup> هم أهل بيت الملك ولما اتسمت المملكة سموه سلطاناً وجعلوا الملك في عقبه، وأخبرني رجل يسمى الشريف مسيح أن سلطان الوداي ومسلطان الفور ومسلطان كرتغان أولاد رجل واحد<sup>(٥)</sup>، وإن صليح وسولون سلمان<sup>(٦)</sup>، والمسيح<sup>(٧)</sup> اخوان وانهم من عرب فزارة، وكانوا أصحاب ثروة وخير وصلاح فسكن كل منهم القلعة، فاماصليح فانه نزل عند المناويين كما تقدم، ولما سلون سلمان فانه

<sup>(١)</sup> في الأصل أربعة طوائف... وهو خطأ والصواب أربع طوائف.

<sup>(٢)</sup> في الأصل "الطوائف الأربع".

<sup>(٣)</sup> في الأصل "ولكن السولون". وهو خطأ والصواب المناويين.

<sup>(٤)</sup> في الأصل وثلاثة طوائف...

<sup>(٥)</sup> هذه الرواية والتي تقول: أن سليمان سولون سلطان الفور والسلطان مسيح سلطان السعيات والسلطان صليح سلطان الوداي أمراء لأب وأم، رواية جديدة وحديثة والبحث لأن ماورد في المصادر التاريخية هو أن سليمان سولون ومسيح الوداي ولم يجد مايسند هذه الرواية الحديثة.

<sup>(٦)</sup> سليمان سولون: منتج السيف، هو أول سلاطين دارفور المسمى والذي حكم حوالي منتصف القرن السابع عشر الميلادي وأسس حكم أمراء حتى عام ١٩١٦، ويحيط بسب هذا السلطان العثماني هناك رواية تقليدية تقول أنه حرق من بين حلال وأنه أصل الفور من طريق النصارى، وأنه ابن أحمد العفور الذي ترك مملوكة لدى سلطان الفور الذي روج له أنه حوارة، والتي جاء من اسمها اسم "الكروا" الذين حكموا دارفور وأثبت حوارة سليمان الذي لقب بسولونج، أي العربي حتى لسيد الفور، مما يدل أنه ينحدر العربية وبذلك الإسلام دين العرب، وورث سليمان ومملك الفور واستطاع أن يفرج عنكم من الشعر بعد حروب طويلة بلغت حوالي ثلاث وثلاثين معركة كما اصنع طائر دارفور القوية ومنه كالبقرة والذئب والتمسح والحيات بحسب الصالح العربية كالأب خليفة والعمامة والرياحات والظلمة وبذلك رسم معالم دولة وليس على كثر ثلاث مملوكة لمملكة حوارة من قبل الشعر وبذلك عام دولة قوية فيها الاسلام، والذي احل منتشر حوارة في روج دارفور ولول في عام ١٦٦٠م وهو في حوارة، وعلمه أنه موسى حليمة.

MacMichael.OP.CT.P.92

سوم ظهور تاريخ السودان وعصره، ص ٤٠٥.

<sup>(٧)</sup> المسح: تذكر الروايات أن مسيح (توسام) هو أخ السلطان سليمان سولون، وقد اتسمت الدولة بعد تأسيسها فكان سليمان سليمان دارفور ولاعبه مسيح (توسام) نظم (كرامات) (الشعائر) تابعة لدارفور ونقل الحكم في أمه حتى عهد السلطان نور الدين الذي أعلن أنه السلطان حاكم السودان على دارفور وفتح الآخرة منها مدخل من سلطان سار نظام السلطان نور الدين كرواين وطسرد السلطان حاشم ولكن من هزيمة العبدلات واحد لماسهم.



نزل عند الكونجارية<sup>(١)</sup>، وحين تقوى بالرجال اخذ الملك من التتجر<sup>(٢)</sup> وقد ذكرنا  
 ذلك سابقا في الكلام<sup>(٣)</sup>، عن دارفور والذي دعانا للاختلاف في نسب هؤلاء  
 الملوك كونهم لم يحفظوا أنسابهم في كتاب، ولم يقع من علماء الفور ولا علماء  
 اللوداي تأليف في أنسابهم وإنما يخطبون خطب عشواء، وإذا سؤل احدهم عن ذلك  
 قصارى أمره أن يقول بلغنى كذا وكذا، وهى دعوى بلا دليل، والله أعلم بحقيقة  
 الحال، لكن القول بأنه من فزارة وابن جده وجد سلطان الفور وسلطان المسبغات  
 واحد، يكون الجد الفزاري هو السادس للثلاثة لأن السلطان محمد عبدالكريم  
 الملقب بصابون رحمة الله عليه ابن السلطان محمد صالح ابن السلطان محمد جودة  
 الملقب بخريف التيمان ومعنى خريف التيمان عندهم: المزدوج الخيرات، لأن  
 الخريف عندهم هو زمن نزول المطر والزراعة والتيمان هما التوأمين اللذان  
 يولدان معاً في بطن واحد، فشبهت السنوات بالخريف الذى تأتى أمطاره قدر  
 ماتت في خريفين لأنه كان جواداً كريماً، إذا وجه عنايته الى شخص اغناه كما إذا  
 جاء الخريف عظيماً لمصاحب الزراعة، ابن السلطان محمد عروس وهو صليح  
 الأصفر بن الشيخ صليح بن الفزاري، وكذا السلطان محمد فضل الفوراوى بن  
 المرحوم السلطان عبدالرحمن الملقب بالرشيد بن السلطان أحمد بكر بن السلطان

<sup>(١)</sup> الكونجارية: يكون المخرج الرئيس هناك من قبائل الفور وهما الكرا والكجارية وهم الأصناف الأولى الذى تفرع منه الكرا بالكونجارية  
 وهو المخرج الذى استطاع أن يؤسس دولة الفور على يد السلطان سليمان سونون.  
<sup>(٢)</sup> التتجر: اصلت الروايات التاريخية في أصل التتجر الذين كانوا يحكمون دارفور قبل سلطنة الفور هناك رواية تقول بأنهم من عرب  
 بن هلال وان جددهم هو راحة (شاه ودرغيد) وهو أحد نعم ملوكهم وله قصر مرفيع مزارع كثيرة بقية في صحراء شمال دارفور وقد  
 كتب لهم نسب برصالحهم الى ابن زيد الهلالي ولهم معترك كلابية وجمع قوبة في دنت، وهناك رواية أخرى ان التتجر حليط من قومين  
 ومن هلال، ولهم هاتروا من بلاد القوبة الى دارفور في القرن الرابع عشر والخامس عشر للميلاد واستطاعوا أن يبنوا دولة كبرى  
 امتدت الى نهر النيل وكردها بعد أن استطاعوا دولة الدامر في شرق وجنوب جبل مرة واستمروا الى حكم دولتهم حسن صمعت  
 واستطاعت أسرة كرا الفور أن تفرع اخفكم منهم وألاريت جهات منهم مورعة بن دارفور وودلى ورو.

مطر:

Borth, H. Travels and Discoveries in North and Central Africa, Vol. 3P.430

Arkel, A.J. the History of Darfur S.N.R Part 2 PP 207-218

Lampen, G.d History of Darfur part, ١, P.183

<sup>(٣)</sup> في الأصل \* في الكلام عن الفور... والصلوات \* عن الفور...

سلمان بن السلطان ملون بن السلطان سلمان الفزاري<sup>(١)</sup>، وكذا السلطان هاشم  
الذي كان على كردغان، إلا أنني لا أعلم أجداده إلا المصبيع بن الفزارة، وأما على  
القول بأن سلطان الوداي من العباسيين فيكون كله جند منفرد غير جند سلطان الفور  
والمصبيعات، وهذا القول هو الأليق به، وبكرمه وعلو همة لانه كان من مكارم  
الأخلاق وعلو الهمة والتقوى والصلاح والجود بمكان عظيم، فكان في مكارم  
أخلاقه يضاهي المأمون بن الرشيد العباسي وكان في كرمه يفوق الرشيد والبرمك  
بل لو سبق حاقماً بيوم لما ذكر حاتم على السنة العرب في الشعر والنثر، وأما  
شجاعته وبراعته فأمر من أن تعرف وسأذكر كلا من هذه الأوصاف مفصلاً  
فستان ما بين بخل الفور وجبنهم وشجاعة الوداي وكرمهم، والعرق نملن فنل ذلك  
على اختلاف أصل السلطانتين<sup>(٢)</sup> .

<sup>(١)</sup> الفزاري نسبة إلى من فررة وهم من العرب أعدتة كانوا يمتنون في بواسطة الحرية العربية لغوار مصارب لقاتي جهة الخليفة  
ولما كانت الخليفة من أصلهم لمأرومناً كما كانت حمرة الميثاق بل معبر له حدثت في وقت واحد، ومن مصر إلى الخليفة  
حرية فحدث شرف من الأصحاب بعد الفورة والأولع العديد، ولما كانت جهة هي الأكثر مالاً وعزداً وعتاداً ما يستمر بها سريرة  
والصحت مرعاً بها حاسة في الخليل التي عاصرت أن السودان والخطت لقاتي فزارة برعي الأمل في دارفور وكردوي.

نظر:

محمد عوفى محمد (شؤون الجمال، ص ٢٢٠)

<sup>(٢)</sup> ومع أن لفران لم يفر من أصناف السحابة من كرم وشجاعة دانيل ظهر الأصالة والحكمة والبيان استمد أن يكون ظهور الخليفة  
وعنده ما بين واليحل حمرة لفران لادن ومدهم بالشجاعة والكرم وهذه المعايير غير حليمة لأن التي لفت منها الأصحاب والشكر  
ومها احبال واليحل ولحن من حكمة الله في خلقه، نكل هناك مرورة الأصحاب ومنه لم يفر في روبر انت اصحاب محمد لفران  
وصورها حد أخرى.



## ذكر ما وقع بين الوداي والنور

### من العهد وما وقع من قرض العهد والحروب والملاحة

حكى لي الحاج نصر السناري وكان من مستفيهم ناهز الثمانين، ان السلطان  
سلون سلمان جد سلطان النور اجتمع مع السلطان صليح جد سلطان الوداي في  
الخلا للكاتن بين الايالتين وتعاودا الايتون احدهما صاحبه، وقاسا المسافة الكائنة  
بينهما وقسمها بالسوية، واخذوا مسامير كبيرة<sup>(١)</sup>، من الحديد وضرباها في  
الاشجار العظيمة وجعلها حداً حاجزاً بين المملكتين وحين كنت متوجهاً من  
دارفور الى دار وداي صحبة الفقيه احمد ابي سارة والجيش الذي كان يشيعنا  
رأيت في وسط الغابة التي<sup>(٢)</sup> ذكرت، ان الارانب والوحوش فيها كثيرة، ثلاث  
شجرات على خط واحد في جذع كل شجرة منها قضيب من الحديد غاطس في  
جذع الشجرة وبارز منه نحو شبر فتعجبت لذلك وسالت الفقيه احمد ابي سارة،  
فاخبرني ان هذا هو الحد الكائن بين مملكة النور والوداي واثنان ان القضيب منها  
لا اقل من ان يكون طوله ذراعاً ونصف لان جذع الشجرة منها من لا يعتقه  
الرجل العظيم الباع، فلا اقل من ان يكون المسار دخالاً منه في ممكها نحو  
ذراع، والبارز منه نحو الشبر ولخوفهم على المارين تنوء<sup>(٣)</sup> حتى اعوج منه مع  
طول الجذع ولطول العهد نمت الشجرة وانمل جرحها حتى صار كائنه منها،  
وحلف كل منهما لصاحبه انه لا يتجاوز هذا الحد بخيانة، وقرأ الفاتحة، ان كل من  
تجاوزه قاصداً ضرر صاحبه لانصره الله عليه، واشهدوا على ذلك من حضرهما  
من اكابر دولتيهما، وتفرقا على ذلك فلما ماتا وورث الملك ابناؤهما<sup>(٤)</sup>، (طمع كل  
واحد منهما) في أخذ مملكة الاخر وضمها الى مملكته لاتساع الايالة وارتفاع

<sup>(١)</sup> في الاصل \* واحداً مسامير كثيرة...

<sup>(٢)</sup> في الاصل \* غابة التي ذكرت...

<sup>(٣)</sup> في الاصل: \* تنوء الى تنوء - الاثاء - ومنه الاتواء.

<sup>(٤)</sup> في الاصل \* ابناؤهما... وهو خطأ والصواب: ابناؤهما...

انصبت ونشر النكر، وهذه هي عادة الملوك فلرك الله ان السلطان أحمد بكر<sup>(١)</sup> حين تولى في دارفور كان صغيراً لا يملك من نفسه شيئاً ولا يقدر على التصرف في الأمور وكان الحكم والأمر والنهي لوزرائه، فبلغ خبره إلى سلطان الوداي وكان اذاك السلطان محمد عروس، ففأقت نفسه أن يتوجه إلى دارفور ويملكها، فمنعه أهل شرأي والحزم من وزارته فأبى عليهم، وقال لابد من ذلك، ولا تترك ولداً صغيراً يتمتع في مملكة مثل هذه، فقال له أحد وزرائه: إيد الله مولانا انما الصغير (هو) الذي لأرجال معه (ونرى) أن قادة الرجال مساعدون للصغير (انن) فهو غير صغير، أرأيت لو قدر الله عليك وخلفت ولداً بين طهرائنا وجامنا العدو، أفلا نذب عنه بأرواحنا فكيف (إذا سلمه الفور لنا) فقال: دعوا عنكم هذا الكلام فاني لابد لي من ذلك وحينئذ (لا) يمكنهم الا الطاعة، فخرجوا وكان له (أي سلطان وداي) ولدان، فخلف أحبيهما وأحبهما لديه ملكاً في بلاده وأخذ الثاني معه وخرج بنصف العسكر وترك النصف لحماية البلد والنذب عنها، ولما دخل في إيالة الفور صار لا يتعرض لأحد فيها بسوء ويقول: هذه رعايا لأعلاقة لي بها ولما أنا قاصد الملك فتوغل في دار الفور حتى قرب من بيت السلطان (الكائن) في المكان المسمى بقزلي، فنفر جنود الفور وذهبوا إلى السلطان وكان صغيراً كما ذكرنا، وقالوا له ان الوداي قد جاموا يريدون أخذ بلادنا فقال لهم السلطان أحمد بكر: ما حيلتي وأنا صغير ولا أقدر على مشاق الحروب ولا أعرف كيف أصنع فيها، فقالوا له: لا تخف بأس شيء فإما نريد أن نركب معنا ونقف في القلب، ونحن نقاتل عنك وعن بلادنا فما أمكنه مخالفتهم فامتل وخرج من بيته، والتفوا عليه، وكان الوزراء قد كتبوا لجميع الأفاق بشحن العساكر، للنذب عن البلد فحضرت جنود تملأ السهل والوعر، ومن جعلتها أهل البلاد الذين تركهم سلطان الوداي

<sup>(١)</sup> أحمد بكر: يقول الفور حول له حكم دارفور ثم بعد ذلك من عام ١٦٨٢-١٧٢٢ م. كان مسلماً فأصبه وجهه بالانتماء إلى من انتمى إليه وجميع النصارى في جميع الأديان في بلاد دارفور حيث اعترف هذا السلطان بدينه الشاهد والخلافة واسمهم مدناً من النصارى مسكن خلف البلاد، ومنهم أراخس وأسمهم من العرب وجعل مائتة في قرى أحياء في جبل مرة، وفي يوم فسلل أحياء أخرى واسمها أن يهرم فيالي العبر ويصنعها ليلولة واسمها بامراء الله ذلك في حطب السلاح فوامهه طارقات الوداي على دارفور.



وراءه وقال (عنهم) هؤلاء رعايا لأعلاقة لي بهم فاجتمعوا وأحاطوا به إحاطة  
الخاتم بالأصبع، ووقع القتال وكان يوماً عبوساً ولم يؤم القدر ووخامته جاء الناس  
لابن السلطان وقتلوا له ابن أباه إنما جاء بك إلى هنا وترك أخاك خليفة في البلاد  
كرامة فيك ومرامة أن تموت في الحرب ويتمك أخوك البلاد، فأخذ نصف  
العساكر وانهمزم بها إلى دار ودای وترك والده في أشد المضايقة فضاق الحال  
وقل الجند، وتكاثر عليه الغور وفي كل يوم يزيدون والودای في كل يوم  
ينقصون، وحلف السلطان أن لا يواجه وجه جواده لجهة المغرب لأن الفرار  
(عندهم) قبيح من رعاعهم فما بالك بالملوك فوقع القتال بين السلطانين سبعة أيام،  
وفي اليوم الثامن انكسرت عساكر قودای من الجناحين وبقي السلطان ثابتاً في  
القلب وثار النفع وارتفع الغبار من حوافر الخيل حتى صار النهار كالجنس ورأى  
الوزراء وأرباب الدولة أن انهزامهم وترك السلطان في وسط الأعداء من أقبح  
المعائب فأدبروا وجه جواد السلطان إلى المغرب ولم يشعر، وساروا بقية يومهم  
والعساكر محيطون بهم، يذبون عنهم، فلبوا بلاء حسناً وكلما سأل السلطان وقال:  
إلى أين أنا سائر؟ قالوا: للمشرق ولم يزالوا كذلك مدة أربعة أيام، فلما كان اليوم  
الخامس تقطعت العساكر عنهم وخلا الجو، ظهر الحال للسلطان أنه انهزم وأنه  
متوجه لبلاده، فقال لهم خنتم يا ودای، فقاتلوا، لوخنا لانهزمنا وتركناك للعدو، لكن  
كثر علينا المدد، وقتل منا العدو فرجعنا بك سالمين فقال لهم: ماذا فعل فلان، يعني  
ولده فقالوا: أخذ نصف العسكر ورجع إلى دار ودای فاستشاط غيظاً، وعرض على  
أنامله وقال: حينئذ الحق معكم ثم انه توجه إلى ليلته وحين وصل إلى فاشره  
المسمى بولره وجد ولديه يقتلان، ولم يغلب أحدهما الآخر، لأن الذي في دار  
المملكة كان متمكناً في العدة والرجال، وكذا الذي فر من والده كان معه عسكر  
عظيم فتكافأ، ولم يغلب أحد منهما صاحبه وحين جاء أبوهما بطل القتال وخارج  
الذي كان في دار المملكة واصطفا صفيين ودخل أبوهما في دار ملكه ودعا بولديه  
فحضرا بين يديه، فقال للذي رجع عنه في الحرب، ما الذي حملك على ذلك؟ فقال  
حب المملكة وعدم عنتك، فقال له والده كيف يتصور العمل في ذلك؟ لأنني إن  
أهينكما معاً في دار الخلافة كان ذلك جالباً للخراب لأن كلا منكما يريد أن يتناول

الحكم، ويقع مايقع وإن أخذت أخاك وتركته قاتل أخوك كما قتلت، ولايسوغ لى أن  
أوكل اجنبياً ولى ولدان، ولكن حينما خالفت أمرى ورجعت بالعساكر وكنت مسيياً  
فى خذلائى وانهزامى أمام العدو، وأثمت بى أعدائى لأقمن بك مااستحقته، ثم أمر  
بالتقبض عليه وتكحيله بمروك محماة، فأعشى بصره وبقي كذلك الى أن مات.  
أقول: وهذا قليل فى جزائه لانه تسبب بهذا الفعل (فى) مقاصد وأمور عظيمة،  
أولها العقوق وثانيها انهزام السلطان من عدوه وثالثها منك النماء الذى وقع حين  
قتل أخاه ثم وقعت الهدنة بين الملكين حتى ماتا، فولى عوضاً عن السلطان  
عروس ولده جودة الملقب بخريف التيمان، وولى عوضاً عن السلطان احمد بكر  
ولده عمر<sup>(١)</sup>، فملك عمر فى إيلاته فى أرشد عيش ثمان سنين ولما رأى كثرة  
الجنود ورفاهة الحال حدثته نفسه بأخذ مملكة وداى، فخرج فى عسكر كثيف  
ونصحه وزراءه فلم يقبل (ولم) يزل سائراً حتى بلغ إيلة وداى فجعل لايمر بقربة  
الاخربها<sup>(٢)</sup>، ولا بغلل الا أحرقها ولاياناس الا قتلهم وعظم شره فالتجأ الناس  
لسلطاتهم فلما تحقق السلطان جودة الخبر، ركب فيمن حضر عنده من الجيوش  
وارسل لللاقى بحشد الرجال والسلاح والكراع، فاجابوه وانهلوا عليه كما ينهل  
الغيث المدرار، فما وصل الى العدو حتى امتلأ السهل والوعر، و (كان) الفور  
(قد) امتلأت<sup>(٣)</sup> ايديهم من الغنائم وطعموا فى أخذ المملكة وظنوا عجز الوداى عن  
ملاقاة مثلهم فما راعهم الا وقد طلعت عليهم نواصى الخيل تعلوها الرايات  
السلطانية وتقاتل المواكب، وكلما جاء كردوس من الخيل أكبوا رؤوسهم على  
فرايض سروجهم ودخلوا للحرب، فاحاطوا بالفور من كل جانب مع ما أعطاهم  
الله من الشجاعة والاقدام، لأن الرجل من الوداى يقابل عشرة من الفور ولايبالى  
ولمشجاعة الوداى كلن الرجل منهم اذا أراد قتال الفور اوى يرميه الفور اوى

<sup>(١)</sup> السلطان عمر: اسمه حكمة الفار فور من ١٧٣٢-١٧٣٩ وله ذكر بعض التراجم انه لم يكن من السلطان احمد ايكرا، بل حمده وانه  
خلف اياه السلطان محمد دودة من السلطان احمد ايكرا وهذا ذكر لعموم الشعوب من هذا من اعدائى سلاطين دارفور وأنتهم هم من  
الكتاب والسنه، كما ورد أيضاً انه كان قاصداً من اعدائه من قلب حمر ليل الى عمر "الحمار" لعمده والسنة. بقر محسوم فطسوا  
تاريخ السودان، ج٢، ص ١١٥-١١٦ Lampen G.D.OP Cit PP.185-186

<sup>(٢)</sup> فى الاصل "...لعمريه..."

<sup>(٣)</sup> فى الاصل "...مملات..."



بالتسلاح عن بعد فيقول له الوداوى اصبر لا ترم فائنى إليك، ويقم عليه لا يخنس من رمية حتى يعانقه ويلزمه حتى يموت أحدهما وحين رأى عساكر الفور أنهم أبلوا بما لأطاقة لهم به، رجعوا اتقهري، وتبعهم الوداى حتى كشفوهم ولم يأت السلطان جودة الا وهم منهزمون، وقتل السلطان عمر، وداسه الخيل، ولم يعثروا على مثله<sup>(١)</sup>، واشتم الوداى خيل الفور وأسلابهم ودوابهم وتبعوهم يقتلون ويأسرون حتى أخرجوهم من إياتهم، ولما رجع الفل<sup>(٢)</sup> منهم إلى إياتهم ودلر ملكهم ولوا أبا القاسم<sup>(٣)</sup> ابن السلطان أحمد بكر سلطاناً عليهم، ولقدوا له، فمكث في أرغد عيش سبع سنين (و) لا تقضاء أجله تذكر أن يأخذ ثار أخيه السلطان عمر من الوداى فعمد يجمع الجموع، ويبهى العدة حتى جمع جيشاً لا يعدده العاد، ولا يحصره الحاصر، وأصبح راحلاً بهذا الجيش إلى دار وداى وحين دخل في إيالة الوداى أرسل وزيراً من وزرائه إلى جهة الصعيد<sup>(٤)</sup> منها ومعه نحو عشرة آلاف من الخيل والرجال (فقام) بنهب الأموال وفعل ما أقره به السلطان (ثم) توجه السلطان ببقية العساكر قاصداً دار ملك الوداى، ولما بلغ السلطان جودة أن السلطان أبا القاسم توغل في بلده، وفعل ما فعل ارتحل من محل مسكنه وتوجه جهة الجنوب كأنه فار منها، ولما وصل الخبر إلى السلطان أبى القاسم أن السلطان جودة قد فر وارتحل من دار ملكه، طمع، وأعجبه نفسه، وأيقن ببلوغ الأمل، وأصبح متوغلاً في البلاد، وأما السلطان جودة فإنه سار ناحية الجنوب مدة يومين وانعطف في اليوم الثالث إلى ناحية المشرق، واستمر مسائراً حتى حال بين

<sup>(١)</sup> السلطان بالكر، والجمع أكلاد، وهو العدو والمعد من كل شيء وكل مسلوح أكل من شيء ولحقته من غدة. ينظر: المسعودي المجلد ٤ لصل النور باب الولد.

<sup>(٢)</sup> الفل: والجمع، قول، وهي المجموعات من العساكر الشهيرة.

<sup>(٣)</sup> السلطان أبو القاسم: هو ابن السلطان أحمد بكر، حكم سلطنة دارفور في الفترة ١٧٣٩-١٧٥٢م وحاكم حكمه بعد ابن أخيه السلطان عمر، ويذكر أنور جون أن السلطان أبا القاسم بدأ عهده بمحاولة جماعات المعد دون الأحرار، والمنسلات وضرائب الحكيم والإدارة بالعدل، فكره الناس حكمه، ثم دخل في حرب مع الوداى عتراً لآخيه، وبعده عن الأمل بأخيه أثناء الحرب لعب لعل دارفور أخيه محمد نواب عرض السلطة وعندما ظهر الناس أن أبا القاسم لم يمت وإنما أحلته بعض الفصائل العربية عرباً وأولاه حتى قتل وحاكم القاهر، أمر هذه رجل القولة قد جازل لآخيه نواب عن السلطة، لكنه رفض وقوم هذه المعركة، فاستمر نواب ورجله إلى حلفه حتى الموت وهو (١) مدخل سلاطين الفور بطرق. ينظر: Lampen, G.D.O.P.Ch.P.186 نسخة الإهداء

السلطان أبي القاسم وبين دارفور، وكان حين فشي الخبر أن السلطان جوده (كند) فر من مقر سلطنته، كان أحد وزراء السلطان أبي القاسم حاضراً فقال: لا أظن ذلك، لأن الرجل لم يقاتلنا ولم يعاملنا، ولا رأى منا طيباً ولا خبيثاً، فكيف يفر ويترك بلاده وبلاده أبيه بغير ما يوجب ذلك، وسيوضح لمولانا الأمر إن شاء الله تعالى، ثم لما كان عند المساء أمر بنعجة حروب فجيء بها وأمر بغسلها بالماء والصابون، فغسلت حتى لم يبق بها درن ولا وسخ، ثم أمر بآباء غسل، وأمر بحالب غسل يديه وحلبها، وأخذ اللبن ووضع على سقف عرش السلطان، ولما أصبح دعا باللبن فأحضر بين يديه فرأه أسود، فجاء به إلى السلطان وقال يا مولانا يقولون إن الرجل فر، وهو سار ليله لم يكتحل بنوم، فقال السلطان: ومن أين لك ذلك؟ قال: أما ترى اللبن بعد بياضه، وبلغني أن بعض جهال الفور رأوا مسيرة<sup>(١)</sup> دخلت بعد حصاده وقبل دراسته وعندها امرأة عجوز، فصاروا يعبثون بالفلل ويعطون منها لدوابهم، فكانت تلك العجوز تقول لهم: مساكين يا أولادي افعلوا ما شئتم، فإن جوده لا يترككم هكذا، وسوف يلقي ويسوقكم كالفحم وكان (السلطان جوده) عندما رأى عساكر الفور، أمر أحد وزرائه المسمى بالعقيد قوت (أن يأخذ) قوة من اثني عشر ألفاً من الخيل وأن يكمن في محل ولا يتحرك منه ولو فتيت عساكره إلا إذا دعاه، فامتثل الأمر، وكمن المنكور في المحل الذي أمر بالكمن فيه (ثم) التقى الجمعان، فباليه من يوم وما أصعبه<sup>(٢)</sup>، ارتفع فيه القتال حتى أسود النهار ورؤيت النجوم نهراً، ولقد شاهدت موضع هذه الواقعة مجندة حمراء من مستقع الدم، ورأيت رجالاً ممن شاهد هذه الواقعة، يفتخون ذلك من هول ما رأى يومئذ، وكان يوماً كان الضرب فيه يقد، والطعن يهد، ولما اختلط العسكران مع بعضهما كان من شدة الاختلاط لا يتميز الوداوي من الفوراوي، وحينئذ خاف السلطان جوده أن يغتاله أحد جند الفور وهو لا ينرى، فأمر بإحضار العقيد قوت، فما كان إلا كلاً ولا<sup>(٣)</sup> حتى حضر بجيشه كاتميل إذا سال، والرمل إذا انهال، فوجد

<sup>(١)</sup> مسيرة: عبارة عن حزن كثيرة بعد فلتها، ويطلق عليه اسم المرد أمدا.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: ما كان أسه.

<sup>(٣)</sup> لما كان الاكلا ولا عبارة مستعارة للكسب، والمعنى ليس القدر، أي لما كان لا يفتح القصر.



الاختلاط العظيم، فتخبر أمره وتوقف عن الحملة خوفاً من مضرة قبيلته، ولما رأى السلطان أرسل إليه أن يحمل ولا تخشى شيئاً واضرب كل من كان أمامك فحمل بجيشه حملة عظيمة قتل بها عالماً عظيماً وانفرز<sup>(١)</sup> الجيشان بعد الاختلاط ولما رأى الوداي انفراد جيش الفور عن جيشهم حملوا عليهم حملة واحدة، وحمل معهم العقيد قوت بجماعته وكانوا مرتاحين لم يلحقهم تعب، فبذلوا جبهدهم في عنوهم، فلم يكن الاكلح البصر أو هو اقرب حتى انهزم الجيش الفوراوي، وقتل سلطانه وتضعضت اركانه وصاروا<sup>(٢)</sup> بين قتيل وجريح وأسير، والسيف يعمل في انفيتهم فلم ينجوا إلا برأس ممره<sup>(٣)</sup> وكانوا حين انهزامهم ينسرون إلى باجة المغرب لذهول عقولهم عن جهة بلادهم، فأرسل لهم السلطان جوده فرسائاً على آثارهم ينادونهم يا فور ليست هذه طريقكم، حتى استيقظوا وتوجهوا إلى جهة بلادهم، وغنم الوداي أسلابهم وسلاحهم وأموالهم، ومن جملة ذلك نساء السلطان اللاتي كن صحبته لأن من عادة ملوك السودان سواء كان الفور أو الوداي لا يتوجهون إلى سفر إلا ويكون معهم جماعة من نسائهم ولقد شأخت حين كنت في دار وداي عجوزتين بلغتا من العمر نحو التسعين، وأخبرت أنهما من أسيرات الفور اللاتي كن مع السلطان أبي القاسم، وبعد انقضاء آثار رجع السلطان جوده إلى مقر سلطنته مؤيداً منصوراً، وامتلك أيدي العساكر بالاموال وبعد ثلاثة أيام من هزيمة الفور وقتل سلطاتهم قتم الوزير الذي كان (قد) أرسله ظاناً أن سلطانه (قد) ملك البلاد وقتل سلطان الوداي، ولم يعلم بما وقع لسلطانه وعسكره، وذلك كان سبباً لدنو أجله وأجل من مات معه، فخرج إليه أحد وزراء السلطان واعترضه<sup>(٤)</sup> وعاقه عن السير (ثم هجم عليه) وقتله وقتل جماعته قتلاً نريعاً ولم ينج من القتل إلا القليل، فبأ لها من وقعة أنست حرب اليسوس<sup>(٥)</sup>، وأزعجت

<sup>(١)</sup> انفرز الجيشان أي لارز

<sup>(٢)</sup> في الأصل: وصاروا

<sup>(٣)</sup> برأس ممره أي لم يبق إلا أحد عهد عهد.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: وعترضه

<sup>(٥)</sup> حرب اليسوس: هي تلك الحرب التي وقعت في المنطقة بين يافا واليسوس وهي المعمورة حامية القلعة هناك فلما حاربوها وجاء أهل اليسوس وطلبوا القلعة، فالتفت الحرب بين المسلمين وكان من الخطأ كليب واليهليل واسطرت لاكثر من أربعين عاماً أنست لم يزل ويحدث الاضطراب فاصبحت مثلاً لحرب لكثرة القتلى في الحرب.

طيور البرواح من أنشأها بقدر الأجسام وتطير الرووس، ولقد أخبرني اتفاقاً عن  
أموات تلك الواقعة المهيولة، أن الأرض كانت مغطاة بالأموات وأن الطيور  
والسباع جردن منها الأقوات، وأنها لما جافت الأرض من ثقل تلك الرمم، أمر  
السلطان جوده بنفن تلك الامم، فما وجنوا لنفثها طريقاً إلا أنهم شقوا لها قليلاً  
وركموهم<sup>(١)</sup> فيه وخالوا عليهم التراب، وكانت عندهم في تلك السنة من أعجب  
العجائب، وحين رجع الفور إلى بلادهم ولوا عليهم السلطان محمد تيراب<sup>(٢)</sup> وكان  
رجلاً يحب الخلاعة، ويميل للمجون كما تقدم فمكث ثلاثاً وثلاثين سنة ثم يخطر له  
غزو الوداي على بال، ف وقعت بينهما حنة وهايا وسلكت الطريق بين المملكتين،  
لأن السلطان تيراب لم يغزو في تلك المدة إلا غزوتين، الأولى غزوة العرب  
الرزقات كما ذكرنا والثانية غزوة كردغان، ووقع الهدنة بين السلطنتين وتواصلت  
بأنه ليا إلى الآن.

<sup>(١)</sup> "وركموهم" من التراكيم أي وضع بعضهم فوق بعض.  
<sup>(٢)</sup> محمد تيراب هو أحد أبرز سلاطين دارفور، تولى الحكم بعد أبيه أن القاسم، وطول لتو حوون بأنه كره الحرب وتفرغ في هذه أمراً  
لثمة سلطاناً منذ ثلاث وثلاثين سنة، ووصف بأنه كان كريماً شجاعاً واسع الصدر جوداً قديراً، كانت أيامه كلها حماً وهدنة ورحمة  
أعمال حق لله "بدر من الشمس" لما هذه الأرض من صلوة وحضرة وحال وحرارة المناخ كافة من أعماله الطيبة لئلا مواظبه وحدهما  
أعلى سلطان المسلمين الله هو هاشم المعصية من دارفور وأصله من علي لم يزلها الترفل، ويهدد أهلها، جرد السلطان تيراب كسائم  
جهنم وفداء بقية لآل أبي السلطان هاشم مهزلة وحرب هاشم واستحضر تلك المذابح حصار فيه وتوقع لهم جهنم هرايم ملاحقة،  
والقرب تلك المذابح الحان وحبشه وترك الحاشية المصورة حصة طمس المورة، ولما أصبحت رمزاً لقوة الدولة اتصل لها كل مسلم حشد  
لحمها وما حل السلطان تيراب رفته في بلاد المذابح من وصل إلى المذمة والخلابة وحسبها، وحاول عبور إلى الحرب فلم  
يبلغ إلى سوراً عظيماً في لندرم، ثم مرض واحد في المورة لم يرق، فارة وحمل إلى جبل مرة حيث دفن في طرة. ينظر: علوم الميرة:  
تاريخ السودان ج ١٢ ص ١٣٧. نسخة الإطاعة ص ٧٤-٩١.



## الفصل الرابع

فى نبذة من سيرة السلطان عبدالكريم الملقب بصابون،  
وكيف كان اول أمره، وكيف وصل اليه الملك، وما فتح بينه وبين اخوته، وكم  
حارب من البلاد وكم قهر من الملوك وفى مناقبه وسيرته حسبما شاهده  
ورأينه وبلغنى من الثناء.

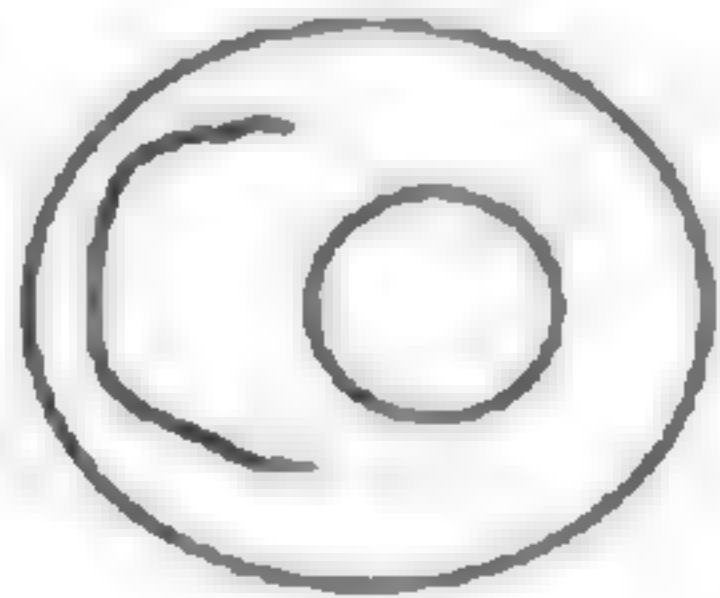
اعلم ان السلطان محمد عبدالكريم هو اول اولاد السلطان محمد صالح  
وكانت أمه ساوية<sup>(١)</sup>، وكان له أخوان أحدهما أحمد والثانى أصيل، وكان صابون  
أحسن أخويه عقلاً وعلماً وصلاًحاً وديانة وكانت أمه مبنوضة عند السلطان، وأم  
أحمد هى المحظية، فغضب صابون لبغض أمه، لكن كان يكرم أباه ويعلى منزلته  
بقلبه وذكائه وفطنته وكان يحبه لأم أحمد ولم أصيل ولى أقاربهما المناصب الجليلة  
وجعلهم وزراءه وأرباب دولته حتى صار لهم الأمر والنهى بدار وداى وكان  
السلطان لبغضه فى لم صابون أخرجها من بيته هى ولدها، وأجرى عليها رزقاً،  
فتشا صابون على أكمل حالة، حتى بلغ مبلغ الرجال (وكان لرجاحة<sup>(٢)</sup> عقله)  
لايميل الى لهو ولا نساء ولا شرب خمر، بل كان مستغرقاً أوقاته فى القرآن  
والمذاكرة والصلاة والعبادة، وكانت أماله معلقة بالمملكة فكان يهىء لها كل ما قدر  
عليه من خيل وسلاح ورجال ودروع وسيوف، ثم رأى نفع البندق من الأغراب  
الذين يسافرون الى وداى للتجارة، وذلك لأنه لما راهم حاملين للبندق وكان  
لايعرفه، سألهم، ما هذا، فقالوا هذا السلاح نذب به عن انفسنا فقل: وكيف يمكن  
النذب بهذا مع أنه غير قاطع، فقالوا لن نضع فيه بلروداً ونقوس<sup>(٣)</sup> به هكذا، وأروه

<sup>(١)</sup> ساوية، أى من السوء S30 وهى إحدى القبائل القليلة التى سكنت حول بحيرة تشاد، وكانت لهم ممالك قبلية وصلحت مرحلة  
متقدمة من الحضارة حسب الاكتشافات الأثرية القديمة ويعتبرهم المصادر التاريخية بأنهم صرحم الاحكام لظروها. وكانت الشعوب الكافية  
فى تشاد دولة كرام رلوا، وهى تول دولة اسلامية فى هذه المنطقة، قد قامت هذه القبائل بنهر بيلق السو وهم يتبعهم موطنوا الى  
الاسرقت الخربة ودخل بعض منهم فى الاسلام. بطر تحصل ذلك فى اولهم مرحل - بحكمة البرنو الاسلامية - السليح اراهم  
صالح بن تونس: للربيع الاسلام وحيمة العرب فى امواته كرام رلوا.

<sup>(٢)</sup> فى الاصل: لكن لطفه..؟

<sup>(٣)</sup> النقوس: هى القوسب - سلاح القارى أى القليل عند ملاقى ادرى من فى الاصالة.

التقويس وكيفية التعمير فتعلقت أماله بذلك وأراد تحقيقه، فخرج معهم إلى الخلاء ونقبوا غرضاً للتقويس وقوموا عليه وأصابوه فأعجبه ذلك فكان لا يرى بندقيته إلا لشراها من صاحبها بالقصى ثمن ولا يرى قوساً أو (نوعاً من السلاح) <sup>(١)</sup> إلا اشتراه كذلك، حتى جمع من ذلك شيئاً كثيراً واقتنى عبيداً (وجاب <sup>(٢)</sup>) لهم معلمين من الأغراب المذكورين يعلمونهم التقويس بالبندق، وحين راه وزراء أبيه يفعل ذلك خافوا من استيلائه على الملك بعد موت أبيه، فذهبوا إلى أبيه وحملوا عليه بأن قالوا له إن ابنك صابون لم يبق بينه وبين أن يكون سلطاناً إلا أن يدعيها لأنه لم يترك شيئاً من الاستعدادات إلا استعد به من خيل وكراع وسلاح ورجال ونظفه عن قريب بقاتك، فاستشاط السلطان غضباً وأمرهم بالقبض عليه ففرحوا بذلك وظنوا أنهم بلغوا مأمولهم فأرسلوا له ملكاً من ملوك التراقنة يقال لهم الغربان وهم رسل الغضب بمعنى أن السلطان إذا غضب على أحد الملوك وأراد القبض عليه يرسل إليه هؤلاء التراقنة، فذهب الملك مع طائفته إلى دار ابن السلطان وليخته <sup>(٣)</sup> كان جالساً على محل عال في بيته يقال له <sup>(٤)</sup> الترجة، وهو بناء مستدير أشبه بالمصطبة في البناء لاقى الاستدارة، ويبنى بين الزريبة وحائط الدار، لأن لكل دار حائطاً وبعدها زريبة هكذا.....



والترجة تكون بينهما عالية يشرف من يجلس عليها على من يمر على الدار من الخارج ومن يأتيه، فرأى التراقنة قائمين عليه، وعرف مقصودهم فدعا حينئذ بجنده وعبيده وأمرهم أن يخرجوا خارج الدار، وأن يصطفوا صفاً واحداً وأن يمنعوا التراقنة من الوصول إلى الدار، وبأدروهم أولاً بالسؤال فردوا واستلوا الأمر، وخرجوا متجهين بالأت الحرب ووقفوا صفاً واحداً كأنه بنيان مرصوص،

<sup>(١)</sup> في الأصل (ولا أنواع شيء من السلاح).

<sup>(٢)</sup> وجاب لهم معلمين، أي أحضر لهم معلمين وروى في النسخة بكسر من الكلمات بالدار ما لا يعرف.

<sup>(٣)</sup> وليخته: أي حسن خطه.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: يقال لهم الترجة.



وحاثوا بينهم وبين الدار، وجاء<sup>(١)</sup> الترافقة فوجدوا هؤلاء علي هذه الحالة، فما  
 قنروا علي الوصول الي الدار، فوقفوا فسألهم جماعة ابن السلطان عن سبب  
 مجيئهم فأخبروا أنهم مأمورون بالتقبض علي ابن السلطان، فقيل لهم لا سبيل الي  
 ذلك إلا بعد موثقا أجمعين، فلما رأي الغربان أن لا سبيل الي التقبض علي ابن  
 السلطان إلا بعد مقاتلة هؤلاء، استأنفوا السلطان في القتال وقالوا له ما وقع من  
 ابنه، وأنهم لن يصلوا اليه إلا بعد تفرق جمعه، فارتبك عليه الأمر، وتحير، وعلم  
 أنه إن أمرهم بالتقبض عليه {لا بد أن تسفك دماء<sup>(٢)</sup>} {أناس كثيرين، وربما توفد نار  
 لا يمكن إطفائها، ففكر في أمره، ثم أمر باحضار العلماء، فحضر القاري  
 والخطيب والمفتون، فلما مثلوا بين يديه أمرهم أن يتوجهوا الي ابنه صلبون  
 ويحذروه عاقبة العقوق، ويعلموه أنه إن امتثل لأمر أبيه كان أحسن له، فتوجهوا  
 اليه وأعلموه بما قات أبوه، وحذروه من المخالفة، فقال أنا امتثل لأمر الله مطلقاً،  
 وأمر أبي إن كان من عند نفسه، وأما كون وزرائه ووزراء السوء يغرونه علي  
 التقبض علي بغير ذنب، لا امتثل أبداً، فإن أرادني امتثل له يعرفني ذنبي وأنا مطيع  
 لأمره، وأما كوني أسلم نفسي ويقبض علي ليقبض مرضات وزرائه لا يمكن ذلك  
 أبداً، وأنب عن نفسي حتى أموت كريماً، فلما ذهبوا الي السلطان وأعلموه بما قات  
 ولده علم أن الحق معه، فتركه وأمر برد العساكر الي محلها، ومكث ابن السلطان  
 في بيته سراً قرأ مدة أشهر، فاتفق أن السلطان مرض ونقل مرضه، وكانت  
 أعظم نسلته لا ولد لها، وخافت أن تولي أحد أولاد ضرائرها أهاتها وربما قتلها،  
 وعلمت أن صلبون وإن كان ابن ضررتها، إلا أنه رجل عاقل تقي حليم، إذا مات  
 أبوه وولي مكانه بكرمها ويجل مقامها، فأرسلت اليه سراً أن استعد للسلطة، فبين  
 أبك مريض، فأرسل صلبون من وقته الي أتباعه في أفاق وداي أن يجتمعوا  
 سريعاً، وكل من جاء منهم لا يدخل واره، بل يقيم بالبلاد القريبة من واره كالبلد  
 المسمى بحجير ونموزو وعبالي، حتي يأتيهم أمره فكان كذلك، واجتمعوا سريعاً<sup>(٣)</sup>،

<sup>(١)</sup> في الأصل: وحاث الترافقة.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "ولا بد منك دماء لمن يكون".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "واجتمعوا في الأرب وقتاً".

وسارت الرسل تتردد بينه وبين امرأة أبيه مدة أيام حتى قضى<sup>(١)</sup> السلطان نحبسه، وكان الوقت ضحى فأرسلت إلى صاهبون تقول له: إن أباك قد توفي فاعجل وتلاقى أمرك في هذه الليلة، وإلا خرج الملك من يدك، فأرسل في الحال إلى عساكره يعلمهم بأن يتأهبوا، وأن لا يأتي العشاء إلا وهم مجتمعون عنده، ونادي خواصه<sup>(٢)</sup> واستشارهم، كيف يفعل في الدخول في دار السلطان، فتحيروا في الدخول من الباب المصفح بالحديد، وهذا الباب هو الباب الرابع لأن بيت سلطان الوداي له سبعة أبواب، كلها سهلة الدخول إلا الباب الرابع، لأنه مصفح بالحديد، ومحكم غاية الأحكام، فانتخب الفقيه موسى أخ الإمام بدر الدين إمام السلطان صاهبون، وكان خادماً عنده، فسأله السلطان صاهبون قائلًا: أو تقدر علي ذلك ياسيدي؟ قال: نعم، قال إذن فافعل ما شئت، فقام على الفور وأخذ حجراً وشج به رأسه حتى سال دمه، ومزق أثوابه، ودخل دار السلطان، فلما رأى الخدمة والبوابون ذلك قالوا له: ما شأنك يا موسى، ومن فعل بك ذلك؟ قال: لني خدمت ابن السلطان بنصح وكافني بما ترون، فقالوا له، ما الذي فعلته حتى فعل بك هذا الفعل؟ فقال لا تذب لي إلا لني نصحته وحذرتني من مخالفة أبيه وحرصته علي الامتثال لأمره، فما وسعه إلا أن شجني ومزق أثوابي وأنا جئت لشكوه الي السلطان، فقالوا له: ألم تنهك عن خدمة هذا النوع الأحمق مدة وأنت تأتي، ذلك جزاؤك ما حل بك فقال: جزاكم الله خيراً، قد نصحتهم وأبلغتهم، ولكن إذا وقع القضاء عني البصير، فقالوا له: كن معنا حتى نرفع دعواك الي السلطان فقال: نعم ما أشرتكم به، وقعد معهم من داخل الباب الرابع، هذا ما كان من أمر صاهبون.

ولما ما كان من أمر الوزراء فإنهم اطلعوا علي موت السلطان، ولمسوء بختهم<sup>(٣)</sup> كان ابنا<sup>(٤)</sup> السلطان: أحمد وأخوه أصيل اللذان {يقربان ليؤلا الوزراء} كانوا غائبين بتضيقان<sup>(٥)</sup> في البلاد، ويظلمان عباد الله في أموالهم وأعراضهم،

<sup>(١)</sup> في الأصل: "حتى أن السلطان قضى عليه".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "ونادي أصحابه".

<sup>(٣)</sup> مره: "ولمسوء ختمهم".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "كان ابن السلطان وهو صبي".

<sup>(٥)</sup> تضيقان: "في حثان أصحاده، وهو نوع من الحماة يقوم ما ترونه السلطان".



فأرسلوا لهما بالخبر وحرصوهما على القدوم سريعاً، وكنتموا موت السلطان حتى  
يأتيا، ولم يعلموا أن الأمور تحكمت، وربح من ربح وخسر من خسر، وما ورث  
الله صابوناً مملكة أبيه إلا لكونه صالحاً عاقلاً كريماً، وهذا مصداق قوله تعالى  
على بعض التفسير: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها  
عبادي الصالحون"<sup>(١)</sup> وعلى بعضها أن الأرض هي الجنة، وقولي إلا لكونه  
صالحاً عاقلاً ليس مرادي أن اللام لليلة، إذ أفعال الله لا تعطل، بل هي لام العقوبة  
كما في قوله تعالى: "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون"<sup>(٢)</sup> ولما لمسي المساء،  
وسدل الظلام أستاره، اجتمعت عساكر صابون حتى ملأت بطحاء القانر وخرج  
صابون في زمرة من أصحابه، وتقدم حتى وقف على باب دار السلطان، وكان  
الترافقة نائمين أمام الباب، لأن العادة أن كل ليلة يبيت أحد الترافقة بجماعته أمام  
الباب فخاف صابون أن يشعروا به، فمشي هو وجماعته حفاة على رؤوس  
أصابعهم، حتى دخلوا من الباب الأول والثاني والثالث، وجاءوا إلى الباب  
الحديدي، الذي هو الرابع، فطرق صابون الباب طرقة خفيفة فاستشعر موسى،  
وكان قد اتخذ للبواب صاحباً، وأخذ منه المفتاح ووضع تحت رأسه ونام، فلما  
طرق الباب وأحس به، قام مسرعاً وفتح، فقال له البواب لمن تفتح الباب في هذا  
الليل يا موسى، فلم يمر<sup>(٣)</sup> جواباً حتى دخل ابن السلطان وجماعته، والتفت موسى  
فراي حربة من كبار الحراب صورتها هكذا... 

فأخذها وقال للبواب النائم الذي قال له لمن تفتح الباب في هذا الليل يا موسى،  
أتدري لمن فتحت الباب؟ قال لا، قال فتحته لسيدك وسيد أمك وأبيك، وطعنه  
بالحربة في بطنه، فأخرج إمعاءه وجنبها منه، وطعن بها آخر وآخر حتى قتل نحو  
خمسة عشر رجلاً، وكان السلطان قبل دخوله للدار أوقف الفرسان أمامها<sup>(٤)</sup>،  
يمنعون الإمدادات التي تأتي من أعدائه، وأوقف الرجل على فم الباب أمام  
الترافقة، ودخل الدار بما ينوف عن خمسمائة رجل، ولما طعن موسى هؤلاء

<sup>(١)</sup> سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٥ .

<sup>(٢)</sup> سورة النحل الآية ٥٦ .

<sup>(٣)</sup> في الأصل : "ثم يمر .."

<sup>(٤)</sup> في الأصل : "لوقت الفرس لم يدر وهو تكرر على .."

الرجال تحرك ومساعدته يهاقون بقتل جماعة السلطان واستيقظ جماعة السلطان من  
منهم فوجدوا الطعن أحر من الجمر، فمنهم من قاتل حتى قتل، ومنهم من أسلم  
نفسه لجماعة صابون وصار منهم وكان مع السلطان بندقية، فأطلقها في عريش  
الحرم، فاشتعلت نارا، وامتدت النار منها لنورها، فأضاعت حتى صار الليل  
كالنهار، وكان هذا الفعل من لطف الله تعالى، لأن بذلك الضوء حصلت أمور  
عجيبة، أولها أنهم عرفوا أعداءهم فقتلهم، ثانيها أن الأعداء اندحروا حين رأوا  
النار اشتعلت بغتة، ثالثها أن حرارة النار أخرجت من كان كامناً، وفعل به ما فعل،  
ولو لا ذلك لخيف على صابون من خائن يخونه، ولما ملك الجماعة الدار وأمن  
السلطان صابون من الأعداء، دخل الدار حتى وقف على شلو أبيه وهو مسجى  
والنساء محنقات<sup>(١)</sup> به، فبكى قليلاً واحتسب مصيبتة بأبيه عند الله تعالى، ثم طلب  
شارات الملك فأحضرت، وهي خاتم موروث من أبائهم، وسيف وحجاب وكرسي،  
فأحضرت كلها إلا الكرسي لم يعلم له موضع، فاستشاط غضباً، وقبض على نساء  
أبيه، وألزمهن به فأنكرن وحلفن أنهن لا يعلمن له محلاً، وأصررن على ذلك  
فحبسهن ووكل بهن حرساً من الطولوشية، وأمر بقية الجولاي والخدم بالبحث  
عنه<sup>(٢)</sup>، وإن كل من جاء به يعطي جعلاً عظيماً بعد عتقه فما كان إلا كلمح البصر  
حتى جاء به بعض العثمانيين، وقال هامو وجدته في محل كذا من الدار، فأخذه  
السلطان وضمه لشاراته، ووضعها في المحل اللائق لوضعها، وكان ذلك كله  
والقتال دافراً، ونار الحرب تضطرم، وما ذلك إلا لأن الترائكة أفاقوا من نومهم،  
فراوا الرجال واقفين بأسلحتهم، فقالوا لهم من أنتم، قالوا نحن جماعة السلطان  
صابون، فأنكروا ذلك وقالوا متى صار صابون سلطاناً حتى تقولوا ذلك،  
فغضبت<sup>(٣)</sup> جماعة السلطان لقولهم وقالوا هو السلطان، وقد ملك الدار فأما إن  
تسلموا أنفسكم، وإلا قتلناكم، فدار القتال بينهم، وبينما هم في تلك الحال إذ جاء  
وزراء السلطان المتوفي مع أخوال أحمد وأصيل، فوجدوا الدار قد ملكت واستقر

<sup>(١)</sup> في الأصل: "والنساء محنقات".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "بالبحث عليه".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "مضروا جماعة السلطان".



صابون فيها، فلراندوا الدخول عليه فمنعوا: فشبت الحرب بينهم، ودام القتال بينهم حتى الصباح، ولما أصبح الصباح جاء الأمراء والملوك وبلغهم ما وقع، فاخذلروا صابون لحلمه وعذله، وماتوا معه وقتلوا أولئك، فتقوى السلطان صابون وتراشد مدده حتى صار في جيش عظيم، وما جاء الضحى إلا والأعداء مغلوبون ما بين قتل وجريح وفار، وغنم أصحاب السلطان صابون أسلابهم وخيلهم ومسلحهم، ولما كان الغد حضر أحمد وأصيل أخوا السلطان صابون ومعهما جيش، وأرادا أن يفتحا الدار على صابون، فمنعهما عساكر صابون، فثارت<sup>(١)</sup> الحرب بينهم نهراً كاملاً وانهمز أحمد وأصيل متفرقين، فلما أحمد فإنه توجه إلى أخواته في قبيلة يقال لها أبودرق، وأما أصيل فإنه كاث من مساليت وداي، الذين تحت حكم عقيد الصباح<sup>(٢)</sup>، فتوجه إليهم، ومنهم سار إلى دارفور — وسيلتي خبر القبض عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ولما بلغ الخبر إلى السلطان صابون أن أخويه فرا وانهمز جيشهما حمد الله الذي فرج عنه تلك الكربة، لأن الكماكلة الكبار والوزراء العظام، كانوا كلهم من أهل أم أحمد، وهو لغضب السلطان صالح علي أمه لم يول أحداً من أهلها منصباً، ولما انهزم الأعداء وراق الحال خرج السلطان صابون إلى<sup>(٣)</sup> ديوانه وانعقدت له البيعة بحضور العلماء، وولي أقربه في المناصب الجليلة، وأطاعته البلاد، وانقادوا له، منها ما انقاد له رغبة، ومنها ما انقاد له رهبة حين نظروا ما وقع لأخيه أحمد وجماعته، لأنهم لم يقدروا على احصاء القتلى وكان لهم يوم قتاله لجيش أحمد يسيل كالنهر، وهو معنى قول الشاعر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذي      حتى يراق علي جوانبه الدما

وكان القتال المذكور في أواسط رجب الفرد أظنه من سنة ١٢١٩ (١٨٠٤م) فمكث في بيته ساراً قرأ بقية رجب وشعبان كله، وفي مستهل رمضان توجه لقتال أخيه أحمد، وذلك أنه بلغه أن أخاه جيش جيشاً عظيماً وساعده علي جمعه بعض

<sup>(١)</sup> في الأصل: "ثار الحرب..."

<sup>(٢)</sup> عقيد الصباح، أي عقيد الشرق.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "في دهره..."

أخواله ممن أنهزم يوم الواقعة، وكانوا من الوزراء العظام، فضاف السلطان صابون غب ذلك الأمر أن تراخي فيه أن (يفتن به<sup>(١)</sup>) الناس، ويكثر جيشه، ويتسع الخرق على الراقع، وهذه عادة كل ملك حازم لرأيه، لأن أول الغيث قطر ثم ينهمر، فخرج في ثالث ليلة من رمضان في جيش كثيف، وكان بينه وبين أخيه أحمد يومين سغراً معتدلاً، فسري ليلة أجمع، وسار جل نهاره وقبل العصر وصل في محل معسكر أخيه، والتقى الجمعان، وكان الوزراء الذين مع أخيه أحمد قد اشاعوا أن السلطان صابون عاق لوالده، وأن والده حي وهو يريد قتله وأخذ الملك منه، فنفرت عن صابون طباع الناس واستبحروا فعله، وانحرفت قلوبهم عنه، وبلغ الخبر إلى السلطان صابون، فعلم أنها حيلة دبّرت لتفجير الناس عنه، فلما وصل أرسل إليهم يقول لهم: أنه قد بلغني أنكم تقولون أن والدي حي، وأنا أريد قتله وأخذ الملك منه فإن كن قولكم صحيحاً أروني أبي، وأنا أسلم له نفسي بفعل فيها ما يشاء، وإن كنتم تخافون مني عليه فأنا عندي أناس أمناء أتقياء ترضونهم وأرضاهم، فأبرزوه لهم، فإن أخبروني أنه هو أسلمت له نفسي بفعل فيها ما يشاء، فلما أبلغهم الرسول مقتله ردوا عليه أشنع رد، وقالوا له إنا لا نمكنك ولا نمكن غيرك من رؤيته بعد أن وقع ما وقع، فلما بلغه ذلك زحف عليهم بالعاكر وتوضأ وصلى ودعا الله أمام الناس وطلب النصر على الأعداء فنشب القتال بينهم، فلم يكن إلا كلمة بارق أو خطفة باتق<sup>(٢)</sup>، حتى ولوا الأتباع وركنوا إلى القرار، فلما رأى السلطان أنهم يريدون الانهزام أرسل أمامهم جيشاً قطع عليهم طريقهم، وأعطهم توقيفهم ونادى مناديه: أأكل من قبض على أحمد أخى فله عتقنا من الحمراء كذا وكذا ونكر أمراً جميلاً، فما جاء المغرب إلا وأحمد في قبضة الأسر، وحيء به ذليلاً حقيراً، فأمر بتصفيده ثم جيء بأكثر أقارب أحمد مقرنين في الأصناد فحملهم السلطان معه إلى أن حل ركابه بقاعدة مملكته وقصر سلطنته وبات في عبطة وسرور، ولما أصبح ضربت الطبول وجمعت الجموع وكان محفله ياله من محفل وخرج السلطان إلى الفاشر والرايات تعلو، وركب أهل

<sup>(١)</sup> في الأصل: "نعمت حسن".

<sup>(٢)</sup> أو محلة باتق أي أسرع من حيلة العنبر الخارج للربح.



السلطة والرفيق، ووقف كل من الأمراء في موقفه وجلس كل من لرباب المراتب في محله المعد لجلوسه واصطفيت التراجمة وحضرت الغربان زمراً زمراً لابسين حلل الانتقام، وروعين بسماتهم جميع الأنام ووقفوا في المحل المعد لوقوفهم وأمر بمجيء أحمد وأقاربه وشيعته فجيء بهم في أسوأ حالة يحجنون في قيودهم، وأوقفهم أمام السلطان وأحمد أمامهم فقال السلطان لأحمد: يا أيها الفاسد الخائن الفاسق الماجن القاهر الظالم الطاغى الغاشم أنظن أن متك يصلح لأن يكون أميراً أو رئيساً أو مشيراً حتى تطمع في إمامة الأنام ورأية الأحكام، كلا ساء ما توهمت، وبئس ما ظننت، أنت لا تصلح أن تكون راعياً لعباد الملك العلام، ولا تصلح لرعى الأغنام طالما ظلمت وتجبرت وطغيت وتكبرت، فكم من مخزاة<sup>(١)</sup> هتكت، وكم من أناس ظلمت وكم من (نساء<sup>(٢)</sup>) سفكت، لقد تعديت حدود الله التي قال فلا تعتوها ولرتكبت من الفواحش التي قال الله ولا تقربوها، فإن كنت كاذباً فيما ادعيت، برهن عن نفسك وانفه<sup>(٣)</sup>، فقال أحمد بقلب جريئ وجنان قوى: أسكت فمض الله فمك، وأهلك وأعزمك يا أيها الجبان العاق لوالده المطرود من رحمة المنان، لقد غلط الدهر في مؤدبك وعن قريب يرجع عقله فيك، أنظن أنني أخشى بك، أو أخاف مرامك، ولنا أعلم أنك لا تقدر (على) شيء أكثر من قولك أقتلوه والقتل عندي أهون من وقوفي بين يدي لنيم متك، فعند ذلك قال السلطان للعلماء ومن حضر من لرباب الشرع، أفتوني في هذا المارق، فقالوا جزاء الخارج عن طاعة الإمام الذي انعتقت له البيعة من الأنام أن يقتل أو يصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف، لقوله الله تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض<sup>(٤)</sup>، فعند ذلك أمر السلطان بأن تحمي مراد الحديد ويكحل بها، فكان كذلك ثم التفت إلى وزراء أبيه وقال لهم يا وزراء السماء أين ما كنتم تدعونني في حياة أبيي وترعون أنني عاق لوالدي، وأسمعتم من ذلك ما أسمعتم وما قصدكم الاقتل وتولية

<sup>(١)</sup> مخزاة هتكت... أي ربة حذر وهي الغلة المملوءة

<sup>(٢)</sup> نساء الأصل \* نساء

<sup>(٣)</sup> نساء الأصل \* نساء

<sup>(٤)</sup> سورة المائدة الآية ٣٣.

ابن بنتكم، والآن والله الحمد قد ثبت كذبكم وتزويركم، ثم أمر الكبريتو وهم  
الموكلون بقتل من يأمر السلطان بقتله، وهم الذين يضربون البوقات أمام السلطان  
بأن يقتلهم فأحاطوا<sup>(١)</sup> وشرعوا في قتلهم بعضى ذوات رؤوس عظيمة كالسمامة  
في عرف الترك بالديابير كما هي عادتهم، وسنتكلم فيما بعد عن<sup>(٢)</sup> عوائد الفـور  
والوداى فى القصاص والقتل والحبس وكيفية سجنهم وتعذيبهم لمن غضبوا عليه  
إن شاء الله تعالى. فكانوا لقوة قلوبهم وعدم أكثراتهم بالقتل يتسابقون إليه وكل  
منهم يمد عنقه للقتل قبل صاحبه رغبة فى الموت وخوفاً من عار الجبن لأن  
الجبان عندهم لا يعد من الرجال فلا يزوجه من أعظم النساء، بل يخرجونه من  
حسابهم، ولم أسمع فيما سمعت بأشجع من هؤلاء، ولقد رأيت<sup>(٣)</sup>، فى بعض  
التواريخ أن بعض الخلفاء خرج عليه خارج يقال له نعيم، وجيش جيوشاً عظيمة،  
فعاداه الخليفة حتى ظفر به، فلما أحضر بين يديه أمر بقطعه، ففرش له النطع،  
وجرد السيف سيفه وقام على رأسه، والتفت الخليفة إلى نعيم فرأه غير مكترث  
ولامزعج، ثابت الجنان لم يظهر عليه من أثر الرعب شيء، فاستنطقه الخليفة  
ليختبر حاله، فقال له يا نعيم إن كانت<sup>(٤)</sup> لك حجة فات بها، فقال نعيم أما إذا اذن  
لى أمير المؤمنين بالحمد لله الذى جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين ولا عثر لى  
الا أن أقول وأشهد:-

أرى الموت بين النطع والسيف كأنه	يلاحظنى من حيث لا ألتفتُ
وأكسر ظنى إنك البرمقائلى	وأى امرئ مما قضى الله يبلتُ
وما نزعى من أن أموت وإنى	لأعلم أن الموت شئٌ مؤقتُ
ولكن ورائى صيته قد تركهم	وأحسازهم من وحشنى نلتُ
كانى أمرهم حين التى اليهم	وقد خشوا تلك الحلود وصوتوا

<sup>(١)</sup> فى الأصل " فأحاطوا بهم "

<sup>(٢)</sup> فى الأصل " فيما بعد على "

<sup>(٣)</sup> فى الأصل " ولقد كنت رأيت "

<sup>(٤)</sup> فى الأصل " إن كنت لك حجة "



فإن عشت عاشوا آمنين بنبطلة (أذود<sup>(١)</sup>) الردي عنهم وإن مت موتوا

فترقت عينا الخليفة رحمة عليه، وقال له: وهبتك لله ولصبيتك يا نعيم، ثم أمر  
باطلاقه وفكه من وثاقه وأحسن إليه ورده إلى حبيبتة مغتبطاً مسروراً ومن هذا  
القبيل ما حكى أن النعمان بن المنذر<sup>(٢)</sup> بن ماء السماء كان ملك العرب بالحيرة  
وكان قد قسم الأيام إلى يومين، يوم مرور ويوم بؤس، ففي يوم المرور لا يقع  
بصره على لقمان إلا أحسن إليه وجمله، وفي يوم البؤس لا يقع نظره فيه على  
أجنبي الاقله فاتفق أنه قصده رجل من الأعراب يطلب احسانه فصانفه في يوم  
بؤسه، فلما مثل بين يديه أمر بقتله في الحال، فقال الاعرابي: والله إن الموت أحب  
إلي من كل شيء ولكن أريد من الملك أن يمهلي ثلاثة أيام أرجع فيها لأهلي  
وأعلمهم بما حدث وعندي للناس وديع إن أنأمت الآن ربما ضاعت على أصحابها  
فلرُدّها إليهم وإني ليفعل بي الملك ما هو فاعل، فقال الملك إعطني كفيلاً واذهب  
فالتفت الاعرابي إلى أحد وزراء الملك وخاصبه من دون الحاضرين، وطلب منه  
أن يضمه وأنشده في ذلك شعراً نسبته لا أعلم منه الاقوله:-

### يا أخا الأخوان جُللي بضمان والنزار

فهزت الوزير أريحية الكرم وعلو الهمة وحسن الشيم، وضمن الاعرابي وأطلقه  
فركب على دابته وتوجه إلى أهله وأعلمهم، وفعل ما يلزمه فعله، ثم رجع فكانه  
تأخر قليلاً وأصبح النعمان في اليوم الثالث يقول للوزير إن لم يأت من كفلته  
(فسوف) تمد مسدداً، فقال الوزير: وهو كذلك، لكن لا سبيل للملك على الإبعاد  
عصر هذا النهار، فإن لم يأت (فسوف) أمد مسدداً، فلما كان العصر قتل النعمان  
لوزيرته تيباً لوفاء ضمانك، فقال: وهو كذلك، فتبها الوزير ونودي السيف فحضر،  
وأخذ الوزير إلى محل القتل، واجتمعت عليه الناس ما بين بك وصارخ وبينما هم  
كذلك إذا بالاعرابي قد قدم وهو ينادي: خلوا من الرجل، ها أنا جئت أوفى بضمانه

<sup>(١)</sup> في الأصل "أنا نواه الردي عنهم" وهو كلام لا يتصل مع سياق الحديث

<sup>(٢)</sup> النعمان بن المنذر، بن ماء السماء ملك الحيرة، وكانت الحيرة دولة عربية تابعة للفرس، مراعية لملوك الفرس العربية،  
التي كانت بدورها تابعة للفرس وكانت الحيرة من الدول الإسلامية، أصبحت من الدول الإسلامية ووطع دولة الفرس والفرس  
فكانت الدول الإسلامية وكان النعمان من أشهر ملوك الحيرة.

فأمسك السيف يده، وأعلموا الملك، فأمر باحضارهما، فلما مثلا بين يديه قال لهما:  
ما رأييت أعجب منكما في حسن الوفاء وعلو الهمة، وقد عفوت عنكما وأبطلت يوم  
يؤمسي إكراماً لكما.

ومن هذا القبيل ما حكى لي الشريف محمد بن الشريف إبراهيم الملقب  
بكتاب (العشري) أن أهل سدار قال كان عندهم أن الرجل إذا قتل (رجلاً) آخر  
يُمنك القاتل رجل المقتول ويجلس حتى يأتي أهل المقتول فيقتصرون منه، فأتى أن  
رجلاً قتل آخر عند عشيقتهما ومسك رجلته وجلس حتى جاء أهله، وكان للمقتول  
سنة إخوان نكور غيره وأبوه وأمه، فسألوا القاتل لم قتل أخانا، قال قتلته، قال  
أترضى أن نقتلك فيه؟ قال نعم، إلا أنني أريد من أفضالكم أن تميلوني ثلاثة أيام  
أذهب فيها لأهلي وأودعهم وأتيكم فقالوا له: هذا جبن منك، وتريد أن تفر من القتل  
فإن<sup>(١)</sup> كنت جباناً فليست حينئذ بكفو لأخيها، فلا نقتلك فيه وكان من عانتهم لا يقتلون  
إلا من شجاع فإن كان للقاتل جباناً تركوه ونظروا أشجع لقاربه فقتلوه فيه، فقال  
لهم الرجل: لا والله ما أنا بجبان ولعنة الله على كل جبان لكن عثري واضع هو  
الذي ألزمني أن أرجع إلى أهلي، فقالوا لنتنا بكفيل ونحن نتركك، فاختر من الناس  
الحاضرين رجلاً تومس فيه الخير، وسأله أن يكفله حتى يرجع فهزت الرجل النخوة  
فضمنه<sup>(٢)</sup> (ثم) شرطوا عليه إن لم يأت بعد ثلاثة أيام فسيقتلونه بأخيهم، فرضى  
(أي الضامن) وأشهد على نفسه بذلك، ثم ركب القاتل راحلته وودعهم وانطلق إلى  
أهله، فلما وصل إليهم وأعلمهم بما جرى له وكان حديث عهد بعرس، فقالت له  
زوجه لا تدخل على وادع فأوف بضمانك وقال أبوه وإخوته كذلك، فاحتمل  
وتعليب وركب راحلته وقتل راجعاً ليوف بضمانه، فعرض له لئسد عاقبه عن  
مسيره فنزل وقتله حتى قتله، وأخذ قطعة من جلدة رأسه علامة على صحة قوله،  
فلما كان عشية اليوم الثالث جاء أهل المقتول للضامن وقتلوا له: قد ظهر أن  
صاحبك قد خان فقم وأوف لنا بالضمان فقام من ساعته وتوجه بهم إلى محل القتل  
وبينما هم محققون به وشارعون في قتله إذ جاءهم القاتل ينلأى بأوبلهم خلوا عن

<sup>(١)</sup> في الأصل: ولا كنت.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: وضمة.



الرجل، ها أنا جئت أوفى بضماني، فخلوا عنه وحين رأى أبو المقتول أن القاتل (قد) جاء ولم يفر، دعا بأولاده كلهم، ودخل بهم داره وأغلقها عليه وعليهم وقال لهم: يا بني ماذا ترون في أمر هذا الرجل وهل هو أعلى همة أم الذي ضمنه، فاتفقوا على أنهما كفرقنين في السماء، فقال لهم أبوهم الراى عندي (أن) هذا الرجل لا يقتل لحسن وفائه، فقال أحد أولاده نترك دم أخينا يذهب هدرأ لا يكون ذلك أبداً، فحلف أبوهم بالطلاق ثلاثاً أن<sup>(١)</sup> لا يقتل، وكل من ناله بسوء كان هو خصمه، وأغلق عليهم الدار وخرج (ثم) دعا بالرجل وقال له: قد عفونا عنك فإذهب إلى سربك، فأبى الرجل وقال: لا يمكن ذلك أبداً، أكون قاتل ولستك وثمرة فؤادك وأعيش بعده هذا مما لا يكون، فقال له أبو المقتول: قد عفونا عنك، والحمد لله لن نقتل مني ولد فقد بقي أولاد، وتركه ومضى، فمكث القاتل ثلاثة أيام وهو ينادي يا أهل النار علموا وخذوا بثأر إينكم مني، فلم يأت أحد، فلما أعياه الأمر ركب راحلته وانتقل إلى أهله أغبط إنسان.

ولما قتل السلطان أعداءه من أخوان أحمد وغيره، أظهر في الناس العدل، وحسنت سيرته في الممالك، وهرع<sup>(٢)</sup> العالم إلى سنته من كل حنب ينسلون كأنهم إلى نصب يوفضون، فقمع الجبابرة الذين كانوا يدعون بالعفاريات، وأمن السبل التي كان يخشى من سلوكها كل قرن حزين حتى كانت المرأة تسلكها محملة<sup>(٣)</sup> في النهار لا تخشى إلا الواحد القهار، ومكث على ذلك مدة، لكن كان في قلبه من أخيه أصيل ما يمنع الهدوء والمقيل، لكنه صابر حتى يحدث الله بعد ذلك أمراً، فاتفق أن السلطان غزا دار تاما<sup>(٤)</sup> وخرب<sup>(٥)</sup> ديار أهلها، وشقت شملهم، ومزق

<sup>(١)</sup> في الأصل: " بالطلاق الثلاث مرة.. "

<sup>(٢)</sup> في الأصل: " وهرعت العالم.. "

<sup>(٣)</sup> بقصد: أن المرأة تسلك هذا الطريق وهي تحمل حاملها مود خوف من أحد

<sup>(٤)</sup> دار تاما: تقع غرب دار لير على حدود وادي، وكانت دوماً مرة وصل إلى دمرور وودني، وكانت حاصنة لدارفور، وأما

سروها وودي وتسميها، ولما كانت مملكة صراع من الدولتين وله اشهرت بمرافقها الواسعة، ورعاها القليل

منها:

نحو الأدمان من ١٢٦

.. وأحرب.. "

جمعهم كما يأتي بيان ذلك، وكان ملك تامة ينتمي<sup>(١)</sup> إلى سلطان النور { فأعاط هذا  
 الفعل سلطان النور يومئذ، وهو السلطان محمد الفضل<sup>(٢)</sup> } { لو أخذ يفكر } في مكيدة {  
 يكيد بها السلطان صابون، فاستشار<sup>(٣)</sup> وزراءه في ذلك، فالتاروا عليه أن يلتفت  
 إلى أصيل وينعم عليه بالنعائم والفر، ثم يفارضه في شأن توليته سلطاناً على دار  
 وداي، فاته يرغب في ذلك { رأي أصيل } ويأخذ عليه العهد بأن يعطيه في كل سنة  
 كذا وكذا من المال، فمضى أخذت عليه العهد بذلك أن تأمره بمكتبة أمراء دولة  
 صابون، { وإن } يعدم الوعود<sup>(٤)</sup> الحسنه لوفسدهم عليه، فإذا أتته الكتب منهم بأن  
 قلوبهم معه يهيء له جيشاً كثيفاً يذهب معه فيأخذ<sup>(٥)</sup> منه وداي، وتصير من جملة  
 معالكم، وحينئذ إما أن يتبض على صابون ويفعل فيه ما يشاء، وإما أن يقتل في  
 الحرب فيكفيه الله شره، وإما أن يبيع على وجهه فلا تقوم له قائمة، فقبل  
 السلطان<sup>(٦)</sup> محمد فضل ذلك { العرض } ودعا بأصيل بعد أن كان عنده في زوايا  
 الإهمال لا يعتني به أحد، فأنعم عليه وأعطاه خيلاً ورقيقاً وحوله في دار حسنة،  
 ووصله بأموال جزيلة، وأخذ عليه العهد على حسب ما قال وزراءه، وأصبح  
 أصيل في أبهة وناموس، وارتفع جبينه بعد الخمول، وعرفته الناس، وشاع على  
 السلتهم<sup>(٧)</sup> بأنه ملك دار وداي، وكتب جملة كتب وأرسلها إلى وزراء السلطان  
 صابون لوفسدهم عليه، ووعدهم بكل جميل، فأخذوا الكتب وأطلعوا السلطان

<sup>(١)</sup> بقصد الكتاب: أن ملك تامة جمع لدولة النور.

<sup>(٢)</sup> السلطان محمد الفضل: حكم دار نور في الفترة (١٨٠٢ - ١٨٣٩ م / ١٢١٥ - ١٢٥٤ هـ) كان يلقب بغير السلطان، نظراً  
 لأصله الخوة وشاع الدولة في عهده، نزل الحكم بعد أبيه السلطان عبد الرحمن فرسيد وكان معروفاً بقول الأب شيخ محمد كراكر  
 فرمت ونوله العرش وكان حكيماً مدبراً، ويذكر النور حوون أن له، كانت عاتمة من ليلة التفتو تسمى أم بومه، وقد نوله الحسرو  
 حمر ليلة له، وحرم أسرته لها، وكانت له حروب مع وداي النصر فيها ووطد حكمه في البلاد.

نظر: نعيم خلوي: تاريخ السودان من ١٣٠.

موسى المبارك، تاريخ دار نور السياسي من ١١٥.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "واسطلمر...".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "وبومدعم للوامد...".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "لماخذ لك وداي وتصير من جملة مملكت...".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "قبل ذلك السلطان...".

<sup>(٧)</sup> في الأصل: "وشاع على السنة الناس...".



صاحبون عليها، فلما رأها فرح واستبشر بقرب الفرج، وقال لعظماء وزرائه<sup>(١)</sup> :  
 كاتبوه بأنكم معه بالقلب والقالب، لأنني مضيق عليكم ومتعبكم غاية التعب، وكلكم  
 مقيمون معي مع الكراهة، لعنم وجود غيري، وأخبروه بأنه غير محتاج إلي معونة  
 السلطان محمد فضل، لأن في ذلك علواً عظيماً، لأن مملكتنا بعد أن كانت<sup>(٢)</sup>  
 مستقلة تكون تابعة ويفوز غيرنا بخيرها، ولا يصبح<sup>(٣)</sup> من السلطنة إلا الاسم،  
 وهذا علو يبقى إلي الأبد، فإن كنت تألف بلادك، وتأخذك عليها غيرة، إياك أن  
 ترضي بأن تكون<sup>(٤)</sup> تحت سلطان الفور، وإنما الرأي عندنا أن تختص نفسك ونأتي  
 إلي المحل الفلاني وترسل اليها<sup>(٥)</sup> ونحن نأتيك بأجمعنا ونترك صاحبون وحده،  
 وتأخذك وندخل بك البلد، ويبقى صاحبون في قبضتك تتصرف فيه كيف تشاء،  
 ونقسم بالله وأياته لنن جنتنا بجيش الفور وسلطانهم لا تطيع لك أبداً ولو لم يبق في  
 دلو ودای الارجل واحد، فاختر لنفسك ما يحلو (لك)، ونحذر معادتك من أن تطلع  
 علي كتابنا هذا أحد من الودای أو الفور لأنك إن أطلعت عليه أحداً من الودای  
 لأنامن أن يبلغ ما فيه إلي السلطان صاحبون فيقتلنا وأنت تعلم ما عليه أخوك من الحدة  
 والعتو، وإن أطلعت عليه أحداً من الفور لأنامن أن يفسد بينك وبين السلطان قبل  
 أن تبلغ مقصدك، والموعد بيننا محل كذا، فنحن نمكث فيه حتى تأتينا فمتى قربت  
 منه فالرسل لنا رسولا يعلمنا بقدمك ونحن تحت أمرك إن شاء الله تعالى، فلما  
 وصل الكتاب إلي أصيل وراه اتخذع، وأطمأن بما فيه، لا سيما وقد رأي فيه اختام  
 الوزراء الكبار والكماكلة العظام، ورأي أن ذلك أنفع له، فأغلق بابهُ وأمر الخدم  
 والبوابين أن كل من سأل عنه يقولون أنه مريض، وترك جميع أمواله ورقيقه،  
 ولم يأخذ معه إلا خاتماً واحداً، وركب بعيد العشاء وسار الليل كله والنهار، ولم  
 يسترح إلا وقت القائلة، ثم ركب وسار الليل كله فقطع شقة عظيمة، وفي ثالث يوم  
 وصل إلي المحل الذي سماه له الوزراء، فاخترني هناك، وأرسل إليهم كتاباً يعلمهم

(١) في الأصل: "وقال لعظماء ووزراء كثيره..."

(٢) في الأصل: "بعد أن تكون..."

(٣) في الأصل: "ولا يكون ذلك من السلطنة إلا الاسم..."

(٤) في الأصل: "بأن تكون في تحت..."

(٥) في الأصل: "وترسل اليها..."

بأنه جاء علي حسب وعدهم، فما كان إلا كتمح البصر حتى أقبل عليه جيش فسمعوا<sup>(١)</sup> وأطاعوا، والتفوا حوله<sup>(٢)</sup> وتوجبوا به الي المحل المعلوم، فرأي فيه من السرائق والخيول والعلامات السلطانية ما أدهشته وحقق ظنه، ورأي جيشاً يعجز العاد أن يعده، فأمل الخير والنصر، وجاء أولئك الوزراء وهأؤوه بالسلامة، وأكبوا علي أقدامه يقبلونها وهو يعدهم<sup>(٣)</sup> بكل جميل، وكان ذلك كله مكيدة من السلطان صابون، وهو الذي رتب هذه الأمور وأعدّها، وأخذ العهد علي الوزراء والكماكنة، بأنهم لا يخونوه<sup>(٤)</sup> وحلفهم إيماناً بالغة، ووعدهم أن قبضوا<sup>(٥)</sup> علي أصيل أن يكفّهم<sup>(٦)</sup> بكل خير، وبعد أن استوثق منهم أرسلهم اليه في تلك الأبهة من الخيول والسرائق، حتى أنه أرسل اليه<sup>(٧)</sup> سرايقه نفسه، وكان من جملة وصاياه لهم، أنهم لا يتوانوا في القبض عليه، وأنهم متى قبضوا عليه<sup>(٨)</sup> يرسلوه في طائفة من الفرسان الأشداء ويأخذون عليهم العهد أنهم لا يخونوا<sup>(٩)</sup> فيما استؤمنوا عليه، ولما دخل أصيل في المعسكر واستقر، أرسل الي كل جهات الوداي مناشير سلطانية، يحرضهم علي القنوم علي اعتابه، ويحذرهم الخلاف وعاقبته، ولم يعلم أن هذا كله حيلة دبّرت عليه، ليخرج من بين أظهر الفور ويسهل من قبضه.

أقول: ومثل هذه الحيلة لا ينخدع بها إلا كل غر أحمق، لأنه لو كان فيه أدنى عقل، وتأمل في هيئة المعسكر والعلامات السلطانية، والسرائق، وجميع ما هيء له، لعلم لتعلّنته أن الوزراء لا يمكنهم إخراج شارات الملك وسرايقه إلا بإذن منه، لكنه لغبارته لم يتأمل في شيء من ذلك ولقد اجتمعت معه في

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وسمعوا له وأطاعوا..."

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "والتفوا حوله..."

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وهو يعدهم..."

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "بأنهم لا يخونونه..."

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "أن قبضوا علي أصيل..."

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "أنه يكفّهم..."

<sup>(٧)</sup> في الأصل: "أنه أرسل له سرايقه نفسه، يريد سرايقه الشخص..."

<sup>(٨)</sup> في الأصل: "أنهم لا يخونونه..."



دارفور<sup>(١)</sup> مراراً وتكراراً، ورأيت فيه من الكبر ما لو فرق علي أهل الأرض  
لوسعهم، مع أنه كان في غاية من الفقر والمسكنة، وحين كان يضمني معه مجلس  
كان ينظر إليّ بشر وأحد عداوة، ولم يكن بيني وبينه معاملة قط، لكنه لما بلغه أن  
والدي وزيراً للملطان صابون بغضني لذلك، وهذه غاية الجهل والحمالة، وحين  
رأي أصيل إقبال الوزراء والكمالة عليه تيقن أن حاله صلاح، وأن الدهر خدمه،  
ولم يشعر بأن الدهر أفسد حاله فساداً لا يرجي صلاحه، علي حد قول الشاعر:

عجوز شئت أن تكون فتيهً      وقد يس الجبان وأحدوب الظهر

فروح إلى العطاش تبغى شباها      وهل يصلح العطاش ما أفسد الدهر

فما كان في سعيه من دار فور إلى دار وداي إلا كالباحث عن حقيقته بظلفه لو  
الجداع مارن أنفه بكفه، وكان رأي الوزراء أنهم يدخلون به إلى دار وداي حتى  
يصلوا إلى واره ويتقبضوا عليه هناك، فلما أراد الله غير ذلك، وعجل له الفك من  
جميع المسالك، وما ذاك إلا أن بعض الملوك صمم على خيانة السلطان ونجدة  
أصيل، لما قام في صدره من الفساد، لأن حضرة السلطان لا يمكن ظالمًا من  
الظلم، ولا مفسدًا من الفساد، وهذا البعض يعلم أنه ما دام صابون سلطاناً لا يتمكن  
من {تنفيذ} أغراضه، ويمكن منها مع أصيل، فجنح إليه بقلبه، وأفشي ذلك، وقال  
لبقية الأمراء: أراكم غررتم بالرجل، وجئتم {به} لمقتله، مع أنه ابن ملككم، وفي  
قلبي أنه أولى من صابون بالملك، لأنكم تعلمون ما عليه صابون من الجبروت<sup>(٢)</sup>  
والعتو وسفك الدماء وعدم قبول نصيحتكم، فإن<sup>(٣)</sup> كنتم تسمعون نصحي تجعلون هذا  
الهلز جدًا، وتكونوا مع هذا الرجل بالقلب والقلب {ولن} تغيير الدول فيه رحمة  
عظيمة، فحين سمعوا منه هذا القول علموا أنه صبا<sup>(٤)</sup>، وإن لم يتدركوه {فسوف}  
يفسد حيلتهم، فتقبضوا عليه من غير سؤال، وقيدوه، ثم وكلوا به من يحفظه،

<sup>(١)</sup> كان مولد الكاتب له ماء إلى دار فور بامتداد من والده فوحده له رجل إلى وداي، فسكن في العاشر سنة من الزمن بظفر الأذن  
من ملطت القور بظفر إلى والده فأمر الأذن لسوت لأنه مرهون بالعلاقات بين الدولتين كما سبق تفصيله.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "الغور".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وإن".

<sup>(٤)</sup> صبا أي لونه وسرح من المعنى.

وقاموا كلهم ودخلوا علي أصيل وقبضوا عليه في تلك الساعة، خوفاً من أن يسري<sup>(١)</sup> إليه خبر ذلك الملك، أو تسمع شيعه ذلك الملك فتشيب نار يصر إطفائها، وبعد أن قبضوا عليه صفتوه وجمعوا يده الي عنقه بجامعة متينة، وأركبوه بعيراً، وأرسلوا معه ألف فارس بعد أن أخذوا العيود عليهم بعدم الخيانة، وأمرهم أن يتوجهوا به الي ولده، وجعلوا أمرهم الي كامكلاك كنزمني وهو ابن خالة السلطان صابون، وكان أشفق الناس عليه، فأخذ عسكره وتوجه وسري به الليل أجمع، وفي ذلك الليل ارتحل الوزراء بالمعسكر وسروا خوفاً من أن يحدث أمر، فوجدوا الكامكلاك كنزمني قد وصل بمن معه الي قرية هناك فسألوه هل حدث شيء؟ فقال: لا، فتوجهوا وتركوه يأتي علي رسله، وتعجلوا السفر الي ولده فوصلوها في ثالث يوم، ودخلوا علي السلطان وأخبروه بما وقع، فابتهج فرحاً، وأمر بسجن الملك الخائن، (وعند الصباح<sup>(٢)</sup>) أرسل ملكاً من ملوك التراقنة (ومعه) مائة ألف ليسانوا<sup>(٣)</sup> بأصيل صحبة الكامكلاك كنزمني، فذهبوا، وفي اليوم الثالث<sup>(٤)</sup> وصل أصيل مقيداً علي البعير، وخرج السلطان الي<sup>(٥)</sup> الفاشر في أكمل زينة، وضربت الطبول والتجوقات، وخفقت الأعلام علي رأسه، وأصيل راكب علي البعير ثم أمر السلطان بدخوله في وسط الحلقة، وقال له يا خائن يا غادر أتريد أن تمك بلادنا لأعدائنا، لأجل قضاء شهواتك، ثم أمر بقتله في الحال، ثم قتله، وأراح الله العباد والبلاد منه، وكان يوم سرور في وداي، لم ينظر مثله قط، ثم أمر السلطان بإحضار الملك الذي خان فأحضر، فأمر بقتله أيضاً، فقتل وطرح مثله مع مثله أصيل في بطناء الفاشر من وقت الضحى الي المساء، ثم أمر بدفنهما، وهذه من أشرب الوقائع، ولم أسمع بملك خدع كما خدع أصيل، إلا جذيمة الأبرش ملك العرب فإنه اتخذ للزباء، وهذه كانت ملكة أيضاً مات أبوها ولم يعقب غيرها، وكانت في مملكة واسعة، فأحب جذيمة أن يتزوجها، وكانت تكره الرجال، فأرسل لها جذيمة

<sup>(١)</sup> في الأصل: "أن يسري".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "واصبح".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "يأتون بأصل".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "وبعد ثلث يوم..".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "في الفاشر".



لني خاطبك لنفسي، فعلمت أنها متى امتعت قاتلها جزيمة، وأخذ ملكها قهراً عليها، فخدعته بحيلها، وأرسلت تقول له: إن السيف أصاب القراب، ووالله إنك لكفؤ كريم، وطالما كنت أراد نفسي أن أخاطبك في هذا الشأن، لكن لا يخفى عليك الحياء الذي تتمتع به النساء من تمام أغراضهن، والحمد لله الذي أهبك لهذا الشأن، فإذا أتاك كتابي هذا فبادر بالقنوم، ليكون الشمل بملكك منتظماً، فلما قرأ الكتاب أعجب به) وأصبح مرتحلاً، وكان له ابن بنت يقال له قصير، جاء اليك الملك حين بلغه ذلك، وقال له أيها الملك أتخدع من امرأة، فقال لا خدعة، فقال قصير: لا يسمع لقصير قول، فصار مثلاً، ولما وصل جزيمة الي الذبساء تلقته أعظم ملقي، وأخرجت له العلوقات والضيافات، وحضرت لديه وعقد عليها، فأطمأنت نفسه، ووثق بها، ورد ما بقي ما معه من العداكر وبقي في نفر قليل، ولما دخل عليها في قصرها أعظمت ملتقاه وتأمل فلم يجد ما تأهبت ولا تزينت بشيء، فأحس بالشر، وقد غلقت عليه الأبواب، وبقي وحيداً، ثم أنها غلبت عنه قليلاً وعانت اليه مكشوفة السوء وأرقه سوءتها، وقالت له أنظر متاع عروس فرأي عانة كاد شعرها أن يكون لمة، فقال لا أري متاع أمة ينظري، فعند ذلك دعت بجواربها وقالت (لهن) إفرشن نطعاً ففرشنه، وأمرت حاجماً أن يوضع راهشيتية<sup>(١)</sup> فبضعهما وتركته ذمة سائلاً حتى مات، وكانت في أثناء ذلك تقول لجواربها: أخنقن دم سينكن، فقال جزيمة: دعيه فإنه دم أهنره صاحبه، وهكذا معني قول الشاعر:

فعلمت الأديم كراهية والبي قولها كذباً وقمينا

ثم أن قصيراً أخذ بئر خاله منها وقتلها هي وقومها، ومع أن جزيمة وقعت مشهورة، فلا يقبل الحكام بها، وإنما ذكرنا صدرها لمناسبة الخدعة على سبيل الاستطراد وإنما قتل صابون أخاه والملك الذي كان صبا إليه، لأن الرجل الحازم

<sup>(١)</sup> راهشيتية: القمصة لها على الزبد الذي يحمل الدم من الطب واليه.

صلى الله عليه وسلم: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين<sup>(١)</sup> ومن هذا القيل ماقيل أنه لما تزاد النعمان الأعور ملك بعده ابنه المنذر وانتهى ملكه في زمن فيروز بن يزدجرد، ثم ملك ابنه الأسود وهو الذي انتصر<sup>(٢)</sup> على عثمان عرب الشام واسر عدا<sup>(٣)</sup> من ملوكهم وأراد أن يعفو عنهم، وكان للأسود ابن عم يقال له أبوزية قتل له آل عثمان أخا في بعض الوقائع، فقال قصيدته المشهورة يفرى الأسود على قتلهم فمنها:-

ما كل يوم رجال للراأ ما طلبا	ولا يسرعه المنذر ما دها
وتحزم الناس ما إن فرصة عرضت	لرب جعل السبب الموصول منتظبا
وتأخف الناس في كل المواقف من	سنى للمادين بالكلس الذي شربا
وليس يفلح من مراح بفرهم	لحد سيف به من قبله انضربا
والعوا الاعن الأكاه محرمه	من قاتل غير الذي قد قتلته كذبا
فقلت عمرا وتنبى يزيد لقد	رأيت رأيا بحر الويل والخرابا
لا تقطن فنب الأسمى وزملاها	إن كنت فيها فأنزع رأسها الذبا
مرجروا السيف فاجعلهم لجزرا	وأوقدوا النار فاجعلهم لما حطبأ
إن تعدى عنهم قول الناس كلهم	لربصف حلما ولكن عودهم ربأ
مرأله غسان وعبدعمر	عالم فبان حمالوا ملكا فلا عجبأ
وعرضوا جهدا وأصين لنا	خيلا وأبلا زرق المعجم والربأ
أغلبون حمالا وأغلبها	مرسلا لند شرفنا في الورى حلأ
علام قبلهم فديتهم	لاشنة ما قبلوا ولا ذمأ

وقد أن الأول أن نحبس القلم عن طفيلاته ونرده عن الجموح بأواء عنائه، ونشرع في ذكر الوقائع التي جرت بين السلطان صلبون وأقربائه والتحروب التي حصلت منه إلى آخر زمانه.

(١) الحديث: امر به ابن ماجة في سننه، وصححه رقم (٢٩٨٦) ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي عن طريق مسند أبيه  
الحديث من كتاب من حديث لثرو، وما ضمه، وقد وثقته مجمع الرواة ٩٠/٧.

(٢) في الأصل "نصر" والمصواب "انتصر".

(٣) في الأصل "عدا" وهو خطأ والمصواب: عدا.



## الفصل الخامس

### في ذكر ما وقع من السلطان صابون من الحروب

#### وقهر الملوك وملك البلاد

إعلم أن القادر الذي لا يعجزه شيء، تقديست ذاته وتفزهت صفاته جعل الملوك في الأكلون كالزواجر من الأبدان، والرأس هو الرئيس، وهو محل العقل على بعض الأقوال، وهو أشرف أعضاء الإنسان لأن فيه من الحواس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والذوق، وفيه الحواس الباطنية بتمامها، وهي: الحس والخيال والمفكرة والمندبرة والمتصرفة، كما أن السلطان محل جمع الكلمة ومحل العدل والظلم والانصاف والذب عن البلاد، والرفاة والرحمة والانتقام من الظالم للمظلوم وإقامة الحدود والتجاوز والعفو، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه المسكين وبه ينتصر المظلوم)<sup>(١)</sup> وقال عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)<sup>(٢)</sup> إذا تقرر ذلك من حيث إن السلطان محل القوة والنجدة فمن الواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، وفي الحديث: "من رأى منكم منكراً فليغيره إما بيده أو بلسانه أو بقلبه وهو أضعف الإيمان"<sup>(٣)</sup> ولا أحد أجد<sup>(٤)</sup> من السلطان خصوصاً كسلطان السوداي فإن جميع أهل بلاده يتقانون لكلمته مطيعون لأوامره، متجنبون لنواهيه، ولذلك لما تمكن السلطان صابون في السلطنة، وثبت قدمه فيها لم يدع منكراً إلا غيروه ولا معروفاً مع مستحقه إلا فعله ومن جملة ذلك تغييره للمنكر الذي ارتكبه الحاج

<sup>(١)</sup> الحديث رواه الترمذي وفيه ضعف من سنن أبي مهدي، وهو منقول صحيح الترمذي ١٩٦/٥ (صحيح).

<sup>(٢)</sup> الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ٥ ص ١٨١ وأخرجه الترمذي في معجمه وقال حديث صحيح ٢٥٨/٥.

<sup>(٣)</sup> من الحديث: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده أو بلسانه أو بقلبه وذلك أصح الأسماء رواه مسلم.

رواه الصاغوني ص ١٠٠.

<sup>(٤)</sup> عبارة "ولا أحد أجد" أي لا أحد أكثر جدية من السلطان صابون سلطان ومهي.

أحمد سلطان الباقرة<sup>(١)</sup> وذلك إن السلطان المذكور طغى وارتكب الفواحش التي نهى الله عن فعلها منها أنه أباح الظلم لقواده يظلمون كيف شاءوا، ولا يقبل فيهم شكوى من أحد، فاتفق أنه لما كثرت الظلم على الرعايا اجتمع كثير من كبراء أهل القرى والضياع وشكوا إلى العلماء من أتابهم من عسف العمال وجورهم وإن السلطان لا يقبل فيهم من أحد شكوى، واتمسوا منهم أن يتوجهوا إلى السلطان، وأن ينهوه ويبالغوا في نهيه، عسى أن يرتدع ويأمر قواده بالكف عنهم فكان كذلك، واجتمع جميع العلماء وتوجهوا إليه فلما دخلوا عليه عرف مقامهم واحسن ملبسهم وبعد أن استقر بهم المجلس سألهم عن سبب اجتماعهم ودخولهم عنده، فسكتوا، وكان فيهم رجل ممن يسمى الفقيه التولي، فقال يامولانا السلطان إنا جنناك لننهاك عن أمور صدرت من قوائك فإن كان لك بها علم نلتص من مصلحتك أمرهم بإبطالها وإن لم يكن لك بها علم تزجرهم وتردهم، فقال السلطان وما هي، فقالوا له الظلم لأنهم ما تركوا قلباً بارداً<sup>(٢)</sup> وأنت السلطان وهم لا يظلمون إلا باسمك والرعايا لا تخشى إلا منك، وأنت المسئول يوم القيامة، ثم ضرب له مثلاً فقال: يامولانا السلطان لرايت إن كان لك زرع وقرب أولان<sup>(٣)</sup> حصاده وهو في غاية من الخصب وكان في وسطه شجرة كبيرة قد عشتت فيها الطيور وصارت تأكل ما في الزرع من الحب ولم ينفع فيها التزجر وأعيان الأمر. فلماذا تفعل بالشجرة فقال السلطان أقطعها، فقال الفقيه: أعلم يامولانا إن الرعايا هي الزرع وأنت الشجرة وعساكرك الطيور، وقد حصل منهم من فساد الزرع ما لا يتحمل، ونحن نخاف الآن على الشجرة من القطع لأن صاحب الزرع الذي هو الله لا يرضى بالظلم، أما سمعت قول الشاعر:-

<sup>(١)</sup> الباقرة: أو البقرة: هي آلة الخيل المنيعة والرمية احتضت مع باقي الفلاح، واستوا دولة جنوب بحيرة لنه في القرن العاشر للمحرى السادس عشر الهلادي، وسطروا سلطانهم على شعوب المنطقة من العرب والموالان وله تأثر الدولة بالاسلام لعدم انبها من ربه ومن العرب، وكانت عاصمتهم تسمى منها عندما رار الرحلة بارت لظلال المنطقة منتصف القرن التاسع عشر الهلادي، وكانت معصرة لدولة الوداي. مخر: مخر: لعارف الاسلام، مادة (مخر).

<sup>(٢)</sup> ما تركوا قلباً بارداً أي لم يتركوا قلباً بارداً أو نفساً بارداً وهو كلمة من الدم والحرف الذي تدخله في عروس القس.

<sup>(٣)</sup> أولان الأصل: "ولرب إننا حصاده".



لا ظلم من أحد ما كنت متندراً  
فأظلم آخره بأقبح بالندم  
تنام عيناك والمظلوم منيبه  
يدعو عليك وعين الله لم تغم  
وفي الحكم الماثورة: ...

الظلم إن دأمر دأمر، والعدل إن دأمر عزم ...

وقال الشاعر:-

أقولوا الرجل قد تعود  
على ظلمي ولم يخش الرقيا  
فصبت له سهاماً في الليالي  
وأمرجو أن تكون له مصيباً

وفي الحديث: عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة<sup>(١)</sup> فضحك السلطان منهم، وقال لهم: ترون أن هذه الطيور تعيش من غير طعام وشرب، قالوا: لا، قال لهم: هم لا يأخذون منهم إلا أنواتهم قالوا له أنواتهم عليك، وأنت معطيهم الاقطاعات من أجل ذلك، فقال لهم: كل إنسان أعرف بوسم قنحه، أما الرعايا فهم رعاياي والعساكر عساكري وأنتم لا تدخل لكم في ذلك، أنتم لا تدخل لكم إلا في رجل يريد أن يتعلم شرائع الدين أو يسأل عن مسألة، أما هذا فلا يعنيكم ولولا أن الناس يقولون إن السلطان يعطش بالعلماء، لما تركت منكم أحداً، ثم دعا بأمرائه وقال<sup>(٢)</sup> لأحدهم: أنت الصقر وقال للآخر أنت البازي، وقال للآخر: أنت الحداة، وللآخر أنت الرخم<sup>(٣)</sup> وللآخر أنت النسر ووسمهم بأسماء طيور (جراحة) والعلماء جالسون ينظرون ذلك ويسمعونه، فخرجوا من عنده على غير صورة ذمامون لأفعاله، ومازاده ذلك إلا اعتوا فاجتمع العلماء مرة ثانية ودخلوا عليه، وذلك حين ضج الناس من شدة الظلم، وصار يقع بينهم وبين جند السلطان مقتلات عظيمة وتسفك دماء الناس فخربت<sup>(٤)</sup> لذلك عدة قرى وضياع، فقالوا لدخل عليه، ولو كان في هذه

<sup>(١)</sup> في الحديث "عدل ساعة من عبادة سبعين سنة، فلم لها وصام لها راحة" رواه الأصمعي عنه عن ابن عمر، في السيرة النبوية، ١٦٧/٢.

<sup>(٢)</sup> في الأصل "عدو".

<sup>(٣)</sup> في الأصل "جراحة" والضماء فرحم، وهو علم جرح.

<sup>(٤)</sup> في الأصل "فخرت" لذلك عدة قرى.

المرّة هلكنا فلما مقلّوا بين يديه عرف حقهم وأنزلهم منازلهم فلما استقر بهم الجلوس مدّاهم عن سبب مجيئهم فأخبروه أنهم جاءوا يوفون بعهد الله الذي أخذهم عليهم في قوله تعالى: "وَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ" (١) فقال: قولوا ماتريدون، فقال أحدهم: قل الله تعالى: ويضع تمولزين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ولن كان متقات حبة من خردل لتبنا بها وكفى بنا حاسبين (٢) وقال آخر حديثاً نفسياً وهو قوله تعالى (على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم) يا عبدي إني خلقت الظلم وحرمته على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا (٣) أو كما قل، وقال آخر: قل النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة: أنا الملك الجبار لا أتجاوز عن ظلم ظالم ولو متقات ذرة فسين تجاوزت عن ظلم ظالم فلنا ظالم (٤) وقال آخر: قل عليه الصلاة والسلام: انظلم إن دام دمّر، والعنل إن دام عمز\* وكل واحد منهم قل كلاماً في شأن ذلك، فلما أتموا قل لهم السلطان: أفي هذا تصد جنتم؟ قتلوا نعم، قل قد سمعنا وعصينا، انصرفوا عني، وإن خاطبتوني في شيء من هذا الأمر بعد هذا جرّيتكم بما تستحقونه، فقام العلماء من مجلسه مغضبين وتمادى هو على تلك الأفعال وبلغ خبره إلى السلطان صابون فقال: حسبك الله، ألم يكنه ذلك حتى أنه أباح ما حرم الله ورسوله، وهو أنه كانت له أخت متزوجة بأحد الوزراء فغضبت من زوجها لأمر حدث بينهما وجاءت شاكية لأخيها تريد أن يخطب زوجها في شأنها ويصلحها معها، فلما رآها حسنت في عينه لأنها كانت من الجمال بمحل وكان هو سكران (٥) أيضاً فتعلقت أمته بها وصبر إلى الصباح، ولما أصبح دعا بزوجه ثم أمره

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٧.

(٣) الحديث (يا عبدي إن حرمت الظلم على نفسي وحرمتكم حرماً فلا تظلموا، أي إن حرمت على نفسي الظلم وعلى عبدي ولا تظلموا، مخر الأحكام القدسية ٢٦١/١ صحيح مسلم باب حرمة الظلم ح ١٤ وما بعدها - حديث صحيح

(٤) من الحديث قل النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى يوم القيامة: "انظمت الحيل لا أعزور عن ظلم ظالم ولو متقات ذرة فإن تجاوزت عن ظلم ظالم فلنا ظالم".

(٥) من الأمل: وكل هو سكران.



بطلاقها فطلقها وأراد أن يصطحبها لنفسه فخاف أن يقوم عليه الكثير، فجمع العلماء  
وسألهم عن مسوغ يبيع له نكاحها<sup>(١)</sup> فقالوا لا مسوغ لك، وهذه حرمتها بنص  
القرآن، فجعل لمن يلتزم له مسوغاً مالا عظيماً، فقالوا لا مسوغ فغضب عليهم  
وأخرجهم وكان أحد<sup>(٢)</sup> العلماء الذين يميلون إلى الشهوات شائياً عن ذلك المجلس،  
فلما بلغه الخبر جاء إلى دار السلطان واستأذن ودخل عليه، فلما استقر به  
المجلس: قال بلغني خبر كذا وكذا، يعني قصة السلطان مع العلماء في شأن أخته،  
فقال له السلطان قد كان ذلك، وكلهم قالوا: لا مسوغ فلماذا تقول، قال: إن لك  
مسوغاً لذلك، قال له السلطان: (و) ماهو؟ قال: أعلم أن أبك كان متزوجاً بأكثر  
من أربع، قال نعم، قال وما زاد عن الأربع فهو حرام، وأولادهن أولاد زنا ومساء  
الزاني لا حرمة له في مذهب الشافعي، فمسوغ حينئذ أن تتزوجها<sup>(٣)</sup> ففرح السلطان  
فرحاً عظيماً وأجاز له على ذلك بجائزة سنوية وبلغ العلماء خبره، فأرسلوا للسلطان  
يقولون: إن ما أففك به فلان باطل لا يحل في مذهبنا فقال لهم السلطان قد تقلدت  
مذهب الشافعي فأجلبوه من أين لنا أن لم هذه (المرأة) من الزنات على الأربع  
والتحري في مثل هذه أولى، فلم يلتفت إلى قولهم، ولا عيب به بل عقد على أخته  
ودخل بها جهاراً.

وبعد ذلك بمدة كانت له ابنة متزوجة فجاءت من دار زوجها للسلام على  
أبيها فتدخلت عليه وهو سكران فتعلقت أماله بها وأرسل خلف بعليها فأحضره  
وأمره بطلاقها فطلقها، لكنه خاف أن يسأل في شأنها أحداً من العلماء فصار يخلو

<sup>(١)</sup> يدل الكتاب أيضاً أن أسلوب الآخرة من أجل توريث السلطان صامراً من صاحبة الشرع.

<sup>(٢)</sup> في الأصل "وكتا بعض العلماء".

<sup>(٣)</sup> في هذه القصة وهي "زواج الأخ من أخته بنت الزمرد" فيها "الخلوة من ماء الرجل" رواه أبو له "عد الشبهة فقط لأنها أصلية  
عنه، إذ لا يثبت لها ثبوت ولا موه من أحكام الشافعي ولكن يكره له نكاحها صريحاً من الخلاف. لمادة الحاجة شرح المسماح، الخطب

الشافعي ١٧٢/٦ فلما كانت ليل الرجل الذي رماها، فمن باب قول ليل له على مذهب أبي الشافعية.  
وقال بعض العلماء، حرم ذلك أي لحرم نكاح الخلوة من ماء الرجل إلا أن يصوم الآية... ومثلكم وأحوتكم. "فلما بنت قد حل  
في الصوم كما هو مذهب أوجبها ومالك وأحمد من حل ولد حكي من الشافعي شيء عن إباحتها لأنها ليست بشأ شرعية فكيف لم  
تدخل في لوله (ومثلكم الله في أولادكم) لذكر مثل خط الانتد) فلما لارت بالامحاح فكذلك لا تدخل في هذه الآية: بقدر: نسو

إن كثر ج ١٢٩/١ في نسو سورة النساء.

بها ويرادها عن نفسها فتقول له أنت أبنى كيف يسوغ لك أن تسألني في مثل هذا، فيقول لها أني أحبك، وأريد أن خيرى لا يكون لغيرى فتقر منه، ودأما على ذلك واختلف الناس في هذا الأمر فمنهم من يقول إنه تمكن منها ومنهم من يقول إنها لم ترض أن تمكنه من نفسها، وبلغ خبره السلطان صابون، فقال حسبه الله تعالى، إذا أرك الله بأمره هيا لسبابه، وإذا أرك بقوم سوء فلا مرد له، وهذه الأفعال الصادرة من هذا السلطان هي مصداق قوله تعالى 'وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً' (١) ولما أراد الله هلاك هذا السلطان على يد السلطان صابون قبض له وزراء سوء فدخلوا عليه وقالوا له: يامولانا إننا أفرقنا البلاد وأفريقنا العباد من الظلم والجور، وكن الأتيق ألا نتعرض لرعايا، بل نتعرض لغيرهم من رعايا غيرنا من الملوك، فقال لهم: وهل تعلمون أحداً من الملوك رعاياه أغنى من رعايانا أو قريب منا؟ فقالوا نعم، رعايا الوداي بقربنا، وهم (٢) أصحاب ابل وغنم وبقر ورقيق وفضة، فقال: أغزوها وهاتوا كئنا فترسم عليه من الاموال فقام احد الوزراء المسمى بالفشا (٣) وهو عندهم كناية عن الأب شيخ في دارفور وقال: يأنن لى مولاي ان أتوجه الى رعية وداى ثم بعدى يتوجه من يتوجه، فأنن له السلطان فى ذلك، فركب فى خيله ورجله، واقتحم بلاد وداى، على حين غفلة فقتل وسبى وغنم أموالاً عظيمة، ورجع مسروراً بما تحصل عليه فلما رأى السلطان ما أحضره (٤) الفشا من الأموال أعجبه ذلك وقال: لا يتوجه غيرك، وأمره أن يتوجه (٥) الى الوداي ثانياً وأن يتوغل فيها فمكث نحو خمسة عشر يوماً وكر راجعاً، فغنم أكثر مما غنمه فى المرة الأولى وحصل بينه وبين أصحاب الاموال مقاتلة فقتلوا (٦) منهم أناساً ورجع ملأً اليد، وذهب الناس الى

(١) سورة الاسراء، الآية: ١٦.

(٢) فى الأصل: ... وهى أصحاب...

(٣) يذكر المؤلف ان الفشا بولاية لومبى فى منطقة دارفور وهو محتال وليس للوزراء.

(٤) فى الأصل: ما جاء الفشا.

(٥) فى الأصل: من يوجهه منى.

(٦) فى الأصل: وقتلوا منهم.



السلطان صابون فشكوا له ما حصل لهم من الفشا وما أخذ منهم من الأموال، فتعجب من ذلك وقال: كيف يغزوننا ولنا له بأعداء ونحن مسلمون وهم مسلمون، إن هذا لشيء عجاب ثم إنه كتب إلى سلطان الباقري يقول له: بعد السلام، أما بعد فإن الفشا قد اتحم بلادى وأخذ أموال رعائى وهتك حرمتى وسبى وغنم، وهذا شيء لم نعهده ولا يحل فى شرع من الشرائع، فإذا أتاك كتابى هذا فأمره برده الأموال إلى أربابها وإياك أن ترسله ثانياً، وأرسله إليه صحيفة هدية، فلما وصله الرسول لم يكن منه إلا أن حبس الرسول ولم يرد له جواباً، وبعد ذلك بليام جاء الناس إلى السلطان صابون يشكون له ما حل بهم من الفشا، وقد نهب أموالهم وسبى عيالهم وقتل رجالهم، فاغتاظ السلطان صابون لذلك، وترقب الرسول أن يعود إليه فعاد<sup>(١)</sup> فأرسل له رسولا آخر بكتاب من عنده يقول فيه: أما بعد فقد كنا أرسلنا إليكم كتاباً قبل هذا صحبه رسولنا فنكرتكم فيه ما حصل من الفشا من الظلم ونهب الأموال ونلتبس منكم رد ما أخذ الفشا لأنه مال مسلمين لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يأكل منه شيئاً وبينما نحن<sup>(٢)</sup> فى انتظار الرسول ورد الجواب إذ جأمتنا الرعايا بحالة تسمى الصديق وتسر العدو وشكوا إلينا أن الفشا أغار عليهم ثانية ولم يترك فى مراحهم صارخة ولا صاخلة، وقد عسر علينا هذا الأمر، فإذا أتاك كتابى هذا فرد علينا ما أخذ عاملك وإلا رددناه كرهاً.. والسلام فلما قرأ سلطان باقرمة كتاب السلطان ضحك وقال: كيف يطمع صابون فى استرداد مال أخذته من أصحابه<sup>(٣)</sup> هذا لا يكون أبداً ثم إنه أرسل إلى السلطان صابون أحد الرسل بكتاب يقول فيه: - أما بعد... فقد وصفنى كتابك الأول والثانى، وفيهما ما تضمننا، والسلام. فلما قرأ السلطان صابون<sup>(٤)</sup> الكتاب حاج غضبه وترايد ليهبه وحلف إنه لا يرجع إلا بعد اقتحامه دار باقرمة، وإما له أو عليه، ثم دعا

<sup>(١)</sup> فى الأصل ".. فعاد.."

<sup>(٢)</sup> هذه العبارة "وبينا نحن فى انتظار الرسول" تدل على أن المؤلف كتب من روى له هذه القصة، ولا يجب أن يكون واهم

الذى كان وزيراً فى حكومة السلطان صابون.

<sup>(٣)</sup> فى الأصل "كيف يطمع صابون أن يأخذ مالا وقرمه..."

<sup>(٤)</sup> فى الأصل ".. فلما قرأ الكتاب السلطان صابون.."

القاضي<sup>(١)</sup> ووالدي واستشارهما في أمر سلطان باقرمة وتحليله لمحارم الله عز وجل، وذكر لهما كيف تزوج بأخته وماشاع عنه بأمر أبنته فقالا (له) إن صح هذا عنه فقد حل قتاله، ثم ذكر لهما قصة نهبه لأموال الرعايا بلا سابقية بينهما فاستكتمهما الخبر و(عندما) أصبح دعا بالكماكنة وقال لهم: إني ضيق الصدر مشغول البال، مبطل البلبال، قد سئمت نفسي المقام في هذه الدار، وأريد أن أتوجه إلى دار جدي السلطان جوده، وكان السلطان جوده قد اتخذ داراً بعيدة عن داره بنحو ثمان ساعات فاركبوا بنا إلى هناك فقالوا: سمعاً وطاعة، فأمر السلطان بخيوله فاسرجت وبتقله فحمل وأمر قائد العرب أن يحضّر إيلاً كثيرة فاحضر ماكان عنده، وأرسل في طلب الباقي، وضرب السلطان الطبل وخرج في جيشه ولم يزل<sup>(٢)</sup> سائراً حتى وصل إلى<sup>(٣)</sup> دار جده فأقام بها ثلاثاً ثم أصبح راحلاً فظن الوزراء والعساكر أنه يريد الرجوع إلى دار ملكه، فما كان منه إلا أن وجه جواده إلى جهة الجنوب، وسار، فلم يكن لهم بد من أن يتبعوه، فتبعوه وهم لا يدرون أين يتوجه، فتقدم إليه أحدهم وقال: أيد الله مولانا، إلى أين القوم؟ قال: إلى دار جدي عروس، وكان جده السلطان عروس قد اتخذ داراً بينه وبين واره، مسافة يومين، ولم يمكث بها إلا أياماً قليلة، فلم يزل سائراً حتى نزل بها وأقام {فيها} ثلاثة أيام أيضاً، ثم أصبح مرتحلاً إلى جهة الجنوب، فسأله بعض الوزراء، {قائلين}: إلى أين يتوجه مولانا؟ فقال: أريد أن أتجول في مملكتي وأنظر أحوال رعيتي، وإياكم أن

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. ثم دعا القاضي.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. ومثل ما مر...

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. حتى وصل لدار...



تسألوني بعدها، فأمسكوا، وسافر يومه ذاك<sup>(١)</sup> حتى أمسي، ثم<sup>(٢)</sup> نزل،  
وأصبح راحلاً يجد السير حتى أمسي ثم نزل<sup>(٣)</sup>، ومشى بهم على تلك الحال سبعة  
أيام، وفي اليوم الثامن أصبح مقيماً، ودعا بأكابر دولته ووزرائه وأجناده وقال لهم:  
إعلموا أنني متوجه إلي باقرمة، وأني مقيم هنا سبعة أيام تستعدون فيها، فمن لم  
يأت مع عسكره فليرسل، ومن لم يكن معه إيل فليات بأبله، ومن كان ناقص خيل  
أو سلاح فليتم، وأني بعد ذلك متوجه إلي باقرمة، فقلوا: سمعاً وطاعة ثم خرجوا  
من عنده وتفاوضوا في الأمر، وعظموه وقالوا كيف يخرج بنا غير مستعدين ويأتي  
إلي هنا<sup>(٤)</sup> ثم يقول لنا استعدوا، كيف نستعد من هنا في سبعة أيام، مع أنه لو أقام  
هنا شهراً كاملاً لما أمكننا<sup>(٥)</sup> الاستعداد، مع أن أعدائنا أقوىاء كثيرى<sup>(٦)</sup> الجند، خيلاً  
ورجلاً، وإذا لم نستعد لهم غاية الاستعداد لا يمكننا التوجه إليهم، وإذا توجهنا إليهم  
على هذه الحالة لأفئونا وقتلوا سلطاننا، وبقي مثلة بين القبائل، وهذه ليست من  
أحوال الملوك، فمن منا يرجعه في ذلك ويرده إلي داره حتى نستعد وننتهي  
للحرب، فقام الرسول الذي أرسله من قبل إلي دار باقرمة من طسرف السلطان  
صاهون وقال: لنا لردده إلي داره، ولكن ماذا تكفون لي إن رددته<sup>(٧)</sup>؟ فقالوا لك  
علينا مائة رأس من عناق الخيل، ومائة عبد، ومائة من الأبل، فرضي وأخذ عنهم  
وثيقة بذلك، ولما كان المساء دخل علي السلطان وانتظر حتى خلال المجلس، ودنا  
من السلطان وقال: أيد الله مولانا، ما هذه الفعلة التي فعلتها؟ قال: وما هي؟ قال:  
إنك خرجت بالناس علي غير أهبة، تريد أن نتحتم به داراً ملائكة بالفرسان

<sup>(١)</sup> في الأصل: وسافر يومه ذاك...

<sup>(٢)</sup> في الأصل: و نزل...

<sup>(٣)</sup> في الأصل: و نزل...

<sup>(٤)</sup> في الأصل: إلي ما هنا...

<sup>(٥)</sup> في الأصل: لنتم شهراً كاملاً ما أمكن...

<sup>(٦)</sup> في الأصل: كثيرون الجند... وهو معنا العربي ويعرف لغواً شفا أكثر التوامت.

<sup>(٧)</sup> في الأصل: وإن لنا ردهه فعلنا إلي...

والرجال، أقوام أشداء أقوياء لا يخطر لهم الموت علي بال<sup>(١)</sup>، فأتك تريد  
 اتلاف عساكرك، وتمزيق جمعهم، علي أننا لو دخلنا دارهم بهذه<sup>(٢)</sup> الحالة،  
 وقابلنا<sup>(٣)</sup> أحد وزراءهم كالغشا، لما قدرنا<sup>(٤)</sup> علي قتاله، فقال له السلطان: ألق ما  
 تقول؟ فقال: إي والله، فقال السلطان: إنني نسعي<sup>(٥)</sup> بحيث نرجع في الغد إن شاء  
 الله، ولا نلقي بأنفسنا الي التهلكة، فخرج الرسول من عنده فرحاً بمقتله، ظاناً أنه  
 نبطله، وبشر الناس بذلك، فبات المعسكر في سرور عظيم ولما جاء الصباح  
 ضرب السلطان مطبول الرحيل بعد أن كان ناورياً علي الإقامة ولما قُتِمَ له جواده  
 وركب دعا الرجل المذكور فحضر فلما مثل بين يديه قال: إني أريد أن أبتك ها  
 هنا، ولا أريد أن تكون معي في هذه السفرة، لأنك رجل جبان كما أخفنتي البارحة  
 (تريد أن) تنفذ قلوبهم ثم أمر بالتقبض عليه فتقبض (ثم) نظر الي شجرة هناك  
 وقال<sup>(٦)</sup>: قيسوه في أصل هذه الشجرة فقيدوه وجعلوا الشجرة بين ساقيه وأمر أن  
 يمكث معه من يطعمه ويسقيه حتى يرجع وجعل عليه حرساً وتوجه، وحين رأى<sup>(٧)</sup>  
 الناس منه ذلك أرسل كل منهم الي وكيله أن يجهز له ما أراد وسافر السلطان  
 يومه ذك، ونزل عند المساء وبات، ولما أصبح أمر بالرحيل وبعد أن كان متوجهاً  
 جهة الجنوب توجه الي جهة المغرب، وهي جهة دار باقرمه، وسافر يومه أجمع  
 وبات عند المساء، وأقام هناك سبعة أيام، ومن يوم خروجه من ولده (كانت)  
 والعساكر تلاحقه وتكثر جنوده، والعالم يزداد (حوله) حتي صار في جيش يملأ  
 السهل والوعر، هذا مع عدم الاستعداد، لما لو أخذ (الناس) واستعدوا للسفر لكن  
 الجيش لا يعرف أوله من آخره، لكن عساكر الوداي وملوكهم كانوا خائفين من

<sup>(١)</sup> يريد أن يقول بأنهم لا يهابون الموت لشجاعتهم.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: مع هذه الحالة.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وقابل أحد وزراءهم كالغشا".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "ما قدرنا...".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "الآن سعياً بحيث إن شاء الله نرجع في الغد...".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "... فقال...".

<sup>(٧)</sup> في الأصل: "وحيث رأت العسكر".



بأقرمه، لما سمعوا من قوتهم وكثرتهم، فكان كل منهم خائفاً على نفسه، وقطع لفته مما كان فيه من نعيم، فاجتمعوا ثانياً وتفاوضوا في ذلك، وقالوا: كيف يغيبنا الرجل وحده، السنا برجال، كيف لا نقدر على رده، فقام ابن عمه السلطان، وكان يسمى الكامكلاك كدرمي وقال: عليّ أن أتحيل عليه حتى يرجع بكم لي ولرؤي، ويمكنك فيها أربعة أشهر، ثم إذا أرد أن يرتحل لا يمكنني أن أعرضه، فقالوا له إن قنرت علي إرجاعه لي ولرؤي لممكنك فيها ولو شهراً فلك علينا<sup>(١)</sup> جميع ما فكرناه لفلان، يعنون الرسول الذي حبسه السلطان، وبعد ذلك تدبر الأمر مانوي، فقال لهم عليّ {القيام} بذلك فظنوا أنهم بلغوا مأولهم، لكون كدرمي المذكور من ذوي قرابته، وكان في غاية الحظوة والتبول عند، بحيث كانت له كلمة لا ترد، وبينه وبين السلطان محبة عظيمة، فدخل الكامكلاك كدرمي على السلطان وقال: يا سيدي وسيد أبي أنت تعلم حبي فيك ونصحي لك، وأنت عندي خير من الدنيا وما فيها، وما يسوؤك يسوؤني، فقال له السلطان أعلم ذلك فقال: يا سيدي إني لك ناصح وعليك مشفق، وأريد أن أقول لك كلمة إن قبلتها مني كانت هي عين الفوز والنجاح، فقال له السلطان: قل فانك عندي لست بالدون، فقال: يا مولاي إنا خرجنا علي غير أحبة وأعدائنا في غاية القوة والكثرة، ونخشي علي أنفسنا وعليك إن نحن توجهنا اليهم علي هذه الحالة، فقال له السلطان: وما نجني حينئذ وقد خرجنا وقربنا من بلاد العدو، فقال يا مولاي: لا أريد من تفضلك إلا الرجوع<sup>(٢)</sup> بنا لي ولرؤي، ونمكنك فيها شهراً ثم نخرج في عدة وعناد<sup>(٣)</sup> {حتى} نقاتل عدوك وأنت في غاية القوة، ونرجو بسعادة مولانا أن ينصرنا الله عليهم، فقال له السلطان قد سمعت قولك وعرفته نصحاً، وسأرجع في غد إن شاء الله تعالى، وبات الأمر علي ذلك، ولما أصبح الصباح ضربت طبول الترحيل، وركب السلطان، وكان

<sup>(١)</sup> في الأصل: "تت من".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "لا ترجع".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "في عدة وعناد".

للكاملاك كدرمي أشاع أن السلطان راجع في<sup>(١)</sup> الغد، فبات العساكر في غاية من الفرح والسرور، وحين ركب السلطان توجه أصحاب الأعلام تجاه ولده، ورأى السلطان ذلك، فعرف أنه من إشاعة كدرمي، فدعا بأحضاره، فلما حضر قال لكبار {القول} خذوه<sup>(٢)</sup>، فقبضوا عليه وأجلسوه للقتل فلما رآه أرباب النولة ندموا، وجاءوا بأجمعهم ووقفوا أمام السلطان يقبلون الأرض، متشفعين فيه، فلم يقبل منهم شفاعته، فجاءوا إلى والدي وسألوه في ذلك، فتوجه إلى السلطان، وشفع عنده فسي كدرمي فشفعه السلطان لكن قال له: خذه {بعيداً} عنا فلا يتوجه معنا، وليرجع<sup>(٣)</sup> إلى ولده، لأنه يحب المكث فيها، ولذلك يحب رجوعي إليها، فلما لرده إليها، فقال له والدي تم إحسانك وأنعم عليه بالذهاب معك كما كان، وقد ناب لي الله ورسوله ألا يعود لمتيها ففعل، وسافر من وقته ذاك، ودخل في الخلاء الكائن بين باقرمه ووداي، وهو خلاء عظيم كله<sup>(٤)</sup> إجام<sup>(٥)</sup> شاتك الأشجار ضخمة، وإجامه مأوي للنباع والفيلة والكركن المسمى عندهم بأبي قرن وفي مصر بالخرتيت، وكان السلطان قد رتب لقطع الأشجار وإزالة الأحجار من الطريق وتمييدها عتيدين مع كل عتيد أربعة آلاف عبد يمشون أمام الجيش بنحو ساعة، {يحملون في} أيديهم الفؤوس والبطل، يقطعون الأشجار ويمهدون الطرق، فسار السلطان والجيش وسار العبيد أمامه كما هي العادة، وبينما العبيد يقطعون في الأشجار، وكانوا في غيضة مشيكة، إذ خرج عليهم كركن عظيم، وهاج فيهم، وقتل منهم أناساً، فانهزموا منه، وأوقع الله الرعب في قلوبهم، فلم يلو أحد منهم على آخر، ثم الذين بعدهم.. هكذا، وتوقف الجيش عن التقدم إلى الأمام، حتى لذي الأمر لوقوف السلطان، وحين<sup>(٦)</sup> رأى السلطان أن الجيش متوقف عن السير سأل عن الخبر، فقالوا له قد

<sup>(١)</sup> في الأصل: "أن السلطان في غد راجع".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "تأخذوه".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "يرجع".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "كلها".

<sup>(٥)</sup> إجام: الأمام: جمع أجم، وهو الكتف المنقب.

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "وسيط".



خرج علي الجيش كركدن وهاج فيهم، والناس يريدون قتله، وهذا سبب الوقوف  
 وبينما السلطان واقف فر الناس من أمامه<sup>(١)</sup>.. ولم يبق معه إلا القليل فتأمل  
 السلطان وإذا بالكركدن قد أقبل نحوه، فقال السلطان لمن حوله: ألا رجل يخرج  
 ويربحنا من هذا الكلب، وكان له عبد يقال له أجمعين، طويل<sup>(٢)</sup> القامة حسن  
 الخلقة، نيس بالغليظ ولا بالرقيق، وكان معه درقة وحراب، فرمى الحراب وخارج  
 بالدرقة والسكين، وهذه السكين من طولها تكاد تكون<sup>(٣)</sup> سيفاً، وهكذا سكاكين  
 الوداي التي يلبسونها في أيديهم، فأصابت السكين في يده اليمني، والدرقة في  
 اليسري، وقصد الوحش، فلما قرب منه رآه الوحش وقصده أيضاً، فتثبت له  
 أجمعين حتى جاءه وأراد أن يطعنه بقرنه فاستلقى أجمعين على الأرض والسكين  
 في يده، فهجم<sup>(٤)</sup> الوحش عليه، فضربه أجمعين بالسكين فمقره (ثم نهض مسرعاً  
 نحو حرابه) فأخذها ورجع إلى الوحش وطعنه بكبراهن في لفته فالتفت، وحين رأى  
 الجيش ذلك أقبل منهم أناس على أناس على الكركدن يطعنونه بحرابهم وما علموا  
 أن الأمر غير محتاج إليهم، وكان ذلك كله علي<sup>(٥)</sup> مرأي من السلطان، فلما علم  
 السلطان أن الكركدن قد هلك سار وسار الجيش، وأمر السلطان أن يُجرّ ثلثو  
 الكركدن فجر، وما زالوا يجرونه حتى خلص السلطان والجيش<sup>(٦)</sup> من الوعر،  
 فساروا في محل سهل رحب، فوقف السلطان واستوقف الجيش، وأمر باحضار  
 القواد الذين كانوا أمام الجيش فحضرُوا كُتُهم بين يديه، ونادي بالكبريتو والترافقة  
 فوقفوا خلف الناس، فقال السلطان للقواد ومن حضر<sup>(٧)</sup> (من الناس): يا أهل وداي،  
 أين شجاعتكم ومدافعتكم لعنوكم، قد ذهبت والله في هذا اليوم، ولم يبق منها شيء،

<sup>(١)</sup> في الأصل: "فوت الناس من أمامه ومن بين يديه..".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "وهذا العبد طويل القامة".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "تكاد أن تكون سيفاً".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "فجاءه وحش عليه..".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "مرأي..".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "خلص السلطان بالجيش...".

<sup>(٧)</sup> في الأصل: "ومن حضر...".

وإذا كنتم تفعلون هكذا أمام وحش لا سلاح معه ولا عقل ولا تدبير له، فكيف إذا صرتم أمام عدوكم، وجاءكم<sup>(١)</sup> بخيله ورجله وسيفه وترسه، وحاولكم وطلب غرتكم أكنتم مسلمي له؟ فقالوا: لا، قال: لا بد أن تسلموني له وتتجرون بأنفسكم، والنيل على ذلك أنكم نجوتم بأنفسكم أمام الوحش فأمام العدو أولى وأحرى، وحينئذ أنتم منافقون غافرون، والآء من حيث أنكم<sup>(٢)</sup> تضمرون الجبن في {أنفسكم} كنتم تنذروني لأكون على بصيرة من أمري، وأنا الآن لا آمن أن أكون معكم، ولا لن أنقي بكم عنوا، ثم قال: أين الكبريتو؟ فقالوا<sup>(٣)</sup> لييك، فقال لهم: خذوا فلاناً وفلاناً يعني القواد الذين كانوا سائقين أمام الجيش، وكذلك قواد العبيديه، وكان فيهم قائد العرب {الذين} يسمون الجعائنه<sup>(٤)</sup>، فأخذهم الكبريتو أخذه راييه، وقتلوه في تلك الساعة، ثم دعا بأجمعين الذي قتل الوحش، وكان من جملة الحجاب، وجعله عقيد الجعائنه، وهو منصب جليل يركب مع قائده أكثر من ألفي فارس، ويصحبه منهم من الرجل، وصاحب هذا المنصب يسمى عقيد الجعائنه، والجعائنه عرب من عربان البادية أصحاب بقر، وهم في اترقادية ووسع الحال كالعرب الرزيقات في دار فور، إلا أن قائدهم في دار فور لا يقدر أن يأخذ كرائم أموالهم إلا برضايتهم<sup>(٥)</sup>، بخلاف {ذلك} في دار وداي فإنه {أي القائد} يأخذ منهم ما أراد، وقائد الرزيقات في دار فور كالرسول فقط أعني أنه يعطي جميع مايتحصل معه من المال للسلطان، ولا يأخذ<sup>(٦)</sup> لنفسه منه إلا مقداراً يسيراً، بخلاف عقيد الجعائنه ففي دار وداي فإنه يأخذ من المتحصل مقداراً عظيماً كما يأخذ السلطان، لأن مأكله وملبسه وخيله ومعاش رجاله كله منه، ثم قام السلطان بإجراء آخر {بأن ولي عبداً من

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وجاءكم".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "والأمن حيث أنكم تعلمون الجبن من أنفسكم".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "فقال لييك" وأصواب مثله، لأنهم جمع.

<sup>(٤)</sup> الجعائنه أو الجعائنه: كما نورد في الكتاب، فلم من القبائل العربية التي كانت تحت حكم وداي ولهم منصب في أموره بولاية العقيد.

وهو الحاكم ويوري منصب للنفوس في دار فور.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "إلا برضايتهم".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "ولم يأخذ".



عبيده أيضاً يقال له الله جابو {ولاه منصب} عقيد الصباح، وهو في عرف أهل مصر حاكم الشرقية، وفي عرف دار فور كاتمقودم، إلا أن أهل دار فور ليس عندهم هذا المنصب، لأن الأقاليم الشرقية في دار فور كلها عرب بانيه طوائف متعددة، ولكل طائفة حاكم، وإن نزل عليهم حاكم عمومي يسمى المقودم {فنصب الله جابو} عقيداً {عوضاً عن عقيد الصباح العربي سابق الذكر} ثم زاد السلطان {من عطاء العبيدية} وعرضهم عن جميع من<sup>(١)</sup> قتلوا، وأمر بدفن القتلى، وحذر باقي الوزراء والأجناد من مثل هذا، خصوصاً من ولاهم في تلك الساعة، وقال لهم: كل من فر من حرب شيء ليس له جزاء عندي إلا هذا، يعني القتل، فاذعنوا له بالسمع والطاعة، ورضوا أن كل من فر منهم يكون جزاءه القتل، وعاهدوه على ذلك، ولم تنفر نفوسهم من هذا الفعل، لأنهم يعتقدون أن طاعة السلطان طاعة لله ورسوله، وإن مخالفه يكفر، وعندهم تعظيم السلطان أمر واجب كالعبادات بل ربما تهاونوا بالعبادة ولم يتهاونوا بأمر السلطان<sup>(٢)</sup>، ولذلك لا تقام دعوي ولا خصومة، سواء كان في بيت القاضي أم في بيت غيره من الحكام إلا بعد قراءة الفاتحة للسلطان والدعاء له بالنصر على أعداءه، وحفظه من جميع الأقات، ومن أعجب ما ألتق أن في أيام السلطان محمد جوده جد السلطان محمد صابون خرجت إحدى نساء قواد السلطان لحاجة، فرأت السلطان في موكبه وأبهته، وقد خطه الشيب، فلما رجعت إلى سكنها، واجتمعت ببعضها بالليل، حدثته أنها رأت موكب السلطان، وأنها رأت السلطان وكان من جملة ما قالته له أن الموكب جميل والسلطان جميل لولا أن الشيب لعب بعارضيه، فليت له عمراً جديداً، فلما سمع منها ذلك، قام عليها وضربها ضرباً مؤلماً قائلاً لها: أنتولين أن الشيب لعب بعارضتي سيدنا، ليسمعك بعض الأعداء فيحتره ويقول أنه صار لا يتر على الحرب، وبعد أن أوجعها ضرباً شديداً وثاقها وتركها كذلك إلى الصباح،

<sup>(١)</sup> في الأصل: "من جمع ما قتلوا..."

<sup>(٢)</sup> مهنة القواد للسلطان من جملة في عادات العرب والإسلام، وليس حكرًا على دولة أو شعب دون آخر.

ثم توجه الى السلطان وأعلمه بالقصة، وختم قوله بأن قال: أني<sup>(١)</sup> تركتها مكتوفة  
فمرنى فيها بأمر، فشكره السلطان على ذلك، وخلع عليه، وأمر بإطلاقها لكونها  
جريمة، وأنه بتوبتها أن لا تعود لمثل ذلك ففعل، وهذا الأمر وإن كان على غير  
مراد السلطان إلا أنهم<sup>(٢)</sup> يجب أن يغاثوا في منحه كل المغالة ويستغفل بعضهم  
ببعض ليسلم هو، والا لو تركوا ذلك لانتقموا على السلطان وقتلوه.

### فائدة:-

جميع أهل الوداي يعتقدون أن كل من تولى السلطنة عليهم يكون ولياً وإن  
لم يكن ولياً قبل ذلك، بل وإن كان قبل ذلك فليقاً، وأصل ذلك ما روى عن غير  
واحد أن السلطان محمد عروس كان (ك) منع جميع الناس أن يذكروا اسمه على  
السننهم<sup>(٣)</sup> في حضر ولا سفر، وبث لمعرفة ذلك عجايز وأولاد أو شباناً يتجسسون  
على الناس و (أن) من سمعوه ذكر السلطان على لسانه أخبروه به<sup>(٤)</sup> فيقول له  
السلطان: ألم أنهك عن ذكر اسمي؟ فيقول نعم، فيقول له: إنك قد ذكرته البارحة  
في الوقت الفلاني مع فلان وفلان، وظننت أني لا أعلم بك فيصفر وجه الرجل  
فيقول: نبت أني الله، فاتفق أن رجلاً من القواد صعد على جبل ودخل مغارة فيه  
مخافة أن يسمعه أحد، وقال فيه بصوت خفي: السلطان عروس، السلطان عروس،  
السلطان عروس، وظن أنه لم يسمعه أحد، وكان بأمر القدر أن رجلاً من  
الجواسيس رآه وهو صاعد الجبل، فتبعه<sup>(٥)</sup> من بعيد بحيث لا يراه حتى دخل في  
المغارة فصغى إليه<sup>(٦)</sup> حتى سمع ذكر السلطان ثلاثاً، وأخفى نفسه حتى نزل  
الذاكر فتوجه الجاسوس وأخبر السلطان بخبره فأرسل وراءه، فلما مثل بين يديه

<sup>(١)</sup> في الأصل: أن قد تركتها...

<sup>(٢)</sup> في الأصل: وإن كان على غير مراد السلطان إلا أن السلطان...

<sup>(٣)</sup> في الأصل: ... على السنن...

<sup>(٤)</sup> في الأصل: ... أخبروا به السلطان فيقول له السلطان...

<sup>(٥)</sup> في الأصل: ... فالتبع...

<sup>(٦)</sup> في الأصل: ... صغى له...



قال له: اثم انيكم عن ذكر اسمي قال له نعم، قال له السلطان ولم خالفني ونكرت اسمي، قال لا لم اخالفك ولم انكر اسم مولانا في شيء، فقال فاحلف أنك ما نكرت اسمي أبداً، قال أحلف، قال له كيف تحلف يا كاذب، وأنت البارحة توجهت إلى جبل الفلاني ودخلت الغار الذي (فيه<sup>(١)</sup>) وذكرتي ثلاثاً فبهت الرجل، وانتقم لونه، وقال فعلت ذلك ولا أظن أن سيدنا ولي وصاحب مكاشفة حتى يطلع على امرئ، فقام أهل المجلس ولعنوه، وقالوا: كيف تشك في ولاية مولانا، أعلم أنه لا يتولى علينا سلطان الا أن يصير ولياً. (ثم قال له السلطان) قد عفوت عنك هذه المرة وإن عدت إلى مثلها فقتلك فخرج الرجل وهو يقول: سيدنا ولي، فسمع بهذه القصة الغوغاء من الناس فاعتقوا أن السلطان ولي أم.

ثم إن السلطان سافر من وقته إلى دار باقرمة حتى دخلها ولما صار في ليلة باقرمة امتنع عن التعرض لأهل الضياع والقرى، بل كلما حاذى ضيعة أو قرية أرسل إلى علمانيا ورؤسائها فحضروا بين يديه فيلين لهم الخطاب، ويحسن إليهم وإذا أتى معبداً أو محلاً ولي معتقد تصدق فيه، وأحسن إلى خنمه وكف أيدي العساكر عن ظلم الرعايا ما أمكن، فبسط الرعايا أيديهم بالدعاء له والنصر على عدوه، وسار ولم يلق كيداً إلى أن بقى بينه وبين برنسى باقرمة (أي عاصمة باقرمة) سوى مسافة أربع ساعات فبات هناك وبعد العشاء دعا بقواد العبيدية وقال لهم: إني غير محتاج لكم في الغد، لأن الأرض الآن سهلة لا شجر ولا حجر، فإذا سمعتم طبل التحميل ضرب تسيروا (وتستعدوا للحرب) وأرجو أن تكوني شر الأعداء (توحدكم<sup>(٢)</sup>) ثم دعا بقائد الشرقية المسمى عقيد الصباح<sup>(٣)</sup> وقال له: كم معك من الخيل؟ قال عشرة آلاف، قال قد أمرت العبيدية أن يتوجهوا وقت ضرب طبل التحميل، فلتكن أنت بعساكرك خلفهم، ولا تتخلف عنهم وأرجو عند مجيئي

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. ودخلت الغار الذي فيه...

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. وأرجو أن تكوني شر الأعداء ولا تتخلف عنهم...

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. المسمى بعقيد الصباح.

اليوم<sup>(١)</sup> أجد الأمر قد تم ما أحببت، فقال سمعاً وطاعة، ثم دعا بأجمعين عقيد  
 الجعافنة وقال له: كم معك من الخيل قال: معي نحو الثلاثة آلاف، قال إني أمرت  
 عقيد الصباح أن يتوجه خلف العبيدية بجيشه وقت ضرب طبل التحميل، وكن أنت  
 خلفه واعلم أنني إذا قتيت ووجدتكم لم تفرغوا مما أقيم فيه قتلنكم، ثم نادى  
 بالكامل كلاك كنرمي وقال له: كم معك من الخيل؟ فقال: معي نحو أربعة آلاف،  
 قال: أعلم أنك أسأتني في الطريق، وإساءتك لم تخرج مؤثرة معي ولا يحسبها من  
 قلبي إلا فعل جميل، فلما أريد أن تتوجه بأصحابك وقت ضرب طبل التحميل خلف  
 جيش أجمعين وإن لم تفعل ماأنت أهل له<sup>(٢)</sup> لا تنفعك شفاعة شافع قط، وإن أتيتمكم  
 ووجدت الأمر على غير ماأحب فلا تلوموا إلا أنفسكم، فقال: سمعاً وطاعة، وبات  
 العسكر على تلك الحالة وأمر السلطان بضرب طبل التحميل قبل وقته بنحو ساعة  
 فضرب، ومافى في ذلك الوقت كل من أذن له السلطان في السفر، فلما أصبح  
 الصباح ركب السلطان في بقية العساكر وصار يمشى رويداً رويداً.

لقد أخبرني جاب الله عقيد الصباح حين كنت عنده، إنه لما توجه صحبة  
 العساكر خلف العبيدية ووصلوا إلى فائر باقرمة وجدوا الفنا وأكبر أولاد  
 السلطان المسمى بشقمة معسكرين خارج الفائر، وحين سمعوا بوصولنا ركبوا  
 خيولهم، وكان معهما من العساكر ماينوف عن عشرين ألفاً من الخيل عدداً الرجل،  
 فصدمتهم العبيدية صدمة منكرة وحالت عندهم خيلنا ورأوا من جماعتنا ما لم يكن  
 في حساباتهم فلم تكن الساعة حتى انكسرت اجنحتيما وخرج شقمة يقاتل ويحرض  
 الجيش على القتال، وكان شجاعاً فاتكاً وسمع بقية العساكر بضجة القتال فلحقوا  
 بأصحابهم واجتمع منهم جيش عظيم فلننا أننا لا نلحق معهم بشيء كل ذلك واندلنا  
 نترأيد، فلما لحقنا أجمعين بمساكره صاح صيحة واحدة وقال: والفرحاه سيفلهر في

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. ورحموا ان محكم بعد الامر قد تم.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. ماأنت له.



هذه النهار الشجاع من الجبان وأكب رأسه في قربوص مرجه، وفعل<sup>(١)</sup> جماعته  
كفعله ودخل في الحرب وطلعن فيهم طعنا أحر من الجمر، فلم يكن الاكلمحة يلقى  
حتى تضعضع جيشهم، ولما وصل الكامكلاك كتر مى فعل كفعل لجمعين فرأوا أن  
المدد زاد عليهم، وكانوا أول مرة ظنوا أن الطليعة الأولى هي جيش الوداي فلما  
رأوا الجيش يتزايد انكسرت قلوبهم وعلموا أنهم لا طاقة لهم بالقتال فولوا الأدبار،  
وتبعهم عساكر الوداي يقتلون ويأسرون خصوصاً وهم لاسلطان لهم وأخبرني  
جواب الله عقيد الصباح أن الباقمة لما بلغهم الخبر أن السلطان صابون غازيهم  
دخلوا على سلطانهم وأخبروه فقال هذا كذب صراح، كيف يغزونا صابون مع قلة  
عساكره، وهو بخشناً دائماً فقاتلوا<sup>(٢)</sup> قد سمعنا ذلك فقال لم تسمعوا شيئاً، واتمأهو  
كذب اختلقتموه، فحلفوا له أيماناً مغلفة فلم يصدقهم وقال: إنما أردتم لزجاجي بهذا  
الكلام، ترومون خروجي من مملكتي حتى<sup>(٣)</sup> تفعلوا ما تريدون فسكتوا عنه، فلما  
قرب السلطان صابون من أياالتهم دخل عليه الفشا وقال له: ما (سبب) قعودك<sup>(٤)</sup>  
وقد جاعنا<sup>(٥)</sup> سلطان الوداي صابون طاقباً لقتالنا ونهب أموالنا فقال له السلطان  
لكلكم كرهتموني حتى أنت أيضاً، وكنت واقفاً بك، والآن لا ألقى بأحد منكم وجاءت

<sup>(١)</sup> في الأصل .. وفعله ..

<sup>(٢)</sup> في الأصل .. فقاتلوا لا فقه صبا ..

<sup>(٣)</sup> في الأصل .. حتى أنكم تفعلون ..

<sup>(٤)</sup> في الأصل .. ما قعودك ..

<sup>(٥)</sup> في الأصل .. ولله حنا ..

القمصوا<sup>(١)</sup> وهي أكبر نساء السلاطين كياكري<sup>(٢)</sup> في دارفور واليمنية<sup>(٣)</sup> في دار  
وداي، ومسكت<sup>(٤)</sup> للفشا من أطواقه وقالت (٥) يا عبد سوء أهكذا جزاء من ربك  
ونصبك في المنصب الجليل أتريد أن تغدر به وتخرجه من وطنه حتى أنكم  
تقتلونه<sup>(٥)</sup> بالوداي يا أكذب العالمين هل سبق أن سلطان الوداي غزانا من مدة سنين  
من السنين<sup>(٦)</sup> وكيف يغزوننا وهو يتقى شرنا وخيلنا تجوس خلال داره في كل سنة  
مرة ومرتين وتتهب أمواله وهو يخشى سطوة الملك دائماً فقال الفشا: أما إذا  
وصل الأمر لهذا فاني والله لا أقول لكم بعدها كلمة، ولو جاء الوداي إلى البرني،  
لكن لكم على حقوق<sup>(٧)</sup> ويلزمي أن أؤدي حق العبودية، فها أنا خارج بجيش  
ومعسكر بظاهر الفاشر ومتى جاء العدو قتلت (بقدر) طائفي حتى أكون كافلت  
صنيعكم حتى إذا بليت بما لا طاقة لي به ذهبت على وجيبي والسلام، فقالت  
القمصو ياعنو نفسه اتسحرنا بهذه الألفاظ وأنت فيك كفاءة لمقاومة العدو وحشدك،  
والاحتياج لإعلام السلطان، أنك غزت الوداي في بلادهم مراراً والرجل الذي  
يقدر أن يغزو سلطاناً في مملكته كيف لا يقدر أن يدفعه من بلده، وإنما رأيتم أن  
تولوا شقمة عليكم سلطاناً تريدون إخراج السلطان من داره، حتى إذا بقي بينكم

<sup>(١)</sup> القمصوا أو القمصو هو لقب زوجة الأول السلطان وهو مأخوذ من حزم دولة القرو حيث تمنع القمصو بعود كثير داخل القصر  
حاشية فيما يخص نساء السلاطين ولولادة من تحتها الرعية في الفترة لتتوالى الأسرة الملكية ولديها المظاهر كبرى تمول لها مشروعاتها  
الإدارية وتصدى للمؤسسات التي تقرأ داخل القصر والتي يمكن أن تشمل السلطان من الأمور العامة في الدولة... بظهور... من السلطان  
محمد كبر: الدولة الإسلامية في غرب إفريقيا في القرن العاشر الهجري (١٦) رسالة دكتوراه عن مشورة جامعة الأزهر جمهورية مصر  
العربية، ص ٢٦٦.

<sup>(٢)</sup> الكري: لقب يلقب به دارفور من السيدة الأولى في القصر السلطان، سواء كانت هذه السيدة أم السلطان أو أخته الكسرية أو  
زوجة السلطان القروي وهو يلقب ملكة... ينظر لشجرة الأنساب ص ٩٣.

<sup>(٣)</sup> اليمنية: حوت عامة في وادي بن شيخ الحيلة لما رأى ما جملة في بلاده من بحرها للسلطان فقدم له هدية بنت تزوجها وهذه البنت  
البحرية بقتل عنها اسم "هيلة" وبالتالي مع الغرب منها لم يحط بها أو الزواج منها، فلما لمعت للسلطان كان اسمها "هيلة" ولم  
تسمه بعدا للاحد رجال حاله، ويبدو أن لها عرفاً كبراً في الحرم.

<sup>(٤)</sup> في الأصل... ومكتنه.

<sup>(٥)</sup> في الأصل... وتظنون عليه بالوداي.

<sup>(٦)</sup> حديث سلطان القرونة هذا يدل على مدى ضعف دولة وداي قبل تولي السلطان صاوي ونسب لعل على ذلك من عسر الفشا  
للاه الوداي دون أكثر من لمطلب ذلك القرو، وهذا كان عرو السلطان صاوي فم مقاطعة كبرى كما واضح من سياق الحديث.

<sup>(٧)</sup> في الأصل... لكن لا ولكم على حقوق.



فعلتم به ما أريدتم وأوليتم شقمة ورجعتم به سلطاناً، فخرج مغضباً وسمع شقمة بهذا الأمر فدخل على أبيه وقال له: يا أبت إن العدو قد جاء فاخرج بنا إلى قتاله، فقال يا بني ما أكر أحد على إخراجي من دارى أتريد أن تخرجني منها بهذه الحيلة مع أنى أبوك وما نقصتك حقاً وقد صرفتك فى كثير من الأمور وأنا حتى فكيف ترضى لنفسك بهذه الفعلة الشنيعة، فتبرم شقمة وحلف له إن الأمر صحيح وأن التوداى قد أقبلوا فى جيش عظيم لأقبل لأحد به فلم يصدق، وقامت القمصر ومسكته من لحيته وقالت له: عار عليك تخدع أبك وتريد قتله وما هذا جزاءه منك يا عاق، فغضب منها وخرج مغضباً وقال: أنا لله، ذهبت منك البقرة، ولما رأى الناس أن الكلام لا ينفع مع السلطان أحمد منهم من فر ومنهم من بقى وعسكر الفسا وشقمة بظاهر الفاسر حتى جاء الجيش وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وماتهم من دونه من وال<sup>(١)</sup> ولهذا لما أراد الله إهلاك سلطاتهم طمس على بصيرته وجعل السران<sup>(٢)</sup> على قلبه على حد قولهم، إذا أراد الله بأناى سوء سلب أهل العقول عقولهم حتى ينفذ قضاءه فيهم، فقاتل الفسا وشقمة ومن حضر من العساكر وأبلاوا بلاءً حسناً ومات من جماعتهم خلق كثير، وسمع أولاد السلطان فأتوا واصطلوا الحرب وقاتل كل منهم على حسب قدرته<sup>(٣)</sup> وكان عسكر البقرة يظنون<sup>(٤)</sup> أن عساكر التوداى قليلة، وأنهم قدموا لأول مرة<sup>(٥)</sup> فأروا بعد ذلك أن الجيش كثير والمدد يتزايد ورأوا قوماً لموت أحب إليهم من الحياة ففروا وولوا الأديار، فلما انكشفوا تبعهم التوداى وأخنهم قتلاً وسيياً، فغنم التوداى غنيمة عظيمة ولم ينج من نجا من عساكر (البقرة) إلا برلس طمرة، ودخل التوداى إلى مدينة باقرمة حتى وصلوا إلى برنى السلطان وكان الأمر قد تحقق عند السلطان أحمد أن التوداى قد جاءوا ولراد أن

<sup>(١)</sup> سورة الرعد الآية ١١

<sup>(٢)</sup> وجعل السران على قلبه... أى جعل الحب والغربة على قلبه للناس من قوله تعالى: "وإذا فككتم مكيلاً من راي على قوم ما كانوا يكسبون"

<sup>(٣)</sup> فى الأصل: "كل منهم على قدره مع..."

<sup>(٤)</sup> فى الأصل: "يظنون..."

<sup>(٥)</sup> فى الأصل: "وكانهم هم الذين قدموا لأول مرة فأروا..."

يخرج إلى القتال فمنعته القمصو والنساء، وقلن له: كيف تخرج لأقوام عبيدك أشد  
منهم بأساً، وإنما يخرج الملك لمن يكون نظيره أو أعلى منه فسمع كلامهن، ومكث  
في البرنى وبينما هو كذلك إذ سمع جنبة العساكر وبلغات عساكره وقد انهزمت  
فصرخ في عبيده فأتوا فأمرهم بغلق الأبواب وأن يقعدوا فوق سور البرنى فاجتمع  
له نحو أربعة آلاف وقعدوا على السور بعد أن اغلقوا الأبواب ولما كسر العساكر  
النساء وشقمة وغيرهما أقبلوا نحو البرنى يهرعون، فلما دنوا منه لم يرعهم الاوقع  
الحمام كالمطر، فمات منهم خلق واجتثوا ثم رجعوا، فوقعت عليهم السماء كسائر  
فوقفوا على ذلك مدة فمات منهم خلق كثير، وبينما هم على تلك الحالة إذ أقبل  
السلطان بالجيش العظيم، فالتفت الدنيا من الجلبة وصهيل الخيل وصوت الهندق  
والطبول حتى لا يسمع السامع من يناديه وكان السماء انقلبت على الأرض، ومن  
وقع حول الخيل وارتفاع الأصوات، ولزال (السلطان) سائراً حتى وقف على  
باب البرنى (ثم) قال: أهكذا أوصيتكم ألم أقل لكم إن أنيت فوجدتكم<sup>(١)</sup> ما أتممت  
أمرأ فلا تلوموا إلا أنفسكم فارتجفت قلوبهم وصرخ كل عقيد في جماعته، فأقبلوا  
من كل حذب ينسلون كأنهم إلى نصب يوفضون، ووقع عليهم النبل كالمطر ولم  
يبالوا به حتى وقفوا تحت الجدار وصار يركب بعضهم بعضاً حتى وصلوا<sup>(٢)</sup> إلى  
مرفات السور<sup>(٣)</sup> (ونظراً) لكثرتهم لم يبالوا بمن فيه<sup>(٤)</sup> من العبيد (ولابكثرة  
عدادهم) فلم يكن غير ساعة حتى امتلأ البرنى بعساكر الوداي<sup>(٥)</sup> ودار القتال بينهم  
وبين عساكر البرنى لساعة ثم (انكشفت عساكر البارمة) وقُتل منهم من قتل (ثم)  
فُتح الباب وانفتح (عسكر الوداي) الدار وكانت ساعة يشيب لهولها الطفل الصغير  
وصاحت النساء والصبيان، وحينئذ ضربت الطبول وزعقت الأبواق<sup>(٦)</sup> كل ذلك

<sup>(١)</sup> في الأصل: ما إن أنيت فوجدتكم.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. من لهم وصلوا.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. السور، بالحاء...

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. لم يبالوا بمن فيه.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: .. من امتلأ البرنى من عساكر الوداي.

<sup>(٦)</sup> في الأصل: .. وزعقت الطبول.



والسلطان صابون واقفا<sup>(١)</sup> على باب الدار وكان قد أمر العساكر ان كل من ظفر  
 بالسلطان احمد يأتي به حياً ولا يقتله وكان السلطان صابون ينتظر ان يأتيوا به فلم  
 يأتي به أحد، بل رأى العساكر راجعين بقىء فسألهم أين السلطان فقالوا ما رأينا  
 ولا نعلم أين هو، فارتاب السلطان لذلك وظن أنه فر فأصابه القلق<sup>(٢)</sup> لذلك لأنه لو  
 فر وخرج خارج البرنى ستجتمع (حوله) من جماعته عساكر عظيمة وتتجدد  
 الحرب وتشب نار الفتنة ولا يرتاح<sup>(٣)</sup> السلطان صابون فاختر عددا من القواد<sup>(٤)</sup>  
 والفرسان وأمرهم ان يذهبوا كل مذهب ويلتمسونه فى كل جهة، ومتى سمعوا به  
 فى جهة ما ان يطاردهوا وأليرجموا إلا بعد التقبض عليه، فكان كذلك ثم خرج  
 السلطان صابون من المدينة وعسكر بظاهرها وهو كاشف البالي، سبيء الحال،  
 لا يقر له قرار، فنخل<sup>(٥)</sup> عليه العلماء واشراف الناس يهتفون به ويمر الله له من  
 الظفر والفتح والفتن، فوجدوه على تلك الحالة فانكروا حاله وتجاور عليه بعضهم  
 وقال له يا مولانا هذا يوم السرور هذا يوم التهنئة فما لنا نرى مولانا عليه أثر القلق  
 كأنه فاتته شىء يعز عليه، فقال: ولم لا يكون ذلك وقد فاتنى مطلوبى، فقبل له ما  
 الذى فاتك، فقال: ملك هذه البلدة لا أعلم أين ذهب أقبل فى من قتل أم فر فى من  
 فر<sup>(٦)</sup> فإن كانت الأولى فقد راح واستراح، وإن تكن الثانية فقد تعب وأتعب فقال  
 والذى: ان الاستقصاء فى هذا الأمر لا يعسر على مولانا فبئس مولانا الآن  
 جماعة من أبنائه يأتون بأهل الرجل المشكوك فى موته فيجلسن فى خيمة ثم  
 يأمرؤا بحمل جميع الأموات الثنين فى البرنى ويعرضوا<sup>(٧)</sup> عليهن واحداً بعد واحد  
 فمتى رأينه عرفنه، فإن لم يعرفنه فى الأموات يحق لمولانا حينئذ أن يرتاب،

<sup>(١)</sup> فى الأصل: "والسلطان صابون واقفا..."

<sup>(٢)</sup> فى الأصل: "ووقع لذلك..."

<sup>(٣)</sup> فى الأصل: "ولا يحصل السلطان صابون راحة..."

<sup>(٤)</sup> فى الأصل: "التركيب عدة من القواد..."

<sup>(٥)</sup> فى الأصل: "لما عنت عنه العناء..."

<sup>(٦)</sup> فى الأصل: "مما عنت عن قتل لو فر لمن فر..."

<sup>(٧)</sup> فى الأصل: "ويعرضهم عليهن..."

فلما رآه السلطان لذلك، ودعا بالتقائد أجمعين وأمره بذلك فذهب التقائد أجمعين فسي  
الحقل وأتى بنساء السلطان أحمد، وكان العساكر قد فعلوا بهن ما فعلوا<sup>(١)</sup> من حبسك  
المستر والتهتك الحرمات<sup>(٢)</sup> وتجريدن من الملابس الثمينة، وذلك كان بتفسير أن  
السلطان، وما (حدث) ذلك إلا من شغل بال السلطان صابون بأمر السلطان أحمد  
وعنه وجوده<sup>(٣)</sup>، وحين رأت العساكر أن السلطان صابون غير ملتفت لضبط  
الأموال وحفظ حريم المملكة، فعلوا ما فعلوا، وجاء بهن أجمعين على غير  
صورتهم<sup>(٤)</sup> المعروفة وتركهن على بعد، وجاء إلى السلطان وأعلمه بما حصل لهن  
واتهن عاريات، فأمر لهن السلطان بما يسترهن من الثياب الفاخرة، وكان كذلك  
فلبسن وجيىء بهن، ووضعن في قبة ضربت لهن قريباً من مراقب السلطان،  
وجيىء بالأموات وعرضوا<sup>(٥)</sup> عليهن واحداً بعد واحد يتأملن فيهم ولم يفعلن شيئاً  
حتى عرضوا عليهن رجلاً مسناً رقيقاً نحيفاً، فلما رأيته صحن كلهن بصوت عال  
وترامين عليه يقبلن أقدامه ويديه، فعرف أنه هو السلطان فسئلن فقلن هو هو،  
فجيىء به إلى السلطان فرآه وأمر بدفنه، وحينئذ حصل للسلطان مرور وراحة،  
وذهب ما كان بوجوده<sup>(٦)</sup> من القلق، ثم دعا بالتقصو فحضرت بين يديه، وسألتها عن  
ابنة السلطان أحمد وأخته فعرفته إياهما فرأهما من الجمال بمكان، ثم سألتها عن  
أموال السلطان أحمد أين هي؟ فأخبرته أنها كانت في البرنى وقد نهبا العساكر،  
وفي ذلك الوقت جاء الخبر إلى السلطان صابون أن العساكر رأوا في دار  
السلطان أحمد بيتاً مربعاً عليه باب من حديد فكسروا الباب بعد جهد فوجوده ملأ  
بالريالات الفرائسارية وأن العساكر الآن يتأهبونه ويستنون عليه فلرسل السلطان  
قائداً بمسكره لمنع النهب من بيت السلطان أحمد، ولن تضبط تلك الأموال للدولة

<sup>(١)</sup> في الأصل: "لقد فعلت من ما فعلت".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "والتهتك حرمات".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وعنه وحقق".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "على غير صورة...".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "فعرضهم عليهن".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "ولعب ما كان يلهي".



وكان الأمر كذلك، وفي الحال جاء أهل المدينة من العلماء والأشراف ووجوه الناس وهم حاثون التراب على رؤوسهم شاكين مما حصل لهم من نهب الأموال وهتك الحرائر فغضب السلطان لانتهاك حرمة الله تعالى، وأمر مناديه أن ينادى في المدينة أن كل من وجد دخلاً في الدار ينهب منها أو يفعل فيها قبيحاً فلا يلوم من إلا نفسه، وأمر بالعساكر الترافقة، أن يأخذوا عساكرهم ويدخلوا<sup>(١)</sup> المدينة، وكل من رلوه من العساكر يفعل فعلاً غير مرضي يقبضوا<sup>(٢)</sup> عليه ويلتوا<sup>(٣)</sup> به إلى السلطان، فكان كذلك، فكنت<sup>(٤)</sup> الأيدي عن النهب، أخبرني والذي عليه سبحانه الرحمة والرضوان أن السلطان صابون أخذ بيده صبيحة يوم التفتح ودخل معه دار السلطان الباقرمة حتى وقف على البيت الذي قيل له ملأ بالريالات<sup>(٥)</sup> وكان مع السلطان بعض خواصه، قال: فرأينا بيتاً مربعاً مساحته نحو عشرين رقماً في مثلها، ملأ من جلود البقر المملوءة بالريات من جلده إلى سقفه وكان عليه باب مصفح بالحديد ورأناه ناقصاً نحو عشرة جلود، فأمر السلطان ببقر جلد منها ببقر، فإذا هي من الريالات المسماة بأبي مدفع، فأحصيت فإذا هي أربعة آلاف، فلم السلطان أن الذي ضاع نحو أربعين ألفاً وأمر بنقل ما بقي إلى خزينته وعثر على أماكن كانت مملوءة بالنيايب ونهبت وأماكن أخرى أعصى الله عنها أعينهم فبقيت وتأم السلطان على فقد ذلك، وحكى لي الشريف سميع وكان حاضراً تلك الواقعة وهو رجل من الأشراف وذوى المعارف وهو من أهل بلدة المساة بنمرو، وهي بك بقرب ولره فيها يسكن التجار المستوطنون بسدر ودای، فقال: إن عساكر اللودای حين عثروا على تلك الأموال كان الرجل منهم يملأ حجره من الريالات

(١) في الأصل: .. ويدخلون..

(٢) في الأصل: .. يقبضون منه...

(٣) في الأصل: .. ويلتوا...

(٤) في الأصل: .. فكنت الأيدي..

(٥) في الأصل: .. ملأ بالريالات..

ويأتى إلى بعض التجار فيقول له (هل) عندك تابا<sup>(١)</sup> فيقول له نعم، فيصحب مائى حجرة من الريالات ويقول خذ هذه واعطنى تابا، فيأخذها التاجر ويعطيه نحو رطل من التابا وقطعة من النطرون<sup>(٢)</sup> نحو أوقية فيفرح بها العسكرى ويظن أنه غلب التاجر مع أن الريالات التى كانت فى حجرة أكثر من أربعمائة ريال، وفى ذلك النهار كل التجار كانوا مشغولين بجمع المائ والريال ولا يدرى أحد منهم عن الآخر، وعساكر الوداي كانوا يفعلون ذلك لجهلهم بالريالات وعدم معرفة قيمتها، بل أخبرنى أنهم حين رأوها قالوا: وما هذه ولأى شىء تنفع، فقال أحدهم اصبروا حتى أخذ منها شيئاً وأذهب به إلى التجار فإن قبلوه أخذنا منها والآن كنا فقراء نعم ما أشرت، فملاً حجرة منها وذهب إلى أول تاجر ورمى بها إليه وقال له: إعطنى تابا، فلما أعطاه التاجر ذهب إليهم وقال إن التجار يقبلونها فطفتوا يأخذون منها وليس هذا بعجيب فى أهل السودان لعدم معرفتهم بالمعاملة، وقد وجد فى العساكر المصرية ما هو من هذا القليل فقد شأنت فى فى غزوة المورة<sup>(٣)</sup> لما فتحت مسلولجة<sup>(٤)</sup> مثل ذلك وهو أن أحد العساكر المصرية تتبع القتلى من الأروام ليرى السلب الجيد فيأخذه فجاء إلى قتيل فوجده متحزماً بمشع فحله من وسطه ورآه ملئ بالريالات ففرح وترك السلب ولم يأخذ إلا الحزام المشع، وذهب إلى محل بعيد عن الناس وعد الريالات فوجدها مائتين وخمسين ريالاً، ففرح غاية الفرح، وكان الريال إذ ذاك يائى عشر قرشاً، فقال فى نفسه هذه والله نعمة

<sup>(١)</sup> نوع من النباتات الشجرة يستعمل لعل السود بكثرة ويرفع فى ولايات غرب البلاد حذمة ولاية خال دارفور ويطلق عليه اسمك والمصوط... ماخ وقد لقي بعض العلماء بحرمه لأنه ضار بالصحة.

<sup>(٢)</sup> النطرون أو النطرون وهو من المعدن لونه فى العربة ويخرج من الصحراء الغربية ويستعمل فى صنع الاطعمة وفى الحيوانات خاصة الجمال ويستعمل أيضاً فى صنع السمك.

<sup>(٣)</sup> الثورة: هى منطقة فى جنوب بلاد السودان ولد حاكم على باشا ملك مصر الحرب فيها ضد الدولة العثمانية عندما كانت تسيطر عليه فكرة تكوين دولة مستقلة عن الدولة العثمانية بدعم من بريطانيا ولهذا حارب حرب الثورة وحارب السعوديين بقيادة الشيخ محمد بن عداوهاب وأسرة آل سعود، كما فتح السعود عام ١٨٢٠م وكان الشيخ محمد بن حمر التوسى مؤلف هذا الكتاب طعن الجيش الذى ذهب إلى الثورة وقد عين فى وظيفة واعطى فى الاى الثامن من مشاة الجيش المصرى بمصر: هذا هو الرافعى: مصر محمد على من ٢٥. نسخة الأمانة: من ٢٥

<sup>(٤)</sup> مسلولجة: مدينة بولاية نفع فى إقليم ثورة جنوب بلاد السودان وقد شارك مؤلفها فى حروبها لقي حاكمها محمد على باشا ملك مصر ضد بلاد السودان.



عظيمة هذه ثلاثة آلاف قرش رزقني بها الله أنعيش عليها وأرسل إلى أهلي منها، وكان الوقت ليلاً فلما أصبح تأمل في أحد الريالات فوجده أصفر فظن أنه نحاساً فرماه، فتأمل في آخر فإذا هو أصفر أيضاً فتأمل فيها كلها فإذا هي كلها صفراء<sup>(١)</sup>، وهي "قنة" ريالين، ولعمري معرفته بها ظن أنها نحاس، فصار يبكي وينتحب ويقول: واسوء بختاء، فمر به رجل من أصحابنا لا ينبغي الإفصاح عن اسمه وقال له: يا هذا مالك تبكي، فحكى له القصة وقال لسوء بختي رأيت الريالات كلها نحاساً فقال له أرني إياها فلما فرأها إياها<sup>(٢)</sup> عرفها إنها (قنة) ريالين، فقال له مسكين لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأين تذهب بهذه ومن يأخذها منك، فقال له الرجل: بالله عليك إن كنت تعرف طريقاً لبيعها فخذ منها ما شئت وبعه لي فقال له صاحبنا أتبيعني الريال فيها بعشرين فضة فقال له قد فعلت، فكان مع صاحبنا خمسة وعشرون قرشاً فأعطاهما (إياه) وأخذ منه خمسين دبلوناً، ولو كان معه غيرها لأخذها كلها، ثم قال للرجل اصبر حتى أذهب إلى المعسكر وأتيك بمائة قرش وأخذ بقيتها فقال له وهو كذلك فصار يهرول حتى بلغ المعسكر وأخذ مائة قرش ورجع على عقبه يهرول فرأى الرجل اجتمعت عليه الناس وعرفوه أنها ريالين، وكل دبلون منها بمئة عشر ريالاً فرائسة فصار يتلف غيضاً على صاحبنا الذي أخذ منه الخمسين، ولقد بلغني أنه لما ذهب صاحبنا بأبيه بمائة قرش رجع الرجل إلى مكانه ونواحه على نفسه، فمر به رجل آخر وسأله عن سبب بكائه فأخبره بالقصة فقال له الرجل أرني هذه الريالات فلما فرأها عرفها الرجل أنها ريالين فقال له تعطيني منها خمسة وأنا ألك على صفتها فقال له أعطيك، فأخذ منه خمسة ثم قال له استقيظ وافهم واعلم أن كل ريال من هذه بمئة عشر ريالاً من الفرائسة فتلف الرجل حينئذ على الخمسين التي أخذها صاحبنا وحين سمعه صاحبنا يتلف ويتحسر عليه اختلفى ورجع من حيث أتى، وعلم أنه إن ظهر أخذت منه الخمسون دبلوناً.

<sup>(١)</sup> في الأصل: "... كلها صفراء".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "... فرأها إياها".

ونرجع إلى سيطرة الخبر فصاروا يأخذون من الريالات ومن الثياب ويذهبون إلى التجار والتجار يأخذون ذلك منهم بأبخص قيمة، ولما منع السلطان صابون النهب من بيت السلطان (أحمد) ومن بيوت أهل المدينة صار العساكر يتسلقون ضيع<sup>(١)</sup> الأمراء والقواد وأجناد البقرمة، والسلطان صابون لا يشعر بذلك وأهل المدينة لا يتكلمون، ظنا منهم أنه بأمر السلطان فأخذوا من الأموال ما لا يحصر ووقع بينهم القتل والمخاصمات في شأن الأموال ووصلت الدعاوى للسلطان وأعلم بذلك فضبط<sup>(٢)</sup>، جميع ما بقى من أموال القواد ومنع النهب عنها (كما) أخبر (السلطان) أن التجار قد أخذوا من الأموال ما لا يحصر بأبخص ثمن، فكتم ذلك ولم يتفوه بشيء، ولما ضبط الأموال واستقامت الأحوال أرسل إلى كافة التجار فأحضرهم بين يديه وقال لهم: إنه قد بلغني أن جميع أموال دولة باقرمة من سلطان وقواد قد حزنتموها واخذتموها<sup>(٣)</sup> بأمور تافهة، وأنا لا أحسنكم في ذلك لأنكم تجار، خرجتم من المعسكر للمكسب، ولكنكم<sup>(٤)</sup> تعلمون أن ليس لأحد أن يأخذ كل المال<sup>(٥)</sup> أما ما اشتريتموه من رقيق وبقر وغنم وثياب وحلى كمرجلان وأساور فهو لكم لا ينافيكم فيه أحد، وأما ما كان من فضة كالريالات وآلات الحرب كالسيوف والرماح والبندق والدروع واللبوس أو زينة الدولة كالسروج وعند الخيل فهي لي ولا أخذاها إلا بثمنها الذي اخذتموها به، ثم إنه وكل بكل تاجر أمناء وأمرهم أن يذهبوا أصحاب التجار وأن يستقصوا جميع ما عندهم ممن قبيل ما ذكر ويأتون به إليه<sup>(٦)</sup> وحضرهم من الخيانة والميل مع التجار، فذهبوا معهم وبعد ساعات جاءوا ومعهم أموال كثيرة<sup>(٧)</sup> تكل عن الوصف، ولقد بلغني أنهم قتلوا

<sup>(١)</sup> في الأصل "بما الأمراء..." وتعني ضيع، وأجمع صاع أو صبع وهي الفارص الحاضرة...

<sup>(٢)</sup> في الأصل "... ولما علم ضبط جميع ما بقى..."

<sup>(٣)</sup> في الأصل "... قد حزنتموها واخذتموها..."

<sup>(٤)</sup> في الأصل "... بل إنما انتم تعلمون..."

<sup>(٥)</sup> في الأصل "... بل إنما انتم تعلمون أن المال كله ليس على أحد..."

<sup>(٦)</sup> في الأصل "... ويأتون به إليه بين يديه..."

<sup>(٧)</sup> في الأصل "... ومعهم أموال غنية..."



جميع أمتعة التجار وبيوتهم وخيامهم وأنهم استأصلوا جميع ما وجدوه مما ذكر، ولم يتمكن التجار من أن يخفوا شيئاً منها فلما جيء بها ضبعت للسلطان ووضعت في صينية<sup>(١)</sup> وكانت كثيرة جداً وأوصى السلطان التجار وطيب خلطهم (ولهذا فقد رخص الرقيق في ذلك الوقت حتى أن الجارية الحسنة بيعت بثلاثة ريالات، وما وجد لها مشتر والعبد المدلس بريال واحد، وامتألت أيدي العساكر والتجار بالرقيق من السبي (ثم) أنبأ السلطان للتجار بالسفر بالرقيق وكذلك الأمراء والأجناد وندب قواداً من العساكر لذلك، وإن لا يمتنع أحد من جهة يريد التوجه إليها، فمن أراك التوجه إلى دار وداى يتوجه، ومن أراك التوجه إلى دار برنو<sup>(٢)</sup> يتوجه، ومن أراك التوجه إلى مندره يتوجه ومن أراك أن يتوجه للكنكو<sup>(٣)</sup> يتوجه، فأصبح<sup>(٤)</sup> الناس معاندين كل منهم إلى الجهة التي أرادها، وفي كل جهة عساكر من طرف السلطان صابون يذمنون السبل خوفاً من عساكر الباقرة الماردية وقد أصاب العسكر مرض من كثرة العالم وازدحام الناس<sup>(٥)</sup> فانتقل السلطان إلى مكان آخر حسن الهواء وصار بيت السرايقي كل جهة من البلاد لأجل الاتيان بعساكر الباقرة أينما وجدوا<sup>(٦)</sup> (كما) أرسل قواداً لضبط أموال القواد بالضيق الخارجة عن المدينة، وأمر مناديه أن ينادى في المدينة كل من كانت عنده أموال للقواد أو للسلطان أحمد من أهل البلد ولم يات بها للسلطان صابون ثم ظهرت عليه بعد ذلك لايلومن الانفسه، فاجتمع من ذلك مال كثير فبسط السلطان يده بالعطاء وأنعم على

<sup>(١)</sup> ربما يكون القمود بالصبغة بالما وضعت في شكل دغري.

<sup>(٢)</sup> دار برنو: في عصر المؤلف صنعت دولة البرو التي كانت تحكم كل إقليم بحيرة تشاد والبحر والصحراء من غرب ومحمد تاريخها قدام إلى القرن الحادي عشر الميلادي واستطاعت أن تشر الإسلام في كل ربوع السودان الأوسط وأنتد حكمها حتى القرن العشرين عندما أسقطها الاستعمار الأوروبي. انظر: إبراهيم طرخان، استوطنة البرو الإسلامية - أحمد سلقى موسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٣٢٨.

<sup>(٣)</sup> الكنكو: إقليم يقع إلى جنوب إقليم دارم وبمركزه دار غلري ويعتبر إقليم كنكو من أهم بلاد السودان الأوسط ولما حل حاكمه لقب سلطان وينتد حكمة حكمه دولة لم يحل كل منهم لقب سلطان. انظر تشييد الامم. ص ١٣٥.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. فاصبحت الناس وهم مستعدون

<sup>(٥)</sup> في الأصل: .. وحصل في العسكر لذلك مرض من كثرة العالم.

<sup>(٦)</sup> في الأصل: .. منها ومنهم.

العلماء والأشراف ونوى الفاقات، وسمع السلطان أن الفشا قطع الطريق على الناس فأرسل خلفه جيشاً وكان قد مكث في الخلاء الكائن بين منشرة وباقرمة على شاطئ البحر<sup>(١)</sup> فذهب الجيش وكان الجواسيس قد ذهبوا<sup>(٢)</sup> إلى الفشا وأخبروه فأرتحل من ليله والتجأ إلى برني نقون<sup>(٣)</sup>، وكان به سلطان من الكنكو يسمى السلطان صالح وكان ملكاً جليلاً فأجاره (وسار جيش السلطان صابون) حتى مكان جيش الفشا فلم يجدوه، وأخبر أنه توجه إلى برني نقون فرجع، وكان أبى إذ ذاك استأذن السلطان في التوجه إلى برنو فأنن له وأعطاه أموالاً جمّة من فضة ورقيق ومرجان وأصحابه جيشاً يحرسه حتى يصل إلى محل الأمن، فسار والجيش معه حتى خرج من إيالة باقرمة ثم رجع الجيش وسار والذي برقيقه وأهله فما راعه إلا ونواصي الخيل مقبلة عليه وانتهبوا جميع ماله من الأموال ولم يبقوا له إلا أهله برأسها، ولم يمدوا إليه يد الموء، والسبب في ذلك أنهم سمعوا أنه صهر السلطان صابون، فقالوا إن قتلناه لن يترك السلطان ثأره، وأما الأموال فإن السلطان لا يتأثر بها<sup>(٤)</sup> إذا بلغه الخبر وكان معه عبدان ربابهما فأرك الأعداء أخذهما فقاتل لهما هذان حران وليسا برقيق فتركوهما، وكانت هذه الخيول من جماعة الفشا فأرسل أحدهم بكتاب إلى السلطان صابون يعلمه أن جماعة الفشا قد أغاروا على<sup>(٥)</sup> وأخذوا جميع أمواله وتركوني لا أملك شيئاً فأرسل السلطان من وقته جيشاً كثيفاً وقال لقائد الجيش لا بد وأن تعينوا جميع ما أخذه من الشريف عمر، وإلا فإني أغزو برني نقون، فذهب الجيش إلى برني نقون وأرسلوا للسلطان صالح وأعلموه بما قال السلطان صابون، فقال السلطان صالح للفشا: إن أردت أن تكون في حمايتي فرد جميع الأموال التي أخذتها من هذا الشريف وإلا فأرحل عني بسلام، فإني أخاف

<sup>(١)</sup> القنمود بالبحر ما شاطئه إحدى الأقاليم التي تصب في بحيرة القنمود.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: ... وكانت الجواسيس قد ذهبوا إلى الفشا.

<sup>(٣)</sup> برني نقون: أي مدينة نقون وهي عاصمة إقليم كنكو ومقر قلعة السلطان وتقع جنوب برمي.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: ... لا يتأثر بها.

<sup>(٥)</sup> الرواية ما عني لسان والد القنمود.



لن يأتي السلطان صابون التي هنا ويخفر<sup>(١)</sup> نمتي، ولا طلاقة لي به، فرد {الفسا}  
جميع ما أخذه عسكره، وأرسل لوالدي في مدينة برنو.

ثم أن السلطان أركاد الرجوع إلى وداي، ومل الإقامة في دار باقرمه فأخذ أحد أولاد السلطان أحمد تسميت اسمه وولاه سلطاناً مكان أبيه، وشرط عليه أن يدفع في كل سنة ألف رأس من الرقيق، وألف جواد وألف جمل وألف ثوب من النوع المسمى بالتقذاتي<sup>(١)</sup> أو التيكو، وعاهده علي ذلك، وأصبح راحلاً بعد أن جمع له من عساكر الباقرمه جيش عظيم، ونصب له المناصب وجعل له منها أبواب دولة وأمناً وعساكر، ولما رحل السلطان صابون إلى دار وداي رجع شقمة، وكان فلراً في جهة كاتم، وحين بلغه الخبر بقول السلطان إلى داره كر راجعاً علي البلاد، ودخل البرني وجاءه الفشا واجتمع معه<sup>(٢)</sup>، وقبض علي أخيه الصغير وسجنه حتي مات صبراً، وبلغ السلطان صابون ذلك، فغاضبه وأرسل من وقته العقيد أجمعين بجيشه، وضم إليه جيشاً آخر وأمره ألا يرجع إلا بعد القبض علي الفشا وعلي شقمة، وكان قد أخذ بقية أولاد السلطان أحمد معه إلى دار وداي، فأرسل أكبرهم مع العقيد أجمعين وأوصاه أنه هو السلطان، فتوجه العقيد أجمعين من ساعته تلك وجدة في السير حتي وصل إلى دار باقرمه، وحين بلغ شقمة والفشا أن العقيد أجمعين جاء بجيش كثيف، فورا وتركوا البرني خالياً، فدخل أجمعين البرني وأرسل الجيش خلفهما فلحقهما الجيش فقتلاه قتالاً شديداً ثم انهزما، واقترب شقمة من الفشا ومن العساكر.. ورجع الجيش إلى العقيد أجمعين غانماً بالسلب والخيل والأسرى، فأقام أجمعين وابن السلطان {أحمد} سلطاناً مكان أبيه بحكم أمر السلطان صابون، وأقام معه نحواً من سبعة أشهر في كل وقت منها يرسل

<sup>(۴)</sup> ورد ان من مد المخطوطة بخط علي "ويعمر" جاء به قوله نعم باسم الماء من البحر. (ألف الخليل حفرته وعلمه ...)

ولما نذر صنع الفاء فهو حمزة اللاماني بمعنى حنيفة وأخبره وسعد كما يروى من المفسرين أيضاً .

(\*) الامان: لم يتكبر: فاما طلب من العرب ولا بد لك من امر من امر من ائمة آل البيت، ولو لمّا أسود، لكن الامان وي

لی سرادہ بعض حرمت اور کثرتِ رطاب الخشاء، و بعد از آنکه ابرو کسی آن لایق این شخص حرج محبت مسوفاً من لول احسان آدمی

المصدر: دفتر التسجيل الأفريقي ص ٢١٢ -

والأصل: "واضح منه".

للسلطان صابون أموالاً جمة، من رقيق وخيل وثياب، وجبى الأموال التي عاهد عليها وأرسلها، وأرسل للسلطان يستأنفه في العود أو الإقامة فأن له السلطان في العود بعد أن بقي مع السلطان من يذب عنه إذا قدم عليه عنو، سواء كان شقمة أو القسا أو غيرهما، فكان كذلك، فانتخب نحو أربعة آلاف فارس من المعدودين وأبقاهم مع السلطان وأمرهم أن يكونوا تحت أمره ونهيه، وكانت قد اجتمعت عليه من عساكر الباقرمة لم عظيمة واستقامت أحواله، فارتحل أجمعين ببقية العساكر إلى دار ودای سالماً غانماً، وبعد رحيله أرك شقمة أن يدخل البرني فقال له أرباب دولته إن العقيد أجمعين لبقى في البرني نحو أربعة آلاف فارس من المعدودين، ولا يمكننا الدخول إليها إلا بعد قتلهم، وهم في غاية من الشجاعة، فلا يقتلون إلا بعد أن يقتل منا مثلهم أو أكثر، فقال لهم: وكيف الرأي فقاتلوا الرأي أن ترسل إلى أخواننا المقيمين في البرني أن يحرضوا <sup>(١)</sup> سفهاءهم بتخاصمون مع عساكر الوداي ويضاربونهم، وتبقى دعاوهم أمام السلطان باستمرار، مع أن الوداي لا يرضون أن تعلموا عليهم عساكر الباقرمة <sup>(٢)</sup>، فيقولون للسلطان نحن ما مكثنا معك هنا لنضمام، وما مكثنا إلا لنعز، (والآن) أصبح عساكر الباقرمة يتعدون علينا، فإما لن تمنعهم أو لن تقع الحرب <sup>(٣)</sup> بيننا وبينهم، فعند ذلك سيقول وزراء الباقرمة للسلطان، نحن الآن في قوة وجمع عظيم، وكنا محتاجين لمكث عساكر الوداي معنا، أما الآن فلا حاجة لنا بهم <sup>(٤)</sup> ولا تعود علينا إقامتهم إلا بالضرر ووجع الرأس، وهؤلاء في قلوبهم قساوة فربما ثاروا على عساكرنا وقتلواهم، وعساكرنا لا نرضى بالذل فيقع بينهم قتال عظيم ويموت منا خلق، فيكون موتهم سبباً لخراب ما بقي من بلادنا، لأن سلطان الوداي إذا سمع بقتل عساكره يرسل إلينا جيشاً فيحصد شوكتنا، ويستأصل شأفتنا، وإذا صار الأمر كذلك ولرتحلوا دخلنا البرني

<sup>(١)</sup> في الأصل: "لعم يرحضون عليهاهم".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "مع أن الوداي لا يرضون أن عساكر الباقرمة تعلم عليهم".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "فربما أن نمنعهم ولما أن يقع بنا وبينهم حرب".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "والآن لا حاجة لهم".



وفعلنا فيه كما نحب، فقال شقمه: نعم الرأي هذا، وكتبوا من حينهم إلى وزراء سلطان الباقرمه بذلك، فأجابوهم لما سألوا حياً في شقمه وبغضاً في المتولي عليهم، وحرصوا السفهاء على مخاصمة عساكر الوداي، فصاروا يتعرضون لهم بالسفاهة، والوداي لا يرضون ذلك، فتع بينهم ثورات، ووصل الأمر بينهم إلى الضرب بالسلاح مراراً، فتحير السلطان في الأمر، لأن كلا المعسكرين يدعي أنه مظلوم، أما عساكر الباقرمه فتدعي أن عساكر الوداي يرونها كالأرقاء، لكون سلطانهم متغلباً علينا، وأنهم يأنوننا بلا سبب، وعساكر الوداي يقولون إن هؤلاء يتعرضون لنا ويسبوننا ويسبون ملكنا بغير سبب، وما ذاك إلا لأننا قليلون في أعينهم وأغراب لا ناصر لنا، مع أننا لو لم نخف من سلطاننا لن يقول لم فعلتم ذلك، ما تركنا منهم أحداً، وحين رأى وزراء سلطان الباقرمه حيرة السلطان قاتوا له: يا مولانا ماذا تريد ببقامة هؤلاء عندنا، إن كان خوفاً من شقمه أو ثقلاً فنحن الآن في جند عظيم، لا يقدر أحد منهما أن يصل إليك بسوء، وليس في مكنتهم إلا الضرر، وقالوا له: أرسل لهم (وأمرهم بالعودة إلى بلادهم) وفي الحال<sup>(١)</sup> الأمر للسلطان بعودة عساكر الوداي إلى بلادهم، وأعطاهم كتاباً للسلطان يقول فيه، بعد ما يليق بالمقام العالي، إن أجناد الباقرمه قد كروا وداتوا ولذعنوا بالظفاعة، حتى أنهم الآن في جمع عظيم، ونعلم أن سيدنا إنما أمر بإبقاء عساكره معنا خوفاً علينا من غائلة المارقين، والآن قد أمانا غائلتهم بسيادة سيدنا وكثرة عساكرنا، فرأينا من الرأي أن نردهم إلى سعادتك سالمين، لأنه قد حصل بينهم وبين عساكرنا ما لا يليق ولا نعلم الغلاتم منهم أم .

وأرسل بصحبة قائد الجيش هدية للسلطان صابون، وجهاز الجيش أحسن جهاز وأمرهم بالترحيل فارتحلوا حتى وصلوا إلى دار وداي، فلما قدموا على السلطان ارتاع لقدومهم بغير إذن، وأرسل للقائد (أن يأتيه) فلما مثل بين يديه سأله عن سبب مجيئه فأعلمه بالقصة، وأعطاه كتاب السلطان، فلما قرأه فهم أنها حيلة عملها

<sup>(١)</sup> في الأصل: "فبعد أن أرسل السلطان بعودة عساكر الوداي".

وزراء سلطان الباقرمه على ملكهم، فدعا في الحال بأربعة قواد من أكابر دولته،  
لأحدهم العقيد أجمعين والثاني العقيد مقش والثالث العقيد موسى عقيد الزبده،  
والرابع الترقنك محمد، وأمرهم أن يتأهبوا للسفر وأن يكونوا في رأي<sup>(١)</sup> العقيد  
أجمعين وأن يبحثوا عن شقمة في أي محل هو، ومتي قبضوا عليه أن يأتوا به  
أسيراً وكذلك النفسا، وأعجلهم في السفر فتأهبوا في نحو خمسة عشر يوماً،  
وخرجوا بمساكرهم يحدون السير حتى وصلوا إلى دار باقرمه، فوجدوا النفسا  
وشقمة قد دخلا البرني وقبضا على السلطان، وحلباهما بمساكر المقيمون معه،  
ولم ينفعه منهم أحد بشيء، وحين بلغهم هذا الخبر ارتحلوا وجدوا في السير حتى  
دخلوا البرني، فوجدوا الجو قد خلا وشقمة والنفسا قد جفلا<sup>(٢)</sup>، فخرج أجمعين  
بنفسه وتوجه خلف شقمة وأرسل العقيد موسى خلف النفسا وأكد له<sup>(٣)</sup> ألا يرجع إلا  
به، وترك الترقنك محمد ضابطاً للبرني وما والاه من الخارج، وأخرج العقيد  
مقش بجماعته خارج البرني<sup>(٤)</sup>، لربما يأتي عدو من الخارج فينتفاد، حتى يستعد  
لترقنك ويخرج إلى لقائه، وجث في السير أجمعين {حتى} وجد شقمة بمساكره مقيماً  
بطرف كاتم، فسري ليلة وأصبح {فاذا} هو بجوار عساكر شقمة فأحاط به ودلرت<sup>(٥)</sup>  
الحرب بينهما فركب شقمة ودخل الحرب، وقصده أجمعين حتى وافاه فتضاربا  
وعثر بشقمة فرسه فسقط على الأرض فأخذه أسيراً وانتهزمت عساكره وتبعهم  
عساكر أجمعين قتلاً وأسراً وسلباً ولم ينج من نجا منهم إلا برأس من طمرة،  
ورجع أجمعين كاراً على البرني فمكث أياماً قلائل فاذا بالعقيد موسى قد أقبل  
بغنائم عظيمة، ومعه أكثر جماعة النفسا وأولاده أسري، وأخبر أن النفسا لم ينج إلا  
برأسه، ولقد أخبرني العقيد موسى المذكور وهو أخ الإمام بدر الدين إمام السلطان

<sup>(١)</sup> أي يكونوا في رأي العقيد أجمعين أي في يكونوا تحت إمرته واهلوا معه وأنه.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "أطلا".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وأكد عليه".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "خارجاً من البرني".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "وترا الحرب".



صابون، وقد كنا أخبرنا عنه سابقاً، أنه هو الذي فتح الباب الحديدي<sup>(١)</sup> ليلة دخول  
السلطان صابون في دار المملكة، وفعل ما فعل، فقال لي: لما توجهت إلى جهة  
الكتكو في أثر الفضا أخبرت أن الفضا توجه إلى برني لقون ليحتسي بحماة، فطرده  
السلطان صالح سلطان لقون، وقال له أرحل عني وإلا قبضت عليك واسلمتك  
لعدوك، فارتحل وقصد غيره من ملوك الكتكو، فأبوا أن يجيروا، وقالوا: لو جئنا  
من أول وهنة<sup>(٢)</sup> أجرتك، فذهب إلى من أجارك أولاً يجيرك ثانياً، فخرج من  
عندهم متوجهاً إلى مندره، فتلاقينا معه {وبصحبتة} أولاده ونقله فأحاط به الجيش،  
فقلت والفرحاه هذا مطلوبي، وصفت عساكري للقتال وفعل هو أيضاً، واصطدم  
الجيشان، فدخلت القلب أبحت عنه فما وجدته، فقلت لعله في ميمنة العساكر فذهبت  
إليه فلم أجده، فقلت لعله في الميسرة فذهبت إليه فلم أجده، وبينما أنا أبحت عنه إذ  
انهزم عسكره، وتبعه عسكرنا يقتلون ويأسرون ولم أعثر له علي خبير، فحزرت  
نقله ونساءه وأولاده، ولم ينج إلا بنفسه مع بعض خدمه، هذا ما كان من أمره، ثم  
أن العقيد لخوفه علي شقمه أن يقلت أخذه في كفايته وارتحل به إلى دار ودائي هو  
وجميع العساكر، ولم يترك في برني باقرمه إلا الترفقات محمد، وجد في السير  
حتى دخل علي السلطان صابون، فخرج السلطان للقاءه، وقام بعمل مهرجان  
عظيم، تزين فيه الملوك والأمراء بأحسن زينة، ولما اصطف<sup>(٣)</sup> الجيش أمر  
السلطان بإحضار شقمه فأحضر والأغلال في عنقه والقيد في رجله، وحسن رآه  
السلطان علي تلك الحال أمر بنزع قيوده وأغلاله، وأدخله عليه مكرماً معظماً،  
فدخل والعساكر علي طبقاتهم واقفين<sup>(٤)</sup> في أحسن زينة وأكمل زي، فصار يتأمل  
فيهم إلى أن وقف بين يدي السلطان، فسأله السلطان لم فعل هذه الأقوال كلها،  
فقال: أدام الله عز مولانا، إني أكبر أولاد أبي، وكنت مترقياً لهذه المملكة منذ

<sup>(١)</sup> في الأصل: "الذي فتح الباب الحديدي".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "ولما لو حسا من لقون وهنة لنا أمرنا".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "ولما المهن".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "والعساكر على طبقاتهم واقفين".

زمن، لأنني أعلم أن أبي رجل كبير، وكان في حياته قد أوصي لي بالملك بعده،  
 وأنا ولي عهده، فكيف ترضي نفسي أن يتولاها غيري من الأولاد الصغار الذين  
 لا يتدرون علي سياسة أنفسهم، فضلاً عن سياسة المملكة، (أأرجو من مولاي أن)  
 يكرمني<sup>(١)</sup> بطريق المروءة لفعل جهدي وطاقتي حتي أصل إلي مقصودي، ومولاي  
 لا يلومني في ذلك، فقال له السلطان صابون: لم لم تنه<sup>(٢)</sup> أبك عن أفعاله الكريهة  
 التي لرتكبها، فقال: أعز الله مولانا إن والدي لما كبر سنه نقص عقله، وكان ممن  
 عادته أنه إذا أراد أمراً لا يستطيع أحد أن يرده عنه، وأنا ابنه فلو نهينته عن شيء  
 استحسنه، فربما كان ذلك سبباً للعداوة والبغضاء {بيننا} لأنه لا يراني إلا صغيراً،  
 ويقول في نفسه كيف أخذ بقول ولد كان بالأمس طفلاً صغيراً، وأنا الذي ربيتـه  
 حتي كبر وبلغ مبلغ الرجال، فيحقد علي، لأنه لو كان يسمع نصيحة أحد كان يسمع  
 نصيحة العلماء، طالما وعظوه وبالغوا في وعظه، وحولاه لا يصغي ولا يلتفت  
 إليهم، فقال له السلطان أين أخوك الذي قبضت عليه، فقال له شقمه قد قتل، فقال  
 السلطان ومن قتله؟ فقال قتله العساكر حين دخولهم عليه، فقال السلطان: فما تظن  
 إنني فاعل بك الآن فقال: عبدك وأسيرك وفي قبضتك، ومن عادة الملوك إذا قدروا  
 عفوا، فقال له السلطان صابون: أما إذا كان هذا ظنك فقد أصبت وعفوت عنك،  
 وجعلتك سلطاناً مكن أيبك، علي شرط أن تدفع لي ما قررتـه علي أخيك قبلك فـي  
 كل سنة فقال يا مولانا إن الصنق لمنجاة والكذب لميلكة، وأنا الآن ممن بعض  
 خدمك<sup>(٣)</sup> ولا أريد أن أقول قولاً ولا أوفي به، أما ما جعله مولانا علي أخي وقبيلة  
 فإله لم يقبله إلا خوفاً، ولو كان في طواعية نفسه لما قبله، ومولانا يعلم أن دار  
 الباقرمة قد تلت تلتاً لا ينحير إلا بعد سنين عديدة، وهذه ثلاث سنين والحروب  
 فيها {مشتتة} وأهلها مترعجون، وأموالهم منهوبة فمن مسلم من عساكر معانـتـك لم

<sup>(١)</sup> في الأصل: " فضلاً من سياسة الملكة بكرمي ".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: " لم لا تمنع أبك من فعله ".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: " وأنا الآن من بعض خدمك ".



يسلم<sup>(١)</sup> من يدي، ومن سلم مني لم يسلم من غيري، وهذه الضريبة لو كانت باقرمه على حالها الأول لكنت خفيفة، والآن بيت مالها خراب ورعاياها ضعاف، فأسأل مولانا بمكارم أخلاقه أن يخفف عنا فنحن عبيده وخدمه وليس لنا ملجأ سواه، فأعجب السلطان من فصاحته وصواب قوله فخفف عنه نصف الضريبة، وقرر عليه النصف، أعني أنه قبل أن يعطيه من كل ألف خمسمائة، وعاهده على ذلك، ثم أمر أن يتوجه إلى دار الاتزال، فنزله السلطان وأكرم نزله، وأعطى مقامه، وأذن لجميع القواد والأمرأ أن يزوروه ويؤانسوه، وأرسل خيلاً مسومة والآلات البيت من فرش وأهدي إليه جوارى من محاطبه، وأحسن إليه غاية الاحسان، واجتمع معه اجتماعاً خاصاً مرتين أو ثلاث، واستشفع شقمه عنده في الفشا وأولاده فشفعه فيهم، فأرسل شقمه إلى الفشا فحضر، وأدخل على السلطان فأكرمه احتراماً<sup>(٢)</sup> الشقمه، وأنزله في دار الاتزال، وأجرى عليه أرزاقاً عظيمة حتى أرضاه، وولاه منصبه الذي كان عليه، وبعد أن استراح الفشا دخل شقمه على السلطان واستأذنه في الرحيل والسفر إلى بلاده، فأذن له في ذلك، وعين له يوماً معلوماً وأخرج معه عسكرياً عظيماً، وجيزه بجميع ما يحتاج إليه من إبل وخيل وخيام، وأخرج له سرادقاً من سرادقاته<sup>(٣)</sup>، وخيلاً مسرجة بسروج الذهب، وأعطاه مظلة عظيمة وريشاً {كما منحه} شاربات الملك وأمر الوزراء وأرباب الدولة أن يركبوا معه ويشيعوه مسافة ساعتين أو ثلاث<sup>(٤)</sup>، وأمر قائد الجيش الذي أمر بالتوجه معه أن يكون تحت أمره ونهيه بحيث لا يخالف له أمراً، وأخرج السلطان صابون لديوانه وأمر بإخلاق شقمه والفشا عليه فأخلا، فكسا شقمه كسوة جميلة فيها كشير أحمر وسيف مذهب في غاية الحسن وكسا الفشا كسوة الوزراء، وقطعه سيفاً وأعطاه جواداً مسرجاً بمسرج مذهب، وأخرج من عنده في غاية السرور

<sup>(١)</sup> في الأصل: "لمن سلم مني من حاكم معانك ما سلم من يدي".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "رعاية الشقمه".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "سرادقاً من سرادقاته".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "أو ثلث".

والاعتباط، شاكرين نعمه، وخرج معهما الوزراء وأرباب الدولة وكان يوم  
خروجهما يوماً عظيماً ضربت فيه الأبواق والطبول، وخرجت في ذلك اليوم ربات  
الحجال والخدور، فأشرف السلطان من قصره ينظر ذلك المحفل العظيم، وكان  
يوماً مشهوداً كيوم دخوله بل أعظم، فمشى معه الوزراء وأرباب الدولة كما أمر  
السلطان بالآلا يرجعوا إلا عشية النهار، وبعد أن رجع عنه أرباب الدولة وودعوه  
بات في محله وأصبح مرتحلاً إلى بلاده وجد في السير حتى وصل إلى بلده،  
فخرج للقائه الترقياك محمد وقال له إني استلمت هذا البرني من وكيل السلطان ولا  
اسلمه إلا بأمر، وكان السلطان صابون قد كتب له منشوراً بالولاية {جاء} فيه: من  
حضرة السلطان المعظم والملك المفخم المكرم خادم الحرمين الشريفين المتوكل  
علي السميع العليم السلطان محمد عبد الكريم صابون، العباسي، إلى كل من يقف  
علي أمرنا هذا من الأمراء والأجناد والعساكر والقواد وأرباب الدولة أجمعين.  
أما بعد فأنا استخرنا الله تعالى الذي لا يخيب من استخاره وولينا ولدنا  
ثقة ابن المرحوم السلطان أحمد سلطان مملكة باقرمه، سلطاناً عوض أبيه،  
وجعلنا يده مطلقة<sup>(١)</sup> في الأحكام، وأوصيناه بالعمل والإنصاف، وإتباع شريعة  
{ابن} عبد مناف، وقررنا عليه كل منه ضريبة يدفعها إلى خزينة المعمورة،  
وأخذنا عليه خطه وإشهاد بذلك وأيدناه بعبد الله الفشا وزيراً كما كان لأبيه، وعلى  
ذلك صدر أمرنا الشريف هذا، فلا يعارضه أحد من أهل المملكتين، والحضر ثم  
الحضر من الخلاف، وأما الله التوفيق لي وله ولكافة ولاة الاسلام والسلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته.

فحين طلب منه الترقياك محمد أمراً باستلام البرني أخرج له هذا المنشور  
وقراه عليه، بحضور كافة الجند، فقام حينئذ الترقياك محمد وعائقه وحناء ودخلوا  
البرني جميعاً، وفرح بذلك جميع الباقمة فرحاً شديداً وكان يوماً مشهوداً وخرج  
الترقياك محمد بجماعته وعسكر بظاهر البرني مع العساكر القائمة مع السلطان

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وسلطاً يده مطلقاً".



محمد شقمة، وبعد أن استراح الجيش جهزهم السلطان محمد شقمة بجهاز عظيم  
وأرسل للسلطان صابون من الأموال مالا يحصى، هدية وضريبة وأهدى للترقات  
محمد هدية جليلة، ولجميع القواد والأمرأ على قدر مراتبهم وأنن لهم فى التوجه  
الى بلادهم.

### تسمية-

قد رأيت كلا من شقمة والفشا جاء الى السلطان صابون، لما شقمة فكان  
رجلاً طويلاً<sup>(١)</sup> جسيماً فى غاية من السوء، قد وخطه الشيب، كث اللحية كان  
عنبه سراحان يتوقدان، وأما الفشا فكان بعكس شقمة فى جميع الصفات فكان ربعة  
نحيف الجسم سواده الى الحمرة، خفيف اللحية تظهر عليه شهامة الرجال وحسن  
التكبير وبالجملة فالملوك العظام من السودان كلهم لأصحاب تدبير مهابون، ترتعد  
فرائص من يقف بين يدى أحد منهم لما يرى من الجبروت وناموس الملوك، وذلك  
غير مخصوص بملك دون آخر، فأولهم ملك الفور، فهو فى أبهة وحشمة ووقار،  
لا يقدر الانسان أن يفصح بين يديه بثلاث كلمات الا المعناد عليه، كالوزراء  
وأرباب الدولة ووجوه الناس الذين لهم منزلة، ولما غيرهم وإن كان ذلق اللسان  
ثابت الجنان متى وقف بين يديه يندمش وتذهب فصاحته، فقد حكى لى أن السلطان  
محمد تيراب أعطى قبيلة من عرب التبادية فيلاً تربيه له، فلما حل الفيل بين  
ظهرانهم عسف فيهم، فصار يأكل أوقاتهم ويختطف ملبديهم ولا يمكنهم قتله،  
لخوفهم من السلطان، وضاقوا به ذرعاً فجاءوا الى شيخهم وقالوا له: بنس ما فعلت  
بنا (فقد) أعطاك السلطان هذا الفيل فلم تعتنر إليه بشيء بل أخفته وأتيتا به،  
فساعنا فى أوقاتنا وأضر بنا غاية الضرر، فخذ وردة اليه والافتلناه، فقيل لهم  
الشيخ أنا لا يمكننى أن أخطب السلطان فى رده، فقام رجل منهم وقال خذنى معك  
إن كنت تخاف وأنا أخطب السلطان فيه وإنا عليك أن تفتح الكلام بأن تقول له:  
الفيل، فإذا سأل وقال: ما الفيل، أردنا الجواب وأقول: فعل بنا كذا وكذا، فقال له

<sup>(١)</sup> والاصل: رجلاً طويلاً.

الشيخ أتذهب معي إلى الفاشر<sup>(١)</sup> قال نعم، فتأهبوا للسفر وتوجهوا للفاشر، فصانف دخولهم يوم الجمعة، فلما وقفوا على باب دار السلطان إذا بأحد الوزراء راكباً في مركبه والطبول تضرب والصفافير تغنى وهو في أكمل زينة، فقال البدوي للشيخ أهذا السلطان، قال لا، هذا أحد وزرائه، فترج الرجل ونتم على قدميه وقال إذا كان هذا أحد الوزراء فكيف بالسلطان نفسه؟ وبينما هما كذلك إذا بوزير كبير كباديما قائماً<sup>(٢)</sup> وبين يديه من العساكر والأمراء جمع عظيم، وهو في أكمل زينة والطبول والصفافير تضرب على رأيه والفرمان تتراكم أمامه والتجذيب تكثر بين يديه، فارتاح البدوي وقال أهذا السلطان؟ فقال له الشيخ لا هذا أحد الوزراء العظام، فرجف فؤاد البدوي ونسي ما كان مستحضراً له من الكلام وبينما هو يفكر فيما وهمه إذ قبل الشيخ عبدالله أوردكا الأب في كتيبة عظيمة من الخيل والرجال والجنائب والطبول والصفافير حتى أخذ بمنازع العالم، فقال البدوي أهذا السلطان قال له لا هذا أكبر وزراءه فانقطع نفس البدوي وبقي مذعوراً<sup>(٣)</sup> لا يرى ما يصنع، وبينما هو كذلك إذ خرج السلطان وانقلب الأرض بأصوات الطبول وارتجت بركض الخيل وأحس بأن الخضراء انقلبت على الغبراء ووقف السلطان واصطفت العساكر فتقدم الشيخ ونادى بصوت عال: أيد الله سيدنا ونصره على عدوه، الفيل!! فقال السلطان، ماالفيل؟ فغمز الشيخ البدوي وقال له، قد فتحت لك الباب فتكلم، فانقطع وماقدر أن يجيد جواباً، فقال السلطان ماالفيل؟ فخشى الشيخ أن يبعث به السلطان لعدم رد الجواب، فقال: إنه مستوحش لوحشته فتريد من سيدنا أن يعطينا فيلاً آخر يؤانسه، فقال السلطان أعطوه فيلاً آخر يؤانسه، ففنى الحال جيئ<sup>(٤)</sup> بالفيل (وسلم للشيخ وصاحبه البدوي) فرجعا به إلى ياديهما، فلما رأى العرب ما جاء به قالوا لهما: ما هذا؟ نحن أرسلناكم لتريحنا من واحد فأتيتمنا

<sup>(١)</sup> ربما قصد المؤلف بالفاشر عاصمة السلطان لأن مدينة الفاشر لم تشأ بعد لافتتاحها في عهد السلطان محمد مراد بن عبد الحميد.  
السلطان تروى القدي ذكره المؤلف فكانت عاصمته مكرول.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. قائم.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. وهو باعنا.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. ففنى الحال ماء الفيل.



بآخر، فقال لهم صاحبهم البدوي: إعلموا أن شيخكم هذا رجل لا يوجد على ظهر الأرض أثبت منه جناحاً فاحمدوا الله على تولىته عليكم شيخاً فرضوا بالفيلين وسكتوا اهـ.

ثم إن الناس<sup>(١)</sup> في هذا الزمن ليسوا كما في الزمن السابق، فقد كانوا في العصر الأول من المذاجة<sup>(٢)</sup> بمكان، سواء كانوا ملوكاً أو رعايا، فما حكى في ذلك أن جماعة من الفقراء بدار ودأى كانوا يسمعون أن العسل حلوة، ولم يتيسر لهم أن يأكلوا منه، بل لم يروه، فاتفقوا مع بعضهم أن يتوجهوا إلى السلطان ويسألوه في ذلك، فذهبوا إلى ولده وتحروا خروج السلطان فلما خرج تعرضوا له، فقال لهم، من أنتم وماذا تريدون، فقالوا نحن من فقراء رعيتك، وسمعنا أن العسل حلوة وما رأيناه قط، فأتينا نسأل مولانا أن يشبعنا منه، فاحتاط منهم غيظاً عنيفاً وقال هؤلاء احتقروني حتى أنهم ماسألوني إلا العسل إنتنوني قربة ملينة بالعسل، فجاءوا بها فحكم عليهم أن يشربوها كلها وإن لم يشربوها سيقطع<sup>(٣)</sup> فشربوا منها مقداراً يسيراً ثم سئموا منه، وتحيروا في أمرهم، فسجنهم السلطان في محل وأمر بوضع القربة بينهم، وأن لا يخرجوا من السجن إلا بعد فراغها فكلن كذلك.

ومما يحكى أن ثلاثة أنفار زرعوا بصلاً وفقلاً وثوماً فأخذ كل واحد منهم حمل بعير من نوع منها ووفنوا بها إلى سلطان ودأى وادخلوها إليه<sup>(٤)</sup> هنية فلما رأى الفلفل والبصل والثوم، وكان لا يعرفها<sup>(٥)</sup> فقال وما هذا، فقالوا له هذه مما تصلىح به الأطعمة فرأى الفلفل أحمر جميلاً فأخذ منه قليلاً ووضع في فيه، فأحرقه، فقال هؤلاء قوم أصحاب غش وقد جاءوا بهذه الأنواع ليقتلونا بها، فقال: أدخلوهم

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. ثم إن هذا الشر..

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. من المذاجة..

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. وإن لم يشربوها قطع..

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. وادخلوها هنية عليه..

<sup>(٥)</sup> حديث المؤلف في ملحة لأن هؤلاء الثوك لم يكونوا من سلامة الحال بحيث لا يعرفون من البصل والثوم مما يهت به كمن ألفا ضمن مزروعات بلادهم.

السجن واجعلوها<sup>(١)</sup> طعامهم حتى يستوفوها قيل فمشتوا في محبسهم ثلاث سنين،  
 وخرج واحد منهم (شكله) أبرص، والثاني أجنم، والثالث سليماً.  
 ومما حكى من مذاجة الناس وبلاحتهم أن في دارفور قبيلة تسمى البرتي  
 وهم قبيلة عظيمة من أعاجم السودان، لكنهم موصوفون بالجبن والخوف في  
 الحروب دون قبائل السودان<sup>(٢)</sup>، وكان لهم ملك يعصفهم ويأخذ من أموالهم  
 ما يريد<sup>(٣)</sup> ولا يرفعون أمرهم إلى السلطان خوفاً منه، فكاثروا بظنون أنه هو  
 السلطان ولا يد فوق يده، فاتفق أنه ظلم رجلاً واستصفى جميع أمواله ولم يبق له  
 شيئاً، فخرج الرجل على وجهه هاماً، فاجتمع برجل من أهل الفاشر، خرج في  
 حاجة وعانداً إلى الفاشر فسأله البرتاوي قاتلاً<sup>(٤)</sup> من أين أتيت وأين تريد؟ فأخبره  
 الرجل بخبره ثم سأله البرتاوي قاتلاً: من أنت ومن أين وإلى أين؟ فقال له  
 البرتاوي أنا من البرتي ولا أرى أين أذهب<sup>(٥)</sup> فقال له الرجل كيف ذلك؟ فحكى له  
 ما وقع عليه من الظلم من الملك وأنه خرج قاراً بنفسه من العسف والجور، فقال له  
 الرجل لم لا تستكيه إلى السلطان يخلص لك حقتك منه، فقال البرتاوي أذاك سلطان  
 غير ملكنا، فقال له الرجل نعم، فقال البرتاوي ومن يذلني عليه، فقال له الرجل أنا  
 (أنتك عليه) فقال له لحق ما تقول؟ قال له الرجل أي والله، فسافر معه حتى وصل  
 إلى الفاشر وأوقفه الرجل بين يدي السلطان تيراب، وقال له قل ما تريد فسلم على  
 السلطان سلام الأكفاء بأن قال له: صباح الخير يا أبا اسحاق، أنه قد بلغني عنك

<sup>(١)</sup> في الأصل:.. فقالوا لهم إلى السجن واجعلوها طعامهم.

<sup>(٢)</sup> التوتى: قبيلة كبيرة من أصل عتظ تستكن جنوب لبال المهدية في شرق دارفور هموا موضعهم الأصلي في لبال لغابو بسبب ضغط  
 سلاطين الفور ويشترون الآن في كل منطقة لبال وشرق دارفور وهم من أكثر القبائل استقراراً ونشاطاً ومسلحاً، لما حدثت التواضع  
 عنهم بالهم حياء لقبه ملاحاً وأصبحت، فالتوتى مثل عورهم من قبائل دارفور وهم الشجعان وهم عم ذلك كل منهم فرسان فاندوا بحول  
 دولة الفور في دعم المملوك مثل الأمير فخر الدين هذا فغلب وسرويه فخرسة مع المكي صبي التوتوى حتى بعث السلطان إلى دار مساهمة  
 لمباركة السلطان تاج الدين حيث قتله السلطان تاج الدين في ماردة شهيداً، بطر: لم يبق كاسته للتحقق برواية الشيخ محمد طلي  
 الشيخ لمرة كيم عد الفرسان نوفمبر ١٩٩٨م.

<sup>(٣)</sup> في الأصل:.. ويأخذ من أموالهم ما يريد.

<sup>(٤)</sup> في الأصل:.. فسأله التوتوى وقال له:..

<sup>(٥)</sup> ولا أرى أين أذهب، حكمة تنسج إلى الغيرة والتمول الذي يملك قلبه بأن له لعبة كبرى...



لأنك تخوف ملكنا وقد ظلمني وأخذ مني كذا وكذا من المال، فلن كنت تقدر على خلاص حتى منه كما زعموا فخلصني، فضحك السلطان من كلامه وعرف أنه غر وفي تلك الساعة أمر باحضار ملك البرتوي فأحضر، ولما دخل على السلطان التفت فرأى البرتوي الذي ظلمه واقفاً، فنظر إليه نظرة غضب فلما رآه البرتوي (غاضباً<sup>(١)</sup>) خاف منه ورفع يديه ووضع ظهر كفيه ممائلي وجهه، وراحناه ممائلي الملك ووضع يديه إلى جهة الملك كأنه يتقى بهما نظره، وقال له غطيت عينيك برباعيتين أنا مالي، قد ضحكوا على وجاءوا بي إلى هنا، ومعنى قوله غطيت عينيك برباعيتين أي جعلت لك بقرتين رباعيتين نظير غصن بصرك عني، والرباعية هي البقرة التي لها أربع سنو، فضحك السلطان من كلامه أكثر من الأول ثم أقبل السلطان على ملك البرتوي وقال له: ألا تتقى الله في المسلمين عشت بهم وجفوت عن طريق الحق وهم قوم غفل، لا يعرفون غيرك حتى (الصغار) يخافون منك، ثم سأل السلطان البرتوي عما أخذ<sup>(٢)</sup> منه الملك، فقال: أخذ مني كذا وكذا، فأمر السلطان برد جميع أموال البرتوي له في تلك الساعة، فورد الملك ماكان حاضراً منها في بيته بالفاشر<sup>(٣)</sup> لأن كل ملك له بيت في الفاشر يجلس فيه مدة إقامته بطرف السلطان، وإذا غاب تبقى فيه جماعته حتى ياتي، وأعطى السلطان جواد ملك البرتوي بمرجه وعدته للبرتوي رهنأ يبقى في يده حتى ياتي به الملك بباقي المال، وكان جواداً من عتاق الخيل وأمر السلطان البرتوي أن يركبه، فخاف البرتوي من ركوبه، فأمر السلطان خدمه أن يركبوه عليه، فلما ركبه ومشى به خطوات صاح قائلاً: يا أبا اسحاق قتلني ما هذا عدل منك، لأنني امرؤ ماركت جواداً قط<sup>(٤)</sup>، فضحك السلطان من كلامه وأمر بالنزله من الجواد<sup>(٥)</sup> وأعطاه عوض ماذهب منه، وأحسن إليه، فلما رجع البرتوي إلى قومه قال: يقوم

<sup>(١)</sup> في الأصل: فلما رآه البرتوي غرجه..

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. ما أخذ منه الملك..

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. فرد الملك ماكان حاضراً منها بيت الملك الذي في الفاشر

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. لأنني امرؤ ماركت جواداً قط..

<sup>(٥)</sup> في الأصل: .. ولمر بالنزله من الجواد..

إني وجدت أبا إسحاق يخوف ملكنا، وفعل معي كيت وكيت، وصار صاحبي فمن  
كان فيكم مظلوماً فيذهب إليه ومن لا يقدر على الوصول إليه فإني أوصله لأن  
الرجل الآن صاحبي، ثم اته كانت له ابنة جميلة (فذهب بها إلى السلطان) ثم قال  
له: يا أبا إسحاق إن هذه لينتني وأعز الناس عليّ وخطبني فيها أناس كثيرون<sup>(١)</sup>  
وأبيت أن أعطيتها، وقد صنعت معي معروفاً كثيراً فأحببت أن أريك إياها، فإن كان  
لك بها حاجة فقد زوجها منك، فنظر إليها<sup>(٢)</sup> السلطان فأعجبته، فمقد عليها وهي  
أول امرأة من البرتي تزوجها سلطان، ثم بعد ذلك تزوج منهم الملوك حتى أن  
السلطان محمد فضل يرى أنهن من الإماء<sup>(٣)</sup> فيتصرى منهن ما أراد بغير عقد<sup>(٤)</sup>.  
ومما ينخرط في مذلة الملوك والرعايا ووحشيتهم وعدم معرفة الآداب  
والقوانين أن أناساً من الوداي كانوا يشربون الدخان، بشيق<sup>(٥)</sup> وكانوا قد ألفوه،  
ولا يقرون على إبعاده<sup>(٦)</sup>، أعنى أنهم صار لهم عادة لا يمكنهم التخلي عنها (ثم)  
أصروا فلم يجدوا ما يشتروا به الدخان فاجتمعوا وشكوا حالهم لبعضهم وتشاؤروا  
مع بعضهم، فالتفتى رأيهم أن يذهبوا إلى السلطان ويطلبوا منه أن يعطيهم شيئاً  
من الدخان أو شيئاً يشترون به الدخان، فذهبوا إليه فلما مثلوا بين يديه وسألوه في  
ذلك اعتاظ عيظاً شديداً<sup>(٧)</sup> وقال: هؤلاء احتقروني حتى أنهم ماسألوني إلا القابا ثم  
أمر ببناء دز من طين علوه أربعة أذرع، وكان عند الرجال عشرة، فأمر بأن يملأ  
الدز بالدخان وأن يوضع عليه جمر كثير، وأن يتقوا عليه عشرة نقوب دائرية  
ويوضع في كل نقب أنبوبة من القصب وأن يجلس الرجال ويشربوا الدخان من

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. وخطبني فيها ناس كثيرون.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. فنظرها السلطان.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. يرى لهن من الاموات.

<sup>(٤)</sup> حديث المكتف من رواية الشيخ محمد بن الحسن بن أبي عمير عن الإمام حديثه في كتابه لأن الحسن بن محبوب في تاريخهم  
من أكثر الناس في طائفة النعمان وكانوا من النصارى في سبيلهم في طائفة النعمان والحكماء في طائفة النعمان.

<sup>(٥)</sup> هكذا في الأصل "شيق" أي ملهى.

<sup>(٦)</sup> في الأصل: ولا يقرون على بعده.

<sup>(٧)</sup> في الأصل: أملاً عظيماً.



تلك الانابيب حتى يفرغ ما في الدن، وإن لا يسمع<sup>(١)</sup> لهم بالذهاب حتى لا يبقى شيء من الدخان في الدن، فكان كذلك (حيث) ملئ الدن دخاناً ووضع عليه قجر حتى التهب الدخان وأجلس الرجال العشرة وأمروا بشرب ما في الدن من الدخان، فجنب كل واحد منهم نفساً أو نفسين ثم سئموا وأرادوا الانصراف، (فمنعوا) وأجبروا على الشرب (حتى) أخذهم الدوار ووقعوا على الأرض مغشياً عليهم كأنهم أموات وأعلم السلطان بذلك فخلى سبيلهم.

ومن بلاهة الوداي (ايضاً) أنهم لا يمكنون سلطانهم من شرب اللبن الحليب ويقولون إذا كان السلطان يشرب اللبن فماذا تشرب الرعية، وافترق أن أحد السلاطين اقتنى بقرأ حلوباً فسمعوا به فهاجوا عليه وقالوا له لما أن تخلي سبيل البقر وتتوب من شرب اللبن والاعتذار، فلم يمكنه الامطاعون<sup>(٢)</sup>

ولفرجع إلى تمام مسيرة السلطان صابون وغزواته - حدثني عيسى السيد أحمد زروق قائلاً: - ولما تمهنت للسلطان صابون ملكة الباقرمي وارتاح من عنائها مكث في داره سراً بلراً أمناً فما راعه إلا أن دخلت عليه جماعة من رعاياه مجروحين ممزق<sup>(٣)</sup> الثياب، وأعلنوا بأعلى صوتهم: مظلومين يامولانا السلطان: فقال لهم: ومن ظلمكم، قالوا ملك الناما أغار علينا على حين غفلة واستاق مواشينا وأولادنا فخرجنا لتخليصها من يد عساكره فقتلوا منا جماعة وأمروا آخرين وفعلوا بنا ما ترى، فاعتاد السلطان لذلك وأرسل من حينه للسلطان محمد فضل سلطان الفور هدية وأصحابها كتاباً يقول فيه: مامعناه بعد التحية - أن سعادتكم يعلم أن لنا مدة مديدة لم تقع بيننا حرب، ونحن كالأخوين ورعاياك ورعايانا واحدة وكلمتنا واحدة وأمرنا واحد، وملك الناما من جملة أتباعك، وقد أغار على إيالتنا واستاق أموال رعييتي وقتل منهم جماعة وأسر آخرين وجرح

<sup>(١)</sup> في الأصل "وإن لا يسمعوا من اللعب من لا يسمع شيء في الدن"

<sup>(٢)</sup> حديث لقولهم في شيء من الخلق وعدم الصواب لأن من أحب التكرارات والشبهات لثمة والخشية في هذه الدلاء هي المسألة

ومشغله فلا يمثل أن يترك سلطان ودمي شرب اللبن هذه الطريقة.

<sup>(٣)</sup> في الأصل "ممزق الثياب"

منهم مثلهم، ولولا ما بيننا من المصالحة والهدنة لكنا فعلنا به ما هو أهله لكن إكراما لك تركناه، وما نحن أعلمناك، فالمقصود من على منكم أن تأمروا ملك النماما برضا أخذ من رعيته عاجلاً، وأن تبلغوا في نبيه<sup>(١)</sup> بأن لا يعود لقتل هذا، ولولا أني خفت من ملامك على وراعت خاطر الشريف لوجهت إليه من ينكل عليه ويمتل به،،، والسلام.

فما وصل الكتاب إلى يد السلطان محمد فضل وقرأه وفهم ما فيه، فقام وقعد<sup>(٢)</sup> وتوكل<sup>(٣)</sup> واسترجع<sup>(٤)</sup> وأظهر أنه استشاط غضباً فكتب إلى السلطان صابون كتاباً يقول فيه - بعد ما يليق بالمقام العالي من التحيات الوافرة والأشواق المتكاثرة.

إنه قد وصل إلينا كتابكم وسررنا منه بصحتكم وساعنا ما فعله ذلك المارق ملك النماما، وما نحن قد أرسلنا إليه أن يرد جميع ما أخذته عساكره من إيمانكم وشددنا عليه في ذلك غاية التشديد ونرجو أن لا يتغير في خاطركم من جهتنا لأن هذا الكتاب قد فعل ما فعل بغير اطلاعنا،،،، والسلام.

فما وصل الكتاب إلى السلطان صابون وقرأه، فهم أنها حيلة من السلطان محمد فضل فقال: كذب عدو الله لو كان قوله صحيحاً وأن ما فعله بغير اطلاعـه لكان عزله من شدة الغضب، لكنه خدعنا بهذا الجواب وسنصبر حتى ننتظر ما يؤول إليه الأمر فبعد مضي أيام قلائل وبينما السلطان صابون جالساً<sup>(٥)</sup> على سرير ملكه إذ سمع ضجة وقعت وأصواتاً ارتفعت فتظفر إلى البطحاء التي هي أمام داره فوجدها مملوءة (بالناس<sup>(٦)</sup>) مابين جريح وسليب وهم ينادون بالتويل والحرب، فقال السلطان من هؤلاء وما دهمهم؟ فأخبر أنهم مساليط، وأنهم جاءوا

<sup>(١)</sup> في الأصل "وان تبلغوا في نبيه بان لا يعود..."

<sup>(٢)</sup> قام وقعد، كلمة عن الغضب الذي انتاب.

<sup>(٣)</sup> وتوكل أي قال لا حول ولا قوة الا بالله.

<sup>(٤)</sup> واسترجع أي حل لا له ولا فيه راحته.

<sup>(٥)</sup> في الأصل "جالس".

<sup>(٦)</sup> في الأصل "لهم ملأها من الناس".



يشكون ما حل بهم من ملك التاما، فأحضرهم بين يديه وسألهم فأخبروه أن عساكر ملك التاما قد هجموا<sup>(١)</sup> عليهم واستاقوا مواشيهم وأولادهم (لثما) خرجوا لخلاصها من أيديهم قتلوا منهم ما قتلوا وجرحوا أناساً كثيرين، وها نحن جئنا نشكر حالنا إلى حضرة سعادتكم، فغضب السلطان وكاد يتميز غيظاً، فكتب من حينه إلى سلطان القور (كتاباً) يقول فيه:

بعد السلام إني قد أخبرت سعادتكم سابق تاريخه بأن ملك التاما قد اغار على إيالتي واستاق مواشي رعيتي وقتل من قتل وأسر من أسر، ولولا أنه من أتباعك لفعلت به ما يستحقه وجامعني من عندك كتاب تنكر فيه أنك زجرته غاية الزجر، وأمرته برد جميع ما أخذه من إيالتي فكان الأمر بالعكس، فإنه لم يرد شيئاً<sup>(٢)</sup> مما أخذه بل عاد وأغار وفعل أكثر مما فعل في المرة الأولى، وأقسم بمن جعل سيفي قاطعاً ورمحي خارقاً لن لم تنبه من غيه وترجره عن سوء فعله، وتأمره برد جميع ما أخذه من السبي لأنككن به ولأجعلنه مثلاً بين يدي قومه وحزبه، وهاتان<sup>(٣)</sup> مرتان قد أرسلت إليك فيهما، فإن عاد الثالثة علمنا أنه مخالف لسلطانك فغزواناه وطالب<sup>(٤)</sup> ليهتك أستاننا فهتكناه... والسلام،،،

وأرسل الخطاب صحبة تجار، وأخرج من العساكر جنداً كثيراً وأمرهم أن يقيموا بالأطراف على أهبة (الاستعداد) ومتى سمعوا بقوم التاما يكونوا على ظهور الخيل راكبين، ولصدور الأعداء طاعنين، ولخلاص السبي فاعين، وأرسل إلى العقيد جاب الله عقيد الصباح وأمره أن يجمع خيله ورجله، ويكون على أهبة من أمره، ومتى سمع بإغارة القوم (أن) ينجدهم ويمعن في قتل (أعدائهم)<sup>(٥)</sup> فكان كذلك، ومنذ ذلك الوقت تأهب السلطان للغزو واستعد وجند الجنود وأعلن السفر<sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> في الأصل "أن عساكر ملك التاما قد هجمت عليهم واستاقوا منهم"

<sup>(٢)</sup> في الأصل "فانه لم يرد مما اخذه شيئاً"

<sup>(٣)</sup> في الأصل "وهاتان مرتان"

<sup>(٤)</sup> في الأصل "وطالباً وهو حطاً والصواب طالب"

<sup>(٥)</sup> في الأصل "ويمعن في قتلهم"

<sup>(٦)</sup> في الأصل "وأعلن السفر"

ولما وصل الكتاب الى سلطان الفور وعلم بما فيه، تحير (فى) أمره، وأظهر الغضب على ملك التاما، وأرسل للسلطان صابون كتاباً يقول فيه بعد ما يليق بالجناب الكريم:

إنه قد وصلنا كتابك وسامناً (كثيراً<sup>(١)</sup>) ماسعك وقد كنت كتبت الى ذات الخائن الناكث المارق عن الطاعة برد جميع ما أخذه وحزرتة شابة الحذر عن العود الى مثلها، ولكن عاد عليه لومة وقاده الى الغدر ظلمه وأرجو من أخى وصديقى أن لا يؤاخذنى بفعله، وإن عاد الى مثلها ليعلمن عاقبة بغيه، فإن هذا الظالم ظن أن حصنه يقيه، وجبله يحميه، فلأنك لن به لثم النكال، ولا سقينه كؤوس الخبال، بدون أن يتعب أخى ويذهب اليه، فأرد جميع ما أخذه الظالم اليه، وهاتحن قد أرسلنا اليه من أتباعنا الملك أحمد جراب بكتاب منا، فإن خالفنا فيما أمرناه به أرسلناه عاقبة وبطل أمره... والسلام..

ودعا السلطان محمد فضل باتملك أحمد جراب وأمره بالتوجه الى الحال الى جبل تاما وكتب اليه كتاباً لا يدرى ما فيها، كما سلم (رسول) السلطان صابون كتاب سيده وأمره بالتوجه اليه، فلما وصل الكتاب الى السلطان صابون وفهم مضمونه تردد فى أمره، ولرأه أن يفرق ما جمعه من العساكر، فأشار اليه بعض أرباب الحل والعقد ببقاء الأمر على ما هو عليه، وكان والدى قد قفل من دار برنو الى وداى واستقر فى ظل السلطان صابون ورجع الى وزارته فكان من جملة من أشار على السلطان ببقاء الأمر على ما هو عليه، وذهب تجوليس الى السلطان محمد فضل وأخبروه أنه (أى السلطان صابون) متجه الى السفر الى جبل تاما وأنه ينتظر عودة أموال رعاياه، وإن لم تعد على الفور سافر اليه، وبينما السلطان منتظراً للأخبار ورد اليه الخبر بأن ملك التاما قد أغار على طرف الإيالة بجند كثيف وفيهم عساكر من الفور<sup>(٢)</sup> وأخذوا من الماشية (عدداً كبيراً) وحين (ارتفع<sup>(٣)</sup>)

<sup>(١)</sup> فى الأصل "وسامناً وسامناً"

<sup>(٢)</sup> فى الأصل "ولهم عساكر من عساكر كامور"

<sup>(٣)</sup> فى الأصل "وحين وقع الصباح"



الصباح ركب عساكر الوداي وتعرضوا لهم فوقع بينهم قتال عظيم وكثروا على عساكر الوداي حتى كثرهم<sup>(١)</sup> بعدما قتلوا منهم قتلى كثيرين، وبلغ الخبر إلى جاب الله عقيد الصباح فركب في خيله ورجله وتعرض للتأما، وحال بينهم وبين بلادهم وخلص السبي من أيديهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً<sup>(٢)</sup> وأسر منهم من رجالاتهم عدة أناس منهم من هو من جماعة الملك أحمد جراب، فلما سمع السلطان صابون هذا الخبر أمر بالترحيل، فرحل بجيش يملأ السهل والتعر، وتوجه إلى جبل تأما، ومآزال يجد (في) السير حتى وصل إلى إيالة التأما فوجد بها إيالة عظيمة، لكن أكثرها جبال وشجر مشبك وأهل التأما لا يعسر عليهم السلوك فيها، لأنهم بها، وعساكر الوداي لا يمكنهم سلوكها لأنهم السهل، فصار التأما يكمنون<sup>(٣)</sup> بين الأشجار وكلما عثروا على قوم من الوداي قتلهم، فقتلوا من عساكر الوداي مجموعة<sup>(٤)</sup> عظيمة، ففطن<sup>(٥)</sup> السلطان (صابون) لهذا الأمر، فأمر بقطع جميع الأشجار وجعلها أكداً وأحرقها بالنار، ولم يبق في الإيالة وعر إلا الجبل، فزحف على الجبل وأحاط به من كل الجهات (ثم) خرج عساكر التأما ووقفوا في أعالي الجبل يرمون عساكر الوداي بالحجارة<sup>(٦)</sup> فمات من الحجارة خلق كثير، ووقف بقية عساكر التأما يحرضونهم على قتال عساكر الوداي، وكلما أراد عساكر الوداي الصعود إلى الجبل من جهة دحرجوا عليهم الحجارة فيموتون، وكان والذي إذ ذك (قد) جمع طائفة من المغاربة من أهل فزان وطرابلس الغرب وابن غازي، فلما أعياهم الأمر قاتل لجماعته كل منكم يأخذ بنسبته (واذهبوا) مع العساكر وقفوا أنتم بعيداً من رمى الأحجار وكلما رأيتم رجلاً من عساكر التأما يندرج حجراً على العساكر قوموا عليه حتى تطلع العساكر (الجبل)، فكان الأمر كذلك وكانوا

<sup>(١)</sup> في الأصل "من لهم كثرهم"

<sup>(٢)</sup> في الأصل "وقتل منهم خلقاً كثيراً"

<sup>(٣)</sup> في الأصل "عسارت كثيراً لكن من الأشجار"

<sup>(٤)</sup> في الأصل "قتلوا من عساكر الوداي حنة عظيمة.."

<sup>(٥)</sup> في الأصل "فوعظ السلطان صابون.."

<sup>(٦)</sup> في الأصل "يرمون عساكر الوداي بالحجارة لاغزو.."

اثنتين وعشرين نفرأ، فخرجوا مع العساكر حتى وقفوا أسفل الجبل تحسب شجرة كبيرة وعملوا حائطاً صغيراً أشبه بمتراش وكنوا خلفه، وكلما رأوا أحداً من الناما على الجبل يدحرج الحجارة أو يحرض على ذلك قوسوا عليه، فقتلوا منهم جماعة، وانتبه لهم الناما وقصدهم بالأحجار فشذخوا منهم رؤوس جماعة، وكان عمى السيد أحمد باشا رئيساً عليهم، فلم يبق سليماً غيره، وستة أنفار واستقروا بجذع الشجرة وصاروا يقوسون بالبنق على التعاقب، وكان الناما<sup>(١)</sup> يتعجبون من الرصاص كيف يصل اليهم إلى أعلى الجبل ويقتلهم، فمات منهم خلق كثير، وصاروا كلما رأوا دخان البارود هربوا وربما ناموا على الأرض فرصدهم<sup>(٢)</sup> المغاربة، وصاروا كلما رفع الثباب من الناما رأسه قوسوا عليه وأصابوه، ودلهم الأمر على ذلك في قرب العصر، فأنكشفوا، وصعد الوداي إلى أعلى الجبل، وفي صدر النهار جاء انسان إلى السلطان صلبون وأعلمه أنه يعرف للجبل طريقاً سهلاً يمكن منه صعود العساكر بدون مشقة، فعين معه جنداً عظيماً وأمرهم بالتيقظ والاحتراز فتوجهوا معه فكان وقت صعود العساكر من جهة المغاربة هو وقت صعود العساكر الذين ذهبوا مع الجاسوس، فقتلوا من الناما خلقاً لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ودخلوا بيت ملكهم فوجدوه بلقياً لم يجدوا فيه شيئاً، وفر الملك فلم يقع له على خبر، وحين سمع السلطان بفراره تأسف غاية التأسف وحزن واحتم، إذ لم يقع في يده، وأنزلوا من الجبل النساء والأولاد والبقر والغنم ما لا يحصى كثرة، وأمر السلطان صلبون بهدم بيت الملك وإحراقه هو وجميع ما على الجبل من الأبنية (كما أمر) بكسر الأواني وقطع الأشجار وإن لا يتركوا للناما شيئاً ينتفع به، فمكث العساكر في الجبل نحو سبعة أيام يحرقون الدور ويكسرون الأواني ويحفرّون في البيوت ويأخذون<sup>(٣)</sup> الغلال حتى تركوا الجبل بلقياً كان لم يكن به إبليس، ثم نزلوا من الجبل، فأرسل السلطان السرايا في الإيالة من كل جانب،

<sup>(١)</sup> في الأصل .. وكان الناما يحب من فرس ..

<sup>(٢)</sup> في الأصل .. فرصدهم المغاربة ..

<sup>(٣)</sup> في الأصل .. ويأخذون الغلال ويحفرّون البيوت ..



فمكثت قليلاً ثم رجعت ومعها من الغنائم شيء كثير، ومعها رؤوس القتلى على أطراف الرماح، ثم ذهبت مرات وعادت ودام هذا الحال مدة ثلاثة أشهر وعساكر السلطان يخوضون في دار تاما ويقطون ويأسرون ويحرقون البنيان ويهيمونه ويكسرون الأواني ويأخذون كل ما وجدوه نافعاً حتى تركوها بلاقع، ولما حصل السلطان بعد ذلك إلى بلده منصوراً مؤيداً.

### تسمية...

جبل التاما هذا ليس عالياً جداً<sup>(١)</sup> وإنما يعبر ملوكه لضيق طريقه ووعرها إلا ما كان من الطريق التي ذهب منها الجيش مع الجاسوس، وهو جبل واسع فيه أنهار دافقة وعيون بأسفة وأشجار ملتفة، وسعته فرسخان في مثلها ولها عدة بلاد غير بلد التامك.

### تسمية أخرى:-

قد قاسى أهل الوداي من التاما ما لم يقاسوه من غيرهم لأن في التاما من المكر والحد ما لا يوجد في غيرهم، فكان لا يقبل الرجل منهم حتى يقتل من الوداي اثنين أو ثلاثة، وكان التاماوى يخرج فيجعل نفسه ميتاً<sup>(٢)</sup> فإذا اقترب منه الوداوى يريد سلبه يصير التاماوى حتى يصل<sup>(٣)</sup> الوداوى عنده فيضربه بالسكين فيقتله، ولو كان التاماوى في آخر رمق من الحياة، ولولا كثرة الوداي وقلة التاما لما قتلوا عليهم<sup>(٤)</sup>

### تسمية أخرى:

لما خرج السلطان صاهون إلى جبل التاما وبلغ ذلك السلطان محمد فضل ظن أن التاما يغشون الوداي، لما بلغه من حصانة جبلهم ووعر أرضهم، فجمع عساكره هو الآخر واستحضر أدوات السفر وبقي منتظراً<sup>(٥)</sup>، وفي كل يوم يرسل أناساً ويأتيه آخرون، فكان كلما بلغه أن التاما قتلوا من الوداي أو سلبوهم يصر بذلك، وكان قصده أن التاما إذا سلبوا الوداي فسيرحل بجيشه ويدخل دار الوداي.

<sup>(١)</sup> في الأصل "... جبل التاما هذا ليس عالياً..."

<sup>(٢)</sup> في الأصل "... وكان يخرج التاماوى فيجعل نفسه ميتاً..."

<sup>(٣)</sup> في الأصل "... حتى يلقى الوداوى عنده..."

<sup>(٤)</sup> في الأصل "... لما قتلوا قتلوا عليهم..."

<sup>(٥)</sup> في الأصل "... وعلى منتظرته..."

وهم على ضعف، فيأخذ المملكة منهم ويجعلها تابعة لمملكة القور، ويحتاج على  
السلطان صابون (بقوله) أتى كنت أريد أن أخذ لك حقتك من ملك الناما فما صبرت  
بل حقرت ذمتي في رعيتي وغزوتهم بظلمك وتعديك لم تنتصر عليهم، وكان إذا  
سمع بأن الوداي غلبوا يغتم لذلك فما راعه الا والمنهزمون دخلون عليه أفواجا  
أفواجا يقولون: أغثنا يامولانا السلطان من السلطان صابون، فانه قتل رجالنا وسبي  
فرارينا ونساءنا ونهب أموالنا، وهم دورنا وقطع أشجارنا وترك بلادنا بيتنا كأن  
لم تغن بالأمس على حد قول الشاعر:-

كان لم يكن بين الحجون الى الصا أنيس ولم يسر بمكة سامي

فقام وقعد وعسر عليه، وكبر لديه، وقال حقرتي وحقرت ذمتي في رعيتي ونادى في  
عساكره بالأحبة، فاجتمع عليه أرباب دولته ومنعوه من الذهاب وقالوا له: الحق مع  
الرجل، فإنه اشتكى مراراً فلم تشكه فدعه يفعل ما أراد بخصمه ولا تتعرض له  
بسوء، الا إن دخل في إيلتنا فحينئذ يجب أن ندفع عن حريمنا وبلادنا فنبطوه، وأنا  
بذلك كنت في دارفور<sup>(١)</sup>، وإن أتى أرسل لي بالتقدم عليه، وبعثنا تيبات للسفر  
ومنعني (أي السلطان محمد فضل) عن السفر ولم يأن لي إلا بعد رجوع السلطان  
صابون من تاما الى بلده وقد ذكرت ذلك سابقاً فلا فائدة في الإعادة وحين بلغ  
الخبر الى السلطان صابون بأن السلطان محمد فضل اغتم لما حصل للتاما من  
الخدلان والقهر، وعلم أن كل ما كان يرسله من الكتب كان خديعة ومكرا منه،  
وأراد (السلطان صابون) المبالغة في (الذلال الناما) فصبر حتى رجع أهل الجبل  
الى جبلهم ورجع الملك الى مقره، وبنوا وسكنوا وزرعوا حتى قارب الزرع وقت  
الحصاد فأرسل أربعة قواد من أمرائه مع كل قائد أكثر من عشرة آلاف من الخيل  
والرجل وأمرهم بفساد زرع الناما، وقطع ما خلف من الأشجار، وإحراق البيوت  
وكسر الأواني وأمر ماقتروا على أسرهم، وقتل من أمكنهم، وأن لا يغفلوا عن  
التيقظ والاحتراس، وأن لا يمشوا إلا ليلاً، ولا يخبروا أحداً بمقصدهم، وأن يتفرقوا  
في الجهات الأربع وأن كل قائد يفسد جهة، وأن الرسل تتردد بينهم ليكونوا على

<sup>(١)</sup> أي من تيبات كان لما كان في دارفور قبل أن يسير الى دهم حيث كان امراء ووزراء السلطان صابون، كما سبق تسميته في العمل



بصيرة من امرهم، فسار الجيش حتى نزل بدار تاما فعبث بالزرع وأتلفه وأحرق  
 الأماكن وأغار وسبى (ثم) نزل لهم التاما<sup>(١)</sup> وقتلهم قتالا عظيما، وباع السوداى  
 أنفسهم فأبلوا بلاء حسنا ونصروا على التاما، فهزموهم وقتلهم قتلا ثريعا وسبوا  
 نساءهم وأولادهم وأتلفوا زراعتهم غاية التلف، وكروا راجعين ومعهم من الغنم  
 مالا يحصى، فضاق نزع ملك التاما لذلك، وساء حاله، وصار يأخذ الميرة من  
 دارفور، وجلا عنه جل أهل البلاد حتى صارت البلدة التى فيها مائة رجل ليس  
 فيها عشرة من الرجال، فلما رأى ملك التاما ذلك شكى حاله الى سلطان الفور،  
 فأرسل له حبا<sup>(٢)</sup> وبقرا وغنما وأمره أن يفرقها فى جماعته وأن يأمرهم بعمارة  
 البلاد وأرسل الى السلطان صابون كتابا يقول فيه بعد اهداء ما يليق بالملك  
 السعيد:-

إن ملك التاما قد جوزى ببغيه وظلمه، وعوقب على تعديه وجرمه، والآن  
 قد فاء الى أمر الله، وندم على ما فرط فى جنب الله وجاء تائبا، فأرجوك أن تتجاوز  
 عن ذنبه، وتكف عن إذايته وعتبه، فلما وصل الكتاب الى السلطان صابون أرسل  
 (اليه خطابا) يقول فيه:

قد وصلنى كتاب أخى بالاعتذار عن الخائن الغدار وقبل ذلك فرط منى يمين  
 ولست فيه أمين أن أكرر عليه العقوبة حتى يعلم أن فى البيدا رجالا، من تعرض  
 لها يلقى اهولا والخير بالخير والبيادى لأكرم، والشر بالشر والبيادى أظلم ورحم الله  
 الشاعر حيث يقول:

فبالنيل قتل والسوا امر عظم  
 وبالنيل شل الغانط المنصوب

وليت شعرى اذا كنت تعلم أنه من اتباعك ويرعوى لأحكامك لم لم تنكر<sup>(٣)</sup> على  
 منعه حين راسلتك فيه مرارا وشكوت اليك سرا وجهارا لما كتبت لى تقول انه  
 خالف أمرك السامى، وتعدى طوره وركبه متن التعمى فكيف ترجع الان بالشفقة  
 والحنو عليه، وهل هو إلا لنيم قال فيه الشاعر العظيم:-

<sup>(١)</sup> فى الأصل .. وركب التاما لهم.

<sup>(٢)</sup> لزم ما غف عنه المحبوب، ومن الغيرة.

<sup>(٣)</sup> فى الأصل لم لا تنكر.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللبى غمركا

وانى لحلف بلبائى الكرام وأجدادى للفخام لا بد أن أعرفه<sup>(١)</sup> قدره حتى أنه لا يتعدى  
طوره، فالمعزة قبيك والسلام.....

فلما بلغ الكتاب إلى السلطان محمد فضل احتفاظه لشدة الغيظ، ومشاور أرباب  
دولته فيما يفعل مع السلطان صابون، فاختلفت أراؤهم فمنهم من يقول نغزوه  
ونعرفه قدره، ومنهم من يقول نصالحه ونتركه مع صاحبه<sup>(٢)</sup>، فأرسل إلى ملك  
الناما يخبره بما حصل بينه وبين السلطان صابون، ولم تفت إلا أيام قلائل حتى  
أرسل السلطان صابون جيشا كثيفا يتوف عن خمسين ألف فارس ورجال ودخلوا  
دار الناما من عدة جهات واستاقوا جميع ما عرض لهم من الموائى، وأسروا من  
النساء والأولاد، وقتلوا من الرجال ما الله به عليم، وكان من جملة الموائى  
موائى ملك الناما وعبيده، فنار الصباح وبلغ الخبر إلى ملك الناما، فخرج بجميع  
جيشه وقصد المعركة، وكان أحد ثوك الوداى ومعه نحو سبعة آلاف من الخيل  
جاء من ظهر الجبل من الطريق السهلة الارتقاء فصادف نزول ملك الناما (مقتنيا)  
أثر الوداى (تاركا ذراريه وأمواله فأعقبه هذا القائد) بجماعته وصعد الجبل  
واستاصل جميع ما وجد فيه من النساء والأولاد والماشية، ونزل سريعا وأوقد النار  
فى البيوت واشتد<sup>(٣)</sup> فى النكاية بهم.

وأما ملك الناما فإنه لحق الجيش وناوشهم القتال، فنفعوا الأموال أمامهم مع  
بعض الجند ووقفوا لقتاله، فصدمهم بخيله ورجله فكانت بينهم ساعة بالها من  
ساعة، وبينما هو فى المعركة إذ بلغه الخبر أن جميع مائى الجبل قد أخذوا  
وأحرقت البيوت فتحير فى أمره فقسم جماعته حيث أخذ بعضها وتوجه إلى جهة  
العسكر (الذين أخذوا الأموال والأولاد فى الجبل) لكنه لم يصادفهم لأنهم سلكوا  
طريقا غير التى ملكها، وأما الجماعة الذين أبقاهم أمام الجيش فإنهم انهزموا بعد  
ذهاب ملكهم وقتل منهم رجال كثيرون ثم تبعهم الوداى يقتلون ويأسرون ويأخذون

<sup>(١)</sup> فى الأصل: "لا أعرفه قدره..."

<sup>(٢)</sup> فى الأصل: "ونتركه به وبين صاحبه..."

<sup>(٣)</sup> فى الأصل: "...والمعزة قبيك..."



الأسلاب، واقتحم منك التمام المشقة وذهب يقص أثر القوم فلم يعثر عليهم حتى (تجاوزوا الحدود ولقيهم) في أول ليلة الوداع فلما رأهم خرجوا من أياقته خائفين لحق بهم وسمع به عقيد الصباح (سيقوم بتجيش الجيوش ومن ثم) إما أن يواجهه<sup>(١)</sup> القتل أو الأسر، فأنكفأ راجعا وما استفاد من حركته تلك الانتقام، ولما رجع إلى الجبل وجد القوم قد اتوا خرابه<sup>(٢)</sup> وأخذوا لبابه، على حد قول الشاعر:

كان لمن بك رمعا ولم يك آملا وما خطر يوما على قلبه منكم<sup>(٣)</sup>

فعظم (الأمر) عليه وكبر لديه فجمع أرباب شوره وقل لهم إروني كيف أصنع، قد فتحنا على أنفسنا باباً من الشر بمعادة هذا الرجل، كما أن سلطان القور قد خلى بيننا وبينه ولم يفعل<sup>(٤)</sup> شيئا، فاتفق رأيهم أن يصالحوه ويجعلوا له عليهم مالا معلوما يؤدونه له في كل سنة (مقابل) أن يرفع عنهم الغزو، فكتب إلى السلطان صابون كتابا يقول بعد تقبيل الأقدام....

إني العبد اعترف بذنبيه وأب إلى ربه والعفو من شيم الكرام، وقد رأيت أن أكون خائما للمدة الشريفة، وأريد أن تقرر على مالا أدفعه في كل سنة، وتؤمنني على أهلي ومالي كما تفعل مع بقية ملوك الطوائف الذين خدموا اعتابك وقاموا على بابك، وأطلب من مراحم مولاي أن لا يشتط علينا في الطلب ليوردنا بحار العطب، لأن الحال قد حال، والمال قد مال، والكف صفر والديار قفر، وأمل من الفضل مولانا نواله ومكارمه واجلاله أن لا يأتي رسولنا منه إلا بكتاب عهده لنا من الغارة الشعواء والمصيبة الدهماء، والسلام....

فلما وصل الكتاب إلى السلطان صابون وقرأه وفهم مضمونه أجاب ماله وكتب له (قائلا):

<sup>(١)</sup> في الأصل: "...ممن إن غلبهم وسمع عنده الصباح يتركهم ويعملون به ما يشاءون أو يخلصوا منه..."

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "...لما اتوا خرابه..."

<sup>(٣)</sup> البيت: كتابه من الكراب الذي حل بذار حبه هذا حيث أرملت من الربيع مع قومها فعاد ووقف على مناداة...

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "...ويعمل شيئا..."

أما بعد فقد وصلني كتابك وفهمت ما انطوى عليه ومن جاعنا ثانيا قبلنا ومعتذرا  
عثرنا، وقد فرضت عليك في كل سنة مائة فرس وألف رأس من الرقيق مشروط  
أن تؤمن السبل وتعطي الطاعة حقها، وقد أجبناك إلى سؤالك لقتداء بقول الشاعر:

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا إن كان قد بى فيما قال أو فجرا

والسلام....

فلما وصل الكتاب إلى ملك التمام وفهم مضمونه كتب إلى السلطان صابون (قائلا):  
قد دخلت تحت طاعتك وصرت واحدا من جماعتك وأمل مولانا من مراحمة أن  
يخفف عنا من عند الرقيق فانا لا نقدر عليه لأننا في أرض ليس بجوارها فرتيت وأن  
كان عندنا شيء من الرقيق فكله من الشراء لأمن الكسب، ولا تطيق أكثر من مائة  
رأس في كل عام والسلام....

فلما وصل الكتاب إلى السلطان صابون علم صحة قوله، فصنف عنه وقال يكفيني  
أنه صار من أتباعي، وكتب له كتابا يقول فيه:

من حضرة عبدالله أمير المؤمنين<sup>(١)</sup> السلطان محمد عبدالكريم صابون العباسي إلى  
كل من يتف على كتابنا هذا من الوزراء والأحقاد والأمراء والقواد، دلم إجلالهم،  
أما بعد... فإن الملك أحمد ملك التمام قد التمس من مراحمة أن نكف عنه الغارة  
ونأمنه في أهله وأولاده ورعاياه وبلاده وأن يكون واحدا من رعايتنا وشرط على  
نفسه أن يدفع لنا كل سنة مائة فرس ومائة من الرقيق، واعتذر عما مضى من  
أفعاله فقبلنا عذره ورضينا شرطه، وشرطنا عليه أمن السبل وأن يكون مواليا لمن  
والانا ومعاديا لمن عادانا، فإذا فعل ذلك فعليه منا أمن الله وأمان رسوله، فلا تلج  
خيلنا دياره ولا تنزع آثاره، وقد أرسلنا إليه على وجه الهدية سيفا وخلعة علامة من  
مكارمنا على تثبيتته في ملكه مدام متبعا للسنة والكتاب واقفا على قسم العبودية  
على الاعتبار مؤديا لما فرضناه عليه ممثلا لأوامرنا العلية التي تصدر إليه..  
والسلام.....

<sup>(١)</sup> هذا القلم ملحق من مؤلفين العصر العباسي وكذلك العصر الرشدي حاشية كتابات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذا القلم  
لقب "العباسي" فكما ورد من قبل بأن صلاح بن قورن يدمر الانساب إلى العباسي هم الرسول صلى الله عليه وسلم.



وأخرج والسلطان سيفاً وكسوة وأرسلها (إليه) صحيفة الكتاب فلما وصل الكتاب إلى ملك التاما فرح غاية الفرح، وجهز المائة فرس والمائة رأس من الرقيق فسي الحال وأرسلها مع أحد نوى قرابته فلما وصل إلى والده وأخبر بها السلطان أمر بحضوره بين يديه وإذا بيده كتاب (جاء) فيه:

من عباده أحمد ملك التاما خادم أمير المؤمنين إلى حضرة أمير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين سيدي وابن سيدي السلطان محمد عبدالكريم صابون بعد تقبيل مواليه أقدامه، والدعاء له بنصر أعلامه أن التواصل لحضرة سعادتك ابن عمي وأعز الناس عندي وصحبته ما هو مقرر على عبك من الخيل والرقيق، وأرجو من مكارم سيدي وتفضلاته أن ينعم بقبولها مع غض الطرف عن قبحها وحسنها وأسال مولاي أن ينمى سعادتته ويؤيد سيادته والسلام.....

فلما قرا السلطان كتابه أعجبه منه تواضعه، وقبل المال وكان كله مختاراً من الخيل المسومة والرقيق المنقح، فأكرم الرسول وأنزله أحسن نزل، ثم كتب له كتاباً بوصول الأموال، وكساه وأرسله إلى ملكه.. اهـ.

ولما بلغ الخبر إلى السلطان محمد فضل بأن ملك التاما قرر على نفسه في كل سنة مائة رأس من الخيل ومائة رأس رقيق لشتاط غضبا وقال كيف يكون تابعي ويجعل على نفسه لغيري مالا، هذا شيء لا أرضى به، إما أن يكون تابعي خاصة، أو يكون تابعا لغيري، خاصة، وفي الحال كتب إلى ملك التاما يقول له: إنه قد بلغني أنك قررت على نفسك مائة رأس من الخيل ومائة رأس من الرقيق للسلطان صابون ودفعت له مال سنة وجاءك منه كتاب بالعهد والتثبيت في مملكتك والحال أنك لي تابع، ولأعتابي منسوب فقل (إلى) أقدر على دفع ديواتين، أم تريد أن تنزع طاعتي وتكون للسلطان صابون خاصة أم كيف الحال. فلما وصل الكتاب إلى ملك التاما أرسل إلى السلطان محمد فضل كتاباً معناه أن سيادتك أرسلت تستفهم مني فاعلم سعادتك أن ما بلغت صحيح، وأني على ما تعلم من دفع المبلغ لأعتابك كما كتبت (وإني) إنما دفعت هذا المال وقاية لعرضي ومالي وفداء عن نفسي لأنني الآن ضعيف، وقد نهكتني الحرب، وهذا الرجل لا أقدر على محاربته، فلما أفعل ذلك مهانة حتى أقتوى وأقطع يد الطاعة بعد ذلك ولا ألبلى والسلام...

فلما وصل الكتاب إلى السلطان محمد فضل أطمأن وصفا خطاطره بعد التكدر وأما السلطان صابون فانه بعد أن علم أن ملك التاما صار من اتباعه أمر التجار أن يذهبوا إلى بلاده ويبيعوا بضائعهم للتاما<sup>(١)</sup>، إما نقدا وإما نسيئة<sup>(٢)</sup> وكل ذلك قصد أن يعرف هل هذا الصلح صحيح، أم هو أمر ظاهري فقط، فسلكت طريق ووقع الأمن وزال الخوف، ودخل التاما بلاد الوداي ينادون من وجدوه من أولادهم ونسائهم وذوي قراباتهم ومن قتلوا على سرقته مرقوده، ومن قتلوا على إغرائه على الفرار أغروه حتى خلصوا من أولادهم ونسائهم جمع غفير، (وحيثما) علم السلطان صابون بذلك لم يمنعه<sup>(٣)</sup> لما بينهم من عقد الصلح، بل قال لهم كل من وجدتموه سارقا لاحد من الرقيق (لتاما) اذنتكم بقتله، لأن هذا خيانة والخيانة ضد العهد لما من أظهر نفسه وطلب الفداء فلا لوم عليه، واشتغل السلطان صابون بأحواله.

وفي تلك الأيام جاء<sup>(٤)</sup> إلى السلطان صابون أعرابي من عرب بادية درنا وابن غازي جاء به تاليس<sup>(٥)</sup> من القبيلة المسماة بالبديات<sup>(٦)</sup> وهي قبيلة من الأعاجم يسكنون أطراف الوداي وهم بأعراب البادية أشبه فاخبروا أنهم وجدوه ضالا يلاذري أين يتوجه وقد أثر فيه العطش تأثيرا شديدا وأنهم مارأوه إلا في آخر رمق من الحياة، فسقوه الماء وأراحوه في باديتهم نحو شهر، ثم قدموا به إلى

<sup>(١)</sup> في الأصل: "على التاما".

<sup>(٢)</sup> نسيئة: "أي مباداة وهو أسلوب متبع في المعاملة لم حرمة القران..."

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "يوعلم السلطان بذلك لما حذر عليهم".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "وصل إلى السلطان".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "قدموا به على السلطان".

(٦) البديات: من مجموعات الرقوة كانت معارهم الأولى في وادى Wun ووحدة Wanyanga على الحدود النيجيرية السودانية لم هاجروا تدريجيا من الشمال إلى الجنوب وتغير مختلف أم حرم المركز الرئيسي الأول للبديات بعد هجرتهم، لم نوسموا أحسوا في منطقة هدي في ليبيا وتتكون مجموعة البديات من عدة عشائر تنقسم بدورها إلى قسمين رئيسيين هما: البيليا Biliya ومبراحسون فرق لما والبروقلت ويسكنون غرب وازره، ويحذر "ميجال هذه البديات في إحدى في السبعينات من القرن التاسع عشر محسوسا هجرت إلى ليبيا ولكن هذا العدد قد قلص وهاجر عدد منهم إلى ليبيا وسكنوا وسط الصحراء ورجع آخرون إلى وادى هجور كما هجرت أعداد مغيرة منهم إلى دار زعزعة واستقروا في أعالي دارفور واليوم اعتنقهم في السودان أكثر من أعدادهم في ليبيا.

مطبعة: Nachtigal, Sahara and Sudan, iv Wadai and Darfur, London, ١٩٧١. P. ١٣٧.



السلطان فسأله السلطان ممن أنت<sup>(١)</sup> فقال أنا من القبيلة المسماة بأولاد علي<sup>(٢)</sup>  
خرجنا نحو خمسين فارساً ملاتيين المكسية والغارة على السودان، فضللنا الطريق  
ونفذ الماء، فأرسلوا منا ثلاثة يبحثون عن الماء فكانت أحدهم فضلت وميت  
وصرت لا أرى أين أتوجه فركضت فرسى حتى كل وتعب وما بقي به حراك،  
فنزلت عنه وتركته وصرت ألسعي راجلاً بعد ذلك ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع اشتد  
بى الحر وعطشت وكنت أموت ظمأً ولولا قبيض الله لى هؤلاء السودان لميت،  
فقال له السلطان كم مكثت بدون شرب ماء فقال له: ستة أيام ملاقت فيها ماء<sup>(٣)</sup>  
فصار الناس ما بين مصدق ومكذب.

وكننت اذ ذاك خلصت من سجن سلطان الفور وقدمت على وداى فاجتمعت على ذلك البدوى وكان اسمه عليا<sup>(١)</sup> فسأله عن قصته فأخبرنى كما سمعت، فأنعم عليه السلطان ببعض الرقيق وأربعة خيول<sup>(٢)</sup> وأعطاه عشرة من العبيد علمهم التقويس بالبندق وأصابة الغرض، فكثيرا ماكان يقول لو أعطيت إننا بالذهب من الطريق التى جئنا منها لكثير الخير على السلطان، اذا سلكت، لأنها أقرب الطرق الى بر العرب، فلما سمع منه السلطان هذا الكلام أخرج قافلة وداى فى الملا<sup>(٣)</sup> الا كل من يريد التجارة الى درنا وابن غازى فليجهز نفسه ويخرج مع هذه القافلة وأرسل وراءه مشايخ البديات فاحضروهم وأمرهم أن يتوجهوا بالقافلة (عبر بلادهم) وأن تكون فى ضمانهم الى المكان<sup>(٤)</sup> الذى وجدوا فيه البدوى والسرزم البدوى باستدلال القافلة بعد ذلك الى الطريق (الذى سلكتها) فخرجت قافلة عظيمة وصحبها السيد الشريف احمد الفاسى الذى كان استوزره السلطان عوضا عن والدى وهو

(۱) فی الامثل من الت: ای من فی لفظ الت وهو نحو معارف منه فی کتاب ودارفور.

(١٧) مولود علي : لثقل حرية قنطرة في الواضحة الشريفة العليا على الحدود المصرية و... معاذ الله إلى الغرة الحرة وأحمد في مصر.

١٦ هذا الخبر قد نشره من المراجعة لانه بحسب القواعد الفنية من الاسناد لا يستطيع ان يبين عند اتمام دور الخدمة ما هو حارسه في مثل تلك  
الجهة العسكرية الخاصة.

(۱۰) ن الاصل "وكان اس علي... وهو عطاء وامرأت علي.."

(٦) والاصل: .. والرمية حواء...

١٦) في الأصل "وتلادى في حسمو ولحمو.."

٣٧ والاصل: "ال حيث ملو حوايه القوي".

رجل من فضلاء <sup>(١)</sup> اهل العلم وأجلهم، جيد الحفظ والرواية متعمقا <sup>(٢)</sup> في الفقه وكتب الحديث، يحفظ موطأ الإمام مالك عن ظهر قلب <sup>(٣)</sup> وله إمام بفن التشريع <sup>(٤)</sup> ولقد رأيته يقرأ في الدروس وحضرته في تشریح العین، وتكلم عن ذلك كلاما جيدا وأما علم المعقول فله فيه مايقوم لسانه ويصح فكره لكن مع ما أعطاه الله من الفضل كان أحمق وعر الصدر، فاستوحش فيه أهل البلد ونقل عليهم أمره حتى أدى الأمر إلى أنهم قتلوه كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى..

### تبييحه:-

لما فرح السلطان صابون باكتشاف <sup>(٥)</sup> هذه الطريق مع أن أهل الوداي من قديم الزمان لا يعرفون إلا طريق فزان، ومنها تجلب لهم جميع المصالح (وذلك) لما حصل من السلطان المنتصر الشريف <sup>(٦)</sup> في حق والذي حين سافر بأموال السلطان صابون وأراد الذهاب بها إلى طرابلس المغرب، وأراد المنتصر قتله فلما بلغ السلطان صابون ذلك تكرر خاطره منه، ولو لا مشقة البعد وما بينهما من المفازات المعطشة لغزاه، وحين سمع بهذه الطريق فرح واجتهد في سلوكها (وكان) سبب تغيير السلطان المنتصر على والذي (هو أنه) لما أراد التوجه إلى تونس تذاكر مع السلطان صابون في شأن ذلك، واتمس منه الآن في السفر <sup>(٧)</sup> فمأله السلطان

<sup>(١)</sup> في الأصل وهو رجل كان من فضلاء أهل العلم...

<sup>(٢)</sup> في الأصل "منوعا في الفقه"...

<sup>(٣)</sup> في الأصل "عن ظهر قلب"...

<sup>(٤)</sup> التشريع الذي قصدته الباحثة هو علم المرافعة الطبية

<sup>(٥)</sup> في الأصل : باكتشاف هذه الطريق...

<sup>(٦)</sup> السلطان المنتصر الشرفي هو من السلاطين الناصر في حكمه فزان، حيث أن مدغم الكبر وبذم المنتصر محمد العاسي بحذر من أسرة مغربية حكمت فزان، منذ عام ١٥٧٨ في عهد الأتراك بعد أن انشأ بهم ضرورة الاستيلاء على فزان لأن ذلك سيسببهم منسج الحكم في عدم طرق القوميل التجارية ويطيح لعدم الأتراك الطريق واسعة التوغل في بلاد السودان امتدح إلى أن أوال رأى في الحملة على فزان فرصة للتخلص من شعب الخوة وصرفهم إلى مبادئ جديدة من العاصمة طرابلس حيث أن بلغت تعددهم من أوال الوصل بعد موت درلوث غرفت طرابلس في موحدة من القومس والأرباب، وكانت الاخلاصات العسكرية والحب راؤوس الولاء القضا القضا لدى حد الانكشارية ولما انتحلت أوال هذه الحملة واول المنتصر حكم فزان واستمرت في عدة مدة ثلاثة قرون حيث اكتسب مؤامرا يورس من لهاها في هذا الكتاب. يفر: مصطلح موحدة، للربح فزان، لفضل صيب وداعة الخاوي جامعة الداج - ليبيا - ١٩٧٩، ص ٥١.

<sup>(٧)</sup> في الأصل "في السفر"...



صابون (عن) أى البلاد بعد فزان، فقال له والذى طرابلس، فقال له السلطان لابد  
 أن أثمان الرقيق فى طرابلس أعلى من أثمانها فى فزان، وأثمان البضائع فى  
 طرابلس أرخص من أثمانها فى فزان، فقال له والذى نعم، فقال له السلطان هل لك  
 فى أن أرسل معك رجلا من أمانتى ومعه رقيق لى فتبيعه لى فى طرابلس  
 وتشتري لى ثمنه كذا وكذا من البضائع، فقال له والذى حبا وكرامة، فعين السلطان  
 صابون رجلا من أمانته وأرسل معه ماينوف عن ثلاثمائة من الرقيق وأمره أن  
 يكون تحت طاعة والذى، ياتمر بأمره وينتهى بنهي، فلما وصلا إلى فزان وكان إذ  
 ذاك متوليها السلطان محمد المنتصر فرح بقدم القافلة لأن أكثر مزايعه منها، فباع  
 التجار رقيقهم فى بلاده وأبى أبى أن يبيع فيها وكذلك أمين<sup>(١)</sup> السلطان صابون، فلما  
 بلغ الخبر إلى السلطان المنتصر دعا بوالذى وقال له، أنت الذى دلت سلطان  
 الوداى على إرسال رقيقه إلى طرابلس وعدم بيعه هنا، فأنكر ذلك والذى، وقال له  
 إن السلطان صابون بلغه الخبر أن الرقيق فى طرابلس أغلا منه فى فزان، فأرسل  
 رقيقه مع خادمه وأمره أن يتوجه إلى هناك، فقال له: لم تجر عادة بذلك، ومواقع  
 هذا الاستدلال وأظهر له عين الغضب، ولو لا أن الله أمسك لسانه لقتل خذوه،  
 وخرج والذى من عنده فى غاية النغم والخوف على نفسه وماله، ولما كان عند  
 المساء جاءه الحاج عثمان وزير المنتصر وقال: يامولاى تدرك أمرك بهدية  
 وتحميها إلى السلطان عسى أن تنفعك، فبته مضمر لك سوءاً، فلما سمع والذى منه  
 ذلك أخرج من أحسن الجوارى سناً، فادخلين عليه هدية، فرفض أن يقبلين، فشفع  
 فى قبولين الحاج عثمان المذكور، فحصل منه التصفح وإن كان بقى فى نفسه  
 مابقى، وتلافى والذى أمره وخرج مسافراً إلى طرابلس، فدعاه السلطان وأمره أن  
 يأخذ تابع السلطان صابون ورقيقه معه فابى وقال معاذ الله أن أخذه معى، وماتلى  
 وله، هو رجل من طرف السلطان وأنا رجل غريب لا علاقة لى به، فاصر<sup>(٢)</sup> عليه  
 السلطان المنتصر أن يسافر معه، فأبى والذى وحلف إلا يصاحبه فى طريق،  
 وخرج والذى إلى طرابلس وترك أمين السلطان صابون فى فزان ليلاحقه فى

<sup>(١)</sup> الأصل "وإن أن يبيع فيها هو ومن السلطان كذلك".

<sup>(٢)</sup> الأصل "فأصر عليه السلطان".

طرابلس بعد أيام حين بلغ الخبر إلى يوسف باشا<sup>(١)</sup> حاكم طرابلس أن المنتصر  
 فعل كذا وكره قدوم هذا الترفيق إلى طرابلس أضمر له سوءاً، لأن فزان من أعمال  
 طرابلس والباشا هو الذي ولي المنتصر عليها، ثم عظمت الأمور بينهما إلى أن لى  
 الأمر إلى قتل المنتصر واستيلاء محمد المكنى<sup>(٢)</sup> حاكماً عليها من قبيل يوسف  
 باشا.

وبين ذلك أن يوسف باشا بعد أن وصل إليه والذي وأعلمه بما حصل من  
 المنتصر، حقد عليه وفكر في حيلة يكيد بها، ليظهر عصبانيته، فاستشار بعض  
 أرباب دولته في ذلك فأشاروا عليه بأن يرسل بضاعة إلى برنو على طريق فزان  
 مع أمين له بكتاب معه من عنده على عامل فزان وكتاب إلى سلطان برنو فستدب  
 محمد المكنى إلى ذلك وكان محمد المكنى قبل ذلك أحد حبابه، فأرسل معه أربعة  
 أحمال من البضائع خلاف الهدايا وجهزه وأمره أن يسافر إلى برنو عن طريق  
 فزان، وكتب إلى المنتصر كتاباً يقول فيه:

<sup>(١)</sup> يوسف باشا فرماني: جاء بعد حكم والده الطويل والذي استمر من ١٧٤٥ وحتى بداية عام ١٧٩٣ حيث منعت مملكته الأحوال  
 تعطلت بسبب الثورات التي بدأت في عهد أبيه، والمحدث في أيامه حيث عرفت الدولة في الدول الاحدية لمصل ذلك من ناحية حكمه  
 وعنده انه على باشا آخر صلاطين الاسرة التي تلتها مصر من دفع الدول الاوربية، فتمت عرسا والعلم ان صرب طرابلس بالقبائل  
 معول على باشا من اخذوه، وبذلك انتهى عصر الاسرة التي تلتها ومرت لها الى الدولة العثمانية من ناحية الرسمية واستمرت على  
 ذلك حتى جاء العرو الايطالي عليها عام ١٩١١م.

مطر: مصطفى حجة الرحمن وعنه ص ٥٩.

<sup>(٢)</sup> محمد المكنى: جاء في رواية في المطبوع: (وكان بالخط تولد لثكني على محمد المكنى) وما ينبغي ان اسره المكنى المثلثة حياه  
 عند الاسرة الى طرابلس في ولاية درموت باشا في مجموعة من الصدق ليلطوا بالبحارة والرياسة والاصالة فصار لهم في ذلك ومن  
 المكنى رئيسا عليهم واسماخ المكنى في يدعهم بعودة وبكس قلة الوالي وبمصل على عصوة لجنس الدارة الاولى، وبعد اسرة المكنى  
 من كبار اهل طرابلس ولم يها المود سياسي والعضد كبر، ولم اقله راحة مع السودن وكنوا يتجهون العرسه دائما ليكون لهم  
 تعود وسيطرة على الطرق البحرية بين طرابلس والسودن، ول محاولة احتكر هذه البحيرة حتى لو القساع السلطنة العثمانية في  
 طرابلس لا يمتدحهم حكمهم من مقابل تدين اقله القوم في تلك الاحاء ودفع عراحيها بصورة متظمة لدمون الولاية، ذلك الخسراج  
 الذي كان يشكل موردا دائما من موارد الولاية، وقد رز محمد المكنى كأحد كبار مساعدي باشا طرابلس ومن الطريق اليه، وكانت له  
 اليد الطولى في جمع الثروات والتي صاحبت تول يوسف باشا ولاية طرابلس فكانه ينتعج بشمية كوى وعندما تولى والده المثلث عليه  
 لقب "بن الدولة" الى لتسول من جمع الخراج من فراده فكان يسفر اليها في كل عام لتسلم الخراج حتى حدثت هذه القصة التي ذكرها  
 كتابا واستولى بذلك لثكني على حكم فراده بمطر مصطفى حجة الرحمن وعنه ص ٧٥.

مطر: مع ترات الرحلة الايطالية من فرانسيس ١٨١٨، ترجمة د. مصطفى حجة الرحمن، الدار العربية للكتاب طرابلس ١٩٩٠م.



الى حضرة ولدنا العزيز محمد المنتصر ونائبنا بإيالة فزان أما بعد: فإنه قد تعينت  
إرادتنا بتوجيه تابعنا المكرم الأجل محمد المكنى الى دار برنو ببضائع لتسلطان  
البرناوى<sup>(١)</sup> وكتب وهدية، وأمرناه أن يتوجه بها عن طريق لياتكم فهو ولرد اليكم  
وواصل أن شاء الله بين يديكم، فإذا وصل اليكم المذكور يتسنى أن تلقوا نظركم  
عليه، وترافقوه بقافلة متوجهة الى دار برنو، وإن احتاج الى ظهير أو دواهم  
فاعطوه على طرفنا ونرجو ألا يكون منكم في ذلك تقصير... والسلام،،،،

فلما وصل محمد المكنى الى فزان أنزله السلطان المنتصر في دار الانزال  
وأكرمه ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع توجه اليه المكنى وأعطاه كتاب الباشا، فلما  
علم ما فيه غاظه ذلك، وسكت على مضض، وصانف حلول المكنى في فزان  
خروج قافلة متوجهة الى برنو، فصحبها المكنى وتوجه معها، وغاب نحو ستة  
أشهر، وجاء معه من الرقيق شيء كثير، فدخل فزان وملاً أربع دوز<sup>(٢)</sup> بالرقيق،  
فأرسل السلطان محمد المنتصر الناس للمكنى يلتمسون منه شراء الرقيق، ليأخذ  
المكسب من المشتري، فأبى المكنى أن يبيع منه شيئاً وقال: هذا مال الباشا ولم  
يأتني لي في بيعه هنا، ثم طلب من المنتصر أزواجا يقات بها الرقيق وشدد في  
الطلب، فاشتد المنتصر منه وكتب له أوامر الى عامل سبها<sup>(٣)</sup> أن يعطيه ما يطلبه  
وقال له: أرحل والآنك، فخرج المكنى على غير صورة<sup>(٤)</sup>، وتوجه بالرقيق الى  
سبها، وطلب من العامل أن يعطيه الأزواج، فأبى وقال: ليس للسلطان شيء  
عندي، فألح عليه المكنى في الطلب، وقال له: أعلم أنك إذا لم تعطني ما طلبته  
ومات (عدد من<sup>(٥)</sup> الرقيق) سيفرمك الباشا ضعفه، فخاف العامل وجمع له من  
الزاد ما لرك، وطلب منه ظهراً<sup>(٦)</sup> فاكترى له ما يقله، وسافر حتى أتى الباشا، وقد  
مات له من الرقيق جملة، من التعب وعظم الراحة فسأله الباشا عن سبب موت

<sup>(١)</sup> كانت إملاية البحارة في برنو وطرابلس وغيرها من العصور الوسطى فقد كان طريق طرابلس من برنو أحد الطرق المهمة التي  
يسلكها لمرور برنو وجمال الرحلة.

<sup>(٢)</sup> دوز: هو نوع من الخمر التي تحت تدوير لسوق الرقيق وبيع منها منها من الرقيق، وكانت ردة أحد الأسرى، فهذا خلق الرقيق من برنو.

<sup>(٣)</sup> سبها، أو سبها: إحدى المدن القريبة من برنو، وهي الحطة القريبة للحدود إلى بلاد السودان.

<sup>(٤)</sup> كلمة عن التعب والحرق والذى أتاه بعد الجهد المتعب له.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: ومات له شيء.

<sup>(٦)</sup> الظاهر: هو دابة الركوب.

الرقيق، وعما فعل معه المنتصر فأعلمه بجميع ما حصل، فأغتنظ الباشا لذلك  
وأضمر له سوءاً، وبعد أن راق بالله (أي المكنى) أرك الباشا أن يجرد عسكريا لفران  
يقاتل المنتصر ويملكها له، فسمع محمد المكنى بذلك فحضر أمام الباشا واستأذن  
في التكلم فأتى له، فقال: إنه قد بلغني من معانك أنك تريد أن ترسل عسكريا  
لفران، قال نعم، قال كم ترسل من العساكر، قال الباشا نحو أربعة آلاف، قال  
ليحسب مولاي كلفة الأربعة آلاف من أرزاق ولقوات وظهور وحافر وسلاح  
وبارود (فقام الباشا بحساب ذلك) فكان أكثر من خراج فران، لأن خراج فران إذ  
ذاك نحو خمسة آلاف فراتمة في كل سنة، وكلها ليست عينا بل العين منها الثلث  
والثلث الثاني رقيق، والثالث جنازير وقيود وجلود ونحو ذلك، وذلك لكون  
الجنازير والقيود ياتي<sup>(١)</sup> أهل القوافل بكثير منها لأنهم يجعلون العميد الكبير في  
الجنازير بالنهار حتى وهم سائرون ويقيدونهم بالقيود في الليل، فعندما<sup>(٢)</sup> يأتون إلى  
فران ويبيعون الرقيق تبقى عندهم القيود والجنازير بلا منفعة ولا فائدة في  
عونتهم<sup>(٣)</sup> بها إلى السودان، لبيعونها بأرخص ثمن، وكذلك الجلود، لأنهم يأتون  
بأجربة<sup>(٤)</sup> من جلود البقر فيها لزوك الرقيق، ومتى باعوا الرقيق باعوها أيضا،  
فقال أي المكنى كيف يصرف مولانا من المال ما يزيد على خراج ستة سنين، فقال  
الباشا وكيف اصنع، فقال المكنى إن أتعمت على بحكم فران ثلاث سنين دبرت لك  
أمراً لا تكون فيه خسارة عليك: فقال الباشا قل له فإن كان صوابا حكمتك في فران  
ست سنين، فقال المكنى: الرأي عندي أن تكتب لأمر لجميع من له شوكة في فران  
بأن ولينا أحمد ابن عم المنتصر سلطانا عليكم، فإياكم أن يستفزكم المنتصر  
وتقاتلوا معه، واتحذر من الخلاف (وإن) تكتب لأحمد منشورا بالتولية وعزل  
المنتصر، ثم تكتب لي فرمانا بولايتي وتعطيني مائتي فارس وألفي رطل فراتمة<sup>(٥)</sup>  
وعشرين كسوة وخلعة للسلطان أحمد وخلعة لي، وإن أجز أمرى في ذلك، ففرح

<sup>(١)</sup> في الأصل: ياتي.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: فحينئذ.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: في عونهم.

<sup>(٤)</sup> الأجرة: جمع حربة، والحرب إزاء، يصح من ذلك الأمر لو نسبوا له الأمانة حربة الحروب والحمل به لجمع حربة.

<sup>(٥)</sup> رطل فراتمة: هو الرطل الفرنسي الذي كان يعد أحد المئات الفرنسية في طول البرابا والسودان العربيين.



يوسف باشا وأخرج معه مائتي فارس، وولّزه بكاتبه الخاص المسمى بالقزروق، وأعطاه ثلاثة ألف قرانمة وثلاثين كسوة، وخلعتين منوكيتين وأعطاه من الجمال ما يقبله ويقل عساكره، وأخرج من طرابلس وتوجه إلى قزان ومازال ينجح في السير حتى وصل إلى البلد المسمى بسوكنة<sup>(١)</sup> وهي أول بلاد القزان فنزل بها وأرسل إلى رئيسها فأحضره، وبمجرد حضوره التقى عليه كسوة جميلة وقرأ عليه المنشور الخاص به وفيه الإنذار والتحريض على عدم مساعدة السلطان محمد المنتصر، وأن الولاية لابن عمه أحمد، فقال رئيس البلدة ووجود أهل البلد مسمما وطاعة وأصبح مرتحلا من هناك بعد أن كسا من وجوه أهل البلد ما يستحق الكسوة، التي أن أتى للمحل المسمى بسبها، فأحضر رئيسها وعالمها الشيخ عبدالرحمن، وأخلع عليهما<sup>(٢)</sup> وقرأ لهما فرمان الباشا، فاذعنا بالسمع والطاعة، وأصبح راحلا إلى أن حل قرب المدينة، وهي قاعدة المملكة وتسمى مرزق<sup>(٣)</sup> فأرسل إلى المنتصر يقول له، إني جئت بأمر من باشا لريد أن تحضر عندي لتسمعه، أو تأذن لي بالدخول إلى عنك، وكان المنتصر قد بلغه الخبر قبل وصول العساكر فأغلق أبواب المدينة ووضع الحراس بالبنق وأمرهم أن يضربوا كل من دنا من السور من العساكر، وأن يبذلوا الجهد في الاحتراس ففعلوا، وجاء المكنى بعساكر فلم يدعه<sup>(٤)</sup> يقرب من السور، وكان المكنى قد جلب معه مدفعين صغيرين بعجلهما (حملا) على الجمال فوضع المدافع وركبها على العجل ورمى بهما على السور، فأثر فيه، وأصابته إحدى الكرات<sup>(٥)</sup> يد رجل فذهبت بها، ولما كان من الليل دعا

<sup>(١)</sup> قرية سوكنة تقع على الطريق التجاري بين طرابلس وقرية اليوم على وادي رحمة أمدا من الجنوب الحلال السوداء ومسال ودان من الشرق ومن الغرب منطقة حلال بعلقة وكانت تتبع لولاية طرابلس.

مطرا: كتاب من طرابلس إلى فران مذكرات الرحالة الألماني جون فرانسيس ليون من ٥٧ - ٥٨.

<sup>(٢)</sup> وأخلع عليهما أي كساهما بالخلع السلطانية.

<sup>(٣)</sup> مدينة مرزق هي مدينة إقليم قران، وتبعد عن طرابلس مسافة حوالي شهر بالجمال، وتعتبر أهم محطة تجارية بين مسلاة أمسوق وطرابلس، وله تحت المؤلف عنها بعض من الفصل في هذا الكتاب.

مطرا: من طرابلس إلى فران ومذكرات الرحالة الألماني فرانسيس ليون من ٧٢.

<sup>(٤)</sup> في الأصل "فلم يدعه".

<sup>(٥)</sup> إحدى الكرات أي إحدى القذائف الشاهقة.

المكنى برجل وأعطاه كتابا وأمره أن يتصور السور ويذهب به إلى أحمد، وكان  
الرجل عبثاً سلالاً، فآخذه وتسلق من السور

ولم يره<sup>(١)</sup> الحرس، فتوجه به إلى أحمد وأعطاه إياداً، فلما فضه وجد فيه:  
إلى حضرة السلطان أحمد، أما بعد.. فإنا جننا بأمر من حضرة الباشا وإني أنت  
السلطان، ولأن المنتصر معزول، فإذا أتاك كتابي هذا فقم واجتهد في إطفاء الفتنة  
وافتح الأبواب وخالف المنتصر في كل ما يفعله.. والسلام،،،

فلما علم مضمونه قام قائماً ودخل على ابن عمه المنتصر وقال له: أنت ابن عمي،  
وأنا وأنت رجل واحد قال له نعم، فقال له أحمد فإذا كان كذلك لم أفتحت الأبواب  
ووضعت الحرس وأمرته بالقتال، فقال (المنتصر) يا ابن عمي إني أخاف أن تكون  
حيلة دبرت علينا وعاقبتها تكون سوءاً، فقال أحمد دع عنك هذا الفعل وافتح  
الأبواب والاقبلتك، (ثم) نادى في العسكر فاقبلوا عليه<sup>(٢)</sup> وقال لهم: كل منكم في  
رتبته التي هو عليها يزيد ولا ينقص وقد آل الملك إلى فافتحوا الأبواب وأنزلوا  
الحرس، فقالوا سمعاً وطاعة، وقاموا وفتحوا الأبواب وأنزلوا الحرس، وخرج  
السلطان أحمد بنفسه وأدخل المكنى بعساكره وأنزله بدار الضيافة، واستضافه تلك  
الليلة، ومن الغد أرسلوا لأرباب الدولة كلهم، فحضرُوا إلى الديوان وجاء المكنى  
والزروق وقام الزروق وألقا على قدميه فقام كل من في الديوان (ثم) قرأ عليهم  
كتاب تولية أحمد، وعزل المنتصر وكان مضمونه (بأن):

صدر هذا الأمر العالي من حضرة الوزير يوسف باشا قرامانلي إلى حضرة علماء  
قران وأمرائها وعساكرها ولجناتها، أما بعد، فإن محمد المنتصر قد أعطى نعمة  
فلم يرعها، وولى ولاية فلم يرد إيقاءها وأطلق لنفسه هواها، فرعت في أوخم  
التمراعي ونسي قوله عليه الصلاة والسلام: "كلم راعٍ ولم يكنه ذلك حتى عصي  
أمرى مراراً، وقد نصحته مراراً وجهاراً، وحين لج في طغيانه وعمى عن إصلاح  
شأنه عاقبته بعزله عن منصب قران، ووليت عوضاً عنه أحمد الناصر العظيم  
الثمان، فاسمعوا له وأطيعوا وقد أمرناه بتقوى الله فيما ولى عليه، ولأن بعاملكم

<sup>(١)</sup> في الأصل "ولم يره"

<sup>(٢)</sup> في الأصل "مقبلوا عليه.."



بالتشرع الشريف في جميع الأمور لديه، وبذلك ينجو من القصاص يوم يؤخذ بالتواصي، والحذر ثم الحذر من الخلاف والسلام.. ولما أن تم الكتاب قام هو على النيران ودعا للبائسا وللسلطان، وضربت النوبة السلطانية وأطلقت المدافع ووقد<sup>(١)</sup> الناس لتهنئته وقام الزروق والمكنى وخرجا إلى محل سكناهما، وأقاما فيه ثلاثا ثم اجتمعا بأحمد الناصر وقالوا له: إعلم أننا نريد الرجوع إلى طرابلس ونخشى عليك غائلة المنتصر بعد ذهابنا، ونحن لك من الناصحين وعليك من الخائفين، فإن كنت تقبل نصحننا فالتبض على المنتصر واستصف أمواله، ثم آتله، وإلا فما دام حيا فإنه يتنصص عليك ولا يستقيم لك أمر والسلام، فلما سمع أحمد كلامهما قام من وقته وساعته وقعد في ديوانه ودعا بالمنتصر فلما حضر أمر بالتبض عليه، فقبض عليه، فقال له المنتصر: لم قبضتني، فقال له إعلم أنني وليت هذا الأمر، وليس في خزينتي من المال شيء ومال المملكة كله عندك، فإن أردت أن أطلق (صراحك) أدفع جميع المال الذي عندك، ثم أمر به إلى السجن فسجن حتى دفع جميع ما عنده من المال والمتاع، ولم يبق في بيته شيء، ثم أمر بخنقه بالليل (فقتل) ولما شاع الخبر بموته دخل المكنى مع الزروق على السلطان أحمد وهو جالس في ديوانه، فطلب منه المكنى المال الذي أخذه من المنتصر وقال له هذا (المال) للبائسا، فدفعه إليه السلطان أحمد بقوائمه ثم قال له المكنى: اننا نريد السفر لأن قران ليست بدور إقامة فهبىء لنا ماصرفه البائسا على العساكر، فقال له السلطان أحمد ألم تكن قد أخذت جميع أموال السلطان المنتصر، قال نعم أخذتها، فقتل له أما فيها كفاية لك وللبائسا، قال المكنى: لا، لأن العادة أن مال المعزول والمقتول يأخذه البائسا بسدون أن يحسب عليه وأما ماصرفه على العساكر فيؤخذ من المتولى، فإما أن تدفع لسي جميع ماصرفه البائسا على هذا الجيش وإما أن تترك المملكة لصاحبها يديرها براهه فامتل السلطان أحمد وقال له، كم تُدر هذا المال، فقال (المكنى) بأنه قد صرف على هذه العساكر من أرزاق ومأكّل وملبس ومركب ومحمل وخدمة ماينوف على اثني عشر ألف ريال فرانسا<sup>(٢)</sup> فإما أن تدفعها أو تدفع مئة ألف متقال من الذهب،

<sup>(١)</sup> ن الأمل \* وولدت في ليلة

<sup>(٢)</sup> ن الأمل \* من الفرنسا

فقال السلطان أحمد إني دخلت في هذا الأمر على خزينة فارغة، وأريد أن أقرر على البلاد ماأرضته على قامهني حتى أجمعه، فقال له العجلة العجلة، فقال له السلطان أحمد إن لا أقل من خمسة عشر يوما فقال له المكنى لك ذلك، لكن بعدها لا أمهلك يوما واحدا، ثم طلب<sup>(١)</sup> السلطان أحمد دفتر أسماء البلاد، فوجد فيه<sup>(٢)</sup> مائة بلد غير المدينة، ففرقوا الاثنى عشر ألف دينار على البلاد من موكنة اتى هي أول البلاد من ناحية الشمال الى القطرون التي هي أول البلاد من ناحية الجنوب، وهي ناحية الوداي، ومن زويلة التي هي في المشرق الى الشباطي التي هي في المغرب، كل بلد بحسب مايليق بها، وكتب السلطان أحمد أوامر اتى جميع البلاد، كل أمر مضمونه:

الى فلان رئيس البلد الفلانية أما بعد، فإننا اتسنا الاعانة منكم على المبلغ الذي صرفه حضرة تباشا على العساكر الذين<sup>(٣)</sup> قتموا صحبة المكنى والزرور وخصكم منه كذا وكذا ريالا، فحال حلول أمرنا اليكم تجمعوا المبلغ المذكور وترسلوه صحبة امين من طرفكم مريعا بدون تكؤ، والحذر من المخالفة والتعطيل، والسلام..

ثم ختم الأوامر وأمر النجابين<sup>(٤)</sup> بتوصيل كل كذاب اتى من هو له فركب النجالبون في الحال، وذهبوا بالكتب كل مذهب وكان المكنى قد نسخ من دفتر أسماء البلاد نسخة ثم ذهب الى دار نرله وكتب منها مائة كتاب (جاء فيها):

الى رئيس البلد الفلانية أما بعد، فإن السلطان أحمد أرسل يلتمس منكم دفع ما هو كذا وكذا ريالا فياكم أن ترسلوا له شيئا من ذلك لأن المبلغ المذكور (يمكن أن ينفعه هو) ومن بخله أرك أن يفرمكم اياه والسلام.

وكان أهل البلاد حين جاءهم النجالبون الأول بالكتب احتسوا وجمعوا أنفسهم ووزعوا المبلغ على الرجال كل بحسب طاقته فما راعهم الاورسل المكنى قد اتتهم بالكتب فلما قراوها تربصوا وتراخوا ولم يظهروا عصيانا (وتوقفوا) حتى ينظروا

<sup>(١)</sup> في الأصل "لم دعا السلطان أحمد دفتر أسماء البلاد"

<sup>(٢)</sup> في الأصل "فوجد فيه"

<sup>(٣)</sup> في الأصل "الذين لمعوا"

<sup>(٤)</sup> النجابين: جمع نجاب أو نجيب وهم الذين يركبون الخيل. نسخة المخطوطة توصيل الأوامر والأوامر المستطابة



الى ما يؤول اليه الأمر، فمضت الخمسة عشر يوما ولم يأت أحد بشيء، وفي اليوم السادس عشر أمر المكنى جماعته أن يلبسوا سلاحهم ويأخذوا اهبتهم كأنهم يريدون الحرب واصطحبهم ومعهم الزروق ودخلوا على السلطان أحمد وهو جالس في ديوانه، فرحب بهم وأكرمهم فقال له المكنى يا أحمد هات الدراهم التي جمعتها، فقد طال<sup>(١)</sup> بنا المقام ونريد السفر ووعدنا قد تم البارحة، فقال السلطان أحمد لم يأتني شيء الى الآن، فإظهار المكنى الغضب وقال: يا بلرد لتريد أن نمكث معك طوال الدهر ونترك حديث سيدنا الباشا لأجل خاطر، ثم نادى بالزروق ماذا عنك من الأمر، فقام الزروق واقفا على قدميه وقال: يا أرباب الديوان اعلموا أن السلطان أحمد رجل لا يصلح للسلطنة وهو معزول كما أمر بذلك سيدنا يوسف باشا، ومد إليه يده فجذبه من كرسيه فأكبه على الأرض وقال لأعوانه الواقفين خذوه فأخذوه الأعوان في الحال، ومزقوا ما عليه من الثياب وقتلوا (المكنى) مر فيه بأمر، فقال المكنى لأهلبوا به الى السجن ونقلوا أغلاله وقيوده فجمعوا يده على عنقه وسحبوه مهانا ذليلا ثم فعلوا به ما أمرهم المكنى، وفي الحال<sup>(٢)</sup> جلس المكنى على كرسى المملكة وأرسل الحجاب والأعوان ودعوا جميع أرباب الديوان كاتباضي والمفتين وكبار التجار والوزراء وأرباب المناصب فحضروا وجلس كل في المحل المعد لجلوسه وأخرج الزروق فرمانا ووقف على قدميه ووقف كل من كان حاضرا ثم قرأ الزروق المنشور بتولية المكنى حاكما على قرآن وعزل المتولي<sup>(٣)</sup> عليها، وكان قد اجتمع في دار المملكة أناس كثيرون، وبعد أن قرأ المنشور ضربت النوبة السلطانية وأطلقت المدافع ووقع في تلك الساعة الزحام فاختلف أحد العسكر الفقراء عمامة رجل وراه المكنى فأمر بمجيئه بين يديه، فلما مثل بين يديه سأله لم خطفت العمامة، هل احتلأ<sup>(٤)</sup> لي حتى يقال أنني غير عادل، ثم أمر به بضرب خمسمائة كرباج، وأخرج الناس يرتجفون<sup>(٥)</sup> خوفا، وكان

<sup>(١)</sup> في الأصل: "لأنه طال ما"

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "وكان المكنى قد نال الموت"

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "المتولي"

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "لم خطفت العمامة احتلأ"

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "وخرج الناس يرتجفون"

هناك جماعة<sup>(١)</sup> من أولاد ملوك فزان فحينما<sup>(٢)</sup> رأوا عسف المكنى وما فعل فسروا،  
 (حيث) فر بعضهم إلى بلاد السودان وبعضهم إلى ابن غازی، ثم بعد ذلك جاءت  
 أم أحمد الناصر إلى المكنى وسألته في إطلاق ولدها من السجن، وتوسلت إليه  
 بجماعة من أمراء النوبة، فقال لن إطلاقه حتى اخذ منه كلفة العساكر، وكان قد  
 بلغه أن أمه لديها<sup>(٣)</sup> مال عظيم اكتنزته من مال أبيه، فشدد في طلبه، وعلق  
 إطلاقه على حضور المال، فصارت العجوز تحضر له المال شيئا فشيئا حتى لم  
 يبق عندها شيء ينفع، ثم أمر بخنقه ليلا فخنق، فجاءت أمه تطلب فكاكه فأمر  
 بإعطائه لها، وأخرجوه لها ميتا فطار عليها فقالت له، بأى جرم قتلته، قال قتلته  
 قصاصا بالمنتصر (نقد) قتله (ابنك) بغير حق، ثم قبض على وزير المنتصر  
 الحاج عثمان وأخيه الحاج يوسف واستصفا أموالهما وأطال سجنهما، ففر الحاج  
 يوسف (بواسطة) حيلة دبرت له وبقي الحاج عثمان في السجن إلى أن مرض  
 وأشرف على الموت فأخبر المكنى بشدة مرضه فأمر بإخراجه إلى داره، فأخرج  
 ثم مات بعد أيام قليلة، واستوزر المكنى بعدهما الوزير الكامل المرحوم أبي بكر بن  
 خلوم، وكان فتى عاقلا رئيسا جوادا سخى الكف، من عرب أوجلة.  
 ثم عسف المكنى بأهل فزان عسفا قبيحا، وجعل على كل بئر من آبائهم  
 ريالا فرانسا وجعل على كل مائتي نخلة ريالا كذلك، وتحسب من أصل المائتين  
 كل جبارة لها جراند، وهذا خلاف ما يأخذه من الجنائيات، وكان لمرزق قاعدة  
 مملكة فزان سبعة أبواب فأغلقها، ولم يبق إلا بابا واحدا، وأوقف<sup>(٤)</sup> على الأبواب  
 مكاسين<sup>(٥)</sup> يأخذون على كل حمل من الأحمال الداخلة ريالين فرانسا، سواء كان  
 مملوءا خيشا أو حريرا، وزاد في مكس الرقيق سنس متقال ذهبيا.

<sup>(١)</sup> في الأصل "وكان هناك من أولاد ملوك فزان جماعة"

<sup>(٢)</sup> في الأصل "حين رأوا"

<sup>(٣)</sup> في الأصل "وكانت له ثروة من ذهب"

<sup>(٤)</sup> في الأصل "واحتفت على الأوابد"

<sup>(٥)</sup> مكاسين "أي سلع الخراف في الخرقات"



ثم غزاه أولاد سليمان<sup>(١)</sup> وهم قبيلة عظيمة من أعراب البادية فقتل منهم كثيراً وهزمهم (وكان) سبب اغارتهم عليه أنهم كانوا أمنين<sup>(٢)</sup> ليوسف، وكان الباشا وكلأ قبهم طريق فزان يؤمنونها من كل قاطع طريق، ولهم عليه عوائد وخلع في سنة، وكان كبيرهم يسمى سيف النصر، وكان منهم بطون يسمون أولاد بشر، فتحيل يوسف باشا وألقى العداوة بين جماعة سيف النصر وأولاد بشر، ولما قتل أحمد بن سيف النصر، فقتلن (أحمد لذلك وخرج من طرابلس لئلا بحيلة تمت له) وعصى أمر الباشا، وصار ينهب القوافل ويقطع الطريق على المارين، فدعا الباشا أولاد بشر وكساهم ووعدهم<sup>(٣)</sup> خيراً وأسنى جائزتهم، وأخرج معهم عسكرياً لقتل أولاد سيف النصر، فذهبوا صحبة العساكر وقتلوا أولاد سيف النصر ونقلت الوطأة على أولاد سيف النصر فأنكشوا وأجلوا إلى فزان، فقتلوا أنهم يملكونها من يد المكنى ففعل بهم ماكرنا وانهزموا في البراري والقفار ثم إن يوسف باشا غدر بأولاد بشر وقتل منهم ألفاً من كبارهم، فأقتل منه من أقتل وبقي الحيان عدوين له، وذلك من طمعه وسوء تدبيره وغدره، وأول غدر وقع منه (كان) بأخيه أحمد باشا، وذلك أن السلطان سليم خان<sup>(٤)</sup> عليه محتائب للرحمة، أعطى مملكة طرابلس

١. أولاد سليمان قبيلة عربية كثيرة كانت تسير على الطريق البحري بين طرابلس ودمشق، وكان لمرادها مرهون الخشب ولا يستطيع أحد المرور على هذه الطريق إلا بعد دفع الأثوة لهم، ولهذا كانت العرب منهم وبنو والي طرابلس وما حكم في نكالا لأمير يوسف من حملوا العرب على والي طرابلس فوضع الوالي خطة حرباً وجمعهم بلوة كبرى فهزمهم وهربوا إلى الحدود المصرية ومن هناك أخذوا يشتدون الحملات على الطرق، لكن الوالي أمد عليهم بدعوههم إلى ديارهم وأخذ معظمهم ونزلوا بسجون بسيف القهائل ولكن لا زال أهل مصر يخطرون سولهم وعلمهم.

متر: الرحلة من تونس فرانسيس ص ٤٥-٤٦.

<sup>(٢)</sup> أمنين \* أي مطمئنون وسالين.

<sup>(٣)</sup> في الأصل \* ولوعدهم.

<sup>(٤)</sup> السلطان سليم خان، هو ابن السلطان بايزيد الثاني حكم الدولة العثمانية في الفترة من ١٥١٢ إلى ١٥٢٠ بعد أن نازل له أخوه مسين الحكم واستطاع التخلص من أخيه أحمد عام ١٥١٣ وكانت الدولة العثمانية تشهد مصراعات وتورات في الشرق والغرب فقد حوّلته وألغى نحو بلاد فارس، وفي مدينة تبريز التي تخوضها إسماعيل الصفوي في سهل تشاد بران فخره واستولى على بلاد فارس عام ١٥١٤م وفي طريق عودته مع الخروج للعثمانيين لمملكة الصفوي فأنه أتهم وألحق بهم في مرج فقتل فخرهم وقتل السلطان الصفوي في الشراك، ومرت طرقة إلى مصر فجمعهم السلطان سليم خان الذي أتم في منطقة أربقانية بحرب العاصية الخالية فغرم السلطان طومان باي لآلة السلاطنت ودخل السلطان سليم القاهرة عام ١٥١٧م وفرض على طومان باي وقلة لسلطنت دولة السلاطنت وانضمت إلى الدولة العثمانية كل من مصر والشام والجزائر وانضم السلطان سليم في جهوده لضربا حتى توفي عام ١٥٢١ ومثله ابنه الواسع السلطان سليمان.

متر: د. عبد الحزير الصفوري، الدولة العثمانية دولة مغربي عليها ج ١ ص ٢١٠.

المغرب لعلي باشا برغل ووجه معه العمارة السلطانية صحبة قيودان باشا وكان إذ  
 ذاك حسين باشا، ولما تم الأسطول إلى طرابلس وكان واليها هو أحمد باشا  
 قرمانلي<sup>(١)</sup> أخو يوسف باشا، فأرسل على باشا كتابا إلى علماء أهل البلد وأرباب  
 الحل والعقد فيها مضمونه:

إن مولانا السلطان سليم خان، عز نصره تفضل على وأعطاني طرابلس  
 مملكة لي وما لنا قد جنتكم بأمره، فانظروا ماذا ترون وردوا لي جوابي سريريا  
 وأن ابطأتكم بعد ست ساعات خدمت عليكم سور البلد بالمنفع واختتها غوة وأفعل  
 بكل منكم ما يستحقه، وحين وصل الكتاب إلى يد أهل العلم افتوا أنه لا يجوز قتال  
 عساكر السلطان فإن قتالهم كفر، فدار أحمد باشا وأخوه يوسف باشا على الناس  
 يسألونهم النجدة فأبوا عليهم، وقالوا لا يمكننا قتال عساكر السلطان، ونحن مأمورون  
 بطاعته من الله ورسوله، وحين رأوا ذلك خافوا أن أقاما بالمدينة (أن) يدخل عليهما  
 على باشا ويقبضهما ويرسلهما إلى القسطنطينية أو يقتلها أو يؤبد سجنهما، فخرجا  
 ليلا إلى تونس بنسائهما وأولادهما وخنمهما وأتباعهما، وأرسلوا إلى المرحوم  
 حمودة<sup>(٢)</sup> باشا يعلمه بقصتهما، فأرسل لمقابلتهما الوزير مصطفى كاهية فأدخلهما  
 (تونس) في موكب عظيم وأنزلهما دارا واسعة جميلة، وأجرى لهما من الأرزاق  
 ما يزيد عن كفايتهما فمكثا في تونس (مدة) في أرغد عيش وأهنة (وكنت منتهما)  
 سنة وستة أشهر ثم إن علي باشا طمعت نفسه فأخذ جزيرة جربة، ومع أنها كانت  
 من أعمال طرابلس وأن صاحب تونس أخذها ظلما (الا أنها أصبحت تتبع لتونس)  
 حتى أرسل إليها علي باشا أسطوله فملكها، فوقع الخبر على المرحوم حمودة باشا

<sup>(١)</sup> أحمد باشا قرمانلي هو مؤسس الأسرة القرمانلية التي كان لها الفضل في تأسيس الدولة العثمانية في حدودها الحالية، وكان أحمد  
 تركي الأصل حصل عليها في الأسطول التركي في طرابلس، واستقر فيها، ودخل في أهلها ونزوح منهم واستقر وكان لها مؤسسا  
 ظهوره، وكانت الدولة له عانت الكثير من صناد الحكم التركي خلال القرن السادس عشر والسابع عشر الهجريين فقرر ضرورة  
 بحكم البلاد، وبعد مقتل إمام حليل باشا عام ١٥٦٢م تمكن أحمد باشا من أهل البلاد وسقوط السلاطين العثمانيين فقرر لها  
 مخرج السلطنة على ذلك فصار أحمد باشا على المنبر العسكري أن لم تكن البلاد من رغبه مدحمة كبرى، وأسس أسرة  
 عسكرية لها واستطاع هذه القوة أن تمت حصة في الحكم، ولما جمع قروا من طاعة من استقر على القسطنطينية التي تسمى القسطنطينية  
 وروى باشا أسطولا غربا في البحر المتوسط، وفاد به القواعد البحرية ضد الأساطيل الأوروبية فصارعت أوروبا وحررت لكسب وده بما  
 ليسر السلطات العثمانية على الاعتراف له بحريته السلطنة في آسيا من بعده فاستمر حكمه عليها حتى عام ١٧٩٣م.

<sup>(٢)</sup> حمودة باشا هو (والد تونس) من قبل الدولة العثمانية في ذلك التاريخ.



فعمّهم عليه وكبر لديه وقال: هذا الرجل أخذ طرابلس بغير حق، وأن مولانا  
السلطان سليم ما أعطاه طرابلس هذه، بل أعطاه طرابلس الشام، وعلى سبيل الغلط  
جاء وملكها، وما نزل عنه فطمع فيما في أيدينا ثم دعا لأحمد باشا صاحب طرابلس  
وأخيه يوسف وقال لهما، إني أريد أن أخرج معكما عسكرياً يأخذ لكما البلد من يد  
علي باشا برغل ويمكنكما من البلد، لكن لا أفعل ذلك إلا إن ضمنتما لي مصروف  
العساكر التي تذهب معكما، فضمننا له ذلك، وكتب أحمد باشا بذلك كتاباً شهد فيه  
على نفسه وجميع من حضر من أرباب الدولة وختمه بختمه وكتب بعده أخوه  
يوسف وكان يسمى إذ ذاك يوسف بك، وقال إني أشهد على نفسي أنني التزمت  
بجميع المصاريف التي لزمّت العساكر من جزية والدنا العظيم من خزينة والدنا  
العظيم حمودة باشا وأن ادفعها إليه إن قدر الله على أخي أحمد باشا بالتدري لا بد منه  
فأكون أنا المسئول بدفع المبلغ بعده... والسلام

وختمه بختمه، واتخذ الأمر على ذلك ثم أخرج المرحوم حمودة باشا طائفتين  
عظيمتين من الترك ومن طائفة البربر المسماة بزواوة، وجعل نظير الجميع  
للمرحوم مصطفى كاهية وأمر أحمد باشا صاحب طرابلس أن يكتب أكبر أهل  
بلده ووجوه الدولة سرا ويعلمهم أنه قادم إليهم<sup>(١)</sup> بالعساكر التونسية، فكان كذلك،  
ولما وصلت الكتب إلى طرابلس وقرأها أربابها فرحوا غاية الفرح، لأن أحمد باشا  
كان رجلاً حليماً، وعلى باشا برغل كان رجلاً جباراً وثقلت وطأته على البلد وجار  
وقبض على كثير من وجوه الناس واستصفي أموالهم، وحين جاءت العساكر إلى  
طرابلس أراد علي باشا برغل أن يقاتل فخلوه واستمعوا عن القتال، ولما رأى  
الأمر آل به إلى ذلك ركب في سفينة وهرب إلى ثغر الاسكندرية ودخل أحمد  
باشا إلى دار ملكه، وأحسن إلى مصطفى كاهية وإلى أمراء العسكر، فأرسل  
صحبتيهما هدية سنية إلى المرحوم حمودة باشا ورحل المرحوم مصطفى كاهية  
بعساكره إلى تونس وبقي أحمد باشا وأخوه يوسف بك فابقي يوسف أخاه نحو  
أربعة أشهر وأحسن إلى الطوبجية وربط معهم<sup>(٢)</sup> وجعل أمره سرّاً وفي يوم من

<sup>(١)</sup> في الأصل "قادم إليهم"

<sup>(٢)</sup> وربط معهم: أي قفل معهم على استلام الحكم من أمه أحمد.

الأيام خرج أحمد باشا إلى النزهة في المنشية، وهي بلد عظيمة أمام طرابلس، كلها  
بساتين وكل بستان فيه بيت أو قصر على حسب أحوال الناس، وكل رجل من أهل  
طرابلس له محل في المنشية يتنزه فيه، وأكثر أهل طرابلس يمكثون في المدينة  
للبيع والشراء والأخذ والعطاء، طول نهارهم، وعند المغرب يتوجهون إلى دورهم  
بالمنشية وهي أنزه مكان يوجد بطرابلس.

ولما خرج أحمد باشا إلى المنشية تخلف عنه أخوه يوسف، وكان من عادته  
أن يذهب معه أينما<sup>(١)</sup> ذهب، فتعلل بوجع في رأسه وتخلف وترك أخاه وعندما  
ابتعد (أخوه) عن المدينة أطلق (يوسف بك) باب المدينة، وأمر الطوبجية أن  
يوجهوا المدافع إلى جهة المنشية، وبلغ الخبر إلى أحمد بأن المدينة قد أغلق بابها،  
فكر راجعا خوفاً من<sup>(٢)</sup> أن يكون قد طرقتها عنوة، فلما قرب من السور مراعه إلا  
للمدافع قد أطلقت عليه وعلى أصحابه، فمات منهم جمع كثير، فالتقلب أحمد باشا  
بمن معه من أولاده وبعض العساكر، وجعل يجد في السير حتى نزل بمبراتا وهي  
بلد عظيمة كلها عساكر، لأن أهلها كلهم أولاد أتراك، وأكثر عسكر طرابلس منها،  
فاستجدهم أحمد باشا أن يرجعوا معه إلى طرابلس لحرب يوسف أخيه فلم يجد  
عندهم مايسره، ولرتحل عنهم وجد في السير إلى أن وصل إلى مصر، ودخل  
على واليها صاحب السعادة الحاج محمد علي باشا، وكان إذ ذاك مقبلاً بالسفينة  
الاسكندرية، فأعظم ملقاه وأجرى له أرزاقاً، وبعد أيام من ذلك وصل الخبر إلى  
يوسف باشا بأن أخاه في مصر، فاحضر سفينة وأنزل فيها حريم أخيه وبقية عياله  
وزودهم وأمر قيودن السفينة أن يوصلهم إلى أخيه أحمد باشا بالسفينة الاسكندرية،  
ثم إنه قطع يده من المرحوم حمودة باشا ولم يوف بالمبلغ الذي كان (قد) أشهد به  
على نفسه وجحد إحسانه وظلمه والله نرُ الثقاتل حيث يقول:-

والظلم من شير الثوم فان قد  
ذا عتة فلعله لا يظلم

(١) في الأصل "مهما ذهب".

(٢) في الأصل "مروعا ان يكون".



لكن المرحوم حمودة باشا لم يعامله بأفعاله، بل حين رأى منه ذلك تركه ولم يعاقبه ولم يطلب<sup>(١)</sup> منه مالا ولا نوالاً، وأحرب ما وقع من يوسف باشا المذكور أنه لما مات إلى رحمة الله تعالى المرحوم حمودة باشا جاء رجلٌ من الحمارة إلى يوسف باشا وهم من أعراب بلادية تونس وبشره بموته، فخنق عليه وأكرمه وفرح غاية الفرح كأنه بشر بموت أعظم أعدائه.

ونرجع إلى سياق قصة السلطان<sup>(٢)</sup> صابون، وهو أنه لما فتحت له طريق أوجله اعتمد عليها وأرسل قوافل منها مراراً، ولما كانت مصر من أوجلة أقرب من طرابلس، جاءت إليها القافلة وذهب بعضها إلى ابن غازي لقربها أيضاً، وبلغ الخبر إلى السلطان صابون أن قافلته تلج مصر وأن بها حاكماً عادلاً جليلاً، فأرسل إليه هدية وكتاباً يطلب منه العودة واتصال القلوب، فأرسل حضرة والده عسكر باشا هدية للسلطان صابون وأصحابها القاروش<sup>(٣)</sup> ونفرين من أتباعه وكتاب يدل على ما التمس السلطان صابون من والده<sup>(٤)</sup> وفي أثناء ذلك<sup>(٥)</sup> فطنت القبيلة المسماة بزغاوة<sup>(٦)</sup> بمرور القافلة عليهم، وعلموا أنها ليست بذات شوكة فاعتنوا لنهب القافلة ووصل القاروش بالكتاب إلى السلطان (صابون) فأكرمه<sup>(٧)</sup> ومن معه، {ثم} أرسل قافلة صحبة للقاروش {نفسه} وأعطاه هدية جلييلة، {الحاكم مصر} ولما جازوا بلاد الزغاوة خرجوا عليهم وكبسوهم وقتلوا القاروش والمقاتلة من أهل

<sup>(١)</sup> في الأصل "ومطلب منه مالا".

<sup>(٢)</sup> حمودة الكتاب على الحاكم بعض وأحداث طويلة لمطع هذا سياق الحديث ثم حمودة أنه بعد حديث طويل.

<sup>(٣)</sup> القاروش: أحد القواد الشرين في السلطنة.

<sup>(٤)</sup> وهذا دليل واضح على أن العلاقات بين وداي ودول شمال إفريقيا حميدة مصر وطرابلس وكانت الحمارة تقوم بدور كبير في توطيد العلاقات بين شمال إفريقيا وسوريا.

<sup>(٥)</sup> في الأصل "وكان لا يثق".

<sup>(٦)</sup> الزغاوة: من قبائل البربر الأصلية التي هاجرت إلى ليبيا منذ عصور قديمة، كانت موطنهم الأصلي شمال ليبيا والصحراء الأفريقية ثم انتصروا جنوباً حيث وادي البحر ونجدة لنجد وبنى دارفور وذلك نتيجة العوامل السياسية وظروف طبيعة الصحراء التي أجبرتهم على هجرة القبائل من الشمال إلى الجنوب وهم في حركة دائمة يهاجرون باخوينسة والجنسناط يهاجرون بالزراعة والصحرة والرعي، واستقر بعضهم في شمال دارفور ويشتق القوتون في كل أنحاء السودان، وعظم نسبهم وباحترامهم العربية بحسب لغتهم المحلية وهم عربون في الأصل.

متر: Macmichael O.P. Cit P. ٥١ عند أبي محمد كبر. الدول الإسلامية في غرب إفريقيا في القرن الثامن الهجري ص ٤١.

<sup>(٧)</sup> في الأصل "وأكرمه".

القافلة، واخذوا ما فيها من الاموال، (وحينما) بلغ الخبر الي السلطان صابون ارسل جيشا كثيفا فقتل من الزغاوة مقتلة عظيمة، وحين بلغ الخبر الي حضرة الوزير الحاج ابراهيم باشا ووالده المعظم، اخطافا لذلك وجهزا جيشا كثيفا على كردفان لنصر المرحوم محمد بك الدفتردار وقصد بذلك نكابة السلطان محمد فضل فأرجف في دارفور أن عساكر مصر قادمة، وخافوا أشد الخوف فقصد الدفتردار كردفان<sup>(١)</sup> وعارضه عبد السلطان المقيم بكردفان وهو المدعو مسلم، فقتله العسكر في الحرب، وملك كردفان وما والاها وبقيت في يد حضرة ولي النعم الي الآن، وهي سنة ١٢٥٣هـ - (١٨٣٧).

ثم أن السلطان صابون جهز قافلة عظيمة خرج فيها المرحوم السيد أحمد القاسي ومعه من الاموال ما لا يحصى كثرة، وأمرهم بالتوجه الي مصر عن طريق<sup>(٢)</sup> أوجلة، وأخرج معهم جندا كثيفا لحمايتهم حتى دخلوا دار الزغاوة، ودخلوا بلاد البنيات، ومنها ضربوا البر فضلوا الطريق ونفذ ما عندهم من الماء حتى أن الشربة من الماء الفواح بيعت بسبعين فرانسا، وذبحوا إبلا كثيرة وصاروا يعصرون الفرث ويأخذون الماء الذي فيه ويعرضونه للهواء حتى يبرد (ثم يشربونه) وبيعت الشربة فيه بسبعة فرانسا، وهكذا حشنى الم رابط عمر المصراقي ومن كان معه والعهدة عليهم، ولما أشد العطش بالناس مات رقيقهم وكثير من أحرارهم وأيقنوا بالهلاك، وكان الشريف أحمد القاسي معهم كما ذكرنا وكان عنده ماء كثير فطلبوا منه ماء<sup>(٣)</sup> (لانتقاذ حياتهم<sup>(٤)</sup>) من الهلكة، فأبى وقال أنا صاحب عيال وفي هذا الماء حياة لنفسى وعيالى وهؤلاء العيال صغار، وأنا مسئول عنهم يوم

(١) ورد في بعض المخطوطات قول: أتلف علي أن استهلك محمد علي باشا لكردها من السودان\* ولعل هذه العبارة مأخوذة من القتل وهي إشارة إلى تصحيح الخطأ التاريخي الذي وقع فيه المؤلف ذلك أن حنة الدفتردار كانت علي سودا ولي ولي وكانت ردا لعمها من محمد علي باشا علي المعلنين والناخبين الذين ظفروا به اسمها لانا في منطقة حشنى بالسودان بقيادة ذلك ثم ملك المعلنين.

مصر: في ذلك كل من: عبدالرحمن فراسي، عمر محمد علي، ص ٢٤١.

مكن شبكة السودان هو المرحوم ص ١٥١.

نعم ظنوا: تربع السودان ومصر ص ١٦١.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "عن طريق".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "لنشواته ماء لخدمة أنفسهم من الهلكة".



القيامة ولن<sup>(١)</sup> أكون سبباً في موتهم، فقالوا له بع لنا الماء بما تريد من الثمن  
واكتب علينا وثائق، فأبى أيضاً ولما رأى أهل القافلة أن العطش قاتلهم لامحالة،  
قالوا للشريف إما أن تعطينا الماء طوعاً أو نأخذه كرهاً عنك، ثم أقبل ماتريد لأنه  
لا يحل لك من الله أن يكون عندك الماء وتموت (نحن) عطشاً، فأبى أيضاً وحين  
راوه مصمماً<sup>(٢)</sup> على الإباء اقتحموا عليه الخيام وأخذوا منه الماء كرهاً عنه،  
واقسموه بينهم وتركوا له (نصيبه<sup>(٣)</sup> من الماء) كواحد منهم، فمات جميع رقيقه من  
العطش ثم سهل الله عليهم ووصلوا إلى جاثوا بالسلامة، واكثروا جمالا ورجعوا  
إلى المحل الذي ماتت فيه أبليهم وذهبوا في البر فجاعوا بحمول الصمغ ومن الفيل  
ودهن<sup>(٤)</sup> النعام، وذهبوا بها إلى بني غازی وباعوها هناك، وانتقل للشريف أحمد  
إلى طرابلس واستفتى العلماء في من غصب منه الماء حتى مات رقيقه كله، ليغرم  
أم لا، فافتوه بأنه يلزم أهل القافلة غرم ثمن جميع الرقيق الذي مات، فأخذ الفتوى  
منهم وسكت على ما عنده (ثم) رجع إلى دار وداى، ولما دخل على السلطان أكرمه  
ورده إلى وزارته، فأخرج الفتوى وضبط من أتى بصحبته من أهل القافلة وأخذ  
منهم جميع ما عندهم من المال، وصار يترقب كل من جاء منهم فيضبطه  
ويستصفي أمواله، بمقتضى مامعه من الفتوى، حتى أخذ عوض ماله بل أكثر منه  
بأضعاف مضاعفة، وذلك كان سبباً في<sup>(٥)</sup> موته بعد موت السلطان صابون، ذلك  
أنه كان شديد البأس عنيف المواقف على ملوك الوداي، يؤذيه ويحبهم ويلعنهم  
ولا يقضى لأحد منهم حاجة إلا ويأخذ منه رشوة، فلما مات السلطان صابون اتفق  
أهل الوداي على قتله لتلك الأمور، ولكون أمراء الأجناد كانوا يتوسلون إليه  
ويستشفعون لديه في التجار الذين كان يسجنهم ويستصفي أموالهم، فكان لا يقبل لهم  
شفاعة، (فحقروا<sup>(٦)</sup>)، عليه فلما أجمع أمرهم على قتله تسوروا عليه الدار وقتلوه

<sup>(١)</sup> في الأصل "ولا أكون"

<sup>(٢)</sup> في الأصل "حين رآوه مصمماً على الإباء"

<sup>(٣)</sup> في الأصل "وتركوا له ما كان لهم"

<sup>(٤)</sup> دهن النعام هو دهن يستعمل في معالحة المروج والكورة والحروق للمفا والمفا للمص

<sup>(٥)</sup> في الأصل "وذلك كان سبباً في موته"

<sup>(٦)</sup> في الأصل "فانظروا عليه"

ليلاً وانتهبوا جميع ماله وأنخلوه دار السلطان، وكان في مصر رجل من أهل طرابلس الغرب يعمل أغشية<sup>(١)</sup> السروج بالقضبة المسماة في عرف أهل مصر بالقصب، فكان يعمل غواشي جيدة وكان ذلك في ابتداء دولة ولي النعم الحاج محمد علي باشا، فقدم من صناعته هدية لسعادة الوزير فأعجبه صنعه فأمره أن يصنع له ولعماليكه غواشي (مماثلة) ولأن يأت بها لأرباب دولته فأكبوا عليه، فاستفاد منهم فائدة عظيمة، وذلك قبل أن يغشوا السروج بصفتح لفضة، فكثر مال هذا السروجي وكان يسمى السيد محمد الطرابلسي وحين جاءت القافلة الوداوية إلى مصر عن طريق جاثو كان فيها رجل من المجاورة والطرابلسية فاجتمعوا على السيد محمد السروجي وأخبروه بكرم السلطان صابون ومكارم أخلاقه، فشرحت في نفسه للذهاب إلى وداي فصنع غاشيتين ممتنتين<sup>(٢)</sup> واشترى جارية بيضاء جركمية بعشرين كيساً، وأخرى حبشية بكرأ، وأخذ الجميع معه هدية للسلطان، وتوجه صحبة القافلة، وتوجه بها أيضاً على المرحوم السيد الطاهر بن سليمان شقيق والذي وصحبه الطيب بن جلون، تاجر بالغورية، وأصله من المغرب، وصحبها السيد محمد البنزرتي، وكثروا الثلاثة شركاء في مال واحد، وكان بينهم وبين السروجي حرازة حين كانوا في مصر، فكان إذا مر بهم جالسين أو راكبين سائرين<sup>(٣)</sup> قال لمن حوله أنظر واليهود تغورية، وما زال يسبهم وهم لا يعيرون له جواباً، حتى وصلوا إلى دار وداي، ولما دخلوا عاصمة وداي<sup>(٤)</sup> أدخل محمد السروجي على السلطان الجاريتين والغشيتين فوكت هديته من السلطان أعظم موقع، وأحبه حباً شديداً، وأستوزره وأعطاه ماينوف عن مبعثاته رأس من الرقيق، وأعطاه إيناً وبقراً لا تحصى، وصار مقبول الكلمة، ومكث في دار وداي أكثر من خمسة عشر يوماً، حتى توفي والذي إلى رحمة الله تعالى وغفراته، وكان السروجي لما دخل دار وداي سمع بصيت والذي عند السلطان، هاب عسى وصاحبيه فتصمر لسانه عنهما، ولما مات زال عنه الخوف وبسط لسانه حتى أنه

<sup>(١)</sup> الأصل: جمع غاشية وهي من التصويغات الغشبية التي توضع على سروج الخيل ويرى أحياناً بأصعدة والمطروء للثوب.

<sup>(٢)</sup> ممتنت: ممتدة من المارحة السودانية أو الشاة على المعنى أي ماتت المارحة كناية عن الغرابة.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "لو راكع وهم سائرون".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "ولما دخلوا إلى دار وداي".



إذا كان في بعض المجالس ونكرت سيرة والذي قال إنه دخل جسداهم بسبعة  
 مشاعل، وجاء الحاضرون وأخبروا عمى السيد أحمد زروق بذلك، فأعطاء لذلك  
 واضمر له سوءا (لكنه) خاف أن يضربه أو أهله بغير سابقة بينهما (أن)  
 ينحرف<sup>(١)</sup> عنه السلطان، فاتفق أنه كان جالسا في مجلس وذكر فيه السروجي فقال  
 بعض أهل المجلس: (إن) هذا السروجي لا يعلم أمر مسلم أو نصراني، فقيل له ولم  
 ذلك؟ فقال: إنه لا يركع لله ركعة، ومعناه أنه لا يصلي، فسرى الغم عن عمى بسماع  
 هذه الكلمة، (ثم سأل الراوي قائلا) أحق ما تقول؟ قال أي والله، فقال له عمى أشهد  
 بذلك أمام القاضي بن طليبت للشهادة قل نعم، فقال له عمى وهل تعرف من يشهد  
 معك على ذلك، قال كثير، فلان وفلان وفلان، وسمى جملة أناس من المخالطين له  
 في الأوقات، فلما أصبح عمى توجه إلى المحكمة وطلب السروجي فأحضر، فلما  
 حضر قال (عمى) أيد الله القاضي إني أدعي حصة لله عز وجل إن هذا الرجل  
 تارك للصلاة<sup>(٢)</sup>، فلا يركع لله ركعة، قال القاضي للسروجي<sup>(٣)</sup> أحق ما تقول هذا  
 الرجل أنك لا تصلي، فأدعي السروجي أنه يصلي، وإن هذه الدعوة لا أصل لها،  
 فطلبت من عمى البيعة على صحة دعواه، فأحضر جماعة ممن ذكر فشهدوا بأنه  
 لا يركع لله ركعة، وأنهم عاينوه سافرا وحضرا مرأوه صلى فرضا من فرائض  
 الله، فخاف القاضي أن أجرى عليه<sup>(٤)</sup> القصاص ولم يعلم السلطان ربما احتياط  
 لذلك، فكتب الدعوة بتمامها وأرسلها إلى السلطان، فكتب السلطان بأجراء حكم الله  
 ولو على والده، ففرح القاضي بذلك، وأمر بضربه الضرب المؤلم فعززه وأهله،  
 وبسبب ذلك كرهه السلطان وحجبه عنه<sup>(٥)</sup> ولما رأى ذلك طلب السفر إلى بلاده  
 فلأن له السلطان في ذلك، وكانت (هناك<sup>(٦)</sup>) قافلة متوجهة من الطريق الجديد  
 فسافر، فيها وثمانوا السلامة فوصلوا سالمين لم يصيبهم من المشقة شيء، وتوجه

<sup>(١)</sup> أن منحرف من السلطان أي أن يغير عنه السلطان ويخونه.

<sup>(٢)</sup> في الأصل "أن هذا الرجل تارك الصلاة...".

<sup>(٣)</sup> في الأصل "قال القاضي للسروجي وقال له احمل ما حمل هذا الرجل...".

<sup>(٤)</sup> في الأصل "فدعي القاضي له أن لا يصلي...".

<sup>(٥)</sup> هذا الترفيع يدل على مدى تمكن مولاه الخوم بالدين...".

<sup>(٦)</sup> في الأصل "وكانت القافلة متوجهة...".

المروجي بماله إلى ابن غازي فقربه محمد بك بن يوسف باشا<sup>(١)</sup> (ثم قبض عليه وأخذ جميع ماله وتركه لأيمك شينا فتحيل حتى وصل إلى مصر<sup>(٢)</sup> وهو فقير الحال من المستضعفين الفقراء، ثم أن محمد بك المذكور وقع بينه وبين والده وحشة ففر إلى مصر واستجار بصاحب السعادة فأجاره، وعين له الأرزالات والرواتب وكتب المروجي إلى صاحب السعادة يشكو<sup>(٣)</sup> محمد بك وأنه ظلمه وأخذ أمواله في ابن غازي، فلم يقبل ولي النعم (الشكوى) في محمد بك المذكور وقال: رجل في محل ولايته وفعل في أحد رعاياه، فإنه لا علاقة لي به فأتى أمر المروجي إلى أن مات وهو يكفئ الناس، نسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة، لأن من أعطى نعمة ولم يشكر خرج منها ولم يشعر والله در لقائل:

إذا كنت في نعمة فارعها      فإن المعاصي تزيد النعم

وداوم عليها بشكر الإله      فإن الإله سريع النعم

ولنمك علان القلم عن السباق في ميدان هذه الأوراق إذ التطويل مورت للكسل جالب للملل، والله ورسوله أعلم بما كان وما يكون.

<sup>(١)</sup> هو محمد بك بن يوسف باشا القرملي ولده أموره حاكما على بن غازي وما حاورها حتى حدث له ذلك

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "من وصل إلى مصر وجاء وهو فقير الحال."

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "يشكو ل محمد بك"



## الفصل السادس

في عوائد<sup>١٧</sup> ملوك الوداي واسما من انهم ومناصير

وفعل السلطان معهم وسلوك الامراء والتواضع

اعلم ان المنفرد في سلطانه بالتأثير، الغنى عن الوزير والمشير، انهم كل  
أمة بما يصلح أحوالها وينفي عنها وبآثارها، ولما علم جل جلاله ان رعاع الناس  
لا يتبعون المحجة المستقيمة إلا بقهر من سلطان قوي الشكيلة، وأنهم لو تركوا  
مذى لظلم قلوبهم ضعيفهم، ولم يتبعوا مدن الهدى، أفاض عليهم المعارف، وأبسمهم  
حلل المعارف، حتى اتفقت كلمة كل أهل إقليم على أن يجعلوا لهم زعيم، يحكم  
فيهم بالإنصاف، ويتجنب طريق الاعتساف، فيواسيهم بعذله، ولا يرعب عنهم  
بفضله، ويأخذ حقهم من ظالمهم لمظلومهم، ويقتص من كالمهم لمكنومهم، وإن  
لقوي ملوك السودان شكيلة وأعلام عزيمة وأكرمهم شيمة ملك الوداي، لأنه إن  
جاد ساد، وإن وهب أفاد، وبلغ الموهوب له من الغنى المراد، لكن من شروط أهل  
الوداي أن لا يتولى عليهم إلا من كانت أمه من ذوات الأصحاب، عريقة النسب،  
شريفة الحسب، وابن الأمة لا يكون عليهم سلطاناً البتة، بخلاف الفور، فإنه يتولاه  
(أي منك) من كان أبوه سلطاناً سواء كانت أمه شريفة أو أمه وضيفة، وحين كنت  
في دار وداي كان السلطان عليها المرحوم السلطان محمد عبد الكريم الملقب  
بصابون، ابن المرحوم السلطان محمد صالح ابن السلطان محمد جودة الملقب  
بخريف التيمان، ابن السلطان محمد عروس الأصغر ابن السلطان محمد عروس  
الأكبر، ابن السلطان صليح، هكذا سمعت من الإمام بنر الدين إمام السلطان  
صابون المذكور بناء نسب السلطان صابون على المنبر يوم الجمعة وقت الدعاء  
له.

<sup>١٧</sup> المصرد بكلمة "عوائد" مما هو المعاني والفتاوى الشعة في الحكم.

وأما ترتيب مناصبهم ومراتبهم فعلي خلاف ترتيب الفئور، لأن الفئور راعوا  
أعضاء السلطان فسموا بها كما تنقسم<sup>(١)</sup>، وأما أهل الوداي فراعوا عمارة إياتهم،  
وحب وطنهم، فرتبوا مناصبهم بحسب البلاد، فأول المناصب عندهم وأعلىها  
مناصب الكماكلة، وهم ثمانية، أربعة أكبر من أربعة، وهؤلاء الكماكلة هم الذين  
يقضون الدعاوي وعليهم مدار الشوري، فلا يبلغون السلطان إلا أهم الأمور، لكن  
الأمور التي يقضون فيها يكتبون فيها جرنالاً<sup>(٢)</sup>، ثم يعرض على السلطان ليعلم ما  
فعلوا، ومن عانتهم أن السلطان لا ينقض حكمهم وإن ظهر خطؤه، ونهاية ما يفعل  
معهم أنه ينبههم إذا رأى منهم خطأ، بأن لا يعودوا لمثله، وإن تكرر ذلك منهم  
عزله، وأمضى ما حكموا به إكراً لمنصب إلا إذا كان الحكم خطأ محضاً، فإنه  
يرسله إلى القاضي ولا ينقضه بنفسه، ويليه في العظم منصب المرمو<sup>(٣)</sup>، وهي  
لم السلطان إن كانت على قيد الحياة، فإن لم تكن فالتهبابة<sup>(٤)</sup> هي أكبر نساء السلطان

<sup>(١)</sup> تحدث المؤلف في كتابه تشييد الأديان بأن لكل دار فئور يقضون مصالحهم ولها سمو منصب الدولة بأعضاء حشم السلطان  
فمثلاً: أول مناصبهم "تروندولوح" بمعنى رئيس السلطنة، وهو منصب عظيم القدر، وهو الوحيد الذي سمو بهت أمام السلطان إنما  
كان مسعراً أو مزارعاً للصيد، ثم يتلو منصب "الكماكة" بمعنى رتبة السلطنة، وهو أكثر تعظيماً من سائر الرتب لأنه أقرب إلى السلطنة،  
ولها من عظيم إلا قبل السلطان في الغرب، وبها الكلمة يرمون بختة سرّاً، ويولون كلمة آخر للسلطنة المذهب، وأما باقي مناصب  
السلطان على مراتب، فلا قبل الكماكة، ويتلو به لقب: "أهتوري" أي له القدر، ويمشي حيث حيث حيث "تروندولوح" لم يسان  
بعضها "أهتو منج" وهو فرس الكماكة، بمعنى الممرور الأخرى للسلطنة، ووظيفته أن يمضي حيث حيث حيث لا يفتنه أحد، ورائهم :  
"أهتوري" : بمعنى المساعدة الأمين للسلطان ويمشي على أن يمشي من ملكاً من ملوك القور، ويحكم في جميع الشرائع والأحكام التي للسلطان ما  
ما الحسن، لم يأن منصب "الكهتوري" : وهو فرس يرمي في كل شيء، وهو كتابه من حاشية السلطان الأمير، لم يأن منصب الأب  
ضبح وهو أعلى المناصب، وليس به ودي السلطان فرق يذكر في القلا المراتب وتعليقها، وهو كتابه من حاشية السلطان، وهكذا  
رى لحشد المناصب وتوزيعها بحسب حشم السلطان كما هو وارد ومشتق فيه من المؤلف، بينما اختلف الوداي في ذلك. ينظر تشييد  
الأديان من ١٨١ وما بعدها.

<sup>(٢)</sup> لفظ المراتب مأخوذ من اللغة الفرنسية بمعنى مرادة، لكن المقصود المؤلف هنا كلمة جرنال أي تقرير من المحدث.

<sup>(٣)</sup> المرمو في ودي، والاحوال في ودي، وأصل هذا العظم قد استل من رمو إلى ودي ودار فئور، فقد كان لتماخو لم السلطان في رمو  
فئور كبير في إدارة الدولة بما تشك من حواكيز وأموال وحول وشعر إلى أن كل القول الإسلامية التي دخلت في السوردي الأوسط  
تتربط بنظام حكمها بدولة الفنو . ينظر د. عبد القوي محمد : القول الإسلامية في غرب إفريقيا في القرن العاشر الهجري، رسالة  
دكتوراه (لم تنشر) من ٢٦٦.

<sup>(٤)</sup> التهبابة: هي زوجة السلطان الكبرى كما هو في نظام القور، لها في رمو قسمي القصور: وكان هذه طرقة فئور كبير في شؤون الدولة  
ويمكن أن يتدخل في أي وقت لها رأي في نظام الحكم، كما لها تصدي بجميع مشكلات القصر التي تقرأ في حشرم السلطان  
وأبيه . ينظر د. عبد القوي : القصر السابق من ٢٦٦.



وأجلهم، ويليه في العظم مناصب العقدة، كعقيد<sup>(١)</sup> الصباح، وهو حاكم الولاية الشرقية، وعقيد الغرب وهو حاكم الولاية الغربية، وكل منهما تحت يده ملوك، وهما في دار وداي عوضاً عن إباديمانق والتكنياوي في دار فور، ويليهما في العظم مناصب الوزراء.

والكامنة<sup>(٢)</sup> ليس مثل<sup>(٣)</sup> الكامنة في دار فور، بل هو مثل أرتندلون<sup>(٤)</sup> أي إذا ركب السلطان يكون أمام الجيش، يلي هذه المناصب كلها مناصب التراقنة، وهم رسل الغضب، هم المحافظون على جسم السلطان ودلره، وتخالف هيئة ملابسهم ملابس عساكر الوداي، لأن جميع عساكر الوداي يلبسون ثياباً واسعة الأكمام كثياب نساء مصر المسماة بالبداوية، وهؤلاء التراقنة عالم كثير، ثم بعد ذلك ملوك

<sup>(١)</sup> العقيد : والمجمع علماء، وهو لقب الذي يحتله نجل وداي الحكام الأقاليم الأربعة، حيث كانت الدولة مقسمة إلى أربعة أقسام تسمى إقليم بمكة صيد، ومولاي في دار فور نظام محلي حيث قسمت دار فور إلى أربعة أقسام الحكم كل إقليم تحت من السلطان ولديه لقب خاص مثلاً : الكيلوي يحكم المنطقة الشمالية، والبرديج يحكم المنطقة الجنوبية الغربية لدار فور، واليوماني يحكم منطقة جنوب شرق دار فور، ثم الأب شيخ، ويحكم المنطقة الشرقية، ولقد لم هذا النظام في الأصل إلى وداي ودار فور من روحه قبل سنتين هذه القبول في الشقة والعظم الإداري السابق فقد كانت موزعة مفسدة إلى أربعة أقسام ولست الأهم إلى ولايات مع اختلاف في القبل الحكام، وفي هذا تفرق وداي بأن نظامها هو الأقرب إلى نظم الحرية من حيث السمة لأن لفظ عقيد وحسب وردت في العظم الحرية الإسلامية فالعقد هو الذي يحتله لواء الحرب : بنظر تشيخ الأديان من ١٥٠٠ . د. ح. الدي : مصدر سابق ص ٢٦٦ .

<sup>(٢)</sup> الكلمة : أو الكيموطة : بكسر ما كما بكل Macmichael في الخط على لغة الكانوري من روه ويكول من مفضن : "كسما" ومعناها "شخص" و"ق" ومعناها "ملك" وهو هذا الذي يعني مثل السلطان أو حاكم أي المسئول أمام السلطان من المشاكل التي تحدث في الدولة، وهو يمثل السلطان في كل المراحل، وفي دار فور يمثل عنه أيضاً لقب موريج إلا أن "قو الصور" ويرجع منه إلى بيت موروي لديم، وكان يطلع دائماً في السلطة مما أدى إلى تراكمات في الدولة، ومن ذلك ما أفاد أنه ما كما بكل ذلك الصراع الذي نشب بين السلطان أحمد بكر والكيموطة، ولما كان يمثل ممثلاً رمزياً في الدولة، ويسطر دائماً في العاصمة، وفي عرف المسورة، إذا مات السلطان فلا يخل منه الكيموطة كما سلك الأتراك.

CF. Macmuaci late on the Brival place of fur. sultans of tura in jebel Marra S.N.R. ox. (1926) part ٢ PP.171-178

<sup>(٣)</sup> في الأصل : لا مثل الكلمة .

<sup>(٤)</sup> أرتندلون : وهو لقب عظيم القدر، وصاحبه يكنى رأس السلطان، وهذا اللقب الطاع وبلاء متقدمة وعلمه لا يعلم عليه إلا من روادهم وروما " كيمي سلام ملاي" وزرع السجدة لعمامة كالمسلطان، وصاحب هذا اللقب إذا كان السلطان مسيراً أو لاحقاً وخلفه أن يمثل عساكره لم يهمل كونه لا يسبقه أحد.

بنظر تشيخ الأديان : من ١٨١ .

الجبلان وعقيدة الأعراب، كعقيدة الجفائية، وعقيدة الزبدية<sup>(١)</sup>، وعقيدة بني هلبة<sup>(٢)</sup> وعقيدة المحاميد<sup>(٣)</sup>، ثم بعد العقيدة الملوك، كملك البرقة<sup>(٤)</sup>، وملك الداجو<sup>(٥)</sup>، وملك كوكبة<sup>(٦)</sup> ونظائره ومن عادة سلطان الوداي أن يجلس لعموم الناس في كل يوم اثنين وجمعة، أما يوم الاثنين فإنه يجلس في قصر في داره مطلقاً على الرحبة التي هي أمام دار السلطان المسماة بالفاش وفي هذا القصر أشجار كبار ذات شوك

<sup>(١)</sup> البرقة : ذكر القوسى بأن لسيرة البرقة من ربه، وتلقب من حور العين وهي من المجموعة العربية التي كانت تسكن في وادي واشهر البرقة بالمروسة وزينة الخيل وميد الرزاق والعام في واديها والأكبرهم القوي كان لهم عند الحكم معظمهم نشبه الأتقان من ١٩٢ .

<sup>(٢)</sup> بني هلبة : لم يبق من مجموعة قبائل هلبة القحطانية التي وصلت السودان من طريق العرب والصحراء واستوطنتها في إقليم تشاد ودارفور واستقر معظمهم في منطقة عند القريتان جنوب غرب جبل مرقا فاحتضروا القبائل كالتور والسادو والبرو وغيرهم وهم من أكثر القبائل العربية استقراراً، ينحل معظمهم بقرى والرياسة ولهم بحيرات أخرى على شرق دارفور وجنوب قبيل الارري بعد ان فرغهم حروب الهندية، ينظر : احمد حسانة ادم - المراجع السابق - ص ٢٥١ . وما بعدها .

<sup>(٣)</sup> المحاميد : فرج من الرزاقات استوطنوا تشاد ودارفور، وينسبون الى قسمين كبيرين : أم احمد وأم صبيحة، ولكن فرج بطون وأعمامه وكان لهم تأثير كبير في دولة الوداي لاهلستهم بقرية الخيل والقرومية .

<sup>(٤)</sup> البرقة : يقول بارت Barta لهم من أصل رامي، وبالعهد ماكامايكل الى لهم من أصل بون التشاد من لغتهم الخطيرة ولغتهم العربية، وهناك كتابات صائرة تسمى لهم من فرج عربى بون زمو الى دارفور، ويشتهر انكى شروط ممالك القوية المسيرة، ونفع الادهم في الوسط بين الداجو في الجنوب الشرق والرياقات في الجنوب والغرب والبنى في الشرق والعمور في الغرب، ولهم شعبة طليمة في وادي بمكهم ملك وهم من القبائل المنتشرة ولهم قدم راسحة في الاسلام ينظر : Macmichael History of Arab in the Sudan Vols. PP. 77-79

<sup>(٥)</sup> الداجو : من تقدم الحامير السكانية في دارفور، يرى ماكامايكل لهم هامروا حسن الفصل الى دارفور، ومصرى بشار Palmer واركى Arkai من الداجو هم القاسوس الذين ورد ذكرهم في مؤلفات الانبيس والى بعد والى جنوب، وموطنهم يسكن الكساح والبرقة، واسسوا دولة ما بين القرن الحادى عشر والرابع عشر الميلادى، وسقطت على يد البحر والحامير العربية التي بدأت عبرتها للحكمة فصل الى إقليم تشاد ودارفور، فعرف الداجو في كل الامم فحدثهم في وادي في طور خطا ومنه الى تشاد، ولحدثهم في مالا وام كرموس وكنونا، وفي القارة وشرق كاهولنى جنوب كرموس. ينظر : Palmer Borau Sahara and Sudan P 212

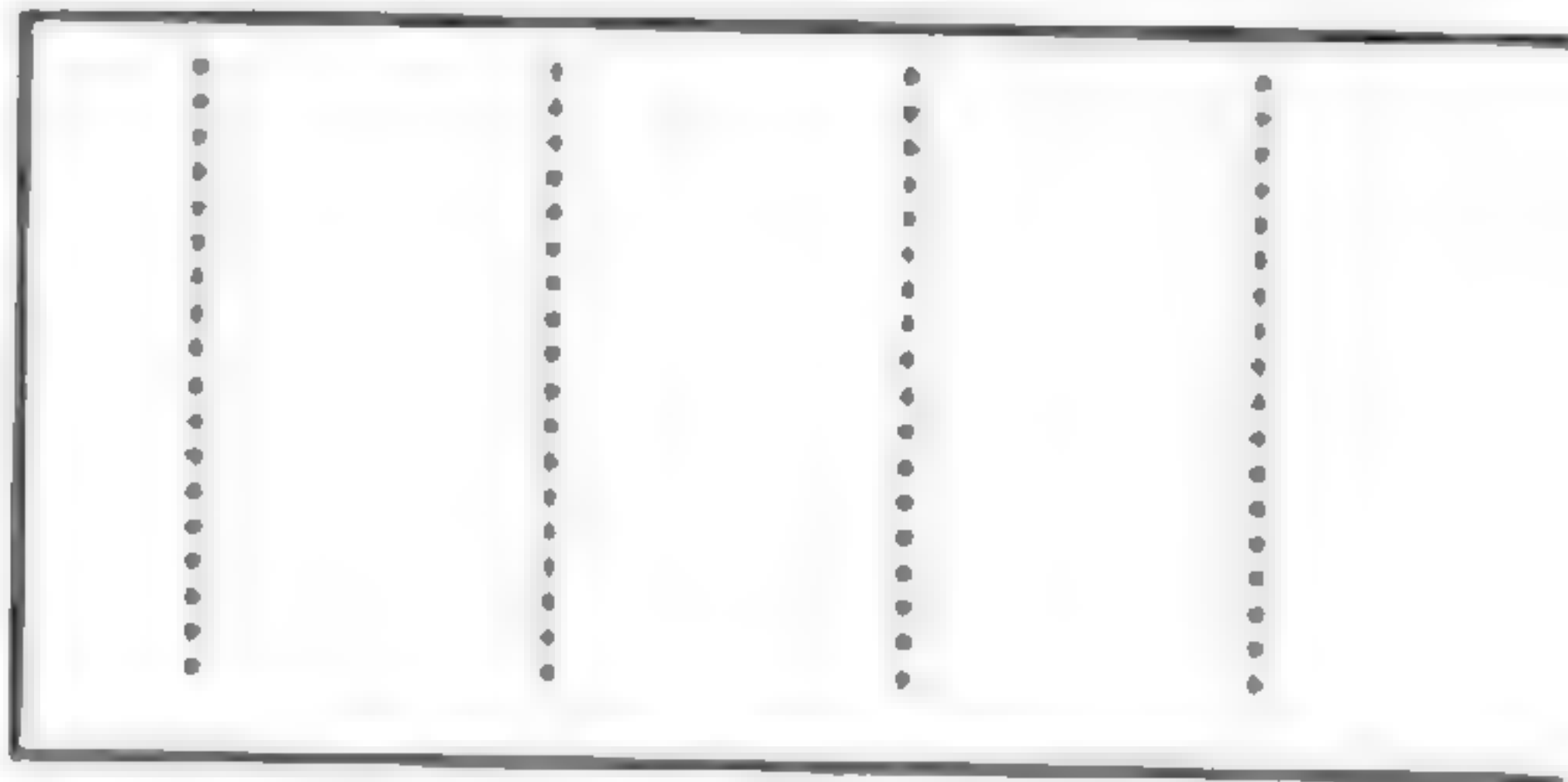
Arkeil, A J. History of Darfur S N R part I PP62-70

<sup>(٦)</sup> كوكبة : يسكنون جنوب غرب وادي، وهم ثلاث طوائف : يقول القوسى لها كلمة محبوبة لدى أهل وادي وميسرون لغتها ساهبا ولغتهم عامرة ومزجهم غمراً، ومعظم سوارى الثور والسمكة من هذه القبيلة. وأصل كلمة كوكبة إما على حصة دولة بون في عصرها الفاش وضع في شرق بحيرة تشاد، ذلك ان حاضرتهم الاولى كانت بحسب عرب البحيرة لم ينقلوا الى مراكسا واسسوا حاضرتهم الجديدة وهي بون حمرغوا، وذلك بعد حروبهم مع الدولة، لم ينقلوا الى مدينة كوكبة واحسروا استقراراً الى مهادورى، وهي حاضرة ولاية بونو الالة

ينظر : صفحة ١١٨ من هذا الكتاب، المراجع طر حسانة المراجع السابق، ص ١٧٥ .



ليبيض يسمى السيل<sup>(١)</sup>، وهو سطران<sup>(٢)</sup> بقرب دار السلطان، وسطر في آخر  
الفاشر، أما الذي في آخر الفاشر فإنه محل جلوس الكماكلة يوم خروج  
السلطان، والمعروف<sup>(٣)</sup> أنهم يفرسون حرايبهم أمامهم فتصير كسطر من الحرايب  
أمامهم هكذا:-



وهم يجلسون مقابل السلطان ولما السطر الذي يكون بقرب دار السلطان فإن  
السلطان يقف في ظله يوم الجمعة، ويكون راكباً، ويجلس أمامه القاضي والمفتون  
والعلماء والأشراف وأعيان الناس على حسب طبقاتهم، وتصطف الترجمة واحداً  
بعد واحد، {وهم} سبعة كما هو اصطلاح للفور، لكن عادة الفور أن يسلموا على  
السلطان كما تقدم، أما التوداي فعادتهم بخلاف ذلك، فإن الترجمان يقول: السلطان  
يسلم عليك يا قاضي، السلطان يسلم عليكم يا علماء الاسلام، السلطان يسلم عليكم  
يا أشراف، السلطان يسلم عليكم يا كماكلة، السلطان يسلم عليكم يا تراقنة، السلطان  
يسلم عليكم يا أمناء، السلطان يسلم عليك يا كامنة، السلطان يسلم عليكم يا ملوك  
الجبال، وهكذا إلى أن يقول: السلطان يسلم عليكم يا حوالسي وارء كلكم، لعلكم  
طيبين، بارك الله لكم بالعافية، وكل من سلم عليه السلطان يصفق بيديه ويقع على  
الأرض على شقه الأيمن، ثم الأيسر، حتى يصل صدغه إلى التراب، وفي تلك  
الحال {يكون} مع السلطان طبل صغير أشبه بالكوبه الممساء في عريف مصر  
بالدربةكة، لها صوت حاد يسمع من بعد، ويسمي بالبردية، ومتى ضرب هذا الطبل

<sup>(١)</sup> السيل : بناء في الطيور : السيل جمع سيل وهو نبات له خوص أطول مما يزرع حرج منه الخان، وبناء في ترجمة العربية  
لهذا الكتاب خلافاً من مؤلف الكتاب: أن السيل نوع من شجر السط، متوسط الارتفاع، ذو لحاء أحمر مثل الخي الشمر، وكسك في  
البحر وادي حن زارها الشيخ التونسي تلك الأشجار التي ذكرها، بشر الترجمة Voyage au Waday, p. 193

<sup>(٢)</sup> سطران : يتعد صفان، وقد اعتاد على تسميتها الصف بالسطر.

<sup>(٣)</sup> في الأصل : \* وعليهم يعرف بأنهم يفرسون حرايبهم \*

يصفق جميع من في المجلس وأما المعسكر الواقفون من ورانهم فمعهم<sup>(١)</sup> قطع من الحديد المسماة بالكرابيج مع كل انسان كراباجان فيبرزونها فتضرب بعضها فيحصل منها صوت، وفي أثناء هز الكرابيج والتصفيق يشنون على السلطان بصوت واحد قائلين: جاموس، الله ينصرك ياسيدي، فيسمع لذلك ضجة عظيمة، وهناك طائفة يسمونها الكبرتو<sup>(٢)</sup> وهي التي تضرب النغير، وهذه الطائفة كناية عن الجلائين الذين يقتلون من أمر السلطان بقتله، فيجتمعون في ذلك اليوم، وهم جمع غفير، ويجلسون في محل عال، ويبدأ عليهم البوقات، وهي بوقات طويلة طول البوق منها عدة أشبار، كبوقات الموزيكة الفرنسية، ولها أصوات كأنها هي، ويبدأ باقيهم طبول، كالطنبور الفرنسي، المعبر عنه في مصر بالترنيطة، فيضربون تلك الطبول، وينفخون في البوقات، وهي نحو خمسين بوقاً، فيسمع لها صوت عظيم، وللك البوقات صوت غليظ مرتفع، وبعد ضرب البوقات سوباً<sup>(٣)</sup>، ينفرد رئيسهم وينفخ وحده في بوقه، ويقول كلاماً، فإذا سكك الكبرتو خرجت طوائف الترافقة وهم لابسون ثياب الحرب، وبأيديهم مقامع من حديد، وهذه المقامع هي المعبر عنها بالدبابيس، وعلى رؤوسهم طامسات من الفولاذ، وهي المعبر عنها بالخوذة، وعليهم دروع غير مصبوغة، لا تصل إلا لأوساطهم، لأنهم راجلون، ومن لم يكن له درع، له شاية، وهي كناية عن زبون، المسمى في عرف مصر الآن بالعتري، وهو من جوخ أحمر، محشو بالقطن، مضروب كالداف، وهذه الشاية يلبسونها في الحرب، فتقيهم من السهام والسيوف، ومع كل طائفة منهم طبلان، كطبول الكبرتو، يضربون عليها ضرباً مزعجاً، فإذا ضربت طبول تلك الطوائف يخرجون من أماكنهم، ويخترقون الصفوف ويطوفون على الحلقة مشيرين على الجالسين كأنهم يرومون ضربهم قائلين: توبوا إلى الله وإلى الرسول. وإمام الفاشر جبل صغير يسمى الثريا، عليه بناء {توضع} داخله النقائير والنحاس السلطانية، كما للفور، لكن أهل الوداي لا يعظمونها كما يعظم الفور

<sup>(١)</sup> في الأصل: "فان معهم".

<sup>(٢)</sup> الكبرتو: هي طائفة المراكبة الإسلامية بالسلطان ويخومون حيط المجلس السلطان وتبعد عن الحكماء المتعبد.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "سواه".



نقائيرهم، ولا يجلسونها في كل عام كما تفعل الفور<sup>(١)</sup> وإن جلسوها لا يعلم بتجليدها أحد، فمتى خرج السلطان إلى القاهر، تضرب نقائير النحاس وهي في أعلى الثريا، فإذا اجتمع صوت النقائير<sup>(٢)</sup> والبردية<sup>(٣)</sup> وطبول الكبريت والفرافنة والبوقات، وهزت الكرايج، وصفق العالم بالأيدي، فيصير لذلك ضجة عظيمة.

ثم إن كان في يوم الجمعة بعد أن يسلم السلطان على أهل القاهر، إن كان هناك مظلوم تقدم واشتكى ظلامته.

وكيفية تقبضه هي أن ينزع ثيابه من على صدره، ويربطها في وسطه وينخل في الحلقة من الجهة اليمنى للسلطان منحنيًا، ويصفق بيديه، ولا زال ماشيًا يهرول حتى يصل إلى آخر الحلقة، فيكون قد مر على السلطان فإن لم يره رجع إلى الموضع الذي ابتداء منه، وحينئذ لابد أن يراه السلطان، فيسأله عن ظلامته، ويحيله على الكماشة إن كانت ظلامته بسيرة، فإن كانت ظلامته جسيمة تولاهما بنفسه حتى يظهر له الحق فيها.

<sup>(١)</sup> تجلس دولة الفور في كل عام تحت النحاس، حامية الصورة التي عليها السلطان، نواب من المدلاب بعد أن همهم بالقرب من ثم درمهم، فيها الاحتمالات عادة في الأسبوع الأول من شهر ربيع الآخر، وتستمر لمدة ستة أيام أو عشرة، حيث يأمر السلطان برفع حشود الطبول كلها في يوم واحد، ثم يأتى بخمسة نواب حضر القوم من مروج لهم معروف عندهم، وهم التحليل وسط حاشية كسوى بمحضها السلطان وجميع الثوب والورود في المونة ويقدم هؤلاء الحاشية الحاشية للسلطان وهم استعراض الجيش والقوة في هذا الحفل وتخرج السفن في كامل رايته لشاهد استعراض كل منك على حدة، ولديهم أدهج، ويستمر العرض لذلك لمدة لتسيرة، ثم يعود للثوب إلى محلكم وولائكم.

متر: تشيخ الأدهج من ١٧٤ وما بعدها

نوم القوم: تخرج المودنة من ٢٠٠ ص ١١١

<sup>(٢)</sup> القدر: جمع القارة، وهي في دار نور حارة من حبل كبر من حشبه، هذه من جهتين شكله بخاري، ويملك في أغلب بلد نوره وله صوت عال، وتتمثل القارة في الأراج عالياً، حيث يقوم بصرها ألس منه مصورة.

<sup>(٣)</sup> البردية: وهي مثل، ذو شكل هرمي، أقل من القارة، لكن صوتها أقوى من القارة وله حدة وهي كالنوبة المروية في مصر باسم البريكة، وتتمثل غالباً في المناسبات السلطانية.

تنبيه:

إعلم أن أهل الوداي فيهم من طباع أهل أوربا<sup>(١)</sup> لمور، منها: أن أقام عليهم من بلد آخر لا يدخلونه في بلدهم إلا بعد إقامته في البلد المسمى بعبالي {مدة} ثلاثة أيام، وهذا نوع من الكرائنة كما تقدم ذلك، ومنها أن اجتماع الكماكلة في الفاشر في كل يوم، ونظرهم في مصالح الناس، وكتابتهم الدعاوي في جرنال، وعرضها على الملك، أشبه بالمشورة.

تنبيه آخر:

أعلم أن أهل الوداي يعظمون السلطان حتى يكادوا أن يعبدوه<sup>(٢)</sup> من دون الله تعالى، بلغ لشدة تعظيمهم له لا يفتحون دعوة إلا بعد أن يقرأوا الفتحة للسلطان ويدعون له بالنصر وطول العمر، وشددوا على أنفسهم تشديداً بحيث أنهم اتفقوا على أن جميع طيبات الملابس والحلي الجميل، لا يكون إلا للسلطان ونسائه ولذلك لا يمكن لوزير<sup>(٣)</sup> من الوزراء، أو أمير من الأمراء ولو عظمت منزلته، وعظمت على جميع الأمراء كلمته، أن يلبس حريراً أو يضع على مخرج فرسه غاشية حرير<sup>(٤)</sup> وجوخ، وأولى أن كانت مطرزة بشيء من الفضة كالعقب الذي تطرز به الغواشي في مصر، وأولى من ذلك مروج الذهب والفضة والركابيات المطلية، ولم يرخص لهم إلا في غاشية من السخيلان<sup>(٥)</sup> الأحمر، فأعظم أمير منهم في ذلك كأهلهم، ولا يقدر أحد منهم أن يجلس على بساط أو سجادة ولو في بيته، ولا يصيغ لأهل بيته حلياً من الذهب، ولا يروح على نفسه بمروحة من ريش النعام، ولا من الورق المنقوش التي تطوي وتشر كما يفعل أهل أوربا، بل لا يلبسونه إلا النياب السود والبيض من القطن، أو البفت أو الشاش، نساء ورجالاً، وكلهم في ذلك سواء، وحلي نساء أمرائهم وإن عظموا من الفضة، ولما أوساط الناس فمن

<sup>(١)</sup> في الأصل: "أهل الأوربا" فله يعود على خمسة آلاف وألوف لكلمة لوربا.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "أن يعبدوه".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "لا يمكن أن وزيراً من الوزراء، لو لمراء من الأمراء".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "غاشية حرراً".

<sup>(٥)</sup> السخيلان هو حلة العم للشيوخ والنسوح.



النحاس، (وكذلك) <sup>(١)</sup> فقراء الناس (عليهم) من النحاس إن أمكن، وإلا فمن الحديد، ومتى تعدي أحد منهم واقتنى شيئاً مما هو محرم عليهم، قتل أشرف قتلة، وإن كان أعظم عظيم فيهم، وإنما فعل بهم ذلك لتكسر حدة قلوبهم، لأنهم لو أطلق لهم القيد في ذلك، كانوا يرون أنه لا فرق بينهم وبين السلطان، ويكون ذلك سبباً لطغيانهم، فربما قتلوا السلطان واقتتلوا على الملك وفست أحوالهم، ومن شدة الضيق عليهم وتمطيهم للسلطان إن الإنسان لا يقرر أن يثني على رجل أمام الجمع، لأنهم يقولون: لا ينبغي لأحد أن يثني على أحد إلا على السلطان، فلا يوصف أحد عندهم بالكرم ومكارم الأخلاق إلا السلطان، ومن شدة الضيق عليهم أنه لا يسمى أحد باسم السلطان، فإذا تولى السلطان وكان اسمه صالحاً <sup>(٢)</sup>، مثلاً فجميع من كان اسمه صالحاً يغير اسمه في الحال، واتفق في أيام السلطان صالح أن يدخل عليه أقوام من البلاد، فارك الترجمان أن يسميهم <sup>(٣)</sup>، ليبلغهم سلام السلطان، فصار يأخذ أسماءهم واحداً بعد واحد، وكان فيهم رجل يسمى صالح فحين وصل إليه قال: السلطان يسلم عليك يا فتية صالح، وسمع السلطان بذلك، فاغتاط وزعق على الترجمان زعقة أدهشته بصوت أشبه بصوت الطاووس، وهذه الزعقة غير مختصة بالسلطان، بل يزعقها كل من ثار غضبه منهم، فقال الترجمان بسرعة: السلطان يسلم عليك يا فتية فاتح، وكان بزاء داره بنر يقال لها بنر صابون، فلما تولى السلطان صابون غير اسمها وسميت بنر غشيرة.

ومن عادتهم أن السلطان لا يشرب من بنر معينة بل يتوجه المسقا إلى (أي) بنر من الآبار <sup>(٤)</sup> حوالى وارة على حين شقة من أهلها، فيضربون من كان بالبنر بسياط في أيديهم فيهرب الناس ويحتاط المسقا ببنر من الآبار، فيمضون أو اليهم ومتى ملأوا <sup>(٥)</sup> الأواني لا يتركون أحداً بقربهم، بل كل من دنس منهم يضربونه فينتحي الناس عنهم، حتى يصلوا إلى محظهم، وذلك خوفاً على السلطان من المحر

<sup>(١)</sup> في الأصل: "ولما قراء الناس من النحاس".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "وكان اسمه صالح".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "يسلمهم" .. وأمور يسميهم: أي يذكر اسمهم أمام السلطان.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "نهر من القرب".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "يمتلأ".

والسم، فإذا عرفت للسلطان بئر معينة لا يشرب إلا منها، فربما اتقى<sup>(١)</sup> الأعداء فيها شيئاً من السم أو السحر فيفعلون ذلك للاحتراز، ولذلك لا يربون للماء إلا بعد أيام لأنهم يملأون جراراً كثيرة نحو العشرين أو أكثر، وكلما ملأوا جرة سدوها سداً محكماً وغطوها بقماش نظيف، وهذه الجرار من حيث أنها للسلطان تسمى بالبلك ومعنى البلك عندهم ماء السلطان.

ومن تعظيمهم للسلطان لا يدخلون عليه بشيأهم ولا بئعالتهم ولا بعمائمهم بل أى إنسان منهم جاء إلى دار السلطان عليه أن يخلع نعليه عند أول باب ويدخل حافياً، وعند ثلثى باب يخلع عمامته إن كان متعمماً وعند ثالث باب يخلع ثيابه من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى، وعند رابع باب يخلع طربوشه إن كان لابساً طربوشاً، وعند خامس باب يتحزم، وعند سانس باب يخلع الثياب من شقه الأيسر، وعند سابع باب يتحزم بثيابه وحينئذ يدخل على السلطان، وفي هذا مستوى أعظم وزير بأحق إنسان، فيدخل على السلطان وجسمه عريان الامابين المصرة إلى الركبة.

ومن عادتهم أن السلطان إذا خاطب أحدهم بالعبودية لا يأنف من ذلك بل يفرح وينشرح صدره، ويحييه بقوله: نعم ياسيدى وسيد أبى وسيد جدى، وإذا أمره بأى<sup>(٢)</sup> أمر صفق على يديه وأمال شقه الأيمن على الأرض حتى يمس الستراب بصدغه الأيمن، ثم ينقلب على شقه الأيسر ويفعل كل ذلك، وهو يقول مسمماً وطاعة ياسيدى وسيد أبى وسيد جدى، جاموس، الله يتصرك ياسيدى...

ومن عادة ملوكهم أنهم لا يجتمعون مع الناس<sup>(٣)</sup> مباشرة، بل إذا كان جالساً بجماعة يجعل بينه وبينهم حائلاً كستارة، ويخاطبهم من داخلها وهم من الخارج لا ينظرون الإنسان إلا إذا كان فى خلوة واختلى مع من يريد الخلوة به.

(فائدة) من شدة تعظيمهم للسلطان إن الإنسان منهم إذا كان له دين على آخر ومأطله فى دفعه له جاء به إلى مكان ماء سواء كان خالياً من الناس أو فيه أناس، ثم يقوم يرسم خط دائرى<sup>(٤)</sup> حوله، ثم يقول له: أقسمت عليك بالله ورسوله

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. ربما اتقى الأعداء..

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. ومهاجرة السلطان بئر مملوء..

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. يجتمعون على الناس..

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. بخط له سناً كدائرة...



الحربية، وينظر هل زادها أم نقصها، ويسأل عنه رجال المنصب فإن رضوا<sup>(١)</sup> عنه ومنحوه وكانت الأموال موفرة، وعرف عنه أنه شجاع كريم غير لاد عن مصالح الدولة (في هذه الحالة) إما أن يبقى على حاله، أو يعلى منصباً أعلى منه، وكيفية ذلك أن للمنصب رجالاً قائمين بشئونه وهم الذين يكون عزل المتولى من قبلهم، لأنهم كنما رأوا في صاحب المنصب خلا كتبوه في جردال<sup>(٢)</sup> حتى تجتمع عليه جملة دعاوى ثم يتوجهون (بها) إلى القاضي ويشكون صاحب المنصب عند الكماكة، فحينئذ يقوم الكماكة باخطار السلطان فيأمر بإحضاره، ومتى حضر يعرض مامعه من الخيول والآلات الحربية على السلطان في يوم جمعة، وتكتب عنها قائمة، وينظر في الدفتر مقدار ما استلمه يوم التولية، وينظر الفرق بينهما فإن وجد أنه أكثر من الذي كان قبله يسأل عن دعوى رجال المنصب، وإن وجد أقل مما كان استلمه يسأل عن أين ضاعت هذه الأموال وكيفية استغلالها<sup>(٣)</sup> وفي أي شيء صرفها، فإذا لم يأتى بحجاب سديد يترأ عنه العذاب، وإلا كُنَّ عذابه شديداً، ورجال المنصب هؤلاء لاخير لهم في المتولى أبداً، بل يخدمونه ويمسكون لأمره في الظاهر ويلقونه في المهالك في الباطن، وفي ذلك باملاء<sup>(٤)</sup> من السلطان وهم يقولون نحن خدام السلطان لا خدام العقيد لو الملك بل لو فعل معهم من الاحسان ما فعل ورأوا عليه خلا أو تقصيراً ينادونه بالشكاية ولا يعتبرون احسانه اليهم ثم إذا كان المعزول عزل عن منصب يبقى مدة ومتى رضى عنه السلطان أرسل إلى صاحب المنصب الجديد فأحضره ثم قال له: خذ هذا عنك وكرمك لأنه شريك في المنصب، وهو الذي يطلعنا على أمرارك فيتوجه معه قهراً عنه، ومتى رأى منه تقصيراً شاكاه وعزله عن المنصب وتولاه ثانياً، والسر في ذلك أن الوداي أناس لا يطمأن<sup>(٥)</sup> اليهم، لذا أهمل السلطان أمرهم يبطرون النعمة ويعصون

<sup>(١)</sup> في الأصل: "فإن رضوا عنه..."

<sup>(٢)</sup> (الجرى) هكذا وردت ولله بعد كونه في دولة في شكل تقرير لا كلمة جردال وسبها ونحو الفرقة ليرى كما كانت الامانة.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "... وإن كانت..."

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "... باملاء من السلطان..."

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "... ليس لا يطمأن اليهم..."

على السلطان، فرأى السلطان أن في انتباههم لبعضهم راحة له، فذهب الأمر وأوقعهم في بعضهم وصار ذلك سنة عندهم لا ينكرونها.

ثم إن الغضب يتفاوت بعظم الذنب وحقارته فأعظمهم ذنباً من يفر في الحرب فمن ثبت لدى<sup>(١)</sup> السلطان أنه فر من القتال يقتل أشرف قتلة، ويليه الذي يخون في الأموال الميرية، ويضعف الشوكة السلطانية، لأن السلطان بالرجال، فمتى كان رب المنصب منتبها لقوة الدولة فهو العزيز عند السلطان والمرضى عنه.

ومن عانتهم أنهم لا يركبون حماراً، ولو كان (الرجل) فقيراً، ومن ركب منهم حماراً عابوه واحتقروه، وإن الحمير في بلادهم لاتصلح إلا لحمل الأثقال.

ومن عانتهم أن السلطان مطلق الحرية، يفعل ما أراد، لكن لا يغير شيئاً ما جرت به عانتهم فإن غير شيئاً حرمة العادة عندهم ربما قتلوه لذلك، ولقد بلغني من لكبر أهل الوداي أن السلطان المرحوم محمد صلياً أراد أن يغير عانتهم في المكيل الذي يكتلون به وقال أريد أن يكون المد الذي يكال به كمد النبي صلى الله عليه وسلم فأبوا عليه وقالوا لا يمكن ذلك، ولولا والذي تطف بالسلطان وتوسل إليه في إبقاء ما كان على ما كان لوقت<sup>(٢)</sup> فتنة عظيمة، وكذلك بلغني أن السلطان أراد أن يحدث سكة يتعامل بها الناس كسكة مصر، بأن يجعل له محلاً لضرب الدراهم لكثرة الفضة عنده، فأبوا عليه وقالوا: إن جدك خريف القيمة خافه بعض المغاربة في ذلك فأبى وقال: إن أهل بلادى قوم غفل ومتى ضربت الدراهم وذقوا حلاوتها ذهبت غفلتهم وانتبهوا لجمع الدراهم، فتشع أنفسهم ويتحاسدون ويتشنى البخل فيهم، وذلك يكون سبباً للخراب، ولا أرضى أن يحصل ذلك في مملكتي<sup>(٣)</sup> والعجب منك كيف يقول جدك هذا وأنت تقول بخلافه، فاستصوب السلطان رأيهم وترك الأمر كما كان.

<sup>(١)</sup> في الأصل: "من ثبت في السلطان".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "لكانت ولدت فتنة".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "ولا أرضى أن يملك بمحل لها ذلك".



ومن عانتهم انهم يكبرون العمائم في المواكب والمحاقل، مع أن أهل أمير  
 في بيت لا يلبس على رأسه الا عرقية سوداء أو طربوشاً، ولبسهم في الطربوش  
 مختلفاً للبس الفور، لأن الفور يحبون أن يكون الطربوش مستطيلاً، فيبقى على  
 رأس أحدهم كالطرطور المنسوب، أما الوداي فأنهم يشنون قرص الطربوش حتى  
 يصير القرص الذي فيه الثرابة منخفضاً وله (جزء) دائري<sup>(١)</sup> مرتفع نحو  
 قيراطين، ويلبسون الثياب الواسعة التي تلبسها حريم مصر، وهو المسمى عندهم  
 بالبدوي والسبله كما قدمنا ذلك، لكن السبله في مصر لا يكون الاخرأ ويكون ملوناً  
 إما احمرأ أو اصفرأ أو أسود، أو غير ذلك من الألوان، ومسمى السبله لأنه يسبل  
 فوق جميع الملابس، وأما البدوي فيكون من الكتان، وهو الغالب، وقد يكون من  
 البز كاليفت والشاش، والغالب فيه أن يكون أسود حالكأ، فكنالك أهل الوداي  
 يلبسون الثياب الواسعة، والغالب على ثياب الأكابر أن تكون سوداء ويعتقون في  
 خياطته اعتناءً عظيماً، لأن الثقة منه عرضها لا يتجاوز قيراطين، وهي على  
 اجزاس منها التكاكي<sup>(٢)</sup> ومنها التيكوة<sup>(٣)</sup> ومنها القذافي، وهو المسمى عندهم برقية  
 الكنجو<sup>(٤)</sup> وهو أسود لكنه يرى من خلال سواده احمرار، وأهل مصر يسمونه رقة  
 الحمام كما ذكرنا ذلك سابقاً.

وأن سيوفهم كسيوف أكثر الفور معتدلة ويصبغون مقبضها من الفضة  
 ويطلونه بالذهب ويجعلون المقبض ينتهي بكرة مجوفة يضمنون فيها<sup>(٥)</sup> صفار

<sup>(١)</sup> في الأصل "دولة دتر مرتفع".

<sup>(٢)</sup> التكاكي: مفردة تككة وهو قماش من صمغ على صمغ من الصمغ حيث يضاف الصمغ ويخلج في أنه مصنوع من الخشب تسمى  
 الخوخية "طرا الصمغ لم يصب في شكل حوط مطروحة بواسطة آلة حديدية تسمى "الفرز" أو "الفرز" طرا غير تككة الخوخية الصمغ لم  
 يصب في حديدية يتحكم الصمغ في طرها بواسطة آلة تسمى "التكاكي" يملأ فيها الصمغ ويحمل بكنتا بده ورجليه وحيدة لا يوجد  
 عرض الصمغ من نصف المراح وتنتج من الفلاس الرمالية والسكية للصمغ.

<sup>(٣)</sup> التيكوة: أو التيكو: قماش ملون أسود يلبس في وادي وفارفور من برنو أو بالرملة عرض الثقة في الفارور - بطر الشجيرة الازهار  
 ص ٢١١.

<sup>(٤)</sup> الكنجو: نوع من القصور النحاسية التي تأتي الى بلاد السودان في فصل الخريف لأهل القواد حيث يوزع لها الهدايا والهدايا والهدايا  
 الدال وليس في السودان المصرية للفرز ولولها أسود مع صوف من ناعم لامع يكتسب رطوبتها بشكلأ جيداً.

<sup>(٥)</sup> في الأصل "يملأونها فيها دقاق الحصى".

الحصى، فإذا قبض أحدهم السيف وهزه يسمع للحصا في الكرة صوت وهذا لا يكون إلا لأكابر الدولة من الفور والوداي.

ومن عاداتهم أن الرجل منهم يلبس في خنقة يده مكينة ذات حدين طولها نحو ثلاثة أشبار تسمى في عرفهم الكرداوي ويلبس في ذراعه مكينة صغيرة. (أما) ولاية المنصب عندهم (فتكون) بلبس العمامة، أعنى أن السلطان إذا أرك أن يقد<sup>(١)</sup> واحداً منهم منصبا يعطيه عمامة ويسمى له اسم المنصب، ولما الفور فولاية المنصب عندهم بالفير وهذا الفير عندهم هو ملحقة ذات أذاب طوال من الحرير يحزم بها المتولى أمام السلطان ويجعل جنبها من الأمام.

وليس عند الوداي من الآت الطرب كما عند الفور لأننا قدمنّا أن الفور عندهم الصفاقير<sup>(٢)</sup> والتكجل<sup>(٣)</sup> والغزو والتنقل<sup>(٤)</sup> والتفاير النحاس وأما الوداي فما عندهم سوى البردية والنحاس وهما خاصان بالسلطان أما التكجل وطبول التكبروتو ونفيرهم فهي عند جميع الأمراء.

ومن عوائد الوداي ومثلهم كالقور<sup>(٥)</sup> يجعلون على وجوه الخيل شيئا يسمى بلغة الوداي الوجه وبلغة الفور "كارجل" نسيت أن أنكره هناك<sup>(٦)</sup> في عوائد الفور وتذكرته هنا وهو صفيح من تنك<sup>(٧)</sup> أصفر، وهو الأحسن عندهم والأعلى ثمنا، أو من صفيح تنك أبيض وهو الغالب في دار وداي مبطن بجوخ أحمر، تجعل منه صفيحة على وجه الجواد وصفيحتين على صدغيه، لكن في دارفور ينقبونه<sup>(٨)</sup>

<sup>(١)</sup> في الأصل: "عنا لولا أن يبنى لواء منهم منعة".

<sup>(٢)</sup> الصفاقير: جمع صفارة وتضيق في ذلك الزمن من الزمن أو العا أو هو ذلك من الصفات التي تكون عليها فراسة الحصان ويحكمون في الأمور بواسطة نفوس عليها، ولها صوت موسيقى خاص.

<sup>(٣)</sup> التكجل: نوع من الطل له صوت يمر عن القلعة والبرية

<sup>(٤)</sup> التنقل: وهو مثل عظم من حنبل، يخذ من جهة واحدة ليرام التشكل، له صوت عال ويسعمل في حلقة الفور عند انتقال السلطان.

نظر: نسخة الأفعان ص ١٧١.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "كافور".

<sup>(٦)</sup> عبارة: "نسيت أن أنكره هناك أي أنه سي يذكره في كتابه نسخة الأفعان وجاء ذكره هنا مما يزيد من أهمية هذا الكتاب والرائحة الوثيق بالكتاب الأول بل هو مكمل له.

<sup>(٧)</sup> التنك: "مادة مطوية كالزمنك..."

<sup>(٨)</sup> في الأصل: "لكن يلبس في دارفور أكثر من الوداي".



أكثر مما في ودای، والأصفر منه غالى الثمن حتى أنه ربما يبيع برأسين من الرقيق، وهو أحسن ما يترزين به عندهم، كما أن حراب الفور أنقن من حراب الودای وأجمل رؤية، وبالجملۃ فإن أهل الودای أقل تمناً من أهل دارفور، لكنهم أشد منهم بأساً وأقوى مراساً، حيث إن الرجل من أهل الودای لا يعبا بمشرة رجل من الفور ولقد قمنا ذكر شجاعة الودای فيما وقع بينهم وبين الفور من المحاربة.

وأما زى نسانهم فقريب من زى نساء الفور إلا أنهم لا يضعن الخزام<sup>(١)</sup> في توفين<sup>(٢)</sup> بل المرأة تنقب أنفها نقباً واسعاً وتضع في القلب مرجاة من الطبخ المسمى عندهم بالتفاو، وإن لم تقتر على ذلك وضعت عوداً، ومن عادة النساء أنهن لا يطرحن السواك من أيديهن ويمسكن بكل شجر وجفنه، ومتى ما أكلت الصبابة منهن طعاماً فزعت إلى السواك، فتسلك قائمة وقاعدة وسائرة، ولا يمنعها من السواك إلا النوم أو شغل مهم، ولذلك ترى أسنانهن نظيفة ورائحة أفواهن جميلة جداً، ومن عاداتهن أن المرأة منهن تلبس في رقبتها ثوباً من غبر خياطة وهي أن تعتمد إلى شفة عرضها ذراعاً مثلاً، وطولها نحو خمسة أذرع أو أقل فتشقها من الوسط وتلبسها في عنقها، فتصير مستورة من الأمام والخلف وجانبها باديان لكنها تتحزم بفوطۃ، ولولا ذلك لبانت فخذها وأكثر حليهن حلى نساء الفور، إلا أن حلى نساء الفور أنقن وأجمل لتمن أهل الفور أكثر من تمن الودای ويلبسن في أوساطهن الخثور وهو خرز مستطيل أحمر وأبيض وأزرق ليس بالغليظ كالمنجور الذي تلبسه نساء الفور.

ومن عادة النساء في دارفور كنساء الودای أن يتحزمن بخيط ويكتين بخرقة عرضها نحو من شبر وطولها أكثر من ذراع فتدخل المرأة الخرقۃ بين فخذيهما وتتدخل طرفها في الحبل المتحزمة به من الأمام ومن الخلف، وتفرده فيها ليغطي سوعتها من الأمام والخلف، بحيث لو وقعت الفوطۃ المتحزمة بها تكون مستورة

(١) الخزام: هو نوع من الحلى يسمى بالسناء وهو تلامع من الذهب والفضة من الفخار من الفخار وهو على صورة حصى وشوكى، داخل في حلة من حلة لها ثقب، وهذا الثقب يعمل به مرجاة لها شوكى بهو حارة من حلة حلتها فشط والسمك الأحمر ربيع كاشوكه يعمل به أربع مرججات بها حلة ذهب.

متر: نسخة الامان من ١١٣.

(٢) في الأصل: في التوفين.

العورة، وهذه الخرقعة عندهم تسمى الكنفوس وبلغت العبيد تسمى الجوكو ومن عادتهم أن يكثرن من لبس السماج<sup>(١)</sup> والخلخل<sup>(٢)</sup> وهي نحاس أصفر. وطيب نساء الفور الذي يتطيبن به أحسن من طيب نساء الوداي ثم إن أهل الوداي أعظم أجساماً وأطول قامة من أهل دارفور، بل ومن غيرهم، وليسوا حالكين في السواد كاهل الفور والباقرمة، بل الغالب على ألوانهم الصفرة، فلا يوجد فيهم من هو حالك السواد الاقليل، وأكثر قبائلهم كذلك، كما لا يوجد فيهم من هو صغير الجسم الا القليل<sup>(٣)</sup> بخلاف الفور فغالبيتهم سود، وليس فيهم من هو ضخيم الجسم الا القليل، وأعراب بلادتهم أصفى لوناً من أعراب بلادية الفور<sup>(٤)</sup> خصوصاً القبيلة المسماة بالمحاميد فإنها تكاد تكون في ألوان أهل مصر، ولا يعيرون احمرار اللون كما يعيرونه في دارفور بل عندهم الألوان كلها متساوية، وهي فطرة الله، والأسود والأحمر والأصفر عندهم على حد سواء، بل كلما قل سواد المرء كلما حسن عندهم وتمسحوا به وقالوا إن هذا من حسن الأصل، لأن عندهم إحليلالك<sup>(٥)</sup> السواد من التوشل في الرق، وكلما خلص من السواد كان أقرب للحرية. ومن عادة الأبقار أنهم لا يبالغن في أكل الطعام بل منهن من لا تأكل الا الحريرة<sup>(٦)</sup> وهي المسماة في عرف الأوربيين بالكريما، وذلك خوفاً من كبر بطنن ولهذا تجدهن ضامرات، ويشدن أوساطهن شداً قوياً قصد الضمور، ولا يبالغن في أكل اللحوم أيضاً، وعليهن أكثر الأعماق كنساء الفور، بل أكثر لأن النساء في دار الوداي من اللاني يذهبن الى السوق ويشترين ما يحتاجه المنزل،

<sup>(١)</sup> السماج: جمع دمج وهو السور ويصنع من القمح Macmichael: OP Cit P 104

<sup>(٢)</sup> الخلخل: هو الخلخال: نوع من الاسيور تزين به النساء في دارفور ووداي وليس في الارجل حذاء ويصنع من الخشب للسيدات والسيدات الأصماء يخطن الخشب بالقوة العظيمة ليمسك ثوبه الى الأصفر والقرم من الخشب.

ينظر: تنقيح الأدعياء ص ٢١٨.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. الاقليل...

<sup>(٤)</sup> حديث المؤلف من ألوان الوداي بأنهم أكثر صفرة من أهل دارفور حيث في هذه حيث في بعض الصحراء والبادية السودانية، مثلاً في بعض على الوداي الأصلية قلعة احلامهم بالامارة بينما نجد عكس ذلك في بادية دارفور وكردوان حيث القليل الكسندر احتكاكاً بالبادية فعمدت الوداي والتكلمت حادثة لقال على السهوبات وفي هذه والشمسة... وعندهم.

<sup>(٥)</sup> لونه "سليمون السواد" يفسد لونه السواد من قوله: ملان حاله السواد أي - شديداً -

<sup>(٦)</sup> الحريرة: وتعرف في دارفور بالهدية نو النساء وتقدم كزينة حفلها في رمضان، أو بعض الغلات لقرصية وشعرها أو الحدة



والرجال لا يعلمون ذلك، ومن عجيب صنعهم أنهم يحملن البضائع من بلد إلى بلد، ولكل امرأة منهن ريكتان، والريكة<sup>(١)</sup> أشبه بالقفة في عرف مصر، ولكل ريكة كفة من الحبال لها أربعة أحبال، فتأتي (المرأة) بعصاة غليظة وتضع طرفها في رؤوس الحبال من أعلى والطرف الثاني كذلك، فتبقى للريكتان والحبال والعصا على هيئة ميزان هكذا

الرسم:-



أي ذى كفتين، وذراع، فتحمله المرأة من الوسط حتى تعادل الكفتان، وهذا هو المسمى كراتنقى، فيجملون في الريكتين ما يشاءوا من لحم ولبن وخبز ومأكلة ومشرب وبضاعة، ويتجوز فيها وتحمله المرأة وتساقر به السفر البعيد كما نكرنا، ومن يحرث ويحصن ويقن بالزرع وعليهن لشق الأمور وأسهلها كاتماء والحطب وجمع الأرز والتمر هندي والخروب<sup>(٢)</sup> والنبق، ولما الرجال فطيمهم<sup>(٣)</sup> مقاتلة الأعداء والحياسة والغزل وجميع الأمور المهمة، (كرعاية) البقر والرقائق وعليهم الغزو لبلاك القرية وخدمة السلطان وبناء البيوت وإقحام الأمور العظيمة بالجملة، فتقى دار الغور والوداي (الرجال) اختلاط عجيب بالنساء في الليل والنهار لأن بناتهم يختلطن مع الشبان بالليل ولا يمكن حجب المحبوبة عن محبها، ويتحيلن

<sup>(١)</sup> الريكة: تطلق بأماة لراة، وهي آلة واسعة كالحقفة لكنها أكبر منها وتجميع من حديد صخر الحديد والفضة والذهب يتركب داخل ونسج

حوالي خمسة أرباع من المرأة، وتتمثل طريقة واسعة في دارفور ووداي

<sup>(٢)</sup> في الأصل: الخروب. والخروب الخروب وهو نوع من ثمار الشجر لكنه الحيوانات لغير لها كثرة وأما ما ذكره الناس لأن ضربه للبدن وله حصة.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: لما أرسلت فطيمهم...

فى ذلك بكل حيلة يقدرن عليها<sup>(١)</sup> ولقد كان أحد الترافقة بدار ودائ يهوى جلارية  
من محافظى السلطان صابون، وكانت هى أيضا تبواه وكانت لها عند السلطان  
منزلة عظيمة، ومن حب السلطان فيها أنه أخذها معه فى الغزو حين توجه لقتال  
التاما الذى أسلفنا ذكره، فبرطلت<sup>(٢)</sup> الخدام والجوارى وصارت تخرج اليه من  
أخبية السلطان، فتبيت عنده كما قمنا ذلك ولقد رأيتهن فى دارفور يتحيلن بالمعجزات  
فتلقى المعجوز للغلام الذى تريد أن تدخله دار السلطان فتضفر شعره كالمرأة<sup>(٣)</sup>  
وتلبسه العقود والخلخل والتمالج وتهينه بهينة الجوارى وتضمخه بالعليب، بحيث  
لا يشك رائية أنه جلارية، ثم تدخله دار السلطان مع ما فيها من الحجر والتضييق  
على النساء الداخلة، خصوصاً من الطواشية الذين يقتلون الاتسك ويسألون  
ولا يسألون لم قتلتموه، وأقول إن الأمر الذى دعا النساء لهذه الأفعال كونهن  
مظلومات مع ملاطين السودان وملوكها، لأن السلطان فى داره أكثر من ألف  
امرأة جميلة تصلح لأن تكون ضجيرة له، بخلاف الخدم والمعجزات بل يوجد فى  
بيوت الملوك من عنده خمسمائة امرأة ثابتة<sup>(٤)</sup> من ذوات الجمال، ويتضررة من  
حيث أنه أسمى لاثرة له على الاتمام بجميعهن ومن شابات قويات الغلظة وعندهن  
الماكل والمشارب خصوصاً ويشربن من المسكر فيبيح عليهن الشهوة، فيتحيلن  
بكل حيلة كما ذكرناه ولولا أنهن يظلمن، لما فعلن ذلك الأمر المنكر حتى أنه ربما  
كان سبباً لقتل الرجال وقتلن وقتل من أسخطهم، فتقوة الشهوة يرمين أنفسهن فى  
الهلاك وسوء الارتباك، وبالجملة فهن سبب لأكثر مصائب الرجال لكن العقل من  
الرجال يحزم رأيه ولا يعطينهم زمامه وقيادته، وقد اتفق أن رجلين عاقلين قتلا  
امرأة وماذا إلا أن يعرف الجارى عندهم أن المرأة لا تجبر على أحد بل كل من  
أحبته تركوها وإياه، ومن اصطلاحهم أن المرأة إذا أحببت رجلاً وأختارته صارت

<sup>(١)</sup> أوقع الاحتياج إلى دارفور وما حاورها لم يكن لها أوسع على إسلامه كما ذكره الخراف وقد وجد فيه لغواً من الحياة ومتعطلة من  
تكون بين الرجل والمرأة وإن بناء ذلك غريباً على بعض المجتمعات العربية.

<sup>(٢)</sup> (برطلت) وهى كلمة علمية مغربية والتقصود تركبهم وأحدهم.

<sup>(٣)</sup> فى الأصل "فغضفر شعره كالسهم".

<sup>(٤)</sup> هذا العدد متباين بل إنك قد ترى نساء السلطان فى الجزائر ومادة ما يلزم السلطان فى دارفور وودائ ما يربح النساء حسب  
ما يحدث من هذه الاملاحة.



له فإن كانوا عشرة رجال أصحاب وبينهم امرأة واحدة (يطلبونها) خسرت، فإذا اختارت أحدهم صار<sup>(١)</sup> التسعة كإخوان لها، يناديها كل منهم (بكلمة) يا اختى، وهي أيضا كذلك، فإن مات بعدها لرجل آخر منهم ربما أوقعت بينهم عداوة لشدة الغيرة، خصوصاً إذا كانت من ذوات الجمال، وقد اتفق أن صاحبين عثرا على<sup>(٢)</sup> شابة جميلة أو تعرضا لها لتختار واحداً منهما كما هي عانتهم، فاختارت أحدهما فقتل لها الآخر أنت قد صرت اختى، وبقياً كذلك مدة، فمات صاحبها الأول، وأرأيت أن تصاحب الثانى ومات إليه بكليتها، وكانت جميلة كما ذكرنا فمال إليها هو الآخر ولكنه<sup>(٣)</sup> خاف من اللوم والعار، ولأن تقع العداوة بينه وبين صاحبه فتكون سبباً لهلاكها، أو هلاك أحدهما فاختلفا بصاحبه وقاتل له ابنى عارض لك رأياً لا ينفق أنا وإياك فيه على ما فيه الخير، وماذا لك إلا أنك تعلم أن النساء فتنة للرجال وأن ثلاثة قد ظهرت خيانتها وتقت نفسها على، واختمى أن تكون سبباً للعداوة بيننا، وإن كنت فى شك مما أقول فاختلف بالليل فى موضع كذا وأنا أتى كائى أمال عنك وانظر ما يحدث بيننا، ولكن اشروط عليك أن رأيت مايسووك منها فإن<sup>(٤)</sup> استغنيت عنها فسيبها واتهرها، وقل لها يا خائنة إياك وإن تعودى لى أو لصاحبى واعلمى أننا لاتعاضى بعضنا لأجل امرأة خائنة مثلك وإن لم تستغنى<sup>(٥)</sup> عنها وتمكنت محبتها منك فلا تظهر لها، وأنا اتخلص منها بجميل وأبعد عنكما مدة حتى تسلوها، فقال له صاحبه نعم ما به لشرت، ثم انه صار حتى كان الوقت الذى وعد صاحبه أن يأتى فيه فأتى ودخل الدار وكان عشيقها قد جاء أولاً واختمى فى مكان ما ليشارك مايقع بينهما، وهل كلام صاحبه حق أم لا<sup>(٦)</sup>، وحين دخل الرجل الدار وشعرت به قامت إليه وتلقته وبشت فى وجهه وعرضت عليه الجلوس معها: فقال لها: اين أخى، فقالت له لا أعلم وبالله عليك لا أتقل أخى فإنه والله لا يحبك ولا يملكك

<sup>(١)</sup> و الأصل \* صارت خمسة..

<sup>(٢)</sup> و الأصل \* عثرا مثابة..

<sup>(٣)</sup> و الأصل \* هو كانه صال من القوم..

<sup>(٤)</sup> و الأصل \*.. فإن كان لك من صها..

<sup>(٥)</sup> و الأصل \*.. وإن لم يك من صها..

<sup>(٦)</sup> و الأصل \*.. وهل كلام صاحبه حق أو لا..

وأنت تضع الود وتصنع الصنعة في غير محلها، فقال لها أنا لا أعلم من صاحبى  
الوداً ووفاء فقلت له إن كنت لا تصفى للكلام فيه فشأنك وإياه، ثم نلت منه  
ورمت نفسها عليه، فامتنع عنها وقال لها اعلمى أنك صرت الآن لفلان<sup>(١)</sup> فإن  
تركتيه واتبعته كنت هذه خيانة<sup>(٢)</sup> منك وإن قبلت كنت خائناً أيضاً وما الذى  
منعك أن تختارينى أولاً، فقلت: إبنى أخطأت وظننت أنه يعادلني في المروءة فظهر  
لى ضد ذلك، وقد ندمت الآن والقيت اليك زمام أمرى وها أنا بين يديك، فقال لها  
أما من جهة فلان صاحبى فلا أخونه وأما أنت فإن كنت محتاجة لأمر ولم يوفه لك  
فعلى وفاءه فقلت قد زنته<sup>(٣)</sup>، ولا حاجة لى به، فإن كنت تقبلنى والاهمت على  
وجهى ولن أعثره، ولما سمع عشيقها مدار بينهما من الكلام أخذ الغضب  
وظهر عليها، ولم يخاطبها بل مسكها وضربها بسكين فى أحشائها فخرت ميتة  
فقال له صاحبه ويك ولم فعلت ذلك فقال: أرحمت قلبى لأنى أحبها ومن حيث أنها  
تبغضنى فلا آمن أن أقع فى بعض المهالك بسببها ولما ماتت تحير فى أمرها فاتفقا  
أن يقطعاها ويحفرأ لها حفرة ويلقيها فيها وكتما أمرها حتى مات القاتل ثم حكى  
الرجل الآخر (القصة) ولولا إخباره لما ظهر الأمر، وخافنا النساء كثير فلا  
بارك الله فى كل خائنة ورحم الله من قال:-

ففيهن من تسوى ثمانين بكرة	وفيهن من تغلر بجلد حورارة
وفيهن من لم يستأذن الله عرضها	إذا غاب عنها الزوج راحت لجارة
فلا رحم الله خائنة النساء.	وأعرق كل الخائعات جارة

واذكر فى هذا السياق ماجرى لأحمد بن طولون مع بعض محافظى أبيه ذلك أن  
أحمد أرسله أبوه داخل الدار لحاجة، فرأى محظية والده مع عبد من العبيد فخافت  
أن يتم أحمد لأبيه عنها<sup>(٤)</sup> فبقتلها، فسكت على مضض حتى دخل طولون الدار

<sup>(١)</sup> ن الأصل ... على اسم فلانة.

<sup>(٢)</sup> ن الأصل .. كنت منك حرة.

<sup>(٣)</sup> ولد زنته. أى كرمه على شأنه لعل يارور وودعه.

<sup>(٤)</sup> ن الأصل .. فماتت أن يتم أحمد عليها لأبيه.



فقامت الجارية وهي باكية العين، فلما رآها على تلك الحال تألم قلبه من ذلك وكان يحبها فقال لها مادهاك، فقالت بمكرها ودهانها أيسرك أن أحمد ولدك يراودني عن نفسي، ولولا أنني تحيلت عليه ووعنته وقتاً آخر لفعل<sup>(١)</sup> ما أراد أو قتلني، فاحتفظ طولون لذلك وعزم على قتل ولده، لكن لم تطاوعه نفسه بذلك فكتب إلى<sup>(٢)</sup> أحد عماله كتاباً يقول فيه: إذا أتاك كتابي هذا فاقطع رأس حامله من غير مشورة والسلام، وطوى الكتاب ودعا بولده أحمد وقال له اذهب بكتابي هذا إلى عاملنا فلان ليعمل بمافيه وأنتى عاجلاً، فامتلأ أمر والده وأخذ الكتاب وأمر بإسراج دابته فراه العبد الذي كان وجده مع الجارية، فأراد أن يتخذ له يداً عنده ويبغض فيه أباه لما يرى من تهاونه في قضاء حاجته فقال (له) إلى ابن ياسدي فقال: إن والدي أرسلني إلى العامل فلان بكتاب يأمره بأن يعمل<sup>(٣)</sup> بمافيه، فقال له هل يتفضل على مولاي بهذه الخدمة ويكون هو في راحة وأنا أقضي عنه هذا (الأمر) المهم<sup>(٤)</sup> فأجابه أحمد لذلك وأعطاه الكتاب، واحتتم الراحة، فلما كان ثاني يوم دخل على الملك رسول وكتاب من طرف العامل ومعه مخلاة وكتاب يقول فيه: بعد تقبيل الأيدي هأنذا قد امتثلت أمر سعادتكم وهامو رأس من أمرتني بقتله صديبة حامل الأمر، فلما رأى الملك طولون الرأس وجدها رأس عبد من العبيد، فأرسل خلف أحمد ولده، فلما حضر قال له وبلك ماذا صنعت بالكتاب الذي أمرتك أن تذهب به إلى فلان العامل، قال: قد أخذه مني فلان العبد، وأقسم عليّ بحقك أن يذهب هو، فقال له هل كان بينه وبينك شيء قبل هذا، فسكت فقال له أخبرني على الصحيح فأخبره أنه راه مع فلانة المحظية وأنه ستر عليهما خوفاً من الهلاك، فعند ذلك تحقق والده صدقه وقتل الجارية التي كانت وشت فيه، ورحم الله ابن عرو من حيث قال:

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. لكن لم ما أراد..

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. فكتب إلى بعض عباده..

<sup>(٣)</sup> في الأصل: إن والدي أرسلني إلى عامل فلان بكتاب يعمل بمافيه..

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. أقضي عنه هذا المهم..

ياخوي قلت لي مالك وبئس لك جينها لك

اللي يعمل الخير بلفناه واللي يعمل الشر هالك

وسبب إتشاد الشيخ ابن عروس هذين البيتين انه كان صغيراً ومات أبوه وتزوجت أمه برجل كان يبغيض الشيخ ابن عروس لكونه ربيبه، فأتى في يوم من الأيام بفاكهة، وكان يريد أن يأكلها وحده، فأتى ابن عروس ودخل عليه في ذلك الوقت فتغصص عليه وأراد أن يتحيل عليه ويبعده عن وجهه، بحيلة حتى يأكل تلك الفاكهة فدعاه وقال له: يا أحمد خذ هذا الدائق<sup>(١)</sup> واذهب به إلى العطار واقتني منه<sup>(٢)</sup> الشيء الذي يقال له هاك، فصدقته الشيخ وأخذ الدائق وذهب يسأل العطارين واحداً بعد واحد، وكل من قال له أعطتك هاك، يجيبه بلا، فمر على أطفال صغار معهم عقرب عظيم مربوط بخيط وهم يلعبون به ويقولون هاك، هاك، فقال لهم الشيخ هذا الحيوان هو المسمى هاك، فقاتلوا له نعم، فقال لهم خذوا هذا الدائق واعطوني إياه لأنى بحثت عنه<sup>(٣)</sup> عند العطارين فلم أجده فريضوا وأخذوا منه الدائق فآخذ للعقرب ولم يعلم أنها قتالة فسلمه الله (منها) حتى وصل إلى زوج أمه فقال له: هل أتيت بهاك؟ قال نعم قال: أين هو؟ قال هاهو قال هاته ومد يده فأعطاه العقرب فلما صارت في يده لسمعه بزنا بها<sup>(٤)</sup> لسعة عظيمة فسقط ميتاً، فاشهد الشيخ البيتين المذكورين، فويله<sup>(٥)</sup> يعلم مصداق قوله تعالى: 'ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله'<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى: 'ومن يعمل سوءاً يجز به'<sup>(٧)</sup> وقوله صلى الله عليه وسلم: 'المسرة يجز بعمله إن كان خيراً فخير، وإن شراً فشر' ولهذا قالوا: من حفر حفرة لأخيه أوقعه الله فيها.

<sup>(١)</sup> الدائق هو عسل معدنية مصرية ويسمى عسل العرب

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. خذ هذا الدائق واذهب به إلى العطار واقتني منه هذا الدائق..

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. بحثت عنه...

<sup>(٤)</sup> وثقنا: أي بغضاها الذي فيه الشبهة المسند.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: 'ومن عمل سوءاً يجز به' وعبرة من هاتين.

<sup>(٦)</sup> سورة طه، الآية ١٢٣.

<sup>(٧)</sup> سورة النساء الآية ١٢٣.



ومن هذا القليل ما حكى أن ملكاً من الملوك كان له نديمان وكان أحدهما يحسد الآخر لمكانه من الملك، وكان المحسود حديث عهد بصحبة الملك، لكن لفصاحته ونبايته أجل الملك قنره، وأحبه محبة عنيفة، ومن شدة حسد النديم القديم أنه صنع طعاماً جميلاً وأكثر فيه من الثوم، ثم دعا النديم الجديد إلى بيته وأحضر له ذلك الطعام، وكان جميلاً، فأكل منه بقدر الكفاية، ثم بعد فراغه من الأكل قال له ابن مولانا يكره رائحة الثوم غاية الكراهية<sup>(١)</sup>، فإياك أن تدنو منه قبل زواله، وإذا قنر ودعك، فأحترز أن يشمها منك، فيكون ذلك سبباً لبغضه فيك، فتقبل<sup>(٢)</sup> الرجل قوله، وذهب إلى داره، ثم توجه الحاسد إلى الملك وقال له: إني لك من الناصحين، فقال له الملك وما نصيحتك، قال له إنك ظننت الخير في غير أهله وقربت من لا يستحق التقرب، فقال له الملك ومن تعني بذلك، فقال: ابن فلان الذي اتخذته نديماً يقول أنك أبخر النعم وأنه ينادمك على كراهة، لتبج رائحة فمك، وإن كنت في شك مما قلته لك فادعه الآن وأمره بالدنو منك كأنك تسارره، وتري كيف يصرف وجهه عنك، فاحتفظ الملك لذلك، وأمر بإحضار النديم المذكور، وهو لا يعلم شيئاً مما كان من صاحبه، فلما جاءه رسول الملك لا يمكنه<sup>(٣)</sup> إلا الإجابة، فلما مثل بين يدي الملك هش الملك في وجهه وترحب به واستدعاه، فخاف النديم أن الملك يشم منه رائحة الثوم، فصار يصرف وجهه عن الملك، فلما رأى الملك منه ذلك تحقق صدق مقالة صاحبه، فقال للنديم المذكور بت عندي في هذه الليلة لأنني أريدك في أمر مهم، إذا دعوتك فأتني من باب السر الفلاني، وكان نديم المسوء حاضراً، فلما سمع من الملك ذلك القول زاد حقه وقال: (أي نفسه<sup>(٤)</sup>) أنا وشييت فيه لأبعد عنه وما زلته الوشاية إلا تقرباً، وتركه حتى خرج من مقر الملك وقال له: أريد أن أكون معك في هذه الليلة، فقال النديم المحسود: حباً وكرامة، وتوجه بها معاً إلى المحل الذي أمر السلطان أن يبيت فيه، وكان بين المحل ومحل<sup>(٥)</sup> السلطان

<sup>(١)</sup> في الأصل: "ابن مولانا يكره رائحة الثوم غاية الكراهية لأنه".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "فأخذ الرجل قوله بقول".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "لم يمكنه إلا الإجابة".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "رأى حقه وقال أنا وشيت فيه لأبعد". ومهم من هذه العبارة كأنه ينادي السلطان أو المحسود ولكنه ينادي نفسه.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "وكان بين المحل وبين محل السلطان..".

مجاز طويل، فأمر السلطان أن يحفر سرانيب في المجاز، وأن يغطي<sup>(١)</sup> بشيء واد، وأمر بعض العبيد أن يرصدوا<sup>(٢)</sup> هذا المحل ومتى سمعوا بوقعة لثمان فيه أن يطموا عليه التراب، فمكث التنديمان مع بعضهما يتحادثان زمناً من الليل، ثم إن الحاسد أظهر التناوم وتناوب مراراً<sup>(٣)</sup>، (أما) المحسود فقد أخذ النوم فقام بالفعل، فانتبه الحاسد وقال في نفسه: هذه فرصة لا أضيعها، يسأل أبقى سامراً حتى يدعوا الملك فلاناً فاذهب أنا إليه وأقول له يا مولانا إن فلاناً متهاون بأمرك، فإني أمرته أن يستيقظ حتى تدعوه فلم يمتثل<sup>(٤)</sup> بل نام وحين سمعت نداءك أجبتك ليغضب عليه غضباً كلياً، فمكث سامراً حتى مضى معظم الليل<sup>(٥)</sup> فلما كان ثلث الليل الأخير سمع نداء الملك يا فلان، فقام الحاسد وأجاب النداء والمحسود مستغرق في النوم لا يشعر بشيء من ذلك، ثم فتح باب السر فصار الرجل يهرول في الظلام حتى وقع في الحفير وسمع<sup>(٦)</sup> العبيد الواقعة فطمعوا عليه التراب لهلك، ولما أصبح الله الصباح استيقظ التنديم فلم ير صاحبه، وعلم أن السلطان ناداه ولم يشعر بدائه لنومه<sup>(٧)</sup> (فقام) وأصلح حاله وتغليب ودخل على الملك فلما رآه تعجب، ثم دعا بالعبيد وقال لهم (ماذا فعلتم فيما أمرتكم به البارحة، قالوا قد فعلنا وطميننا التراب على الذي سقط في الحفير فسأل السلطان التنديم عن صاحبه فقال: أيده الله مولانا إنه كان معي البارحة وحادثني حديثاً جميلاً حتى غلبه النعاس فنعس ونعست أنا بعده، وما أدرى ما فعل، غير أنني أصبحت فلم أجده، فتشكك السلطان وأمر بنيش من في الحفير فنبش فإذا هو التنديم المذكور، فحينئذ قال السلطان للتنديم المحسود ما شأنك أنت وهذا الرجل قال لا أعلم بيني وبينه الاخيراً، إلا أنه دعاني إلى داره وأحضر لي طعاماً جيداً فيه ثوم كثير فأكلت منه ثم حذرني من الدنو منك، وأخبرني إنك تكره رائحة الثوم فلما دعوتني لم أجد بداً من الحضور إليك،

<sup>(١)</sup> في الأصل: "أن يجر سرانيب في المجاز ويغطي..".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "أن يرصدوا..".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وتناوب مراراً فساد المحسود..".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "فما امتثل أمره..".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "حين مضى عامة الليل..".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "وهممت الحمدة..".

<sup>(٧)</sup> في الأصل: "ولم يشعر بدائه لكان النوم..".



لكن لما أنيبتني خفت أن تشم رائحة الثوم فصرت لأصرف وجهي عنك، هذا ما أعلمه، فعلم السلطان أن الرجل صادق وأن الذي ملك كان حاسداً له، وأن حسده قد أملاكه فأخبر السلطان الرجل المحسود بمأقائه الحاسد فيه وقال له إنما حشرت هذا الحفير لك، لكن لحسن نيتك نجوت ولخبث نيته وقع هو فيه. فيما تقرر يعلم أن الحسد من أقبح الأمور ولهذا قال صلى الله عليه وسلم  
 "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"<sup>(١)</sup> وقال الشاعر:

الأقل لمن بات لي حاسداً      أنتدري على من أسأت الأديب  
 أسأت على الله في فعله      كأنك لم ترض لي ما واجب

ولنرجع إلى عوائد أهل الوداي فنقول: قد تقرر أن أهل الوداي أهل تمدنا من أهل الفور وأكثر شجاعة ووحشية وعدم استئناس، حتى مع بعضهم البعض، وشبانهم أقوى في ذلك، خصوصاً إذا شربوا مسكراً لأنهم بعد أن يكونوا يتحاشون بليين يغلظون القول على بعضهم فيقتلون وتسفك الدماء بينهم، ومن علمتهم أن الرجل منهم إذا تقوى<sup>(٢)</sup> على أقرانه ووصف بالشجاعة يسمونه غفريئاً، وقبل تولية المرحوم السلطان محمد عبدالكريم صابون كان للعفاريات شوكة قوية حتى كان القتل والنهب يقع بعد غروب الشمس في البئر المسمى ببير صابون، وهي قريبة جداً من الفاسر<sup>(٣)</sup> بحيث لو كان أحد في البئر<sup>(٤)</sup> يسمع صوته من كان في أول ولاره كالبيت الذي كنا فيه وماحاداه<sup>(٥)</sup> فإذا كان ذلك يقع في أقرب المواضع من

<sup>(١)</sup> أخذت رواية اردنود واليهيلى وابن ماجة القرطبي ٢٥١/٥ ورواه أيضاً اردنود في سنة من حديث أن هريرة وفيه أسامة مسمى وهو ضعف الظاهر من ابن ماجة رقم (٤٢١٠)

<sup>(٢)</sup> في الأصل "أما على على لقرانه.."

<sup>(٣)</sup> المقصود بالعناصر هنا الساعة التي يستمر فيها القتال لقرانه لشهارة لعدائهم دولة..

<sup>(٤)</sup> في الأصل "بحيث لو كان أحد في البئر المسمى ببير صابون وهو تكرر عمل.."

<sup>(٥)</sup> فحدث الثولف ما علم، لسان الله في اللغة، حذف له التثنية.

واره فمن باب أولى أن يقع في المحال البعيدة<sup>(١)</sup> ولقد بلغني أن التجار كانوا لا يقترون على السفر بالتجارة من بلد لآخر إلا إذا كانوا جمعاً عظيماً، وكان العفريت إذا تعشق امرأة منع غيره<sup>(٢)</sup> منها، وقتل كل من صاحبها (ويمكنه أن يتزوجها) فها رغم ألف جميع من عارضه وقد بلغني أن أحد العفريت<sup>(٣)</sup> حجر على صبية كانت تكرهه وهو يحبها محبة عظيمة فكان يأتي إلى ديارها كل ليلة، ومتى وجد عندها أحداً قتله حتى هابه الناس، وتركوا تلك الصبية ثم خطبها فرضى أبوها وأبت هي أن تكون له أهلاً، فبقيت على ذلك مدة ولم<sup>(٤)</sup> يتجاسر أحد على خطبتها بل ولا على مصاحبتها، وعاقبها<sup>(٥)</sup> الناس حتى مضى<sup>(٦)</sup> وقت تزويجها، وعانت هي فأبت أن تتزوج به، وبقيت كذلك إلى ما شاء الله، وفي أحد الأيام ذهبت إلى السوق لتقتني بعض شئونها وكثفت من الجمال بمكان، فرأها رجل غريب فأحبها، وكان شجاعاً فتاكاً لا يرهب الموت، ولا يخشى من القوت، فأحبها وهام بها، ورصدها حتى قضت شئونها وخرجت من السوق فتببها<sup>(٧)</sup> وسألها الصحبة والودك، وشكا إليها ما يجد من ألم الجوى وتباريح الهوى فقالت له: والله أنك لظريف وأناي والله أحبك مثل حبك لي أو أكثر، ولكن قد حيل بين العير والتزوان<sup>(٨)</sup> فقال لها ولم ذلك؟ أأنت ذات بعل، فقالت لا، فقال وما يمنعك، قالت: يمنعني رجل جبار حجر على وسلط على كل من دنا إلى. فقال: ولم لا يتزوج بك، فقالت: أني والله لا أحبه ولا أريده، فقال لها: أهو ذو قرابة منك؟ قالت لا والله، قال إن لا تخافي فلما أخلصك منه إن شاء الله تعالى، فقالت له حيات هيهات

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وما كنت في طرب الترميح إلى داره بلع ذلك وقع في المحال البعيد من باب أولى."

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "لما تعشق امرأة حادها من غيره."

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وقتل كل من صاحبها وتزوج لها المرأة على ألف جميع من عارضه."

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "بلعن أن مضى الخطر منه."

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "ولن يتجاسر أحد."

<sup>(٦)</sup> عاقبها الناس أي كرهوها.

<sup>(٧)</sup> عابها: "حق مضى وقت تزويجها، المقصود منها ما كبرت وأصبحت عاباً لأن عادة أهل تلك البلاد قد تزوج الست وهي صغرة."

<sup>(٨)</sup> منها: "كثرت منسوبة في لؤس الشارب المرافقين خاصة في وادي والفرور ونحو نودد إليها وأصحابها."

<sup>(٩)</sup> قد حيل بين العير والتزوان وهو مثل ضرب ويضد به ابتداء الشيء من فريته.



الخلاص، من ضيق الأكفاس، أعلم رحمك الله انى لست خائفة منه على نفسى بل خائفة عليك لأنك رجل تظهر عليك آثار المروءة والمكارم، وذلك رجل غاشم ظالم اذا تمكن منك ربما قتلك، فقال لها: لا تخافى على من ذلك، بل اربنى موضعك، ولا يحصل لى شاء الله إلا مايسرك، فعند ذلك أرته دارها، فلما كان بعد العشاء جاء ودخل الدار وجلس يحادثها مع العفاف، فلما كان بعد ساعة أقبل ذلك الرجل الذى حبر عليها، وقد بلغه أن رجلاً<sup>(١)</sup> مع محبوبته، فلما دخل عليها كان الرجل جالساً معها واضعاً فخذه على فخذهما، فلرايت أن تسل فخذهما من تحت فخذه وتتجو بنفسها وتتركهما يفعلان ما لراى، فلبى عليه صاحبها وتكأ عليها بفخذه فلم تقدر أن تخلص نفسها منه، وتماذى معها فى الكلام الذى كانا فيه ولم يكثر بالرجل الداخل عليهما حتى وقف<sup>(٢)</sup> عليهما وقال للجالس ما الذى جاء بك الى هنا<sup>(٣)</sup> فلم يرد عليه جواباً فسأته ثانياً فلم يرد له جواباً، والثالثة كذلك، فاعتاظ وصل السكين المسماة بالكرداوى وضرب بها الجالس فى فخذه حتى وصلت نهاية السكين الى فخذ الصبية فلرايت أن تسل فخذهما منه فلم تتمكن<sup>(٤)</sup> فبهت الرجل (الضارب) من الجالس لقوة قلبه وعدم اكتر له<sup>(٥)</sup> (بالضربة) فاخذ مسكينه وأراد الذهاب فقام اليه الرجل الجالس ومسكه من ثوبه فجذب نفسه منه، فتمزق الثوب وبقيت قطعة منه فى يد الرجل، والباقى على جسد الآخر، ثم إن الرجل أراد أن يمضى ويلجئ بنفسه فصكه الرجل الذى كان جالساً برجله فى ظهره، فوقع على وجهه فتمسخت جيبته وأنفه وبقي طريحاً على الأرض مدهوشاً لايعق<sup>(٦)</sup> نفسه، فصبر عليه الرجل حتى أفاق ثم سل مسكيناً وأراد نبحه فقال له، الرجل لئننى أراك الله فقال له إن تببت وحلفت لك لا تعرض لها مادمت حيا ابقىك<sup>(٧)</sup> حياً والإقتلتك

<sup>(١)</sup> ن الاصل: "وقد بلغه ان عد مورته رجلاً".

<sup>(٢)</sup> ن الاصل: "حق ان الرجل وقف عليهما وهو نكرل على".

<sup>(٣)</sup> ن الاصل: "ما الذى جئت هنا".

<sup>(٤)</sup> ن الاصل: "فما مكها".

<sup>(٥)</sup> ن الاصل: "لم ان الرجل سل مسكه ومث في عدم اكترت المجلس ولما تبه".

<sup>(٦)</sup> ن الاصل: "لا يمتل على نفسه".

<sup>(٧)</sup> ن الاصل: "لمت عليك حياً".

الآن فتأهب وحلف أنه مابقى (حيا فلن<sup>(١)</sup>) يتعرض لها، فجذبته من أنفه كالثأب حتى أتى به إلى الصبية وكانت جائمة تنظر ما يحصل بينهما ومن سيظفر بصاحبه<sup>(٢)</sup> فأوقعه بين يديها وأخبرها أنه حلف (بعم) تعرضه لها<sup>(٣)</sup> (مرة أخرى) فسأته الحق مايقول: فقال نعم قالت له خلى سبيله، فلن عاد وتعرض لى مرة أخرى افعل به ما تريد فأطلقه فذهب ينفض عبرات الموت، ثم إن الرجل الذى خلصها من يد ذلك الغاشم خطبها من أهلها وتزوج بها فقامت معه حتى قضى نحبها، وأمثلة هذا كثير.

### تنبيه:-

مما اتفق أن رجلاً وامرأته (كانا)<sup>(١)</sup> مسافرين فجاءا فى طريق منقطع عن العالم وكان فى هذا الطريق عفرية قاطع، فجاء عليهما، ولما صار معهما رفع ثيابه وسلح سلحة<sup>(٢)</sup> كبيرة فعف الذباب<sup>(٣)</sup> على الغائط فجاء بزوج المرأة وقتل له: اجلس أمام هذه السلحة وإياك أن يقع الذباب عليها وإلا فساقتك<sup>(٤)</sup>، فذاف الرجل وجلس يذب عنها الذباب ثم عمد العفريت<sup>(٥)</sup> إلى المرأة أمام زوجها وجامعها، ولما قضى وطره منها أطلق سبيلها فصارا، فلما بعدا عن العفريت قالت المرأة لزوجها: لما فيك مروءة تترك الرجل يفعل بى هذا الفعل القبيح أمامك وأنت تتظر وماكفك ذلك، حتى أنك أطعته وصرت تذب الذباب عن سلحته، فقال لها زوجها ويلك أتظنين أنى أطعته وخببت عن سلحته الذباب، قالت نعم، قال لا والله، بل تركت الذباب الكبير يأكل منها ماشاء، ولو أنى خفت منه كما تزعمين لما فعلت ذلك، فضحكت عليه وعلمت أنه جبان قليل الحيلة.

<sup>(١)</sup> فى الأصل .. فأهب وحلف أنه مابقى يتعرض لها..

<sup>(٢)</sup> فى الأصل .. ومن يظفر بصاحبه منهما..

<sup>(٣)</sup> فى الأصل .. وأخبرها أنه حلف لا عاد يتعرض لها..

<sup>(٤)</sup> فى الأصل .. إن رجلاً وامرأته مسافرين..

<sup>(٥)</sup> فى الأصل .. وسلح سلحة أكو ما يكونه.. وسلح بمن لغوط

<sup>(٦)</sup> عف الذباب .. بمن لول وراكب..

<sup>(٧)</sup> فى الأصل .. وإياك أن يقع الذباب عليها فساقتك..

<sup>(٨)</sup> فى الأصل .. لم أن العفريت عمد إلى المرأة..



لكن من العجب أن الواحد منهم يغار على معشوقته، وأن يلم بها غيره، ولا يغار على أخته وأبنته أن يلم بها غيره، لأن منهم من يجلب لأخته ويصفها بالآوصاف الجميلة ليشوق إليها قلوب الناس بل منهم من إذا عفت أخته ونفرت من محبتها وبلغه ذلك زجرها وردها إلى طاعته، ومنهم من يتغالي في فعل المعروف حتى أنه يدخل الرجل الأجنبي على أهله ويتركها وإياها<sup>(١)</sup> على حد قول القائل:

أقود حمد الله لكن كرامته      وغيري قواد على مرغم أمه<sup>(٢)</sup>

وكنك النساء لكثرة الغلبة والشبق لا يردن<sup>(٣)</sup> قاصداً فقد أكثر من لئيم أصحاب غير رجالهن ولا يقنعن بأزواجهن ويعرفن من بعضهن ذلك وينكرنه ولا تقدر المرأة منهن أن تعير جارتها بذلك لأنها هي الأخرى<sup>(٤)</sup> مثلها، كما قال القائل:

قالت لجارتها يوماً تعانها      قرنت زوجك والتري من يفضحه

قالت أتركيه جاً بلا قرن      يأتيه زوجك ذو التري يسلحه

على أن منهن من لها زوج ولها جملة اخلاء على حد قول القائل:

أيا من ليس يرضيها خليل      ولا التي خليل كل عام

أراك بنية من قوم موسى      فهم لا يصبرون على طعام

وبالجملة فطوائف السودان مشتبكون بحب النساء كاشتباك العصافير بالأشجار، وكل منهم يصرح باسم محبوبته على حد قول القائل:

فصرح من تهوى ويسعى من الكنى      فلا خير في اللذات من دونها من

<sup>(١)</sup> هنا الحديث عن عدم هوة لعل ودنى على ما فهم واستفهم فيه صحيح على اختلافه، بل أكثر القائل مدغم على النساء التزوجيات بالاعتناء فترسل لغيره سوى القائل لها واحد رجلاً عربياً مع روحته، وأحياناً تغفل المرأة عنها مع حبها لها ويسأل عنها أحد وكذا الحكيم الأمر بالنسبة لثبات الأدب لو الأح لها فأكده من لسان احلال لته لو احد فرمها فلها معها لفرم

<sup>(٢)</sup> البيت \* بمن \* يلم الرجل النساء نظراً منه ومكرمة لها الاخرون يعلوهم حودة منهم

<sup>(٣)</sup> في الاصل \* لا يردن قاصداً \*

<sup>(٤)</sup> في الاصل \* لا لها هي الأخرى كمنك \*.

إلا إن أخاف الإنسان منهم من التصريح أن يعرض نفسه للتلذذ مثلاً إذا صرح  
باسم بنت ملك أو زوج ملك (بأنه يحبها)<sup>(١)</sup> فإن يخشى على نفسه من القتل، فذلك  
العقل منهم يكتف عند ذلك هوادة، ويصبر على بلواه إلا إذا عزم رشاده وأصبح  
صلاحه فساداً فقد يبيع بسرّه، يرجو بذلك كشف ضرره، ولا يخشى ملامة العزّال  
وإن أوقعه التصريح في النكاح، على حدّ قولي في بعض الأحوال:

ومن فرط حبي بك يا نور، مقلني خلعتُ عِدَامِي بك والخرق السق  
وهمتُ فلم أخش الملام لعاذل لأن مماتني في هواك هو الدخر  
وأما الذي يتستر في الحب فيقول لكى يبلغ الغامول

خبائك في عيني مخافة عاذل وقد شرفت بالذات تلك المراضع

ومن فرط حبي في جالك إنني خشيت رقيباً في هواك بصارع  
وبالجملة فهذا باب واسع وبحر زاخر لو ولجنا فيه يطول الحال، ويحصل الملل،  
ولنرجع لما نحن بصددّه ونفرق الأئمة إلى ما التزمنا بإيراده وقصده.

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. كما لما صرح باسم بنت ملك أو زوج ملك فانه يمتنع.



## الفصل السابع

### في وفاة السلطان صابون وما تلى ذلك من الأحداث<sup>(١)</sup>

يعود الفضل في معرفة المعلومات التي تتعلق بمقتل السلطان صابون والأحداث التي ظهرت بعد ذلك إلى الفقيه دليل من كبار القضاة في وداي. مر على القاهرة عام ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) ففى وداي يذكر موت صابون بطريقتين. يرى بعضهم أنه مات بالمرض، ولكن البعض الآخر وهم الأكثرية يؤكدون أنه مات ميتة شنيعة، وهذا ما حكاه لى الفقيه الهلالي ورفاقه الذاهبون معه إلى الحج، أنه في أحد الأمسيات وبعد نزول الليل خرج صابون لزيارة والدته في قرية مومو حوالي ربع ساعة من واره في اتجاه الشمال والشمال الشرقى من المدينة، وحتى لا يعرفه أحد خرج من منزله ومعه عبيد فقط ومكث مع والدته عدة ساعات ثم ركب حصانه عائداً إلى واره، وفي الطريق لاحظ لصين يقودان بقرة، فأسرع نحوهما فترك اللصان البقرة وفراً، فأمر عبيده بأن يقبضا على البقرة واتجه هو لملاحقة اللصين خاف اللصان والفرقا ذهب أحدهما جهة اليمين والآخر جهة الشمال قصد صابون أحدهما وضيق عليه وكاد أن يقبضه، فلما رأى السارق ذلك وهو جار بأقصى سرعته، استدأ إلى السلطان وصاح قائلاً له: ماذا تريد منى؟ لقد تركت لك فريستى، فقال له السلطان: أريد أن أقبض عليك فرد عليه قائلاً: إبنى أنصحك أن ترجع، ولكن هذا النداء لم يجد استجابة من صابون، وانطلق نحو السارق الذى بدأ يجرى فكاد صابون أن يلمسه ويمسكه فاستدار السارق وأرسل له حربة ثبته في كليته، فتهاوى صابون وكاد أن يسقط من حصانه فأسرع العبدان نحوه فوجداه مغشياً عليه فحملاه وتركوا البقرة، وأسرعوا به نحو واره فأوصلاه إلى القصر لكن السلطان كان ينزف بغزارة فنقد الكثير من النعم، فكان للجرح غائراً لأنه فتح الكليتين على الجانبين.

<sup>(١)</sup> هذا الفصل منقولاً من المخطوط العربى، ولما ترجمته من الأصل العربى، وكل معلوماته جاءت من العربى عنه وهو ما يؤكد أن الأصل العربى قد تعرض لمشكلات عدة من الخلة والترجم.

وهناك رواية أخرى تقول إن الضربة كانت في صدره فتقبته وبعد ثلاثة أيام مات صابون وخلفه ابنه عبدالقادر، ولكنه مرض بعد سنة أشهر فقط من تنصيبه ومات، وخلفه أخوه محمد خريفين.

وكان خريفين عندما نصب للعرش صغيراً جداً على الحكم، فذهبت إدارة شئون السلطنة إلى أعمامه الذين أصبحوا أوصياء عليه، وظل الأمر على ذلك حتى بلغ خريفين أمده واستولى على العرش، وأصبح حاكماً مطلقاً فاستعمل خريفين في البداية الرفق مع أعمامه، لكن وكالعادة فإن السلطة المطلقة دون رقابة أو حدود أسكرته وحملته فيما بعد على إساءة استغلال سلطاته، فكان كثير الحركة وكان يعذب ضباطه ووزرائه بطرق عجيبة وكان يقود بنفسه الحملات لصيد العبيد من الجناخرة، وذهب يوماً ما إلى دارسلا ليعاقب حاكمها، لأنه لم ينفذ للضريبة التي فرضت عليه كاملة، وبعد تمام مهمته بدلاً من أن يعود إلى واره استقر في دارتام، وهناك بدأ في مواصلة مكائده وأشيائه الغريبة الأخرى، فمثلاً عندما يجلس أمام منزله وتهطل الأمطار بكثرة لا يدخل البيت، وإنما يأمر ضباطه بأن يأخذوا قطعة كبيرة من القماش ويرفعونها فوق رأسه ليستظل تحتها من المطر حتى يتوقف وعندها يدخل منزله.

وعندما يعلم أن هناك امرأة جميلة في أي بيت متزوجة كانت أم غير متزوجة يأمر باحضارها إليه، وكان من طباعه أيضاً السكر وكان يعذب الناس أحد مطالب خريفين اليومية، وعندما يعود أحد القواد من حملة يرسله فوراً إلى حملة أخرى وعملياته الاحتشائية تكاد لا تنتهي، وبدون أي سبب كان يصادر أموال أحد الاقارب ليعطيها لآخر، ثم يأخذها من هذا ليردها إلى الأول أو يمسلمها لثالث.

إن هذا الجنون والاستبداد الشديد قد أرقق الناس ونفذ صبرهم فحدث أن اجتمع اثنان من الكماكلة أحدهما يسمى ديني والآخر يسمى قساي حاكم بنى سلامت، فتأمرا وقررا أن يضعوا حداً لهذه الأشياء الغريبة وهذا العنف الذي يقوم به السلطان ويتخلصا من هذا السلطان الكريه، وفي إحدى الليالي دخلا خلعة إلى منزل خريفين لذبحه، ولكن النساء شعرن بذلك وخبأنه عندهن، فاشعل المتآمران



النار في المنزل، وفي اليوم الثاني ظهر السلطان وسط جيوشه وكبار رجاله  
وارسل للبحث عن قبية وديبة، ولكنهما هرباً ولا أحد يعرف لهما أثراً، فصائر  
خريفيين ممتلكاتهما وقتل كل من له علاقة بهما، أيا كان نوع هذه العلاقة، وأنخل  
في هذا الحكم الجائر الكثير من الرجال المحترمين مثل الشريف أحمد المغربي،  
فكان هذا العنف الذي ارتكبه مع هؤلاء الأبرياء سبباً في مؤامرة جديدة بعد حوالي  
شهر من المؤامرة الأولى.

فاجتمع في مؤامرة سرية كل من الأمين شريف بن مرشدي الذي كان يقوم  
بوظيفة الكرسي، أو نائب مسئول الإدارة وجقردي أمين الخزينة والأمين توشا،  
والخصي بانقول كبير تجار العبيد وقرقر، الخصي الأول للسلطان، وقرروا في  
الاجتماع بأنه طالما عاش خريفيين فليس هناك سلام أو أمن لأحد فهو رجل دم  
وسكر، وبالتالي سيعاقبنا جميعاً، فيجب أن نقتله بدون أي تأخير، وقبل أن يضع  
يده على هذا المخطط ونجحوا في وضع السم في الشراب الذي كان عادة يسكر  
به خريفيين فشرب السم بعد لحظات قليلة من صبه في الشراب فداخ وقد وعيه،  
ثم أجهز عليه المتآمرون وقتلوه في الحال، وبعد ذلك أرسلوا باسم السلطان في  
طلب أخويه اندريس ودافوي، وعندما دخل الأخوان القصر رأيا أخيهما ملقياً على  
الأرض وجسمه مغطى، ولكنهما لم يعلما بأنه قد مات، ثم قتل لهما المتآمرون بأننا  
قد تلقينا أمراً من السلطان بتقب عيونكما فاستسلم البائسان للقرار دون أي مقاومة،  
وكان لخريفيين عند من الأبناء تحت مسئولية بانقول الذي كان يعلمهم القراءة،  
فأحضروهم واختاروا منهم واحداً يدعى راغب، وأعلنوه سلطاناً ثم تقبوا أعين  
الباقين وطردوهم، ووضع راغب في القصر وأعلن في الحال بأنه سلطان ودأى  
وتركوا جثة خريفيين لنساء القصر ليقرن بدفنه.

تعرض راغب لرقابة شديدة من طرف المتآمرين ومنعوا الناس من  
الاقتراب منه، هذه المؤامرة التي تحدثنا عنها تفجرت ونجحت دون مساعدة من  
يعقوب أحد كبار قادة الجيش، وكان وقتذاك في البطيحة وكان يعقوب من أصل  
ملنقي وهي أحد القبائل الخمس التي تحكم ودأى، وعندما علم بموت خريفيين جمع  
جيوشه وتوجه نحو واره، ولكنه أرسل قبل ذلك مبعوثين كلفهم بأن يقولوا

للمتأمرين: أنا قائم مع جيوش وأريد القتال، فقالوا له (أى المتأمرين): عليك أن تحضر ونحن نستقبلك، فظهر يعقوب وأقام معسكره فى وجهة واره، وتحدى مناصرى راجب بأن يأتوا لقتاله فرفضوا تحديه، وقالوا له: نحن فى انتظارك، فوصل يعقوب ودخل واره وفجأة برز له فرسان الفائر ومثاقه، وانتشر الذعر والخوف فى القصر فخشيت والده راجب من نتائج هذه الحادثة القاتمة فلرسلت رسالة سريعة الى يعقوب قالت له فيها: إن راجباً ابنى هو ابنك أيضاً وإن مصير الأمور بين يديك نحن لا نريد مقاتلتك إطلاقاً فإن وافقت بأن تترك السلطنة لراجب فلك سيده، ونحن نعتزف لك بذلك، وإذا قررت أن تعطى الحكم لشخص آخر فنحن نقبله مقبلاً، فعين السلطان الذى تريده.

هذا الخطاب بكلماته الودية ضللت يعقوب والتي مدحت حبه الشخصى، فرد قائلاً: إن ابنك بالنسبة لى مثل لبنى وأنا بالنسبة له خالته المخلص ومسوف أقبل ما تقررينه، ثم أرسلت ليعقوب رسالة أخرى قيل له فيها: إن السلطان قد عفا عنك ويمكنك أن ترجع بهوء.

وبعد ذلك ذهب يعقوب للتباحث مع والده راجب، وذلك حتى يرتب معها وسيلة للتخلص من منافسيه، وعند اجتماعه بها، قال لها: هل تعتدين أن اثنين خانوا الأب وقتلوه سيتركون الابن؟ قالت الأم: لا اعتقد ذلك، فقال لها: كيف تتركين هؤلاء الرجال الخطرين يعيشون بسلام؟ فقالت: وماذا نفعل؟ فقال: يجب أن نقتلهم جميعاً، فقالت: لك مطلق الحرية، تصرف كما يحلو لك، فنظاهر يعقوب أولاً بأن يعامل قتلة خريفيين بمثل تعاملهم معه، وفى أحد الأيام جمع كل المتأمرين للخسة وفى حضور الجنود المجتمعين والمسلحين أعدم الأمين شريف وتوشا وقرقر، وسجن جقردى وبانقول، وتحولت وظائفهم الخمس الى خمسة موظفين جدد.

وظلت الأمور هكذا رشحاً من الزمن، ولكن لم راجب شككت فى الأهمية المتزايدة ليعقوب، فعملت على التخلص منه، ونجحت فى مفاجاته والتبض عليه وقتله، ولكن بعد ذلك الحدث بأيام مرض راجب بالجدرى الذى انتشر فى تلك الأيام فى وداى ومات راجب بهذا المرض ولمن سراً فى الليل فى مقبرة



السلاطين (وكانت مقابر السلاطين في مكان مسور شمال واره) وهذا المكان محدد  
بزرية وكثير من شجر الهجليج.

وقد علم أنصار وأقرباء وأصدقاء يعقوب بما حدث، وفي الليلة التالية ذهبوا  
إلى المقابر ولاحظوا أن هناك قبراً جديداً قد رفع، ومن ناحية أخرى فإن الوزراء  
قد تسمروا على الأمر، وجاءوا ببديل للسلاطين الشاب المرحوم، فاختاروا ابن أحد  
العتداء يدعى جراماً ويدعى الشاب بقوري، وكل ذلك ليعتقد الناس بأن راجباً  
ما زال حياً، وكان يأتي لراجب فقيه يعلمه القراءة وقد خباوا وجه راجب الدخيل  
وأرسلوه إلى الفقيه (وكانت هناك عادة شبه ثابتة تقريباً) بأن السلاطين لا يظهرون  
إلا وجوههم ملفوفة من الذقن إلى قرب العيون بطرف عمامتهم، وبقطعة توضع  
على الرأس والكتف، ويلفونه مرة أو مرتين حول الوجه، وهذا النوع من التخفي  
يسميه العرب اللثام.

وهكذا ظهر التمييز المتخفي إلى أسفاده ولكن الفقيه ومن الكلمات الأولى  
عرف الاستبدال وكان هذا الفقيه من الملقى فكلم زعماء الملقى بأن التمييز الذي  
قدم له لم يكن السلطان هذا الاعلان ذكرهم خاصة أولئك الذين كانوا مرتبطين  
بمعقوب بالقبر الجديد الذي رلوه في مقابر السلاطين وبعد مقارنتهم بين الحاضرين  
أكد لهم حدث الاستبدال فقرروا أن يكشفوا هذا الخداع ويمسكوا الذين يقتلون  
وراءه لأنه لا يحق لأحد أن يأخذ لقب وسلطة السلطان إذا لم يكن من دم السلاطين  
الوداي، أي إذا لم تكن أمة من القبائل الخمس المختارة، ومن هذه القبائل الخمس:  
الملقى والسنويين وفي وقت المناقشات والمعارضات أو الصراع في انتخاب  
السلطان كل واحدة من هذه القبائل الخمس تبحث في أن تقدم سلطناً للدولة وذلك  
لأن السلطان يعامل قبيلته باحترام ويختار العديد الكبير من ضباطه ووزرائه من  
قبيلته، وكان وزراء المدعو راجب يفكرون في التخلص من أهم رجالات الملقى  
الذين يقتلونهم وقد تذكروا كيف قتل يعقوب الأمراء، أحلاف راجب وأولادوا  
تطبيقها، فأرسلوا كبار رجالات الملقى بأن يحضروا كعادة للاجتماع السنوي،  
وذلك لأصلاح ماخرب من منزل السلطان، وكانت الخطة أن يجمعوا هؤلاء  
الملقى في واره، ثم يقبضوا عليهم ويقتلونهم، ولكن الملقى لم يستجيبوا وشككوا

فى هذه الدعوة التى قدمت اليهم فلما رأى الوزراء فشل حيلتهم أرسلوا اليهم كتيبة من الجيش تحت قيادة جراسى قيصر، وبلال عقيد، او حاكم قوز، وتحرك القائدان الى ملنقى للقبض على كبارهم وفى الطرف الآخر تحرك منهم قائدان هما: بدلا يعقوب ودينه كل منهما على رأس قوة لمقابلة جيوش الوزراء فالتقوا وتقاتلوا، فقتل جيش الملنقى قد جيشوا عدداً كبيراً من جيوش الوزراء وقتلوا قائدى الجيش قيصر وبلال وأخذوا كمية كبيرة من الخيول والأسلحة، وبعد هذه المعركة مباشرة أرسل الملنقى خبر نصرهم الى السنونيين وشرحوا لهم سبب هذه المعركة الدامية والغير متوقعة.

وفى ذلك الوقت كان مع السنونيين طفلان من نساء السلاطين فاختاروا واحداً منهما يسمى: محمد عبدالعزيز داهوبه وأعلنوه سلطاناً، فحكم مدة من الزمن ثم انتقل الحكم من بعده الى شريف أخ صابون، وهذا الشريف هو الذى يحكم الآن فى وداى (١٢٥٩هـ - ١٨٤١م)<sup>(١)</sup>

وقد حكى لى حبيج الوداى أخيراً عندما مروا بالقاهرة فى بداية شهر محرم ١٢٥٧هـ (فبراير ١٨٤١م) أن وداى تحكم بعزل من السلطان شريف حفيد السلطان صالح وأخ الشهير السلطان عبدالكريم صابون، وقد هرب شريف من وداى عند تنصيب ابن أخيه عبدالقادر وذلك لخشيته من أن تشمل عيناه، وهو ممن يخشى منهم، كما أنه كان يطمع فى العرش، فهرب الى سلطان الفور محمد فضل ليعينه بالتجيش لدخول ولده واستلام الحكم، ومكث كثيراً فى دارفور، وأخيراً حظى بدعم السلطان محمد فضل بالتجيش بشرط أن يدفع له جزية سنوية مقررة، فقبل شريف الشرط وغزا السلطنة دون أن يلقى أى مقاومة وبعد ذلك تجمع الوداى بكثرة وتقدموا للسلطان الجديد بطلب مفاده أنه اذا أراد أن يبقى سلطاناً فعليه ان يتخلص من أى ارتباط مع الفور، وان لا يحمل اليهم صاعاً واحداً فاضطر شريف لأن يكتب الى السلطان محمد فضل قائلاً: إننى مجبر من قبل رعييتى أن ألقى تعهدى اليك، ومن المستحيل على أن أظل وفياً للشروط التى قبلتها فى

<sup>(١)</sup> هذه قصة من القصة التى كتبها هذا الكلام الذى رواه على الفرنسي بعض نمل وداى في المعركة بمصر السيد بوزن موحدة لعمامة  
من ولا يفرق كيف سقط من المعركة وغيره في الأصل الفرنسي.



السابق، وبعد ذلك بقليل جهز شريف حملة الى باقرمي واستولى على هذا البلد الذي خضع للوداي متظماً كان من قبل، وعندما رأى سلطان وداي أن حكمه قد رسخ وزادت قوته حاول أن يغزو كانم، واستولى على هذه الولاية وطرد منها الوزير الحاكم المسمى: اليقا، وطرد أيضاً الأمين القائد الأعلى للولاية والفقير محمد الذي كان الاليا ياتمر بأوامره، فأصبح شريف عندئذ حاكماً على كانم كما كان أخوه صابون.

(والله وحده يعلم الحقيقة لأنني كتبت هذه المعلومات عن طريق أحد الأجانب وكل خبر تم الحصول عليه من الإنسان يحتمل الصواب والخطأ).

وهامى القصة: كيف حكى لى الفقيه دليل وهو قاض كبير فى وداي حكى لى هنا فى القاهرة عن الملابس حول بداية حكم السلطان شريف.

فعندما وصل صابون الى الحكم كان يحكم بالعدل والانصاف وبفضل الحكمة الادارية لهذا السلطان، وكانت الحاجيات الضرورية للحياة تباع بأسعار رخيصة وكان صابون يخرج منتصراً ومجداً من كل معاركه، وبعد مماته آل العرش الى ابنه عبدالقادر، ثم جاء بعد عبدالقادر أخوه خريفين والذي كان صغير السن فاستولى اعمامه على تدبير الامور، وقد اساءوا تدبيرها، فقد كانوا طغاة متقلبين، وانتهكوا حقوق الانسان الأكثر تقدساً، فعندئذ ارسل الله الى وداي وباء الكوليرا بشكل كبير وشديد، فاجتاح البلاد، وكان ذلك عام ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م). وبعد الكوليرا ارسل الله القحط والمجاعة وكانت الأمطار قليلة، فقر عدد من الوداي الى البلاد المجاورة لدار سيل، أما الذين بقوا فيها فكانوا فريسة لمجاعة كبيرة وصل بهم الجوع الى أن أكلوا جثث الحيوانات النجسة، وكان أخو صابون الصغير ويدعى شريف قد هرب عندما نصب صابون على العرش، وقد انسحب الى دارفور، ومن هناك الى كردفان وظل فيها حتى علم بأن البؤس قد أرق وداي، وإن المجاعة والموت قد قللا من سكان البلاد، وعندئذ سافر شريف الى دارفور ونجح فى أن يجلس مع سلطان الفور محمد فضل فتحدث شريف اليه عن نواياه وعبر له عن رغبته فى استرجاع سلطنة الوداي وقال له: إن الوقت مناسب الآن، وإن وداي أصبحت بدون موارد وأصبح جزء منها خالياً من السكان

وعندئذ أرسل محمد فضل رجالاً لبحث حالة ودای فعلم بعد ذلك الحقيقة أن البلد في أشد حالات العوز، ولا يوجد شيء في ولده سوى السلطان وبعض القواد، وعلى حسب ما أكدته لدى القاضي دليل بأنه لا يوجد إلا عقيدتين أو قواد الجيوش، أو محالظوا المحالظات، وللإستفادة من هذه الساحة جمع محمد فضل جيشاً وسلم قيادته إلى عبد السيد أحد العبيد الذين تمت تربيتهم في القصر، فتحرك الجيش وتبعه شريف بعد أن حددت شروط المعاهدة وقبلها شريف، وقد كتب المعاهدة بيده والتزم بدفع الجزية السنوية لسلطان دارفور وتابع الجيش مسيرته حتى دخل ودای دون أن يواجه أي مقاومة، ثم قبض على السلطان في ولده، وقتل ونصب شريف على حكم السلطنة ووضع على عرش أبياته.

وكان الفور بمجرد دخولهم ودای أخذوا يهاجمون القرى، فدمروا ونهبوا الكثير منها، وأخذوا النساء والأطفال، وعندما علم الودای المهاجرون في البلاد الأخرى بما يحدث في بلادهم نسوا حالة البؤس التي أخرجتهم وعادوا مسرعين حتى يراقبوا عن قرب الظروف التي عزا فيها الفور بلادهم، ولكنهم وجدوا السلطان قد قتل وتولى شريف الحكم بدلاً عنه، فقبلوا حكمه وخضعوا له، ولكن قاتوا للسلطان الجديد: يجب عليك أن تخرج الفور في الحال من بلادنا والاقسوف نذبهم جميعاً فقام السلطان شريف وجيز القائد عبد السيد بما يلزم ثم أرسله مع جيوشه.

وفي نهاية العام فكر شريف في أن يوفى ما وعده به السلطان محمد فضل ويدفع الدين الذي فرض عليه، ولكن اعترض الودای على هذا المشروع وقالوا له: نحن لا نريد أن نعاني مرة ثانية، فيجب ألا تنفع شيئاً لسلطان الفور، ولن نعطيك ما نريد برسالة إليه، لأننا لا نعترف بدينك، وإذا كنت لا نريد هذا الحل فنحن أيضاً لا نريدك أبداً.

فدش شريف من هذه المعارضة القوية، وقام بإرسال سفراء إلى السلطان محمد فضل، وأمرهم أن يوضحوا له كيف أنه عارض في إرادته وأن يقولوا له بأنه بات من المستحيل عليه مقاومة ما طالبت به رعيته، ولهذا قامت في تلك الأيام العداوة بين الفور والودای وقال القاضي دليل إن هذه العداوة مازالت إلى اليوم



قوية، ولهذا السبب فإن قافلة حجيج وداى لهذا العام ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) اتجهت  
شمالاً الى المغرب وأخذت طريق أوجلة للذهاب الى القاهرة، وفي العادة كانت  
القافلة تتجه شرقاً تمر بدارفور، ومنها عبر السودان الى البحر الأحمر، والآن  
نوقف الاحداث التاريخية بين التفاصيل الدقيقة تسبب التعب والتلق والله ورسوله  
أعلم بماحدث.

## الفصل الثامن

### في قصاص الجنايات

لما كان الحق جلت قدرته وتعالى كلمته غيوراً على عباده محباً لأهل وداده فمن حبه أنر عليهم الاتعالمات وجعل من أحسن اليهم في أرفع الدرجات، ومن غيرته عليهم حرم الظلم بسائر أنواعه وأنزل علينا قرآناً وأمرنا باتباعه وحدد لنا حدوداً وأمرنا الانتعادهما ورتب القصاص على من تجاوزها إلى سواها، لكن لما كان النوع الانساني لا يمتثل إلا لمن هو أقوى منه، ولا يذعن إلا لمن كان أعلى درجة منه جعل لنا الولاة لانصاف المظلوم من الظالم، ونوع القصاصات ليرتدع المجرم عن المأثم، ولولا ذلك لسفكت الدماء جهاراً ونهبت الاموال، وكان ذلك جالباً للخراب وفساد الأحوال، وهذا مصداق قوله تعالى أولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون<sup>(١)</sup> اذا علمت ذلك فنقول: إن القصاص نوعان شرعى وسياسى فالأول الشرعى فهو ما ذكر في كتاب الله تعالى في قوله يا أيها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى<sup>(٢)</sup> الآية والقصاص الشرعى قسمان: ما ذكر في هذه الآية في القتل وكذا قوله تعالى وكتبنا عليكم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص<sup>(٣)</sup> والقسم الثاني الحسنود وهو ما ذكر في قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم<sup>(٤)</sup> ومنها ما ذكر في قوله تعالى الزانية والزاني فاجلسوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين<sup>(٥)</sup> وهذا في الزاني البكر، فأما من أحسن وزنى فانه يرجم حتى يموت، وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في

<sup>(١)</sup> سورة البقرة، الآية (١٧٩)

<sup>(٢)</sup> سورة البقرة، الآية (١٧٨)

<sup>(٣)</sup> سورة المائدة، الآية (٤٥)

<sup>(٤)</sup> سورة المائدة، الآية (٣٨)

<sup>(٥)</sup> سورة النور، الآية (٢٤)



من زنى، ونكر العلماء أن الرجم كان في القرآن ونسخت تلاكوته وبقي حكمه، لأن النسخ على ثلاثة أقسام: الأول نسخ الحكم والتلاوة معاً، والثاني نسخ التلاوة وإبقاء الحكم، والثالث نسخ الحكم وإبقاء التلاوة وماتحن فيه من القسم الثاني، لأنه روى أنه كان يقرأ في القرآن «والشيخ والشيخة إذا زنيا فلرجموهما البتة نكالا من الله»<sup>(١)</sup> وهذان القسمان في القصاص الخالص ومن الحدود ما لم ينزل فيه قرآن ولا حكم فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بشيء، كحد القنف وخذ شرب الخمر، وحد شهادة (الزور) فاجتهد الأئمة المجتهدون فجعل حد القنف ثمانون جلدة وحد شرب الخمر ثمانون أيضاً على قاعدة مذهب مالك وأما الشافعية فقالوا أربعون فقط ولما قطاع الطرق فحدهم القتل كالمرتد، وكذا من خرج على الإمام العادل وعائش في الأرض مفسداً لقوله تعالى: «لما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»<sup>(٢)</sup> ثم ما كان أدنى من ذلك فهو تعزير باجتهاد الحاكم وبما يليق بحال المستوجب له.

وأما السياسي فاختلّفوا فيه باختلاف الممالك، واختلاف الأمم فأما الأقطار المصرية والشامية بل جميع بلاد العرب والترك فإنهم رتبوا قصاصات بعضها موافقة للشرع وبعضها مخالفة، ونظروا في ذلك لما اقتضته المصلحة فنوعوا القتل إلى القتل بالسيف، كما كان في مصر وبمسونه التضييع، وإلى الاستلحام وهو قتل بالسيف لكن في الجسم كله، وبمسونه في مصر بالتقطيع، وفي تونس بالتشطير، وإلى الصلب، وبمسونه في مصر وتونس بالشنق، وإلى الخوزقة، وهو أن يجلس المجرم على وتد من خشب أو حديد ويخلونه في دبره ولا يزال جالساً عليه حتى تنقطع أمعاؤه ويموت، وهو موت شنيع ربما عائش صاحبها أياماً، وإلى الشامبات وهو أن يؤتى ببناء كبير من فخار فيملأ بخرق قد عست في الزفت أو القطران أو زيت النفط، وفرش تحتها طبقة من تراب، ثم يؤتى بمن يراك قتله فتد نراعاه ويؤتى بخشبة طويلة تمد على صدره ونراعيه إلى أن تبلغ أطراف

<sup>(١)</sup> وما لم يرد في القرآن من القتل

<sup>(٢)</sup> سورة النعمة، الآية (٢٣).

أصابع يديه، وتشد الخشبة شداً وثيقاً، ويجعل في عنقه أطواقاً من حديد، فيسبها سلاسل طويلة أربع أو خمس<sup>(١)</sup> ويلبس ثياباً ممزقة وتوضع على رأسه طائسة من نحاس ثم يؤتى بجمل فيوضع الاتاء الفخار في إثناء من النحاس، ويوضعان على الجمل ويشدان بالربط شداً محكماً، ثم يجلس الانسان الذي يراد قتله على الاتاء الفخار، وتربط أطراف السلاسل في حوية البعير ربطاً جيداً بحيث لا يستطيع الانسان الحركة ولا التحول، ثم يرص على الخشبة المجهولة على صدره ويديه شمع من أولها إلى آخرها، ثم يسير البعير وتوقد النار في الخرق والشمع لكن في الشمع أولاً ويكون قد طلى وجهه بالزفت والقطران، ويطاف به في الأسواق عبدة لغيره، وهذه القطة كانت في مصر أيام الغزو، وهي أنكل القنلات وأشدها تحريماً واقطعها منظرأ، وآخر من قتل بهذه القطة في مصر فيما سمعناه امرأة يقال لها جندية، كانت تقتل النساء وهي أنها رتبت لها جماعة من الفقهاء في كل يوم خميس وليلة الجمعة يقرأون القرآن، ورتبت من الشبان القاسين القلوب الذين لا يخافون الله، وأعدت أناساً وأعدت في بيتها جملة محال ثم صارت تخرج في صبح يوم الخميس وتتأمل في النساء المارة في الشوارع، فمتى وجدت امرأة عليها حلي كثير تعلقت بها وقبلت يدها وسألتها بالله أن تذهب معها<sup>(٢)</sup> إلى بيتها وتجبر بخاطرهما مقدار ربع ساعة، فتقول لها المرأة ولم ذلك؟ فتقول لها انه كانت لي ابنة منك وقد ماتت واحترق قلبي وإنها كنت في حينك وشكك، وأنت مثلها ما تركت منها شيئاً فاسألك بالله تجبريني بالذهاب معي ليذهب بعض ما أجده وأراه من الحزن، وهذا يوم الخميس، وعندي فقهاء فتجلسي وتسمعي القرآن، واتحلي بك ثم ترجعي إلى بيتك، ولم تزل بها حتى تذهب معها، فإذا وصلت بها إلى بيتها تجد المرأة الفقهاء يقرأون، فتصنق كلامها، فتجلس هنيئة معها ثم تخرج كأنها تقضي بعض المصالح، فحال خروجها يدخل عليها من أعدتهم للقتل، فيدخلون عليها ويسد أحدهم فمها وينحبونها، ويقطعون لحمها ويرمونه في جب البيت، ثم تخرج وتأتي بأخرى وهكذا فتأتي في اليوم الواحد بثلاث نساء أو أربع ولا تأتي إلا بالشابات

<sup>(١)</sup> في الأصل: أربعة أو خمسة... وهو خطأ.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: .. إن تذهب.



وكان آخر من قتلها<sup>(١)</sup> شابة يقال لها عبيدة خرجت من بيتها لقضاء حاجة فعثرت عليها جنديّة المذكورة، وتحيلت عليها حتى ذهبت بها الى بيتها وقتلتها كما فعلت بغيرها، وكان لعبيدة المذكورة ام، ولم يكن لها ولد سواها، فانتظرتها مدة فلم تأت اليها، فلما جاء الليل ولم تأت اليها بنتها طار عقلها وذهبت الى الشارع وهي تصيح وتولول حتى اعيأها الأمر، فلما كان الليل<sup>(٢)</sup> وهي نائمة رأت بنتها فيما يرى النائم، فسألته أين كنت ولم لم تأت، فأخبرتها أن امرأة يقال لها جنديّة مكنتها بالمحل الفلاني وصفت بيتها كذا وكذا خدعتني واحداثت عليّ واخذتني لبيتها وقتلتني ورمت لحمي في الجب، وأخذت حليّ وملابسي، فقامت ام لبنت من النوم وتوجهت الى الحاكم وشكت له، فأعطاهما أعواناً وهجموا على محل المرأة فوجنوا المرأة كما ذكر فأخرجوا من عندها لمتعة كثيرة فقتلها الحاكم بالشامبات، وقتل أعوانها بالتخولزيق، الى غير ذلك بصحة ذلك وعمها: والى القتل بالحرق وهو أن يؤتى بمشاق كتان كثير أيضاً (ثم يلبس للرجل المحكوم عليه بالموت بحيث ينطى كل جسمه) ثم توقد<sup>(٣)</sup> النار من عند رأسه ورجليه وجنبه في أن واحد، فيحرق الرجل باحتراق المشاق، وقد كان من جبيرة الغز من دفن الرجل حياً، وذلك لأنه أمر بحفر حفرة عميقة فحفرت (ثم) ألقي الرجل فيها مكتوفاً وطم عليه التراب، وجلس هو على الحفرة وأمر بالطعام فأحضر، فأكل حتى اكتفى هو وأصحابه فانظر الى مساواة قلب هذا الفاجر، كيف يهنا بالطعام وقد وضع في الحفرة أنميأ من نوعه.

والى التبريس كما يصنع في تونس، وهو أن يكتف الذي به ذلك ويجعل في هون كبير له أربع أيدي ثقيلة كالتي يبرس بها البن في مصر ويأخذ الرجال تلك الأيدي وتبرسه حتى يصير مهروساً، ومن أبدع ما سمعت من التنفين في القتل أن مولاي اليزيد ملك المغرب غضب على يهودى وحلف بأن يقتله قتلة ماقتل بها أحد قبله، فساور أرباب دولته في ذلك فكل أشار بما منحه له من الرأى فلم يعجبه من

<sup>(١)</sup> في الأصل "وأمر من قتلها شابة".

<sup>(٢)</sup> في الأصل "لما كان الليل".

<sup>(٣)</sup> في الأصل "لم يلد الفجر من عند رأسه".

ذلك شيئاً، ثم أطرق ملياً وأمر باحضار بنية<sup>(١)</sup> فاحضرت وأمر باحضار نجار  
ومسامير كثيرة فاحضر كل ذلك، فأمر النجار أن يدخل المسامير كلها في جوانب  
البنية وأن يجعلها صفوفاً، وأن تكون من الدخيل كشوك جلد القنفذ، ففعل ثم أحضر  
اليهودى مكتوفاً وأدخل في البنية، ثم مدت وسمرت، ثم أمر بأن تخرج فتخرجت  
مراراً ثم فتحت فوجد لحم اليهودى قد صار قطعاً صغيرة كاللحم المفروم.

ومن أنواع القتل التبحير وهو القاء الإنسان في البحر بعد أن يجعل في  
غرارة فيها حجر ثقيل، ومن أنواعه الخنق وهو يكون لبعض المحترمين، ومن  
أنواعه سقيا السم وهو لمن يخشى عائلته ويكون ذا شوكة، ومن أنواع القتل القتل  
صبراً بأن يحبس الإنسان في محل يترك بدون طعام وشراب حتى يموت، ومن  
أنواعه القتل بالرصاص أو المدافع، وهذا أسهل لازهاق الروح، ومن أنواعه القتل  
بالضرب بالكرباج، أو العصي حتى يموت أيضاً، وأما الحدود الشرعية فقد  
ضاعت فلا توجد الآن ومنذ زمن قريب كان منها قطع يد السارق وقد بطل الآن،  
واستحسن اللومان عوضاً عنه.

وأما أهل السودان فقد أهملوا الحدود بالكلية وباعوها بالمعروض خصوصاً  
أهل دارفور، فانهم يأخذون عوضاً عن حد الزنا وعن قصاص الشجاج عروضاً  
وليس عندهم شيء موافق للشرع الاقصاص القتل في بعض الأحيان، وأما  
القصاصات السياسية فكثيرة عندهم، وإن لم تبلغ في الكثرة ما ذكرناه في بر  
العرب، لكن أكثر قصاصهم بالحبس والضرب فيحبسون المجرمين في محل غير  
مستوف أرضه تراب، وضيقاً به شوك، ويجعلون القيود في أرجلهم والأغلال في  
أعناقهم، والموكل بالسجن (هم) الطواشية، ورئيسهم منهم والخزنة رجال،  
ويشغلون المحبوسين في دبع الجلود، وكل إنسان يعطى جلد بقرة أو جلد بعير  
وقرضاً<sup>(٢)</sup> وأثناء وأساء<sup>(٣)</sup> من فخار، ويضرب له أجل، فإن لم يتم دبع الجلد الذى  
أعطى له في تلك المدة أبلغ الإيذاء وهذا السجن لعامة الناس، أما الأمراء وأشراف

<sup>(١)</sup> البنية: وهو من وصفيها نفا حارة من صلب حتى كثيرة في هذه القلوب.

<sup>(٢)</sup> القرض: هو نوع من الامتلاك التي يستعمل فيها مال مع المنفعة ويكثر في غرب السودان ولهم بكرة قضاء ويسمى في وسط  
السودان بالسط.

<sup>(٣)</sup> في الأصل "وأثناء من فخار وأساء".



الناس فيحبسون في محل آخر ويكتفونهم من العمل شيئاً، ومن أقيح ما عندهم أن لا يوقظون المسجونين إلا بالضرب بالسياط ويتأوبون عليهم، وكل صاحب نوبة لابد أن يضربهم فيسمع لهم ضجيج عظيم ومن أمر بتأبير سجنه جعل في رجله قيد، كل فردة منه مكتوبة الحذاء ويجعل في كل ثقب مسباراً ويرد عليهما بالمبرد ولا ينزع إلا بالموت، بأن يأتي الحداد ويرده بالمبرد حتى ينقطع وأما الأمراء الكبار كأولاد الملوك والوزراء والعظام فإذا غضب السلطان على أحد منهم سجنه في مغائر الجبال<sup>(١)</sup> التي كنا تحدثنا عنها سابقاً حين ذهبى إلى الجبل<sup>(٢)</sup>.

وللنور أنواع<sup>(٣)</sup> من القصاصات السياسية منها ما يسمونه برتكابو وهو أن السلطان إذا غضب على إنسان قال: وإن برتكابو ومعناها لكسروا قبطيخة فيرفعون الرجل بأيديهم<sup>(٤)</sup> إلى أعلى ويتخلون عنه، فينزل الرجل على أم رأسه أو على غيرها ويفعلون به مثل<sup>(٥)</sup> ذلك مراراً حتى يموت.

ومنها المشبح وهو أن الملك إذا غضب على إنسان استوجب قصاصاً ولو في زعمه: قال لأعوانه شبحوه فيذهبون به إلى شجرتين متقاربتين ويكونوا حفروا حفرتين متقاربتين عميقتين وأنخلوا في كل واحدة خشبة ورددوها (ثم) يشبهوها ويربطون الخشبتيْن في يد الإنسان، وفي الشجرتين حتى لا يستطيع الحركة، ثم يأتون بفروع كثيرة من شجر يقال له القوب منتن الرائحة، ومن فروع ذلت شوك صغير معوج كالتنابير الصغيرة فيزيلون من شوكها مقدار ما تقبض أيديهم ثم يتأولون المشبوح بالضرب حتى يموت أو يقرب من الموت.

أما قصاص من قتل قتيلاً وثبت ذلك عليه أما بأقراره أو بالبينه، فإن دلت استقوب فنوب الذي يتولى قتله بنفسه فيقطعنه بحربة في منخره، وأما السن والأنف

<sup>(١)</sup> في الأصل: .. الخيال الخلد...

<sup>(٢)</sup> ينتمى لقوافلها إلى حديثه عن حسن الأمراء الأمور في معاريف الخيال وذلك في كتابه لشعبه الادعاء لما يدل على ارتباطه بهذين فكأن كما أشرنا من قبل.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: .. وأنواع القصاصات السياسية أنواع...

<sup>(٤)</sup> في الأصل: .. يرفعون على أيديهم الرجل...

<sup>(٥)</sup> في الأصل: .. ويفعلون به كقولك مراراً...

واليد والشج مطلقاً فتصاصها في دارفور المات فانه يدفع لمن فعل به ذلك ثمناً قد  
لصطلحوا عليه.

ولما أهل الوداي فالتصاصات الشرعية جارية عندهم وقصاص السلطان  
بالقتل أو الضرب أو الحبس الطويل، وأما القتل إذا أراد السلطان قتل إنسان يقول  
لطاقفة من أعوانه تسمى الكبرتو خذوه وطلقوه فبأخذونه إلى قضاء متسع أمام دار  
السلطان فيتأوبونه بعصى قصار غليظة الرؤوس كتدبائيس فيضربه أحدهم  
ضربة على ساحل قفاه، فلذا (ظل) <sup>(١)</sup> الرجل هكذا راقعاً رأسه من حرارة  
الضرب، ضربه واحد آخر على فم معدته برأس عصاه فلا يتحمل الإنسان منهم  
أكثر من ثلاث ضربات، ومن العجب أن السلطان إذا أمر بقتل جماعة دفعة واحدة  
ترى كلا منهم يقدم نفسه للقتل قائلاً: أنا أول أنا أول. كما يتقدمون على شيء  
نفيس، وأما الضرب فعندهم سياط عراض كالزحم المعروفة الآن في العرض،  
ولاسمك إلا أنها جلدة واحدة من جلد الجاموس الوحش، والحيوان الكركدن  
المسمى بالخرنيت أو أبي قرن فتراها قبل الاستعمال بها يلبسه خشنه إذا ضرب  
بها الإنسان سوطاً واحداً ينبع الدم من محل الضرب فلذا ضرب بها الإنسان مائة  
أو ألفاً مات\* ولإبقاء له وهذه عانتهم لقساوة قلوبهم.

ولما الحبس فأنواع فيها من يؤمر بحبسه فيجلس أمام شجرة وتجعل  
جنورها بين رجله ويقيد من خلف الشجرة بقيد فيمكث كذلك ماشاء الله أن يمكث  
حتى تأتيه غاية (الله) ومنها من يوضع في رجله قيد قطعة واحدة بغير حلق  
يسمى عقرباً وصورته هكذا ○ ○ وفيها من يوضع في رجله القيد وفي رقبته  
الجنزير، ويسجن في محل غير مستوف ومنها وهو أعجبها سجن الحظ وهو أن  
يقتل لمن أراد له السجن أن السلطان حبسك في هذا الموضع فيمكث فيه من غير  
قيد ولا سجان ولا حبس حتى تأتيه شفاعة وهذا (هو) صاحب الذنب الخفيف ومثل  
ذلك ما إذا كان لأحد على آخر حق وقابله في محل وطالبه فاعترف وماطله فانه  
يتركه جالساً ويأخذ حربة ويخطبها حوله دائرة ويقول له: الله ورسوله والسلطان

<sup>(١)</sup> في الأصل "... فلما قال لرسول مكنا رأينا رأسه..."

<sup>(٢)</sup> في الأصل "... فلو فاعاً من مات لا جنة..."



وام السلطان والتقا سياد الدار ماخرج من هذه الدائرة حتى تعطيني حتى، فيلتزم الانسان أن يجلس في ذلك الخط حتى يتوصل الى صاحب الحق بمن يشفع عنده ويطلقه وان لم يطلقه بقي كذلك ولو مدة، حتى يخلصه، فإن خالف وخرج وامتكاه صاحب الحق فأخبر الدولة بذلك بحث عنه أينما كان، ويؤتى <sup>(١)</sup> به ويقاصص قصاصاً شديداً.

وإن ادعى رجل على آخر وخطط عليه ولم تثبت الدعوى يقاصص المدعى ولذلك لا يمكن لأحد أن يخطط على آخر الأبعد ثبوت الدعوى بحيث لا يخشى غائله ذلك. ولما الجنائيات فأحكامها قريبة من أحكام الفور، وما نكرناه من قصاص الجنائيات في الفور في من أحبل امرأة أو ضرب آخر فتجبه، سائر في دار الوداي <sup>(٢)</sup> كلها، إلا التحيل في الفور الحيالية كتموركة والكراكيب <sup>(٣)</sup> فإننا ذكرنا أن الرجل لا يتزوج امرأة حتى تلد ولدين أو ثلاثة قبله في الحرام <sup>(٤)</sup> ولا قصاص على الفاعل ولا المفعول بها بل تنبأه النساء بذلك والأولاد التي تحصل تنسب إلى أخوالها كما تقدم ذلك مفصلاً <sup>(٥)</sup> والله في خلقه أسرار فهو الذي أقام كل أناس إقامة لا يرضون بغيرها. وقد عن لي أن أسكت غيبة القلم عن الجريان في ميدان الحديث عن بلاد السودان وأحوالها وعوائدها وأنكر سبب انتقال من السودان إلى تونس ومنها إلى مصر ومنها إلى الحجاز ومنها إلى مصر ثانياً ومنها إلى المورة ومنها إلى مصر ثانياً وأنكر ما نشدته من الأشعار مدحاً وما نمقته من الرسائل نثراً ونظماً سواء كان في تهنية أو تعزية أو مجاورة أو جواب سؤال كما يأتي مبيناً أن شاء الله تعالى وأعتقد لكل من ذلك فصلاً مستقلاً لتكون رحلتنا هذه عظيمة الفائدة كثيرة العائد كالجليس الموائس.

<sup>(١)</sup> في الأصل .. وبهاء ..

<sup>(٢)</sup> في الأصل .. في دار الفور كلها ..

<sup>(٣)</sup> تموركة والكراكيب هما فرعان من فروع الفور والمعروف أن الفور ينقسم إلى ثلاث شعب الكبحرة والكراكيب والفور كما فاحط الكبحرة بالفور لبعده عن فرع كوا الذي حكم الله به. ينظر: تشييد الادب من ١١٤.

<sup>(٤)</sup> وما سمع المؤلف هذا الكلام شاعراً وقد يكون عند بعض القائلين أنها الفور فهم مسلمون وحكام البلاد. وبما قاله لا يمكن أن يكونوا هذه الفئة وموافقتهم إسلامية لما رأيت حاله في الإسلام.

<sup>(٥)</sup> ينظر تفاصيل ذلك في تشييد الألفان من ١١٤ وما بعدها ..

## الفصل التاسع

### في ذكر الحروب وكيفيتها

لما كان الغلب على أمره ظاهر السلطان، وهو الذي أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، لنوع الانسان، وأمر بالاستعداد في محكم القرآن فقال: تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم<sup>(١)</sup> وفي ذلك برهان كاف غير محتاج للذب عن غيره، عرضة وأمواله بنفسه وخيله ورجاله بينما الملوك الذين بهم الاستيلاء والسلطان ويرون أن ذلك لهم أعظم شأن، لكن لما كان منهم المقسط والقاسط والمجاهد والمرابط، كانوا هم أهل للاستعداد للذب عن الدين والعباد والبلاد، فأنقسمت أحوالهم بحسب نياتهم وأظهر الله ما أكنوه في طوياتهم، فتري منهم من أراد الله نجاحه وأظهر للعالم صلاحه، يستعد لقتال أعداء الدين اقتداءً بقوله تعالى لنبيه الامين: "يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين"<sup>(٢)</sup> وهذا هو الذي تجارفة رابحة، وصفقته ناجحة، ومن أغواء إبليس وأطاع طبعه الخسيس فترك فرض الكفاية، وجاس خلال الديار بالظلم والعتو والنكالية، فكان مسمى في صدر الاسلام قاصداً أن يدخل تحت أمره الخاص والعام، لا يريد لذلك شيئاً إلا الاستهارة، والله في خلقه أسرار.

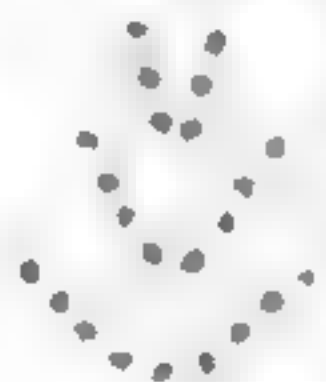
ولما كان أهل السودان لا يندق لهم ولا مدافع، ولا سور لحجز العدو نافع، كان قتالهم بالحروب والسيوف، فيخترق الفارس منهم الصفوف، ينيق من بارزه كاس الحتوف، والرجل يقاتل في الحرب بالحراب، ومنهم من يستعمل الرمي بالنشاب، وأعدوا للوقاية الأتراس التي يسمونها الدرق، فيسترون بها البطشون والوجوه والحدق، وأعدوا لوقاية الفرسان<sup>(٣)</sup> الدروع والخوذ والشبابات، لتقيهم من حروب السيوف وطعن الحراب والنشابات، وأنبسوا خيولهم النبوس ليقوهم بها ساعة النبوس، لكن لما كان لكل قوم في محاربتهم اصطلاح وجدوا اسلافهم عليه

<sup>(١)</sup> سورة الاحقاف الآية (٦٠)

<sup>(٢)</sup> سورة احرم، الآية (٩)

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وأعدوا لهم من الدروع الدروع".



تداح، كان اصطلاح الفؤر للحرب اصطلاحاً قديماً (حيث) <sup>(١)</sup> يقسم الجيش خمسة  
أقسام كما كان يفعله أهل الرتب الخمس الأولى: المقدمة، والثاني: الجناح الأيمن،  
والثالث: القلب، والرابع: الجناح الأيسر، والخامس: الساق، وعلى هذا الترتيب  
نشأوا، فلا يعملون لسواء، ولا يعملون بغيره، وإن ظهر حسنه لهم وحسنه، لكن  
لهم في أوائل الجيش طلائع ينقطع عنهم بها الطامع، وهي غير الجواسيس الذين  
يأتون بالأخبار، يعلمون إن كان العدو أقام أو سار، ويسمون بها الأيذات، وقد رتبوا  
مناصبه بحسب ذلك، فجعلوا في الأمام لروندلوك <sup>(٢)</sup> وفي المقدمة الكامنه <sup>(٣)</sup>، وهو  
المسمى فورك أبا <sup>(٤)</sup>، وفي اليمينه أبا نيماء، وفي القلب السلطان، وفي اليمينه  
التيكناوي <sup>(٥)</sup>، وفي الساق أبا الشيخ، والامناء والوزراء في القلب مع السلطان،  
فلذا اصطلف الجيش وكان الميدان سهلاً كان الترتيب هكذا:  ولن كان

وعراً اصطفوا حسب الامكان، ومن عادتهم أن يجعلوا لأنفسهم علامة يتميز بها  
الجيشان عن بعضهما، بأن يتفق السلطان وأرباب دولته على علامة يتميز جيشهم  
بها، ففي بعض الأحيان يجعلون العلامة في أيديهم اليمنى، بأن يأخذوا من لحاء  
الشجر فيربطون <sup>(٦)</sup> أي أيديهم اليمنى، فإذا علم العدو بذلك وكان قد اتخذها علامة  
له، غيرها في الحال بعلامة أخرى، ولولا تلك العلامة لقتل بعضهم بعضاً، ولغدر  
العدو عنده، لأنهم كلهم سود فلا يتميز هذا عن <sup>(٧)</sup> {ذاك} إلا بالعلامة، وبالعلامة  
المنكورة يميزون قتلهم بعد انقضاء الحرب، بأن يأت <sup>(٨)</sup> من كلا الطائفتين جماعة

<sup>(١)</sup> في الأصل: "كان اصطلاح الفؤر اصطلاحاً قديماً للحرب".

<sup>(٢)</sup> لروندلوك، أو لروندلونغ: مثل ترجمته بكل حجة بيت السلطان أو وجه السلطان حسب نظام الأمور وبذلك صفحات واسعة لمحكم  
على أربعة ملوك من بلاد الهند، ومقره في مدينة العاصي، وهو القوط الذي كان لأصحاب الهندوي وغيرهم من مريد طائفة السلطان  
تتشول من بعده، وكان حاكماً لمدينة العاصي العاصمة ورأس القوتس فيها حسب تعمر أركلي، وهو الذي جعل في العاصي المدينة.

متر: Article op. cit. P. 140.

<sup>(٣)</sup> الكتاب مثل ترجمته.

متر: الفصل السابع من الكتاب.

<sup>(٤)</sup> فورك أبا: أي أبو الفؤر.

متر: الفصل السابع من الكتاب.

<sup>(٥)</sup> التيكناوي: أو التيكناوي: أحد أربعة ملوك الفؤر، وبمحكم على دار الهندية والهند وما والاها.

ويتخللون القلبي<sup>(١)</sup>، فكل طائفة وجدت علامتها على قتيل واروه السراب أو من وجدوه بغير علامة تركوه<sup>(٢)</sup> ومن عادتهم عند التحام الصفوف أن الخيل تكون كراديس كراديس، وأن الراجلين يكونون أمام الخيل، فإذا التحم الصف تقابل الخيل مع الخيل والراجلون مع الراجلين، لكن الفور إذا أرادوا الاقتحام أظهروا مسنداً لشجاعة الفرسان، فسل الفرسان سيوفهم، وكل كردوس منهم غني أميره بغناء بلغة الفور ورد عليه باقي الفرسان، ومما سمعتهم يغنون به في وقت حرب الشيخ محمد كرا<sup>(٣)</sup> المؤلف الذكر، اني سمعت كردوساقيه إبراهيم ودرماد<sup>(٤)</sup> وأولاده وجماعته وهو مقدمهم ويقول (أناس ديو بلن كابوا أناس ديو كيه كالبواتي كالبو)، لكن هو يقول: (أناس ديوبلين) فيقولون: هم (كالبو)، فيقول: (أناس ديوكيه)، فيقولون: (كالبواتي كالبو) والفرسان حينئذ منهم لابسا درعاً وعلى رأسه خوذة، وهي المسماة عندهم بالقلبي، وفي يده أيادي من حديد يولاد يسمونها كمكا، وعلى فرسه لبوس وهي كهيئة اللحاف في التطريز، لكنها من جوخ أحمر، واللبوس للفارس مركب من أربع قطع، إحداها تكون على كتف الفارس فتستر ظهره وجنبه، وتترك حتى تقرب من عراقيه، والأخرى تستر عنقه وصدره، والثالثة تغطي

<sup>(١)</sup> في الأصل: وجمعون القلبي.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "ومن لا فلا". أي ومن وجدوه بغير علامة تركوه.

<sup>(٣)</sup> الشيخ محمد كرا كان دولي منصب كلات الشيخ في دولة الفور في عهد السلطان عبدالرحمن الرشيد وهذا المنصب من أرفع المناصب في دولة الفور بعد السلطان فهو الوزير الأعظم أي رئيس الوزراء والحاكم لاسد ولايات مارفور الأربع وهو المرجع الأعلى لجميع قانون مالي وهو القانون المالي الذي يحكم به سلاطين الفور بعد الترخيم الإسلامية وكان هذا المنصب مطوياً لاسد لأولاده حصص منسوبة للسلطان ولد لولاه محمد كرا وهو حرمي من ذلك أنه الحق بحرم السلطان نور لم يسمح مشرفاً على زينة لولاه ومصاغته الخاصة وبذلك أصبح مسيطراً على شؤون القصر وأولاده حصومه في مشكلة مع السلطان فلم بالحياة مع حرم السلطان لعدم باحشاء عنه رده من ظهر اعلانه للسلطان ولم تكن مهملة في بساطه السلطان عبدالرحمن الرشيد في تولي العرش بعد وفاة أخيه السلطان نور لولاه السلطان عبدالرحمن الرشيد منصب الاب شيخ المحكمة له ولقد التزم بحكمته وحسن تدبيره في شؤون الدولة وأصدر في عهدها من عهد السلطان محمد الفضل فكر حصومه من أولاده في مشكلة حادة مع السلطان وأخرج عنه بمهنة قتاله السلطان من ليله:

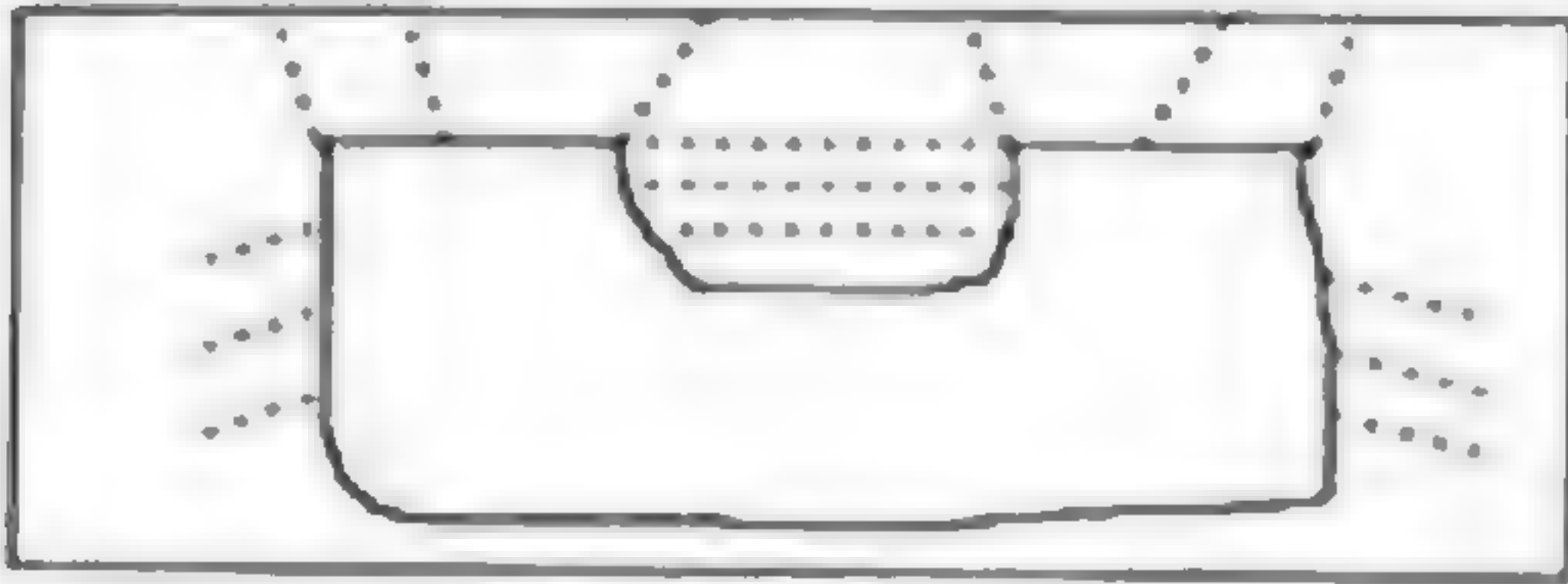
نظر: حرم خلوده تخرج السواد ح ٢ ص ٢٦.

<sup>(٤)</sup> إبراهيم ودرماد: وهو أحد الأما أي الوزراء القويين في دولة الفور ولد تولي منصب أمين خزان السلطان في عهد السلطان محمد الفضل وكان شجاعاً مهتماً من الجميع وهو الذي قتل الشيخ محمد كرا من قبله بعد خلافه مع السلطان محمد الفضل فوطدت لاسه لركان الدولة بفضل إبراهيم ودرماد وأولاده.

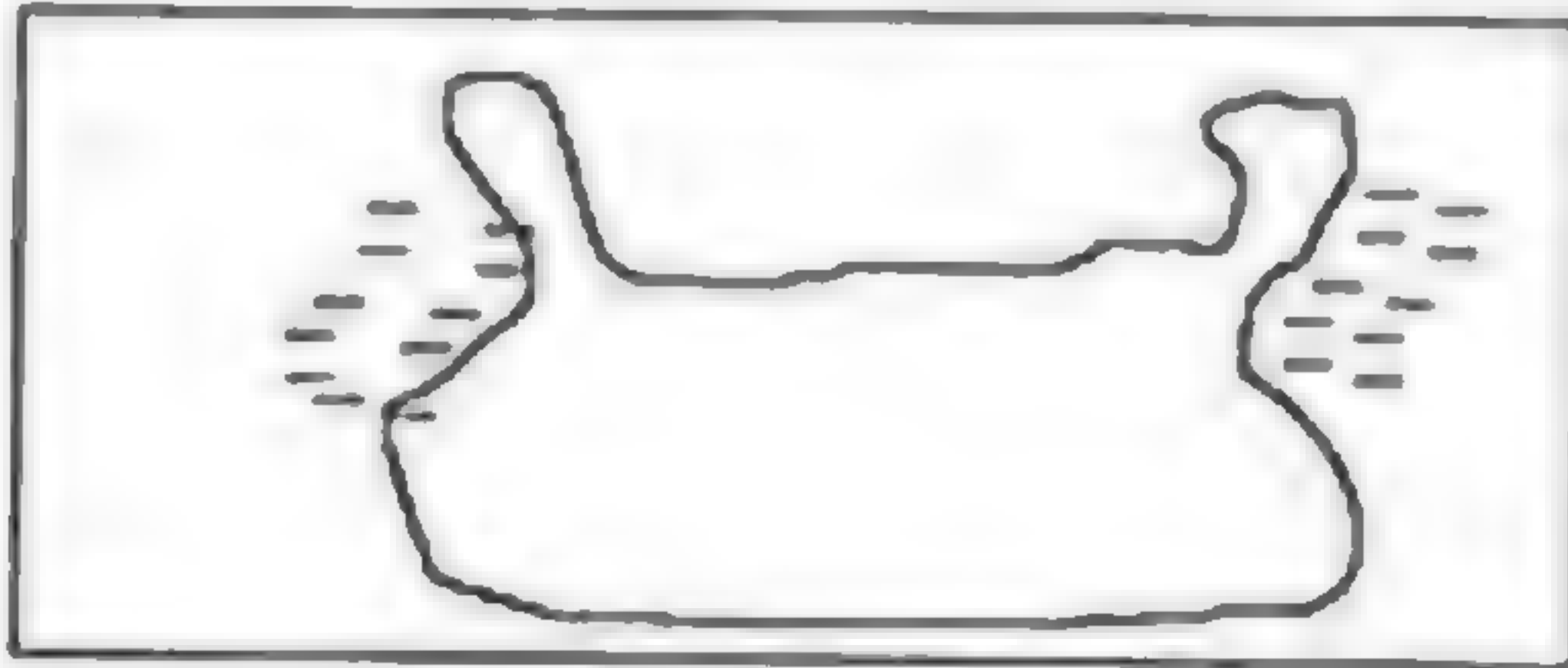
نظر: خلود: تخرج السواد ح ٢ ص ١٢٥.



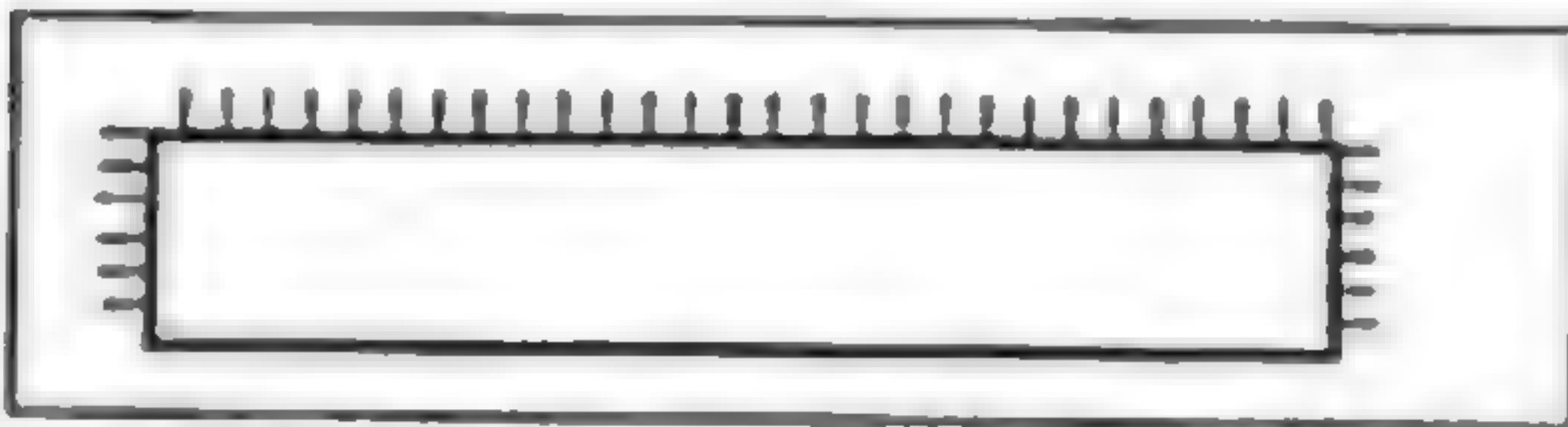
جانبه وتتصل حتى تصل الي ما يقرب من حوافه، والرابعة تغطي الجانب الثاني، وهي وإن كانت من جوخ أحمر إلا أنها مبقعة ما بين أحمر وأصفر وأبيض وأسود، ويقاربها حشو اللحاف التي يغطي بها أهل مصر وإن خالفها في الصورة، لأن اللحاف مربع وهي غير مربعة، لأن التي تكون من أمام فيها قطع مجوفة، وصورتها هكذا



فيضعون التجويف في رقبة الفرس ويربطون الخيوط العليا على مفرقة والخيوط الأخرى يربطونها بخيوط القطعة الثانية، وصورة القطعة الثانية التي توضع على كفل الفرس هكذا:



وصورة القطعة الثالثة والرابعة وهما اللتان<sup>(١)</sup> تغطيان الجنين هكذا:



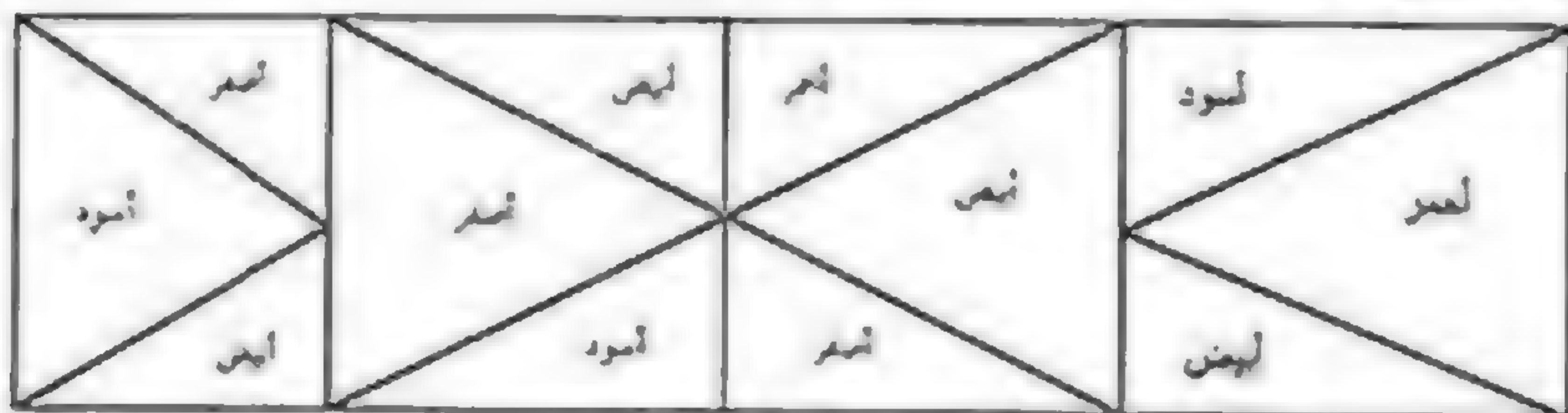
وحين توضع كلها على الفرس درعا أو درعين وعليهما شاية، وهي ملبوس أشبه بالجوخة، لكن محشو بالقطن مطرز كاللبوس منفعته تخفيف<sup>(٢)</sup> الأكف من الضرب

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وما اللتان يملكان".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "سنت عدم الألم".

الذي يقع من الفرسان، لأن القطن للينه يدفع عن صاحبه وهو مرن سيما إن كان مندوفاً، والناس تختلف بحسب الفقر والغنى<sup>(١)</sup>.

فمنهم من تكون شايته من حرير، لكنها من قطع شتى ما بين أحمر وأصفر وأبيض وأسود شكلها هكذا:



ومنهم من تكون شايته من جوخ لكنها مفصلة كذلك، ومنهم من تكون شايته من قطن أو الاجة، فكل منهم يعمل على قدر وسعه، ومنهم من يلبس شايته واحدة لعجزه عن ثمن الدرع، ومنهم من لا يلبس درعاً ولا شايته، ورأيت بعضهم قد اتخذ ما يشبه الدرع من جلد التمساح، وحكي أنه وقاية كالدرع، وكذلك من الناس من يتخذ من جلد التمساح درقة هي المعبر عنها بالترس وبالمجن، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الفرسان من الفور، إذا كان الواحد منهم لابساً لدرعين عليهما شايته وعلى فرسه لبوس عظيم وتحتة سيفان وأقبل من بُعد يظهر للناظرين أنه شيء عظيم وهذا ما يروع به الفور أعداءهم، وإذا اجتمع نحو ألف فارس على هذه الصيغة رأيت شيئاً عظيماً سيما وهم يروعون الناس بسل سيوفهم وعتادهم وغاناء خنمهم وأصوات صفائيرهم.

نكتة: إذا كان ذو منصب معزول عن منصبه وتولاه غيره بسعاية منه وكل منهما حقد على الآخر وحضر للزحف يفتش المعزول عن المتولي وقت ترتيب الصفوف أو بعد الالتحام حتى يجده ويقول: يا ونداية<sup>(٢)</sup> بسم الله، أي تفضل أنا وأنت تدخل الحرب، فإن وافقه ودخل معه في صف العدو سلم منه، وإن لم يوافقه ولم يخرج معه أشهد عليه أنه أبى أن يقاتل، وبعد انقضاء الحرب يرفع قضيتـه للسلطان،

<sup>(١)</sup> في الأصل: \* وأما \*.

<sup>(٢)</sup> كلمة ونداية لم يسمعني القاصي نو قد كما شرحها المؤلف، ونظف في دار مور مدناً على الشص في رواج لمراد.



ويشهد من أشهدهم، فيعزله السلطان ويوليّه مكانه، وكذا إن خرج معه وقاتل قليلاً ثم فر من العدو، ولكن إن فر وقدر المعزول علي قتله قتله، وإن لم يقدر لأشهد علي فراره وتركه، ثم يرفع أمره للسلطان، وكل من كان في قلبه غيظ علي آخر يفعل معه ذلك، لكن إن لم يكونا من أرباب الترتب عند السلطان وأبى أن يدخل معه للحرب أو فر من الصف لأشهد أحدهما علي الآخر وتركه، وبعد الحرب يثبت شهادته للناس ثم يترك، فيبقى في غاية الاحتقار عند الناس، حتي نسأله يطلبين الطلاق منه، ولم يزوجه أحد ابنته ولا أخته لما وقع منه، ومعنى كلمة ونذاي أي المعادل والنظير، كأنه يقول له يا من هو قريبي أو عدلي أو نظيري أو مثلي، وأصل إطلاقهم هذه الكلمة علي الرجلين المتزوجين بأختين، فإن كلا منهما يقول للآخر يا ونذاي، ثم توسعوا حتي قالوها لمن تولى منصباً كان القاتل يتولاه<sup>(١)</sup> قبل ذلك، وتطلق أيضاً علي من خطب امرأة وركن اليها أهلها، ثم جاءهم غيره ألفسد ركونهم وتزوجها، ومثل هذا يطلب ممن تزوجها للحرب أيضاً، وكذا لو طلقها ونسب علي طلاقها وأراد أن يردها وجاء غيره وعقد عليها وهدي لهم نسي ذلك، ولما رجالهم فيتحزمون وقت الحرب بملاحقهم ويشمرون أكمامهم، وكل رجل منهم معه درقة وحراباً لا أقل من أربعة، ثلاث منهم صغار، والرابعة كبيرة، وتسمى الفرخة، ومنهم من تكون له خمس حرايب، وسامها فرخة، ويجتمعون كرايس كرايس أيضاً ويغنون فيخرج مغنيهم ويغني بلغة الفور إن كان فوراً أو ياً وهم يردون عليه، وإن كان عربياً بلغة العرب وأصحابه يردون عليه، ولقد سمعته يغنون في حرب الأب شيخ وهم يقولون:

( للي للي ويا نزول الا صبا كرية ترك سيكو دين تكي ايلكا نون فارساً  
نيديو فارساً لولو تكبر )

وهذا الغناء وإن كان حين يقولونه يظهر أنه جميل لارتفاع أصواتهم كلهم به وتساويهم في النغمة إلا أنه اذا فسر بالعربية كان ركيز المعنى، ولا خصوصية للغة الفور في ذلك، بل أي لغة اذا فسرت غناها بالعربية تجده كلاً ما مفكاً مسجاً

<sup>(١)</sup> في الأصل: "من تول منصباً كان القاتل فيه قبل ذلك".

السمع، ومعنى ذلك: ( أن الحاج أقبل من جهة الشرق فاسألوا النور كيف حال خورثته، ثم النور في وسط الفرسان، عيب يا فرسان النور مع أخيه).

لكن كبيرهم يقول: للي للي فيقولون هم: ويا، ويسكتون فيقول كبيرهم: (تروا التلا صبا كرية نون سينكو دين تلي ايلكا) ويسكت، فيقولون: (نون فارمسا ديولو فارمسا لونو نكبر) وابن كانوا عرباً قال كبيرهم (تور الجاموس ورد المي، بدور النم يترشرش به)، فيرد عليه أصحابه: (يريد النم يترشرش به)، ويعيدها مره أخرى ثم يقتصر على قوله: تور الجاموس ورد المي، فيقولون هم: يريد النم يترشرش به، ويغنون هذا ويهزون حراهم قتي في أيديهم ويصرخون فيسمع للجيش ضجيج، (أما) جيش فرقت السلطان المسمى بالعبودية، فيجتمعون زمراً زمراً ويعني كبيرهم: \* قامبو رتي اتاليا ويو ويو اتاليا، ودي ويا، وري ويا، وباري اتاليا\*.

وهذا الغناء غير معقول المعنى لي، وسألت عن معناه كثيراً من أهل دار فور فلم يجيبوني جواباً شافياً، وسمعت من يقول: (لولى سيد لو ججلو أياك ويدي لندو دينبر أدي) ومعناه بالعربية: ركبت جد الآن، لو اسم للمكان، وسيد لو معناه صاحب المكان، وججلو معناه النظر، وقوله يا دوي معناه يا قسطن، وقوله دي معناه النحل، وقوله ينبردي معناه مع فعل مثله.

فيصير معنى الكلام مع القلب والتشويش وزيادة بعض كلمات، وسبك العبارة: يا صاحب المكان النظر المكان تري كل فعل يقتل فعلاً مثله، وسمعت بعضهم يقول: {

(لونا لولو كملجاوه قم جوبو جني كنبو منون دبي قبلنا لنديو ليه) وهذا الآخر معناه ركبك، وإن كان يظهر أنه حسن بالغورأوية، لأن معنى قوله: لويبا لولو: مكان يا مكان، ومعنى لوكلبو: أتخافون من المكان، ومعنى قوله: قم جوبو قولو قم جر، وهاتان الكلمتان تقالان عند الغضب، وأصلها عندهم<sup>(١)</sup> تقالان للكلب طرداً أو زجراً له، كما تقول أهل مصر للكلب: عصاجر، فاستعملتا عندهم للتسم مطلقاً،

<sup>(١)</sup> ن الأصل: \* وعندهم كذا لفظها تقالان\*.



فإذا غضب أحدهم قتل لمن يخاصمه قم جر، وإن كانتا غير معقولتي المعنى جيداً،  
كقول الفرنسيين: "ساكري نون دينيون".

ومعنى: جبي كنبو معناه لا تخافوا، وقوله نون دبي، معناه الثور الفحل،  
وقوله: قبلًا ديوكيه، فيه جواب مقابل له، فيصير معنى الكلام مع الزيادة والمسيب  
والتنظيم والتأخير: (مكان يا مكان أتخافون المكان، قولوا قم جر لا تخافون المكان،  
يوجد في صف الحرب ثور فحل مع فحل مثله، أي يقاتل قرينه)، وأضرب ذلك  
كثير من الغناء، وأما قولنا السابق: (كثوا إيا دو قنر ابوا) فكثوا (معناها) الخوف،  
إيا (معناها) أم، دو قنر أبو الحصين<sup>(١)</sup>، وديو (أي) الجماع، فيصير معنى الكلام (أم  
للجين بجامعها أبو الحصين).

وبالجملة فأهل دار فور يعتقدون في الغناء ما تعتقد العرب العرباء في  
الشعر، وهذا الكلام عندهم في الحرب كالحماسة للعرب، وعندهم في الأفراح غناء  
آخر لكن لا يقننه<sup>(٢)</sup> إلا النساء، لأنهن المنوطات بذلك.

وإذا انجر الكلام إلى الحرب والفرسان والخيول فسنذكر فيما تعلق بالخيول  
وصفاتها، إذ هي أعز ما اقتنى، وبها يقع الأرحاب، وبها يكون العلاب، وقد ورد  
في الحديث: (الخيول معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة<sup>(٣)</sup>) وقد قال تعالى في  
التحريض على الاستعداد لنبيه الهادي للرشاد:

(واعدوا لهم ما استلغتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله  
وعدوكم<sup>(٤)</sup>)

ولهذا كانت من أعز الاموال ولجل ما اقتناه ترجل، إذا تقرر ذلك فنقول:  
إعلم أن الخيل في دار فور على أجناس، أحسنها ما هو عند الملوك  
كالمسلطان ولرباب دولته، وهي التنقلاوية<sup>(٥)</sup> والمصرية، فأما التنقلاوية فخيول عالية

<sup>(١)</sup> أبو الحصين: هو المروج، وهو حيوان الله، يملكه منحه سنان الأرض لسكنه، ويهاجم منزل الجماع لئلا يفسد في السكن.  
الكناكنه.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "لكن لا يقرره إلا النساء".

<sup>(٣)</sup> ورد الحديث بصيغة أخرى: كالحرم مطهروا يومئذ الخيل إلى يوم القيامة.

<sup>(٤)</sup> سورة الأضحية الآية (٦٠).

<sup>(٥)</sup> التنقلاوية: نسبة إلى تنقلا، وهي مدينة في شمال السودان، ينفذ منها الملح، وأصل في ذلك قولهم.

القوائم براقعة اللون يغلب على ألوانها السواد، وتكتسبها الملوك للزينة لحسنها، وأحسن منها الخيول المصرية التي كانت تقتنيها العامة والخاصة، لأنها وإن لم تكن عالية القوائم كالنقلوبة إلا أنها حسنة قابلة للتعليم أكثر من غيرها، وتتحمل المشاق في الكر والفر وألوانها جميلة، ويغلب على ألوانها الحمرة، فتري المكرم منها مربوع القوائم، ضامر البطن عظيم الكفل والصدر، متوسط الجيد، ينفر ضد المنايا خصوصاً خيل السلطان فإن السياف يربونهم أحسن تربية، ولذلك تري الفرس الذي يركبه السلطان سواء سار أو وقف وعليه السلطان لا يروث ولا يبول مدة ماض على صهيوته، ولا يرفع قدماً ولا يتقدم ولا يتأخر، بل قصاري أمره أن يرفع رأسه ويضعه، وإذا وقع من فرسه أنه بال أو روث أو تزلزل عن مكانه الذي أوقف به ينزل عنه السلطان ويأخذه<sup>(١)</sup> السواك ويضربونه ضرباً مؤلماً، فلا يعود يفعل شيئاً مما وقع منه، وحين كنت هناك ورأيت خيل السلطان في غاية الحسن، سألت أحد السواك<sup>(٢)</sup> عن سبب ضمورها، فأخبرني بأن طعامها دائماً من نخيل رطب يجلب من سفح جبل كسا<sup>(٣)</sup>، وإن قوامها من القمح المجروش المعجون بالعسل، حتى يصير عجيباً تخين القوام، يعطي الفرس منه أربع قبضات في الصباح ومثلها في المساء، وبعض قبضات من قش النجيل، وتسقى في الصباح لبناً ملباً، ويدأوم على ذلك، فيكتسب الفرس قوة وحسناً ويبقى ضامراً كما تراه، وأما الخيل الغورأوية، أي التي أصولها من هناك، فإنها كسابحر، عظيمة البطن شديدة البطر، إن شبعت عربيت وعبت يديها ورجليها، وإن ركب عليها الفرسان خالفت في مشيها، ولا تستقيم على الطريق بل تسير مع الاعوجاج، ويقع منها الحرن والجموح، فالحرون منها متى ما حرن لا يمكن {أن} تسيره ولو قطعته، بل كلما ضرب بالسوط رقع يديه ووقف على رجليه حتى يري بياض بطنه، والجموح {منها} متى<sup>(٤)</sup> ما جري لا يرده اللجام بل يقص اللجام بأسنانه ويأخذ

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وباحظه السواك".

<sup>(٢)</sup> هكذا يكتب المؤلف السواك ولعلها السواك، وهو جمع سواك الذي يلزم تحته الفرس وتربيته.

<sup>(٣)</sup> جبل كسا: من جبال شمال بلاد فارس.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "والجموح من ما جري لا يرده اللجام".



فارسه ويظل يجري حتى أنه ربما أوقعه في صف العدو، (وليضاً) ربما أنخل<sup>(١)</sup> هذا الحرون صاحبه في الصف ورفض الخروج منه، فيحزن ويثبت حتى يقتل فارسه، وهذان الداءان أكلح شيء<sup>(٢)</sup> في الخيل، وإن جاءت هزلة، لكنها تتحمل مشقة السفر والركوب، ومن عانتها أن الفرس إذا جرح في الحرب يرمى صاحبه من على ظهره ويجمع، بخلاف الخيل الأصيلة فإن الفرس منها لو جرح مائة جرح يصبر حتى يرجع به صاحبه إلى عسكره، وأحسن الخيل في دار فور خيل عرب البادية، لأن أصولها عربية، وفارسها إن طرد لحق، وإن طرد سيق، ولو كانت هزيلة. لكن شتان ما بين مرعي خيل العرب<sup>(٣)</sup> ومرعي خيل الفور، وشتان ما بين تربية هؤلاء وتربية أولئك<sup>(٤)</sup>، أما الفور غير السلطان وبعض خواصه فاتهم يعلفون خيلهم بالدخن، والدخن عاتته يكبر البطن، ويكثر الدم، والفور يركبونها للزينة ولسفر بعض الأماكن مع الراحة، وتري الأمير منهم بعد كل ساعتين يغير مركوبه بأخر خوفاً عليه من التعب، وأما العرب لثة الدخن عندهم فيطعمونها الحشيش ويسقونها اللبن الحليب دائماً، ويفسلون أجسامها بالسمن المذاب، ومن عادة العرب الإشارة، فدائماً تجد البدوي بالليل يقيد فرسه بقيد من حديد، وفي القيد سلسلة طولها نحو باع، طرفها مربوط بقائمة سريره الذي ينام عليه، ومن حيث أن الخيل استأنست بالمغازي والكر والفرا، فمتى وقع في الحيض ضجة تري الفرس ينهذه ويضرب برجله الأرض فيوقظ صاحبه إن كان نائماً، وبالنهار يربطه قريباً من بيته، فمتى ما وقع في الحيض صياح قامت امرأة البدوي أو أخته أو أمه أو نحوها ووضعت المرح على الفرس وأجمته، وقام البدوي إن كان نائماً ركب أو جاء إن كان مستيقظاً فركب، وأشار مع جماعته، فهذا تجدهم متى وقع صياح في حي خرج الفرسان كلهم في طرفة عين، ولما كان عمدة أمر العرب على الخيل تغاثوا في أثمانها بحيث يباع الفرس المشهور عندهم بأعلى قيمة، وربما وصلت إلى مائة الفرس الرباعية وفحلها معها، وأعلاها عندهم ما

(١) في الأصل: \* وكما الحرون ربما أوقع صاحبه \*

(٢) في الأصل: \* وهذان الداءان أكلح شيء ما في الخيل \*

(٣) في الأصل: \* لكن شتان ما بين مرعي خيل العرب وبين مرعي خيل الفور \*

(٤) في الأصل: \* وشتان ما بين تربية هؤلاء وتربية أولئك \*

يسبق ثلاثة كمينين، وذلك لأن الخيل درجات، منها ما يسبق كميناً واحداً، ومنها ما يسبق كمينين، ومنها ما يسبق ثلاثة، وهو أحسنها، فالتذي يسبق ثلاثة كمينين يضعون له في كل كمين عشرة من الخيل، وبين كل كمين مسافة نحو ساعة أو أكثر، فيخرج الفارس وحده أولاً ويجري قدومه حتى إذا جاء لحق بالكمين الأول خرج معه العشرة فوارس بخيلهم لو يتأخرون عنه<sup>(١)</sup> فلا يصل إلى الكمين الثاني إلا وحده فيخرج معه وهكذا حتى يبلغ الثلاثة.

وقد يقع في خيل العجم من الفور والوداي ما يضاهي خيول العرب في السباق<sup>(٢)</sup> ويزيد عليها بقوة احتمال المشقات، فقد اتفق أن أحد<sup>(٣)</sup> التامارين الشفري فلوا صغيراً ورباه وكان الفلو من السباق للسباق ولم يدركه طالب ولم ينسج منه هارب، فلما رأى من جودة فرسه ما رأى طمع في المكسب، فاتفق أن بين الوداي والتاما وادياً ما بين شفريّة مسافة قصبتين أو أكثر، فحدثته نفسه أن يتوجه إلى ذلك الوادي ويخاطر بنفسه، وينظر هل ينفر<sup>(٤)</sup> فرسه الوادي أم لا، فذهب وحمل فرسه على الوثوب فوثب ونفر من الشفير إلى الشفير، وكان بين الشفيرين هوي لو سقط فيه لهلك هو وفرسه، ولما علم ذلك من جواده صار يأخذه ويتوجه إلى دار الوداي فيجلس في بئر من الأبوار، ويتأمل في البذات الثلاثي<sup>(٥)</sup> يردن فوقهما<sup>(٦)</sup> رأي صبية جميلة اختطفها وفر، فركب وراءه الفرسان فلا يثاقون منه إلا الغبار، وإن تركوه أتى بهم إلى ذلك الوادي فيظنون أنه لا يمكنه العبور منه لسمته، فيفرحون بذلك فيضرب هو الجواد ويعبر الوادي فيأتي الفرسان خلفه فيرونه قد عبر وخيلهم تقف على الشفير فيندهشون من ذلك ويرجعون خائبين، فاتفق أنه أخذ صبية لم يكن لأبويها غيرها، وفعل معهم ما فعل بغيرهم فرجعوا بوجوه بأسرة وصفقة خاسرة فاحتفظ أبو الصبية وتوجه إلى بلده وكان عنده من الخيل فرس للثي

<sup>(١)</sup> في الأصل: "ويستودع".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "في السباق".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "فأمر أن يجر الفلوان".

<sup>(٤)</sup> ينفر: ما يحق به الفلوان واحدة.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "البذات التي يردن".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "لهم رأي صبي".



لكنه قرب وقت نقاجها فصبر حتى ولدت وحان وقت النزول<sup>(١)</sup> وطلبت ذلك، فأخذ  
 قطعة من القطن المنسوف ووضعها ليلاً على فرجها وربطها ربطاً جيداً وتركها  
 إلى الصباح وأخذها وقد ابتلت من رطوبة فرج الفرس، فلها في قطعة قطن  
 أخرى ووضعها في مزود وتكر بانساً (حيث) لبس ثياباً كثياب الناموسين وتزيى  
 بزيم لئلا يعرف أنه من الوادي وسافر إلى بلاد الناما مهاجراً يتكف فصار  
 يتخلل ديار القوم (ويظير) عندهم في صفة غريب مهاجر حتى عثر على ابنته في  
 بئر من أبارهم فلم يحدثها بل صار يراعيها أين تذهب ويتبعها من بعد حتى دخلت  
 في البيت الذي هي فيه، فصبر حتى دخل الليل وطارق الباب قائلاً إن ضيف الله  
 مهاجر، فأدخلوه في محل الضيافة، فنظر إلى الفرس الذي هو لصاحب الدار  
 وعرف محل مبيته، فلما كان في جنح الليل وهذا الناس قام ودخل على الفرس  
 فحاول<sup>(٢)</sup> أن يأخذه ويفر فلم يمكنه ذلك لكون الفرس مقيداً بقيد حديد منين، وفيه  
 سلسلة متينة أيضاً، فلما أعياه الأمر أخرج القطن من المزود وقربه من أنف  
 الفرس، فحين شم رائحة رطوبة فرج الأنثى هاج والفظ واشتدت غمته فقرب  
 القطنه لأحبله فبالأمر المقدر إنه أمني ووقع منه المني في القطنه، فأخذ القطنه  
 ولها كما كانت، ووضعها في مزوده وبات بقية ليله، ولما أصبح توجه إلى بلده  
 وكان قد ترك فرسه مربوطاً وأمر أن لا يخرج لئلا يعطو عليها بعض الخيل، فلما  
 دخل دله لم يكن له هم إلا أن أخرج القطنه التي فيها ماء الفحل ووضعها في  
 فرج الفرس فبقيت مائماً أنه لن تبقى، فتحلل ماني القطنه من الماء من حرارة  
 الفرج وتشربه الرحم، فحملت بانن الله تعالى، وتركها مربوطة مدة فظير حملها  
 ظهوراً جيداً ولما انقضت مدة الحمل وضعت فلوا كأنه أبوه، ففرح الرجل بذلك  
 واعتلى بتربيته حتى جاء أولن ركوبه، فصار يركبه ويدربه شيئاً فشيئاً حتى تقوى  
 عصبه وصار يصلح للغلرة فأخذه وتوجه به إلى ذلك الوادي وخاطر بنفسه وألجا  
 فرسه إلى اقتحام الوادي فقتحمه (بشكن) أعظم مما كان يقتحمه أبوه، ففرح بذلك  
 وتوجه إلى بلاد الناما، وجاء إلى البئر الذي ترد فيه ابنته فصبر قليلاً حتى وردت،

<sup>(١)</sup> وقت النزول: أي وقت الاستعداد للحمل.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "وفاخ ان ياحله..."

ومما يتعاملون به إن كانوا قاصدين حرب عدو ورأوا الخيل تمطت بيديها<sup>(١)</sup>  
تفاعلوا بأنهم منصورون وإن تمطت برجليها تشاموا<sup>(٢)</sup> بالهزيمة، كما أنهم إن  
رأوا الغربان تحوم أمامهم تفاعلوا بالنصر، وإن رأوها خلفهم تشاموا<sup>(٣)</sup> بالهزيمة  
ولهم في ذلك اعتقادات لا تزع من صدورهم.

### نادرة:

كان للسلطان تيراب نديم يقال له الفقيه موسى تفاويض وكان مطلق اللسان  
حلو المنطق، فاتفق أنه حضر مع السلطان حرباً في كردفان في سرية، وانتهزم  
الجند الذي كان معه وكان الفقيه موسى راكباً فرساً أربد، فخاف على نفسه أن  
يدركه العدو فنزل عن الفرس ونجا بنفسه وعاد فرسه حتى دخل مع عسكر  
السلطان فقبضوا عليه ودخلوا به إلى السلطان فثبته: إن هذا فرس الفقيه موسى  
ولولا أنه قتل لما عاد، فاعتقم السلطان لنفده وأمر بربط فرسه مع خيله حتى  
ينكشف الأمر، فلما كان بعد العشاء حضر الفقيه موسى ودخل على السلطان فلما  
راه السلطان فرح وسأله عن حاله فقال: لقد قاسيت البارحة في الحرب ما لم يقاسه  
أحد حتى قتل جوادى الأربد ولولا أن الله نجاني لقتلت أنا الآخر، فضحك السلطان  
من كلامه وعلم أنه كذاب، لكن لم يظهر له شيئاً بل قال له لا بأس عليك،  
وسنعوضك خيراً منه، ولاتدعك راجلاً بعد أن عرفنا من شجاعتك ما عرفنا، ولما  
أصبح الصباح حضر الفقيه موسى فسأله السلطان عن حاله وما جرى له بالأمن  
مع الأعداء، فأخبره كما أخبره بالأمن، فقال السلطان: هل أتوا للفقيه موسى فرساً  
من خيلي، وكان أوصاهم أنه إذا طلب للفقيه موسى فرساً أن يأتيوا<sup>(٤)</sup> له بفرسه  
الأربد، فأتوا به فلما رأى جواده بعينه صاح وقال: اتق الله يا أربد تتبعك قبل يوم  
البعث، فضحك منه السلطان والحاضرون، وكان الفقيه موسى مسلط اللسان على  
أمراء السلطان ويأخذ منهم العطايا الجميمة، ومن لم يعطه رماه عند السلطان

<sup>(١)</sup> للتصود \* يديه: أي رجليها الأيمنين، والتصود: رجليها من رجليها الخطين.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: ... تفاعلوا بالهزيمة.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: ... تشاموا بالهزيمة.

<sup>(٤)</sup> في الأصل: ... يأتون له.



بكلام يبيته به فلذلك كانوا يحترمونه، وكان يقول كلما يعتقد أنه شعر مع أنه ملحون، ومن ذلك ما مدح به بعض النساء فقال:

صديقك سطيحا كن لو حājبره  
صار فقير الناس كان كاجا

أملك عزازاً<sup>(١)</sup> يحفظوا السلطان  
شرطك بقرآن الأسير قرآن<sup>(٢)</sup>

هذا ولهم في الخيل مقالات ومقالات لو تتبعها الإنسان لاتسع عليه الميدان ولهم فيها اشعار واخبار لا يحصيها العد، ولا يوقف لها على حد.

تبيته:

اعلم ان الوداي في جميع ما ذكر قريب من اصطلاح الفور، لذلك لم نعتد لهم فصلاً مستقلاً ونهاية الامر انهم أقل من الفور في وصف<sup>(٣)</sup> الفرس ونحو ذلك، ولا يخالفون الفور الا في الغناء لانهم لا يغنون ويعدون<sup>(٤)</sup> الغناء في الحرب نوع من التعبث وعندهم عوض الغناء بوقات الكبرتو والتكحيل ولما التفتيت فلاخيل عندهم البتة وليس عندهم من أنواع الحيوانات الأهلية الا البقر، فاتها توجد عند بعض القبائل كقبيلة الجنقي<sup>(٥)</sup> والتي ذكرنا ان عندها بقرأ كثيراً من حيث انهم لا يوجد عندهم الثواب المذكورة فيحملون لذاتهم ان كانوا مسافرين على رؤوس نساءهم ويحملون ملكهم على سرير، وفي أثناء الحرب على كرسي وهم حاملون له فان انهزموا وضعوه على الأرض ولقروا.

تبيته:

اعلم ان ملوك السودان لا يفرون حتى اذا انهزم جيشهم فاذا رأى الملك منهم جيشه قد انهزم نزل عن فرسه إن كان فارساً راكباً أو عن أعناق الرجال إن كان من ملوك الفرقيت، لأنه يخشى أن ينحقه للعار من الهزيمة وقد اصطلاح أهل

<sup>(١)</sup> في الأصل: "بحر قز".

<sup>(٢)</sup> مدح هذه المرأة بان صبرها على كنفه، وان لهاها عراز مشعل للفتن ومن معها من امرأة من امرأة دارما فرج، والله أعلم بما في سورة من سورة كثيرة لجمال مفردات على ظهر الفور وهو كناية عن كثرة وعلاء الفهر.

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "في وجه الفرس".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "ويعدون ان الغناء".

<sup>(٥)</sup> الجنقي: مصطلح يطلق على السودان على العاصم، قبيلة عسوما.

السودان من قديم الزمان ان الملك لا يقتل من الأعداء الا اذا قتل في وقت القتال  
وأما ان جلس على الأرض فلا يقتله الا لو بائس الناس ولما العقلاء فلا يقتربونه بل  
ياخذونه الى ملكهم فيحسن لقاءه ويكرمه ويظل مقيداً عنده لعدة أيام حتى يتفق معه  
على أمر ثم يرسله الى محله مكرماً، وكذا اذا عثر على انقاضى أو بعض العلماء  
فلا يقتلونهم، وكذلك يضرب التطيل والنقير فالواجب لكل هؤلاء ألا يقتلونهم  
ولا يبقونهم في الأسر، بل يطلقونهم ويرسلونهم الى بلادهم وإذا ضبط ملك من  
ملوك الفرنج فيحسنون اليه ويردونه الى ملكه، هذه عاداتهم قديماً ولا يقتلون من  
الأسير الا من خان أو قتل<sup>(١)</sup> بعد الأمر أو كانوا يسمعون أنه يعيبهم ويلعنهم ويقول  
فيهم كلاماً فسيحاً.

وإذا أسر السلطان ياخذون جميع أعتاقه وخنمه وماله من السلاح والخيول  
والأهل ويوقفون له أعتاقاً وخنماً، وإن كان معه نساء ياخذونهن ولا يردونهن اليه  
في بلاده، ويجرون عليه النفقات التي ان يمتن هذا اذا لم يكن جوارى (فإن كن  
جوارى)<sup>(٢)</sup> فعل بهن السلطان ما أراد من بيع أو هبة أو تسرة، لكن عتقاً غزاة  
السلطان بلاد البقرمة وظفر بهم وباع من نسايتهم وأولادهم ما أراد، واسترقهم  
لتأوله أنهم كفار تبعاً لملكهم خصوصاً نساء السلطان فإنه اصطفى منهن لنفسه ما  
أراد وذهب<sup>(٣)</sup> منهن ما أراد وقد ذكرنا بعض ذلك في غزوة باقرمة فلا إعادته.  
وفيما ذكرنا كفاية لأرباب الدراية.

<sup>(١)</sup> في الأصل "الا من حذر لولاه".

<sup>(٢)</sup> في الأصل "بعضها ان لم يكن جوارى مثل من السلطنة".

<sup>(٣)</sup> في الأصل "وذهب منهن".



## الفصل العاشر

### في ذكر التجارة وذكر ما يتجر به

اعلم ان المعنى على الاطلاق المنزه عن الانتفاع والارتزاق لما كان غنياً مستغنياً عن كل ماسواه، ومفتقراً اليه كل من عداه،<sup>(١)</sup> نظر بعين الرحمة اليهم، وأنزل انعاماته عليهم، ومن رحمته جعل فيهم المالك والمملوك والغني والصلوك، وخص كل اقليم بمالا يوجد في غيره، وربط الأسباب بالمسببات والهم الناس طرق رشادهم وما فيه صلاحهم وفسادهم، فانقسم<sup>(٢)</sup> العالم الى اقسام جليلة حسبما تعلقت بذلك الارادة العلية، فكان التجار من القسم الوسط الذي ليس على صاحبه شطط، ولولا التجارة لما تمتع الناس<sup>(٣)</sup> ولا حصل لهم هذا الاستيناس، كيف وهى حرفة كان من جملة أهلها خير الأنام عليه الفضل للصلاة والسلام، فقد روى بالأسانيد الصحيحة أنه سافر في تجارة خديجة أم المؤمنين الى الشام، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الاسلام، ووردت عدة أحاديث في مدح التجارة الخلقية عن التذليل والغش والخلابة، كما روى ذلك عند<sup>(٤)</sup> من الصحابة، فهذا نجد في كل اقليم من انتدب لهذا الخير والأمر الجسيم، ومن جملة ذلك أهل السودان فيهم لما كانت بلادهم خالية عن الأقمشة الجميلة والبضائع الجليلة وعندهم ما يحتاج اليه أهل المدن العظيمة من الخيرات العظيمة، انتدب من كل اقليم لهذا الأمر المهم أناس ودخلوا في ملك أهل التجارة ليكون لهم من الخير التماس، فجلب تجار الفور منها الرقيق والصمغ وسن الفيل والتمر هندي وحب العين المساه في مصر بالشمشم والنبق والكرو والبلدي والجلود العظيمة التي تصنع مزادات، المعبر عنها في مصر بالري، وریش النعام بنوعيه الأبيض والأسود، وكل مما ذكر له في الأمصار، وأما الرقيق فهو مما لا يستغنى عنه أهل المدن وهو أعظم ما يتجر فيه، هو وسن الفيل

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وافتقراً اليه كل ماسواه".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "فانقسمت العالم".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "ولولا التجارة لم تمتع الناس".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "كما روى ذلك عند من الصحابة".

وريش النعام والصمغ والتمر هندي، وهذه بضاعة الأغنياء منهم، وما تبقى تقجر فيه فقرائهم.

وأما البضائع التي تروج عندهم فهي كثيرة جداً، وأكثرها مما لا يعبأ به أهل المدن ويرون أن نفعه قليل فمنها المتخصص، وهو كهرمان أصفر يختص في الحجم، فمنه نمرة واحد، ومعنى نمرة واحد أن السبحة منه تزن رطلاً، وهو خرز مستدير مقزح<sup>(١)</sup> يجعله النساء في عقودهن وهو أعلى ثمناً من غيره ولا يلبسه منهن إلا بذات الأكابر، وبذات الملوك، ومقاربهن، ومنه نمرة اثنين وهو أن السبحة من تزنان رطلاً، وهو أقل من الأول ثمناً، ويلبسه نساء أوساط الناس، ومنه نمرة ثلاثة، وهكذا ومنها ريش وهو خرز مستطيل كأنه المرمز، فيه خطوط وهو مستدير وربما وجد منه ما هو كروي وأعلى منه السوميت، وهو خرز رفيع مستطيل أسمر اللون فيه خطوط بيض وهذا تلبسه نساء الملوك وبناتهم، وربما بيعت الخرزة منه برأسين من الرقيق، وإن كثر أي (الرقيق) فبرأس وقد كنا نكرنا ذلك في حلى السودان وزينتهم، ومنها البخور، وقد كنا نكرناه، وهو خرز كبير مستدير يجلب من الجليل تجعله النساء في أوساطهن فتجمل المرأة منهن في وسطها سبع حبات أو خمس، وهو ما بين أخضر وأصفر وأسود منكت<sup>(٢)</sup> والأسود يسمونه المشاهرة، وأعلى منه التخرز المسمى رقاد الفلقه وهو خرز أكبر من المنجور وأنعم منه وأدق صناعة، فلذلك تلبسه نساء التجار ويلبس المنجور نساء أوساط الناس، ومنها الحوش وهو خرز صغار ما بين أخضر وأزرق وأصفر يتعامل به أهل كويبة<sup>(٣)</sup> ويلبسه نساء الفقراء في أوساطهن إذ لا يقدر على شراء المنجور ومنها المرجان، وهو عندهم نوعان: الفص والمردم، ولا يعرفون من أنواع المرجان سواها، فأما الفص فهو خرز مستطيل وهو كالمقصوف في النحر،

<sup>(١)</sup> مزجج أي بألوان القوس مزجج وهو الأزرق والأحمر والأصفر.

<sup>(٢)</sup> منكت .. بمعنى قد منكت أو طاطت.

(٣) كويبة: من أكبر مدن السودان ريادة المراتب السطحية، وهو مركز تجاري هام ضد دمشق هذه طرق في شمال السودان وتقع شمال مدينة القاهرة وكانت ممرات من جميع الجهات طرق عديدة يمتد في حواها على ما يظن من كويبة، ومعظم سكانها المسلمين الاحباش أو النصارى، وكلما تكثر تجارتها من الفواحة والحرير والحلابة وبعد العزلة معالم كويبة في أوقات الغمر وفي غيرها سوى أولادى الذي مازل يحمل اسمها وهو ولادى كويبة.

مطر: Browne, W.G.O.P. Ch. P. 234.



ومنها الفاو، وهو مرجان صناعي وهو على نوعين أيضاً: طويل ومردم والمردم هو الكروي والفاو المذكور رخيص، ولرخصته تلبسه نساء الفقراء والمرجان الحقيقي ينظم مع المنصوص والريش والسوميت ويجعل عقود تلبسه النساء في أعيادهن ومنها دم الرمان وهو خرز أحمر كالدم يجلب من بلاد الأفرنج وهو من زجاج، وحبه على نوعين، مستطيل ومردم وكل منهما رقيقة، وهو رخيص تلبسه نساء الفقراء في عقودهن، وفي ثمانين وفي أئرعتهن، وتسمى الواحدة مدرعة، ومنها الطرايش ولا يأخذون الذي فيه طول وبعض ضيق ليكون على الرأس كالطرطور.

ومنها الثياب البفنة الرقيقة المسماة في مصر بالمدرات فلن الجلابية يأخذونها، والطاقية ستون ذراعاً، يقطعون كل طاقية ثلاث قطع كل قطعة عشرون ذراعاً، ويصبغونها ويذهبون بها إلى هناك فيبيعون كل قطعة برأس رقيق والالاجة<sup>(١)</sup> الكساوى، وهي أردى الالاجات وتسمى عندهم بالنخوقلى فيقطعون الالاجة قطعتين كل قطعة يسمونها قرناً تلبسها نساء الأكبر على صدورهن، وتباع القطعة منه بنصف رأس رقيق أعنى بنصف ثمن رأس رقيق، ومنها الثولتر وهي المسماة في مصر بالمعك، وهو قماش غليظ من قطن في آخر قطعة منه طرز عريض أحمر، تباع القطعة منه بتسعة قروش أو عشرة تجعلها أهل مصر بطانة المراتب لجلوسهم ونومهم وبطانة لأحفنتهم فيصبغها<sup>(٢)</sup> الجلابية ويذهبون بها إلى دارفور فيبيعون كل ستة منها برأس رقيق إن كان الرقيق غالياً، ولقد أدركته في الزمن الذي كنت فيه هناك، وإن ثلاثة ثولتر برأس رقيق، ومنها الجوخ، وهو أخشن النسيج ولا يلبسه في مصر إلا الرعاع لرخصته، فيأخذونه ويبيع للملوك ليحعلونه لبوساً لخيولهم، ومنها الحمير، فإن الحمار المصري هناك يساوى ثيناً كثيراً فإن كان عظيماً جداً ربما بيع بعشرة رؤوس من الرقيق، ومنها المنبل والمحلب وخشب الصندل والصقر والشيبة والمرجان والقرنفل وكعب الطير والبن

<sup>(١)</sup> الالاجة نوع من المعتر كالملايل يصنع في مصر ويباع للحداد في شكل صفائح لم تقطع من الالاجات وجميع وبنشرها كسائر القوم في شكل ملاحف يشعرون بها في الشوارع وتقطع منها قطع النساء يلبسها في صدورهن. انظر نسخة الالاجة ص ٢١١.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: ... ليصبغها بالملاءة.

والصليبون، وجميع ما ذكر يدق ويجعل في الدهن الذي يُطَيَّب به، ومنها النحاس  
الأحمر وهو المسمى في مصر بالقراطة، وهو كل نحاس بطل استعماته الأبعد  
صوغه ثانياً، كقتر ذهب، وهذا النحاس عندهم له ثمن عظيم يصنعون منه  
الجلال<sup>(١)</sup> لكن بإضافة بعض الخارصين عليه ليقتبه من الحمرة التي بعض صفرة  
وتصاغ منه الدمالج<sup>(٢)</sup> وهي التي تباع في دار رنكا<sup>(٣)</sup> كل أربعة دمالج من الملح  
برأس رقيق، ومنها التتيلان الأصفر وهو ألواح الصفيح، وهي عالية الثمن في  
دارفور يجعلونها في وجوه الخيل، فالأمير الذي ليس لفرسه ذلك لا يعبأ به، ومنها  
الملك الأصفر يأخذه الأمراء ويلوونه على أعواد حراهم زينة، وأهل فراوجية  
يضعون ذلك في الحراب بكيفية جميلة فالسلطان وأرباب التولية يجلسون من  
فراوجية أهل الخبرة بذلك، فيلوون لهم الملك المذكورة على أعواد حراهم ومنها  
القصدير ويبادلون أهل الفاشر بخواتيمه كما ذكرنا ذلك في فصل معاملتهم، ومنها  
الجزور وهو خرز مستطيل أحمر وأبيض وأزرق لا يلبسه في دارفور إلا الخدم،  
ومن لا يندر على (ثراء) غيره، وإنما يأخذه التجار ليبيعونه في دار رنكا وفراوجية  
ودار بيكا<sup>(٤)</sup> وجبل شان، فهذه تلبسه نساؤهم ومنها الكحل الحجر المسمى بالأثمد  
في ناحية الغرب وهو حجر أزرق براق يسمى بلغة الكيمأويين كبريتور الایتمون،  
ومنها الإبر، وهي وإن كانت بضاعة مزجاة لكنها في دارفور لها قيمة، فقد تباع  
الآلف ليرة برأس رقيق، ومنها المولس الحلاقة، لأن الأمواس التي تصنع في  
دارفور حديد كال<sup>(٥)</sup> رديء، قليل النفع إذا رأيت الحلق يحلق بها كأنها سنخ رأس  
المخلوق، ومنها السروج والتبذ التي تحتها ولا يركب عليها إلا أمراء الناس ومنها  
الركابت الطويلة التي كانت تركب بها الترك سابقاً، ومن السروج والسيوف

<sup>(١)</sup> الجلال، هو اللؤلؤ، وهو الكوكب الذي يسمى بسجمل في مصر شتاءً أو اداء لو ليرة.

<sup>(٢)</sup> الدمالج جمع دمالج وهو مزج من أربعة أصناف من النحاس يسمى في بلاد السودان بالقراطة.  
يقطع: نسخة الألمان من ٢٠٩.

<sup>(٣)</sup> دار رنكا، أو رومكا، جمع في غل بلع ليرة الفاشل وعرب بلاد فراوجية وغلل رومكا من مصر في بلاد العرب في ذلك الزمان.  
يقطع: نسخة الألمان من ١١١.

<sup>(٤)</sup> دار رنكا أو رومكا، جمع في غل بلع ليرة الفاشل وعرب بلاد فراوجية وغلل رومكا من مصر في بلاد العرب في ذلك الزمان.

يقطع: نسخة الألمان من ١١٦.

<sup>(٥)</sup> حديد كال أي ليرة حديد.



المعتدلة فهي التي يتخذ بها الأمراء ويجعلون لها قبضة من فضة، وفي رأس القبضة انتفاخ على هيئة كرة، فارغ البطن يجعل فيه حصيات، فإذا أسند أحد سيفه وهزه في يده شخشت الحصيات داخل ذلك الفراغ، ويجعل الأمير منهم على سرج فرسه سيفين وربما طلى القبضة بالذهب ويسمون الذي قبضته كذلك أبو تومة، وكذلك الانتفاخ برأس التوم، ولا يكون إلا لأمرائهم العظام، ولما الأمراء الصغار فرما عملوا القبضة وانتفاخها من نحاس، ومنها الورق للكتابة وهو مطلوب عندهم، ومن أحسن ما يتجر فيه في السودان الريال الفراتسا المسمى أبو مدفع وهو يغلى حتى يباع رأس الرقيق بعشرة ريالات وبثمانية، مع قلة المؤونة في الحمل ومنها كبريت العمود فإنه يطلب ومع رخصة هنا فإنه غلى هناك، ومنها كتب الفقه والحديث فإن مكسبها عظيم جداً، وكان الجلابة سابقاً يأخذون للملايات الحجازي لأمرائهم ملاحف، والآن عندهم، وصاروا يأخذون الالاجات، فيجعلون الالاجة شقين ويحبكون طرفيها ويجعلون لكل طرف هدباً طويلاً، وهو المسمى عند الملوك بالغير، إذا ولي السلطان أحدهم أعطاه فيراً وإذا عزله أخذه منه، والآن يأخذون من الشيت المقلم الذي على هيئة الالاجة فيجعلون كل طاقة أربع قطع، ويحبكون أطرافها ويرجونها كما كانوا يفعلون بالالاجة، وقد تؤخذ لدوايات النحاس للفقهاء عندهم، والمقاسط والمطاوي، ويؤخذ الشاش لعائلاتهم، كما تؤخذ بعض المراكيب وبعض البرادع<sup>(١)</sup>، لكن هذا كله بالتوصية أو على سبيل الهدية، وجميع ما ذكر يجلب من مصر إلى دار فور ماعدا الريش<sup>(٢)</sup> والسوميت<sup>(٣)</sup> فإنه يجلب من الحجاز ويتوجه به إلى دار فور عن طريق سنار، وكذا خشب الصندل واللبان والسنبل والمحلب، وأهل الوداي كذلك، إلا أن أهل الوداي لم يتمكنوا ويتوغلوا في الأشياء كما توغل أهل دار فور لأن السلطان مانعهم من ذلك، فإن الخدور الذي لا

(١) البرادع: جمع برادة، وهي قطعة من الجلد منحوتة بالخشخشة أو الصوف ويحدها الأكار على سرج الفيل، للزينة والبرادة.

(٢) الريش: حرر مستعمل أهل، يحفظ محفوظ حراماً ويطلب من مصر، وهو معروف هناك بهذا الاسم.

ينظر تشعيل الأديان ص ٦٠.

(٣) السوميت: وهو حرار من نوع الرمش، لكنه أحسن منه، وشكله مستطيل حلق كثة من ريش، وفيه محفوظ حراماً مستعمل منه.

قضاء في شكل سبعة خمسة في أفعالين ويطلب من الهند.

ينظر الترجمة الفرنسية ص ٢٠٨.

يلبسه في دار فور إلا نساء فقراء الناس يلبسه في بلاد الوداي أعظم نساء الأكبر،  
والمروج المصرية والتبت محرمة علي بلاد الوداي، ولا يركب علي مثلها إلا  
الملك، وقد قمنا تلك مفصلاً، فلا يروج في دار الوداي إلا الخدور والنحاس  
والمرجان بنوعيه والريش ودم الرعاف<sup>(١)</sup>، وثياب البفت والملايك، وكذا ما ذكر  
من أنواع الطيب والدروع والسيوف والتك لكن الأبيض لا الأصفر، وكل ذلك  
يذهب اليهم من جهة فزان، وتزيد دار الوداي علي دار فور بأنها تحب الحرير،  
أعني الذي يخاط به فانيهم بطرزون منور<sup>(٢)</sup> ثيابهم البيض بالحرير الأحمر  
والأصفر والأزرق، وهذا لم يكن عندهم وإنما ألفوه من الباقمة، ويجلب للوداي  
التيكو والمقوداني من بلاد البرنو، وهي ثياب سود عرض الشقة منها نحو  
قيراطين من جنب محيطه، وتجلب أغلب بضائع الوداي من فزان، وفي النادر من  
دار فور، وأندر منه من برنو، وأما الحمير في دار الوداي فلا يركبها أحد،  
خصوصاً في واره التي هي الفاتر، كما يجلب<sup>(٣)</sup> لدار فور خرز طوال طول  
الخرزة نحو ثلاثة قراريط أو أكثر لبيض وأسود يسمى الثور، وهو خرز منظم في  
خوص كخوص الدوم أو قش كالحلقا، تنظمه النساء، بأن يجعلن بين كل خرزتين  
حراوتين أو سوداوتين<sup>(٤)</sup> مرجله من المرجان الكروي الحر إن كانت المرأة  
غنية ومن الفأو وهو المرجان الصناعي إن كانت فقيرة أو من دم الرعاف،  
وبعض {النساء الغنيات}<sup>(٥)</sup> يجعلن فيه فصوصاً من النمرة الدالقة، وهذه المدارح  
ربما لبسها الرجال أي الشباب، ذلك لأن الشاب إذا أحب صبية أو أحبته وصار كل  
منهما لا يصبر علي فراق الآخر، أخذ كل منهما شيئاً من ملبوس صاحبه، فهي  
تأخذ منه خاتماً أو تأخذ منه كنمولاً، والكنمول<sup>(٦)</sup> هو شقة من قطن عرضها نحو

<sup>(١)</sup> دم الرعاف وهو نوع من الحمار أحمر اللون مالح، من ملبوس السطواني وملبوس كروي ومصنوع من قرحاج، جلب من كوربا.

نظر : نشيد الامعاء، ص ٢١٤ .

<sup>(٢)</sup> منور ثيابهم \* أي لمزتها .

<sup>(٣)</sup> في الأصل : \* فإن جلب لدار فور .

<sup>(٤)</sup> في الأصل : \* بين كل خرزتين حراً وسوداً .

<sup>(٥)</sup> في الأصل : \* وسحر النساء .

<sup>(٦)</sup> في الأصل : \* والكنمول المذكور غلة .



شبر، وفي طرفيها أعلام من الحرير الأحمر، عرض العلم منه نحو قيراط أو أكثر  
بقليل، وبين كل علمين نحو أربعة<sup>(١)</sup> أترابك وطول الشقة المذكورة نحو ثلاثة  
أترع، وهي أشبه بتكة السراويل، فأى شاب اتقن كدمولاً وأكثر حريره وأعطاه  
ألى حبيبته هو الممدوح، وتفتخر {هي} بذلك الكدمول، وأما هو فيأخذ منها المدرعة  
ويجعلها في ذراعه ويفتخر بها أيضاً.

**ليكنته:** حين وصلت إلى دار قور وجئت لوالدي سريتين، إحداهما محظية وفي  
يدها مفاتيح الأمور، ولها الأمر والنهي، فمن أحبته أحبه والذي ومن كرهته  
كرهه، وذلك لحبه فيها، فاتفق لها أنها ذات يوم جلست تنظم عقودها ومدارعيها  
وبعض الجولاري، وجئت أنا ودخلت عليهن وجلست عندهن هينة، فاتفق أن  
جاءت صبية من بنات العرب من جيرانا بإناء فيه لبن هريسة فقدمتها لسرية من  
الجولاري، فأصرت أن يوضع في محل دخل ويغطي حتى يحضر والذي ويسراده،  
فدخلت وأنا يومئذ شاب يرد عيشة الشباب وشربت من اللبن حتى اكتفيت، ولم أبق  
منه إلا القليل، فاغتاظت مني لما فعلت، وخصوصاً أتريب مكرود، فصانف الأمر  
أن غلبت مدرعة من مدارعيها، وكانت قد تغطت بالتراب فبحثت عليها فلم تجدها،  
فسكنت حتى جاء والذي وأخبرته، وقالت له ولدك أخذها وأعطاهما للصبيبة التي  
أهدت لنا اللبن، فقال لها والذي! ولم يأخذها ويعطيها لها، فقالت: لأنه عشقها، ثم  
قالت له هذه المرة أخذ المدرعة، ومرة أخرى يأخذ عقداً، والله يشهد أنني بريء  
مما نسبته التي كله<sup>(٢)</sup>، فاغتاظ والذي وظن صدقها، ولم يخاطبني بشيء، فبقينا تلك  
الليلة، ولما أصبحت لم أشعر إلا وأنا بعسي زروق ومعه عبدان أسودان من كبار  
العبيد ومعهم قيد غليظ، فقال لي عسي يا فلان إن أباك أمر بتقييدك بهذا القيد، فمد  
رجلك، فلم يمكنني أن أزد جواباً غير (الاستسلام) إلا أنني قلت وما نسبتي حتى  
أقيد، فقال لي ذنبك أنك أخذت المدرعة وأعطيتها للصبيبة، فحلفت أنني ما رأيتها،  
فلم يصنقوني، ووضعوا القيد في رجلي وتركوني وانصرفوا، وبقيت يومئذ كله  
جالساً في محل نومي لا أخرج منه، وأنا أبكي، وأتى لي بطعام فلم أطلع منه شيئاً،

<sup>(١)</sup> في الأصل: "أربع درميد" ومما حقا وأمور لرحمة.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "أكله" ... ذلك كله.

وبقيت كذلك يومين، وفي صبيحة اليوم الثالث جاعني عمي وقال لي: إن أباك يقول لك إن لم تظهر المدرعة بالمعروف ضربتك ضرباً وجيعاً وأنتك بك وأجملتك مثله بين الناس، فزاد حزني، فتوسلت إلى الله بنية أن يقبلني من هذه الورطة، ونصمت على مجيئي بلاد السودان، وبقيت يومي ذلك في غاية من الحزن، ولم أقطع للبكاء ولا للدعاء والتوسل إلى الله بنية أن يظهر برامتي، فلما كان عند المساء أقبلت على جلرية من الجولاري وبشرقتي بأن المدرعة وجست مغطاة، فحمدت الله على ذلك، وزال عنائي، والدي إذ ذلك لم يكن في الدار، فلما كان بعد المغرب أقبل، وحين دخل الدار لم يكن له هم إلا أنه أرسل لي عمي بمثل ما أرسله في الصباح وهي تسمع، ولم تقل له وجدناها، بل استمرت ساكنة ظناً منها أنني لم أعلم بإيجادها، فجاعني عمي وقال لي ما أرسله به والدي، فقلت أوليس أنهم وجدوها، فقلت: لا أعلم، فقلت قد وجدوها وجاعني من يبشرني بذلك، فرجعوا وأخبروا والدي بلياقها، فسألها حينئذ أحق مايقول، فقالت بحزن وبرود لقيناها، لكن هو الذي أرسلها مع إحدى الجولاري وطرحها هناك لأننا بحثنا في ذلك الموضوع مراراً فما وجدناها، فلو لم يطرحها طارح من أين تأتي، فدعا والدي الجولاري كلهن، وسألهن وشدد عليهن، وقال لهن إن كان أعطاهن لولادة منكن وطرحتهن فنقل وعليها الأمان، وإلا ضربتكن أجمعين حتي {عرفت} الحق، فحلفن<sup>(١)</sup> كلهن أنهن لا يعلمن من ذلك شيئاً، وأنهن لم يطرحنها<sup>(٢)</sup> ولا رأينها إلا في ذلك المحل مغلابة بالتراب، فلما ينس منهن أطلقهن، وبت تلك الليلة مقيدة كما كنت، فلما أصبحت إذا بعمي والمعبدين السابقين فدعوني وفكوا القيدين من رجلي وتركوني ومضوا، فلبثت مكائي، وبكيت على حالي، فكيف أتيد كالعبيد الخائنين، وبينما<sup>(٣)</sup> أنا كذلك إذ جاعني عمي ببقجة فيها ثياب فأمرني بنزع ماعلي والبسني ماتي البقجة وهي ثياب فاخرة فيها ماعدا القمص والسرلويل ففطن قطنى وجبة جوخ خضراء جديدة وشال كشميري أخضر، وطربوش وعمامة وحزام ونعل سوداني كنت على أهل

<sup>(١)</sup> في الأصل: "فحلفن الجولاري كلهن".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "ولم نطرحها".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وكيف أنا كذلك".



مكة وقال لي: كلم والدك<sup>(١)</sup> فانه يدعوك فتوجهت معه اليه وقبلت يده، وحين التقيل سقطت دموعي على يديه بغير ارادة فرأيت كبر عليه (نلك) فقبلني بين عيني وقال لي: احمد الله اني انا فعلت بك ذلك ولم يفعله بك حاكم أو اجنبي وعرف منكس وثبت لديه ثم بعد أيام أدركت انه ضاع لها عقد، وانه لم يأخذه غيري فقال لها (والدي) يأخذه اتقى الله فقد اتهمناه عن قريب فظهرت برامته، ابحتي على عقدك ولعلك تجديه كما وجدت المدرعة، فحلفت انها بحثت غاية البحث فلم تجده وصممت على اتهامي، فبينما هي تتحدث معه في ذلك، إذ أقبلت إحدى الجواري بالعقد وقالت: هاهو وجدناه في المحل الفلاني، فاستشاط والدي غيظاً وقال لها: لم لم تضع لنا حاجة قبل مجيئه وما ابتدأت حاجتنا في الضياع إلا بعد مجيئه، فاشتاط لذلك وقال لها: تتخلين الكراهية بيني وبين والدي، وكلما أنهاك لاتزيدين الابعاضاً ثم غضب وقال زروق هات القيد (ولم يلبث<sup>(٢)</sup>) أن أحضر القيد فقال له (والدي) قيدها ودعها تذهب للمطبخ مع الجولري، إن هي الا جارية مثهن فلما رأت منه الجد بكّت واقتحبت وصارت تتضرع اليه وتقبل قدميه، فأبى إلا أن يقيدها وهي تبكي وتستغيث وصار عني يشفع لها ويقبل يد أخيه فلم يسمع قوله ويتركها الأبعد جهد وعناء<sup>(٣)</sup> ثم انه حلف ان تعرضت لي بسوء وكذبت على لينكنن بها، فلبثت من ذلك الوقت وانصلح أمرها معي وأظهرت لي المودة العظيمة حتى سافرت معه الى وداي<sup>(٤)</sup> وهناك عاقبها الله على كذبها الذي دبرته لي وكذلك على التماس النينة والردينة الى سودتي بها، ولكي يعاقبها الله فقد امتحنها امتحانات قاسية ورد عليها نفس المعاناة التي عانيت بها من قبل وقد عاقبها هي أيضاً بأن تعيش في الحديد عدة سنين كما عشتنا أنا عدة أيام بسببها ولكنها لم تجد أحداً يرحمها في سجنها البائس وهذه هي الحكاية.

في الوقت الذي كان يستعد فيه والدي لمغادرة وداي والرجوع الى تونس مازلت أنا في دارفور وأرسل أبي ليخبرني بأن ألحق به حتى نسافر معاً وسلطان

<sup>(١)</sup> في الاصل .. والدك..

<sup>(٢)</sup> في الاصل \* فلم يكن بأسرع من ان احضر والقيد معه..

<sup>(٣)</sup> في الاصل .. لما سمع قوله وتركها الأبعد جهداً..

<sup>(٤)</sup> من كلمة \* حتى صارت معه الى وداي الى امر القصة ملط في الاصل ولدت انك من فرحة العرسية..

دارفور كما ذكرت من قبل حبسني في دارفور وعندما تأخرت عن الحضور قرر  
والذي السفر حالاً، وسلم كل ممتلكاته (المتبقية) في القرى الخمس التي كان  
يديرها بنفسه وعائلاتها ونسائه وقطيعه، سلمها لأخيه زروق والذي عينه نائباً عنه  
ومسنولاً عن شئونه، ثم سافر عن طريق فزان، ذهب ليرى أمرته ويزور والديه  
ومابقي له من اخوان، وظلت خليلته في وداي فأظهرت شراستها للنسائية، وأعلنت  
الحرب المفتوحة مع زروق، وادعت أنها في غياب والدي فهي خارج السلطات  
وليس لها واجب تؤديه لأحد، وكثرت تريد أن تخرج بفائدة عن مقاومتها لعمي،  
وذهبت عدة مرات لتتسكو عني للسلطان، وقد نظروا في الأمر واعترفوا بالحقوق  
العادلة والكاملة لزروق، ووبخ السلطان هذه المرأة بشدة وثقت الأمر بأن تظل  
امرأة مطيعة وهادئة مثل باقي النساء، وعندما غضبت من هذه الأحكام أعلنت  
عداوتها المفتوحة ضد زروق، ورفضت أي تسوية أو صلح، وعندما علم السلطان  
بموقفها هذا أمر بسجنها داخل المنزل وتقييدها بقيود العقرب على قدميها حتى  
ترجع وتتوب، وكانت في حالة حمل، وعندما حان وقت وضوعها، فكر زروق في  
أن يطلب من السلطان أن يستسمح هذه المرأة، ولكنه خشي أن تعاود مشاكلها معه  
مرة أخرى، فاكتمى بأن يطلب من السلطان أن يفك عنها القيود حتى تضع فقط،  
وبعد الوضوع يعاود تقييدها كما كانت من قبل، وهكذا كان الاتفاق، وعندما  
وصلت أنا إلى وداي وجدت هذه المرأة مقيدة بالعقرب، إن الله لا ينسى الظلم  
والظالمين وهو ناصر المظلومين وإليه يرجع الناس الذين يعانون الظلم.

ولنرجع إلى ما كنا بصدد من التكلم عن التجارة فنقول: أحسن ما يتجر فيه  
في بلاد الفور والوداي: النحاس الأحمر لأنه هو ذهبهم يصنعون منه قفلاخل  
والدمالج والأحزمة، ويبيع في دار رنكا ببعاً جيداً، كل ثلاثة أرطال بعبد أو  
جارية، وفي بلاد الفور ثمانية أرطال بمسدسي وإن كثر فعشرة، ولا يتجاوز ثلاثة  
عشر رطلاً أبداً<sup>(١)</sup> ويليه الخارصين ويليهما التريال الفرائساي والزنك الأصفر

<sup>(١)</sup> في نسخة أخرى: ولكن لا يتجاوز أبداً ثلاثة عشر رطل مع أنه ثمانية على قوله من أصله ولم يغير من تقدم إلى آخره  
الأصل من الأصل.



المسمى بالصفيح<sup>(١)</sup> وأما باقى ما ذكرناه فيباع إلا أنه غير مرغوب كما ذكرنا هذا ما يتجر فيه الجلابة، وأما العرب الرزيقات واحزابهم<sup>(٢)</sup> فيتجرون فى السمن والبقر والجلود والعسل، فيجلبون السمن الى دارفور فيبييت كثيراً ولولا هم لكان الرطل من السمن بزلته فضة، ولا يجدونه وأما عرب التزيانية والعريقات والزغاوة فيجلبون الملح من بئر زغاوى<sup>(٣)</sup> الى دارفور، ولولا هم لمت أهل دارفور من عدم الملح فإن الملح فى دارفور عزيز جداً وفى دارملا<sup>(٤)</sup> وفقروا<sup>(٥)</sup> ورتكا اعز فأما فى دارفور فقد يباع الكيل الملح بمئة عشرين مرة من النخن، هذا اذا كان الملح قليلاً، فإن كثر فيباع خمسة عشرة مرة، وإن كثر لكث من ذلك فيباع بمئته اثنتى عشرة مرة<sup>(٦)</sup> وليس أقل من عشرة (فى جميع الاحوال) وأما ملح بلاد الميذوب فذلك للأمراء وأضرابهم، وأتبع ملح يوجد على ظهر الأرض هو ملح بئر الزغاوى، لأنه مختلط بتراب، فإذا وضع شيء منه فى الطعام كان فيه تراب، ولهذا (فلن) أكثر المترفين يذوبونه فى الماء ثم يصفون الماء عنه ويرمون التراب، لأنه يرسب فى قعر الإناء، وأما لو وجد عندهم ملح كملح رشيد<sup>(٧)</sup> أو ملح تونس لتقاتلوا عليه بالسيف، وقد تقدم أننا ذكرنا أن بعض أهل الجبل بدارفور يصنعون ملحاً ويسمونه بالفتق<sup>(٨)</sup>، ويجعلونه على شكل مستطيل وبه يبيعون فى الأسواق، فنخلص من ذلك أن الملح فى دارفور ثلاثة أجناس: أعماها وأكثرها

<sup>(١)</sup> فى الرحلة القروية: "بعد الحلى إلى الترك ثم التلار والعملة الاساسية العملة الدورية".

<sup>(٢)</sup> لقرا بأحزابهم أى حوزتهم وأحزابهم وورد فى الرحلة القروية وفى الانباء ما يثبت العرب الذين يسكنون ضواحي دارفور.

<sup>(٣)</sup> بئر زغاوى: بكسر الزى وهى من الطرون ويذكر بلون من اسمها فى النسخة وعلى نسخة أخرى منها مستخرج الطرون السدى بأصله البحار أن مصر وبلاد الشام تعد من الحاضر مسافة عشرة أيام ويسكن حولها عرب ينادى لهم العمائم وقد زلت فيها لعلقة الشيخ محمد بن عمر تونس وهى فى طريقها إلى القاهرة.

بئر: Browne: OP.Cit.P.187

<sup>(٤)</sup> دارملا تقع فى الجنوب الغربى من دارفور وكانت تابعة لمملكة وداى وهى جزء من دار صلح أى الجزء الغربى الغربى منها، وقد اشتهرت أكثر فى عصر دولة الحامو.

بئر: نسخة الادامان ص ١١٥.

<sup>(٥)</sup> فقر: تقع إلى الجنوب الغربى من دارفور فى بلاد الترتيت بعد دار لولو حية.

بئر: Macmichael. OP.Cit, p.183

<sup>(٦)</sup> فى الأصل: "بالحق عشر مرة".

<sup>(٧)</sup> رشيد: هو أحد مصاب نهر النيل على شاطئ البحر المتوسط وعلى شاطئه مجمع للتح وبيع فى مصر.

<sup>(٨)</sup> الفتق: هو نوع من الملح يصنع محلاً فى دارفور وتسمى كملح موضعى فى هذا الكمية.

ولرؤها ملح الزغوى، وأندرها وأحسنها ملح المينوب، وأوسطها كثرة ونقصاً  
 الملح الفلقر، ومع ذلك فلا يحب الملح إلا الأغنياء. وأما أكثر الفقراء فيملحون  
 أطعمتهم بالرماد، وهو أنهم يأخذون الرماد ويجعلونه في إناء مثقوب ويضعون  
 عليه الماء فيقطر الماء من الثقب قليلاً فيأخذون ماقطر منه ويجعلونه في الطعمام  
 وقد ذقته فوجدت فيه مرارة، ولا يكاد يسيغه انسان ذاق الملح<sup>(١)</sup> ويمسحون الماء  
 المذكور بأكفيو وهو ملح الفقراء، وأما الملح الفلقر فقد ذكر لي بعض من رأيهم  
 يصنعونه أنهم يأخذون تراباً خالصاً من محال معروفة عندهم، ويجعلونه في إنية  
 واسعة ويغمرونه بالماء، كما يفعل في ملح البارود، ثم يصفون الماء في إناء آخر  
 مصنوعة فيه ثقاير على هيئة قوالب، ثم يترك ونفسه<sup>(٢)</sup> حتى تتصاعد منه  
 الرطوبة ويبقى الراسب في الحفر المذكورة فيجف ويخرج على هيئة أشكال  
 أهرامية وإذا تأمل فيها الانسان وجدها مبلورة بلورات غير منتظمة، لكنه ملح غير  
 شفاف، لونه لكن طعمه جيد، وقد ذكرناه سابقاً باسط<sup>(٣)</sup> من هذا فراجع له إن  
 شئت.

وأما الصناعات فأهل السودان وخصوصاً أهل دارفور ووداي لا يعرفون إلا  
 الحياكة والحداذة والزراعة والغزل والصباغة، ويوجد في دارفور الحرايب من  
 الكتكو يتعاطون الصباغة النيلية فيصبغون القطن والنيكو، ويعرفون صناعة دبغ  
 الجلود، ولهم فيها تقان زائد، لتوفر أدواته عندهم، فيصنعون من جلود البقر  
 والابل الأجرية العظيمة والتنطوع الجميلة، ومن جلود الماعز القرب التي لا تظير  
 لها، والمزأود الصغيرة، ومن جلود الضان السختيان وينوعونه أحمر وأخضر،  
 فأما الأحمر فأنهم بعد إحكام دبغه يصبغونه بالكلود، وهو إبر قصب أشبه بلسب  
 قصب البوص، لكنه أحمر قاني، فيؤخذ ويطبخ في الماء، وبعد غليانه جيداً يؤخذ  
 ويدهن به الجلد فيصير أحمر كالسختيان الذي يصبغ بالندوة، وأما الأخضر  
 فيصبغونه بالرقاب الذي هو أكسيد النحاس، فيصير أخضر ناصعاً، وهم عندهم

(١) ورد في الرحلة العربية في هذا الشأن قوله: "وله ضم مرارة واسعة مفرقة وزرع مبررات الطعم".

مفرقة الرحلة العربية من

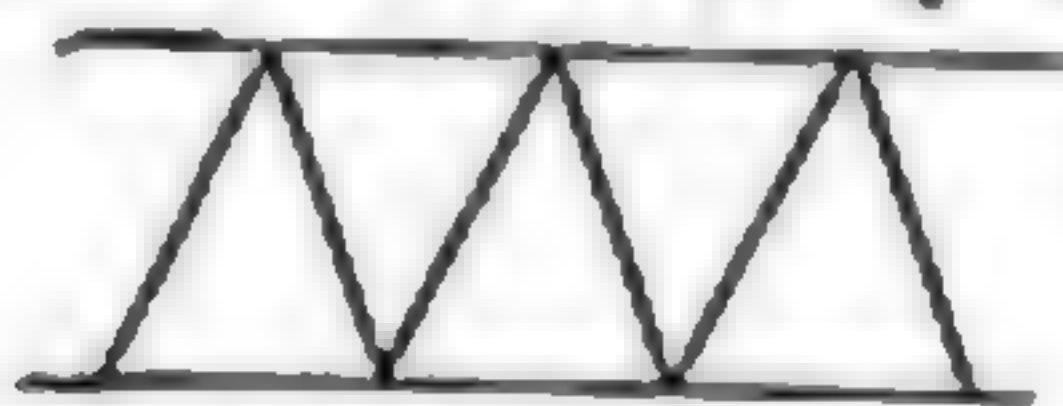
(٢) لم يترك ونفسه... أي يترك لوحده..

(٣) المتعود بكثرة البسط هنا: أي أكثر جملة من سبط البشر، لا فرق بينه وبينه.



أغلي ثمناً من الأحمر، ومن العجيب أن عندهم المنجنين لملبوس الخيل كما ينجس  
أهل مصر الحفتم، ويطرزون الملبوس تطريزاً عجيباً، وقد ذكرنا الملبوس سابقاً  
مع أدوات الحرب فراجعها إن شئت.

وأما بقية الصناعات المحتاج إليها في المدن فإنها مفقودة عندهم، لأن كلاً  
منهم يخلق رأس صاحبه، وصاحبه يخلق رأسه، فلا يحتاجون إلى مزيّن وفي  
تمير بيوتهم كل من لرك أن يعمر بيتاً أعانه فيه أصحابه، بشرط أن يكون الغداء  
والعشاء من عنده، وكذا من مات له ميت، فإن كلاً منهم يعرف كيفية الغسل  
والكفن، فينتدب أحد أصحابه خصوصاً الفقهاء فيغسل الميت إذا كان رجلاً، وإن  
كانت امرأة غسلتها بعض العجائز، ولا يحتاجون إلى نعش، بل يأتون بعونيين  
يشبكون ما بينهما بحبل أو حبال صورته هكذا :



فيفرشون على الحبال شيئاً ليناً ويضعون الميت على الحبال، ويحملونه بين أيديهم  
لأعلى أعناقهم لتعسر ذلك عليهم، ويتساعدون في حفر القبر، وكل إنسان يحفرون  
له قبراً على حنّته، فلا يجمعون اثنين في قبر، ولا يأخذ الحامل ولا المغسل أجره  
على عمله، وكذلك القراءة والعتاقة والسيخ يجتمع للناس ويفعلونها بدون أجر،  
وكل من أصيب أعانه أصحابه وأهل بلده طمعاً في ثواب الله لا غير، ونسأؤهم لا  
يعرفون مما يعرفه نساء المدن شيئاً، أما الثيابات الغنيات<sup>(١)</sup> فلها من مشغولات  
بزينتهن ما بين دهن وكحل وإصلاح ثلث، وإن فرغت واحدة منهن من شأنها  
أقبلت على مصلحة بيتها، أو ضفرت لها برشاً من خوص الدوم بعد صبغه ألواناً،  
فيصبغنه ما بين أحمر وأخضر وأصفر، ويتقنون ضفّره إتقاناً تاماً بحيث يتمني  
الشخص أن يفرشه ويجلس وينام عليه لحسنه، ثم تقبل على وضع طعام زوجها  
وضيوفه، أما نساء الفقراء فشغلوهم مع الرجال في الزرع في وقته، وبالحصاد في  
وقته، ويجريّن الغنم في وقتها، ويجمعن القطن في وقته أيضاً، وفي سائر السنة

<sup>(١)</sup> والامر: ههنا الأثبات.

(نجد المرأة) مشغولة بقوت الأسرة<sup>(١)</sup>، ففي موسم السجلاج<sup>(٢)</sup> تجمع السجلاج  
وتنخره وفي موسم التنبق<sup>(٣)</sup> تجمع التنبق وتنخره لكنه ليس التنبق المعروف، وفي  
أيام النفري<sup>(٤)</sup> والأرز، كذلك، وفي أيام العنراب<sup>(٥)</sup> كذلك، وفي أيام العرييب  
كذلك، وتأخذ الفأس وتذهب إلى الأرض التي يزرع زوجها فيها فتقطع ما فيها من  
الشوك وتجمعه معه، وإن كان له بنات كبار ذهبن معها، أو صغار مرحن، وفي  
كل مشية تأتي معها بحزمة حطب تطبخ منها وتستصبح<sup>(٦)</sup> لأنهم لا يستصبحون إلا  
بذرا الحطب، والفقراء منهم يستعينون على معاشهم بشراء معزة أو شاة ومشي ولدت  
تقوتوا من لبنها، وبالجملة فمعيشة فقرائهم كد وتعب شديد، هذا مع ظلم الحاكم  
ومطلب الرجال للأعمال الشاقة، وللحرب وللخيمة، لأنهم كالعبيد له.

(١) في الأصل: "المزما".

(٢) السجلاج: شجر ينمو في دار فور ووداي، وهو من الأشجار الشوكية ينبت في مثل الساجا الطرية، وهو شجر معصده الحرس  
ويكاد لا يرمى منه شيء، وأورقه يجمع النفرى منها ويطح في شكل أدب، يكتون به المعصدة، وهذا الورق الطري يستعمل أيضاً في  
علاج الخروح الزمنا، فيصنعونه ويضعونه على الخروح ليرأ، ولما أظلم ثم السجلاج وهو أصغر من السجج، وحرس في حرس حسن  
صار كالصحن استعمل في غسل التهاب كالماء ولده في الأوساج، وكذلك حشور الشجرة وأصلها يستعملون في غسل، أما إذا نصح  
النمر، فيصير له علاج أبيض رفيع، فيرمونه ويحسون النمر، أو يملونه بالناء، فيصرون من ذلك لثاء الشديدة، أو الشاة، وهي حلوة لها  
شيء من الحرارة، وهذا لثاء في كل الأحوال علاج لأمر من الشدة كالنصر والساج والحر، أما حشوب السجلاج فيصنع منه الأنواع لثاء  
المرارة، وأمره المورس والحارمت بأورقها، وكذلك السفرتك للصد، والسروج والهاريس، الخ. ويستعمل حشبه الخنك في إزالة  
البوت لأنه لا دمان له لما البوتة فكسر ويستخرج منها بذرا أصغر يجمع ويحصر، فيخرج منه دمن، يستعمل في العلاج وطح الأظمة  
للحمية. ينظر: تشييد الأعنان من ٣٠٨.

(٣) القلة: وهو نوعان: القوي والكروي، وهو أيضاً من الأشجار الشوكية، من أشجار الساجا الطرية، وينبت في دار فور ووداي بكثرة،  
ولده اختلاف في الثمن فمن حيث الشكل يحد القوي لونه لحر ومذاقه حلو مع بعض الحسوة، أما الكروي فله لونه أصفر كدو الحنظل  
ومع حلاوته به مرارة، وهو أيضاً شجر معصده الحرس، حاشية النوع الثاني، فمن ساقه حرس ومذاقه دلفق وميل للناء، ويستعمل في  
شكل لمر من كدو الحنصف، وتؤكل حشا لوتيل بالناء أو الروب وهو لثاء الطعم، ويدنوي الكروي من لمر من الشدة، لما البوتة، فكسر  
ويستخرج منها بذرا يجمع الكينا، لثاء الحسل، وتؤكل بشرط الحلاوة، وتستعمل حشبهها في صنع الأسلحة والحرارة وغيرها،  
وهو من أشجار القل الحمية. ينظر: تشييد الأعنان من ٣٠٩.

(٤) في الأصل: "الدمري" ولده يحد الدمري، أو الدفرة، أو موزا ويسمى الكرم أيضاً وهو ينبت كالأرز ينبت في الرمود، ولده  
الضج يسمى الأعالي ويستخرج منه الدفرة وطح كالمصيدة، وتؤكل بالناء، أو بالنفس، بمها لثاء دار فور.

(٥) العنراب: وهو من أشجار الساجا، متوسط في الطول والخط، يحمل ثمرأ كالحب أحمر قاني ولا يحمر به، وهو لثاء حشا، يجمع  
في قول لثاء الربيع. ينظر: تشييد الأعنان من ٣١٠.

(٦) في الأصل: "يستصبح منها ويستصبح منها" وهو تكرار لثاء ومعنى يستصبح أي يستقي.



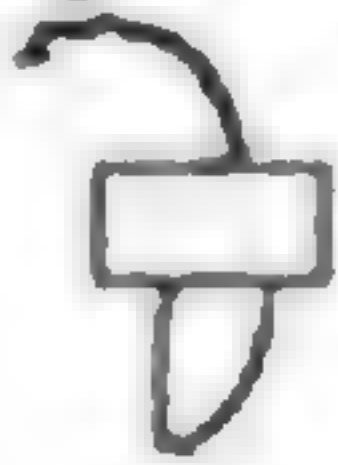
## الفصل الحادي عشر

### في أمراض السودان وأنواع الداء في وصحة الأقاليم والصيد

يجب على العبد أن يعلم أن الله خص كل إقليم بما لم يوجد في غيره، وجعل في كل قبيلة خاصية لا توجد في غيرها، ولذا إذا تغرب إنسان من بلد لأخرى يكون هو أو ما مخالفاً لبلده فتحصل له مشقات حتى حين يتغير عليه فيعتل وربما مات، ولم يمت بطول مرضه، ولا يصح جسمه حتى يعتاد بيواه البلد التي يسكن فيها بعد طول المدة وتقوي بنيته.

ولما كان الأمر كذلك كان الأولاد الذين يتناسلون من أم وأب فوراً وبين مثلاً (نجدهم) أطول عمراً، فتجد الرجل له عشرة من النوك وأكثر، أتوباء أصحاء، وكذا عرب القبادية هناك لا يموت الرجل منهم إلا وله أكثر من عشرة من الأولاد أو أكثر، فلو انعكس الأمر بأن تزوج فوراً في عربية ترى سلالتها ضعيفة نحيفة، لا يعيش منها إلا ما قل ونذر، وهذا مما يدل على أن في البلد والجنس خاصية لا توجد في غيرها، لأن كل ولد يولد من أبوين من فرع واحد كان أقوى بنية وأعدل صحة، وتري من انعكس فيه الأمر ضعيفاً فاسد النون نحيفاً<sup>(١)</sup>.

ورأيتهم في دار فور ووداي يستعينون على صحة الطفل بأخذ الدم، فيأخذون الطفل حيث يستكمل أربعين يوماً من ولادته ويشربون بطنه من الجهتين، أعني اليمنى واليسرى تشريباً كثيرة، وينزل منه دم كثير وحين يستكمل ثلاثة أشهر يفعلون به مثل<sup>(٢)</sup> ذلك وربما هاج عليه الدم فقتله، وأكثر أمراض الأطفال عندهم أبو اللسان، وصورة الآفة التي يعالج بها هذا المرض تبدو هكذا

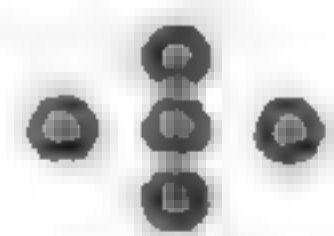


<sup>(١)</sup> حديث شريف هذا لا يتوافق مع الفقرة العلمية لعلماء الطب الحديثة، حيث يقول هؤلاء إن رواج الأمراض ربما مسورت بعض الأمراض التي كانت في الأصل بواسطة الغنات، وبما أن رواج الأوبئة هو أكثر صحة وطهارة، وقد شجع الإسلام رواج الأوبئة لما فيه من آثار صحية واجتماعية، يقول الإمام العراقي "أما ما منع وهو منع أهلها لوجدة مصلحة لا لحسبها لئلا يؤمن الأوبئة المتكررة" فليأمنوا بحسبها.

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "يملأون به كذلك".

وهي عبارة عن حديدة مركبة في يد من خشب ومعها قطعة خشب ناعمة،  
 فيدخل الطبيب الخشبة أولاً حتى يوصلها إلى المحل الذي فيه الزائدة من الجهة  
 الأخرى، وتبقى الزائدة بين الحديد والخشبة فيضغظاً<sup>(١)</sup> معاً، فتقطع الزائدة،  
 وتخرج الحديدة والخشبة معاً، فيري على الخشبة قطعة لحم صغيرة، ويكون  
 الرجل الطبيب استحضر قطعة عطرون<sup>(٢)</sup>، ومسحها جيداً بين حجرين، ثم يبل  
 الرجل أصبعه ويجعله على المسحوق فيلتصق به، ثم يدخله في فم العليل بعد أن  
 يكون قد أدخل الخشبة، لكن لا يوصلها إلى محل الألم بل حتى يتجاوز لسان  
 العليل بعد أن يكون قد أدخل الخشبة ثم يدعك محل القطع بالمسحوق الذي على  
 أصبعه دعكاً جيداً، فيبرأ العليل بذلك، فإذا ترك أبو اللسان المذكور انحسار جسم  
 الطفل، ونشأ عنه إسهال عجيب فيكون سبباً في قتله.

وبله مرض آخر يسمى عندهم أم صقغ، ولا يعترى إلا الأطفال أيضاً  
 وهي استرخاء يقع في اللهاة تحدث فيها<sup>(٣)</sup> بثرة فلا يشرب العليل اللبن ولا يأكل  
 ويصفر لونه، فيدعون له الطبيب<sup>(٤)</sup> فيأتي ويسحق العطرون كما تقدم، ويضع  
 الخشبة وحدها في فم العليل، فينزل منها دم وقبح، ثم يغسل أصبعاً مبلولاً بريقه  
 في النظرون ويحك به البثرة واللهاة، ويفعل<sup>(٥)</sup> ذلك ثلاثة أيام فيبرأ العليل، وقد يقع  
 للطفل إسهال مفرط لكن ينظر في الطفل فإن كان ابن سنين ووجدوا المقعدة  
 بارزة من محلها حكوها بشفقة حتى ينفقوا ما فيها من البثور، وينزل منها دم كثير،  
 ثم يقتلوا<sup>(٦)</sup> للطفل الطعام فيبرأ، وإن كان صغيراً كابن سبعة أشهر أو ثمانية أو  
 نحوها كوره حول السرة أربع كرات هكذا



<sup>(١)</sup> في الأصل: "وتكا عليها معاً".

<sup>(٢)</sup> في الأصل: "ويكون له استحضر على خشبة عطرون معرة".

<sup>(٣)</sup> في الأصل: "وبثرة تحدث فيها".

<sup>(٤)</sup> في الأصل: "فيمررون له الطبيب".

<sup>(٥)</sup> في الأصل: "لكن يبل ذلك ثلاثة أيام...".

<sup>(٦)</sup> في الأصل: "ويقتلوا ما كانه يبرأ".



أعنى تكون السرة في الوسط ويكون أعلاها وأسفلها وأنسبها وحشيتها<sup>(١)</sup>، وقد يعترى الأطفال الممرض المسمى بالغزير وهو ممرض ناتئ عن إصابة في المخ فيجعل<sup>(٢)</sup> الطفل يعبت يديه ورجليه على غير الحالة المألوفة، وأهل مصر كأهل تونس يقولون إنه من النجان، وذلك حين يترك الصبي وحده في محل فيعتريه هذا الحادث، فيقتل في مصر وتونس وبلاد المغرب أطفالاً كثيرة، فلما أهل مصر فيستعينون في علاجه بالكتابات، لا اعتقادهم أنه من النجان فيأتون لمن له شهرة في الرقي والتمائم فيكتب للعليل ويرقي، وهذا قد يصادف أن العليل يخف ألمه وقد لا ينجح، وأما أهل السودان فيعالجونه بالكى في الجبهة، بأن يأتوا<sup>(٣)</sup> بلب قصبة من قصب النخن ويلامسون بها النار حتى تأخذ فيها وتبقى لها زهرة كزهرة الشمعة التي تقطر، فيكروون العليل بها فيبرأ لوقت.

ومن أمراض الأطفال هناك أيضاً أبو صفيير وهو ممرض يعترى الطفل فينمد لونه ويصفر صفرة ظاهرة وهو المسمى في كتب الطب باليرقان الأصفر. وهناك أمراض الصغير والكبير فيها على حد سواء، وفيها الوردية وهي الحمى، ولا يكاد ينجو منها أحد في كل سنة، وتتسلطن عندهم في أيام الخريف وأول الربيع المسمى عندهم بالثروت<sup>(٤)</sup>، وهو وقت خريفنا وتنوع: فمنها حمى الوردية، والتي تأتي في كل يوم في ساعة معينة، ومنها حمى الغيب (أو الغيبة) وهي التي تأتي يوماً وتغيب يوماً، ومنها حمى التثليث، وهي التي تأتي بعد كل يومين، ومنها حمى الربع وهي التي تأتي بعد ثلاثة أيام، وهي أقوى أنواع الحمى، وأقل منها بدرجة حمى التثليث. ومنها الحمى المطبقة، وهي التي لا ترتفع عند صاحبها إلا بالشفاء أو الموت وتسمى في مصر بالنوشة وهي في عرف الأطباء التهاب معدي وكلها عند أهل السودان تسمى بالوردية ولا يميزون فيها.

<sup>(١)</sup> أي ولحمها وإسرها

<sup>(٢)</sup> في الأصل .. فترك الطفل يمتد.

<sup>(٣)</sup> في الأصل .. يأتون به.

<sup>(٤)</sup> الثروت في مصطلح وأخذت لعل في لوز معناه لخرة التي تلى الخريف ونصح بها الرروع ونشهر الخليل ويعد عادة يسي مسهر منمو ونوفس.





## عجيبته:-

أخبرني القاضي الدليل قاضي القضاة بمملكة الوداي حين جاء إلى القاهرة سنة ١٢٥٧هـ سبع وخمسين ومائتين وألف (١٨٤١م) أن المرض المسمى لبيضة وأهل مصر يسمونه الهواء الأصفر، الذي كان قد أتى إلى مصر من الحجاز سنة ١٢٤٧هـ سبع وأربعين ومائتين وألف (١٨٣١م)، ذهب إلى بلادهم وخربها وقتل منها عالماً كثيراً<sup>(١)</sup>، وكنا نظن أنه لا يصل إلى هناك، فسبحان الفعال لما يريد لا معتب لحكمه، ومن الأمراض العامة الكثيرة الحصول عندهم المرض الأفرنجى، ويسمى عندهم بالجفيل<sup>(٢)</sup> وكثرته عندهم لكثرة الفساد وليس له دواء عندهم إلا الكى.

وصفة هذا الكى أنهم يأتون بحديدة وهي المسماة عندهم بالحنشانة، وهذه الحديدة مستطيلة مفرطحة عرضها بنحو قيراطين وطولها بنحو خمسة قيراط أو ستة فيحموها بالنار حتى تحمر، ولها صورة أنبوبة مركبة في وسطها بالعرض، فإذا احمرت الحديدة أخرجوها من النار وصبروا على الأنبوبة ماء قليلاً ثم يدخلون في تلك الأنبوبة عوداً يرفعونها به ويكون به المحل الذي ظهر فيه الداء من غير استثناء، ومتى ما شهد ذلك الداء على أحد وله أهل كووو ولو قهراً عنه، وبهذه المعالجة شفاه الله بكرب زمن.

وهذا المرض في كردفان أكثر من دارفور، وفي دارفور أكثر من الوداي حتى أنه في الوداي لا يسمع بالمرض بهذا الداء إلا نادراً، وسبب كثرته في كردفان أن من أصيب منهم به، يعتقد أنه كلما أعدى غيره به يخف عنه، ما هو فيه، ولم يدرك أنه لو أعدى مائة ألف لم ينقص ما هو فيه شيء، فسترى المريض منهم سواء كان امرأة أو رجلاً يعدى خلقاً كثيراً، فلذلك كثر عندهم.

<sup>(١)</sup> في الأصل: "وقتل منها عالم كثر.."

<sup>(٢)</sup> المجلد: من الأمراض الخطيرة التي تسببها الإصابة بالحمى والاسهال والقيء، وهو من الأمراض التي تكثر في السودان ولا سيما في كردفان، ولا بد أن يكون له أصل كثر في كل أنحاء السودان ولا سيما في كردفان.

وفى دارفور وإن كان كثيراً، لكنه لما كان منهم من لا يستحي أن يراه الناس مريضاً فيعدي غيره، وهو قليل، ومنهم من يستحي من ذلك فيجلس في بيته حتى يبرأ وهو كثير فقل عندهم.

ولما فى التوداي فكل من مرض به لزم محله حتى يبرأ، فكان وجوده نادراً ومنه الحصر وهو السيلان الأبيض، ومثله الهبوب وهو ريح ينفث فى البطن السفلى من المرأة أو الرجل، وأكثر ما يوجد فى النساء، ويقولون: إنها معديان. ومن الأمراض الفاشية عندهم الجذام، وهو تآكل مرن الأنف وأطراف الأصابع وكذلك البرص، إلا أنه أقل.

ومنها أبو الصفوف، وهو ذات الجنب، وعلاجه عندهم بالتشريط على الأضلاع، فيشربون أربعة<sup>(١)</sup> أو خمسة كل صف أربع شرطات أو خمس<sup>(٢)</sup> هكذا

١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤
١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨
١٠٩	١١٠	١١١	١١٢
١١٣	١١٤	١١٥	١١٦
١١٧	١١٨	١١٩	١٢٠

ويدعون المحل بالمح بعد التشريط ويمسحونه بالنظرين فينزل من الفتحات دم كثير فيبرأ المصاب.

ومنها الفرنديت، وهو كثير عندهم ويسمى فى مصر بالفرنديت وهو ورم يحدث فى الساق أو اليد، أو فى محل آخر، فيتكون فيه قيح فينتج ويخرج من محل البعج خيط أبيض طويل شبيه بالعصب، إلا أنه غير متين كالعصب والظاهر أنه حيوان، لأنه يخرج ويدخل، وعلاجه البعج والتفنة. ومن الأمراض العضوية عندهم السوفية، وهى مرض يخص الركبة، وهو ورم كالفرنديت، إلا أنه لا يظهر له خيط ويتكون داخله قيح كثير، ولا يبرأ حتى يبعج المحل بعجا غائراً ثلاثة صفوف، فى كل صف ثلاث بعجات، أو أربع فينزل منها قيح كثير وبالتدخين بالمسمن والتفنة يبرأ العليل. ومنها النقرى، وهو مرض الساق على طولها، وهو ورم

<sup>(١)</sup> أى أصل .. أربع صفوف.

<sup>(٢)</sup> أى الأصل .. لو حصد.



كورم السوتية إلا أن هذا يمتد على قصبة الساق، وذلك مقصور على الركبة وعلاجه كعلاج السوتية إلا أن البعج يكون صفين من وحشية الساق، وصفين من تسببها<sup>(١)</sup>، ومن الأمراض عندهم التي تصيب الأطفال الحصباء، والبرجك وهي القرمزية.

ومن الأمراض العامة وجع الطحال، أعنى كبرة، والاستسقاء بأنواعه وأغلب الأمراض عندهم إلا الطاعون والسل، فلا يوجدان وإن وجد السل فنادر. وأما الجراحة فمتقدمة بينهم لكثرة الفتن والحروب، فتراهم يخيطنون الجروح حتى إن من خرجت أمعاؤه يردونها ويخيطنون عليها، ويبرأ المريض. وكذا يداوون الشجاج بأنواعها<sup>(٢)</sup> وقد ذكرنا سابقاً أن هناك أناساً يسمون الشلائجين<sup>(٣)</sup> يعملون عملية الكثران من العين مع المهارة التامة، ولكن لا أعلم كيفية العملية، ولا الآلات المستعملة عندهم لذلك وأعرف منهم رجلاً شهيراً يسمى الحاج نور، غير أنهم لا يستعملون البتر ولا القطع ولا الامتصال، وأمراض الأثر<sup>(٤)</sup> قليلة عندهم، هذا ما انتهى إليه علمي في ذلك.

وأطباؤهم مستوهم، فلا تجد طبيباً شاباً إلا نادراً، ومن برع في صناعة الطب يهرع إليه الناس ولو من مسافة أيام ويكرمونه إكراماً تاماً، وأكثر أدويتهم التشريط والكى، ولا يستعملون للباطن<sup>(٥)</sup> إلا القدر القليل والعسل النحلي والسمن البقري.

### عجيبتي

أخبرني شيخى الفقيه مدنى الفتاوى - عليه سبحانه الرحمة، أنه كان أصيب بالنتقرس الذي هو وجع المفاصل، وهي المسمى في كتب الطب بداء الملوك وأن أعرابياً من البادية وصف له الوقوف في السمن البقري، ومنخن على

<sup>(١)</sup> المرض من الساق ظهره، واسمها، مائل عليك منها - بنظر: الخامس

<sup>(٢)</sup> في الأصل "... بأواعه."

<sup>(٣)</sup> الشلائج: جمع ملوكة خلاج، وهو لفظ تورلوى معناه ضيق المولد.

<sup>(٤)</sup> الأثر... الفتن، والناظر هو من اسمه يسل في إحدى حصصه (الخامس) نسخة الأصل ٢١٧.

<sup>(٥)</sup> الباطن أي الأمراض الباطنة.

النار حتى ذلب نوبتاً تاماً، فنزل عن النار وترك إلى أن هذا وصار يتحمله  
الإنسان فربط لي حبل في سقف البيت، وصار<sup>(١)</sup> طرفاه بيدي، وأفرغ السمن في  
قصعة كبيرة، وغسلت رجلي ووقفت في السمن، ومسكت الحبل المذكور فكان  
معيناً لي على طول الوقوف قال: فلم أشعر إلا والسمن يسري في جسمي كسريان  
النسم، غير أنه أولاً صعد إلى مفاقي ثم إلى ركبتي ثم إلى فخذي، ثم سرى في  
النصف الأعلى فصرت أحس به يصعد في جسمي شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى  
عنقي، فأخذني دوار<sup>(٢)</sup> وغشي علي، وكنت أمقط، فتلقاني الخدم واثرونسي في  
ثيابي، وأضجعوني على فراشي وأنا لا أشعر بشيء من ذلك، فظللت نهاري كله  
وليلي كله كذلك ثم أفتت عند الصباح، وأنا ناشط كأنما انحليت من عقال بعير،  
ورأيت أنه خرج مني عرق كثير كرية الرائحة وبذلك شفاني الله تعالى.

وأخبرني غير واحد أن أهل البادية كذا يفعلون حتى بلغ هذا الخبر مبلغ  
التواتر، ولكونهم يتعاطون السحر كثيراً يتداولون بالكتابة وعندهم أناس مشهورون  
بذلك وأكثرهم شهرة الفلانة.

وكيفية الولادة عندهم إذا أخذ المرأة الطلق أتاها بعض العجائز من النساء  
وربطوا لها حبلاً في سقف البيت فتمسكه وهي والفة، وتعتمد عليه كلما اشد بها  
الوجع وتفرج بين رجلها حتى يسقط المولود فتلقاه إحدى النساء الحاضرات،  
وتقع سرته ويضعهن الباقيات النساء<sup>(٣)</sup> على فراشها.. فإذا تم للمولود<sup>(٤)</sup> أسبوع  
عملوا له عقيقة، كل إنسان على قدر حاله، فتجتمع النساء والرجال مع  
الرجل ويكون قد ذبح (أبو المولود) شاة فتأكل النساء والرجال لحم الشاة ويسمون  
المولود، ثم يتفرقون، ويطعمون النساء في ذلك الأسبوع عند الصباح المدينة وهي  
الحريرة بلغة أهل مصر، والحصو بلغة أهل المغرب، والكريم بلغة الأكرنج، وعند  
الغدير لحم دجاجة إن كانوا أغنياء، فإن كانوا فقراء<sup>(٥)</sup> فالمدينة أيضاً، وهي مركبة

<sup>(١)</sup> في الأصل:..وصلت طرفاه..

<sup>(٢)</sup> في الأصل:..فأخذني دورانه..

<sup>(٣)</sup> في الأصل:..ويضع سرته وتحميها على فراشها..

<sup>(٤)</sup> في الأصل:..طاماً ثم تولد اسرعاً..

<sup>(٥)</sup> في الأصل:..فإن كانوا فقراء..



من دقيق الدخن ودقيق التبلى والهجليج، فإن كانت من الهجليج كانت بها مرارة<sup>(١٦)</sup> وإن كانت من التبلى كانت حامضة، فإن تم للمولود شهرين أو ثلاثة حملته أمه على ظهرها وربطته بثوبها ويسمى ذلك الحمل، فوقه، فتحمله كذلك وتذهب إلى شئونها من زرع وماء وحطب حتى يشب، ومن عادتهم أنهن يرضعن أولادهن حولين فأقل كالإسلاميين<sup>(١٧)</sup>

ولا يزوجون بناتهم إلا إذا بلغت لبنت الحلم وعرفت منفعة الرجل، ولقد مكثت عندهم سبع سنين، ماريت عروساً تزوجت قبل بلوغها، وإن عقد عقدها قبل البلوغ لا يبنى بها الرجل إلا بعد بلوغها، لأن عادتهم أن الرجل يملك ويسترك (عرسه) مدة، فمنهم من لا يبنى بعروسه إلا بعد سنتين ومنهم بعد ثلاث، والمستعجل منهم يبنى بعد سنة (لأنهم لا يملكون عليها إلا إذا نهزت البلوغ، هذا في التبكر) وأما الشيب فيبنى بها الرجل يوم ملاكه أو بعده.

وأما قراءة القرآن فتأخرة جداً لأنهم لا يقرأون القرآن إلا بالليل في المكاتب<sup>(١٨)</sup> فيكون الصبي في النهار سارحاً بما شئت من غنم وبقرة، وبعد أن يرجع في المساء يأخذ لوحه ويذهب (إلى المسجد)، وعلى كل صبي الاتيان بالحطب يومياً، فيوقنون النار ويحيطون بها فيستضيئون بنورها وعلى ذلك التضيؤ يحفظون ويكتبون، وحفظهم غير جيد، قلة كان من يحفظ القرآن منهم حفظاً جيداً. وأما قراءة العلوم فتأخرة أيضاً لعنم العلماء، وأكثر قراءتهم للفقهاء والتوحيد وأما المعتول<sup>(١٩)</sup> فقليل جداً ومع قلته لا يقرأون إلا قليلاً من النحو، وأما المعاني والتبيان والتبديع والمنطق والعروض فلا يعرفون فيه إلا الاسم، ومن يعرفه منهم يكون قد تغرب لبلد آخر كمصر وتلقاه فيها، فإذا رجع إلى بلده كان هو العالم.

<sup>(١٦)</sup> في الأصل: .. كان لها مرارة.

<sup>(١٧)</sup> مولود كالإسلاميين: ربما تكون مزجحة من الأصل العربي والتضوء ما هو لك وضوء أولادهن حولين كما هي تعاليم الإسلام ونظيقات المسلمين.

<sup>(١٨)</sup> المكاتب: المكاتب هو الخزانة التي يدرس فيها التلاميذ الصغار القرآن ومدى القراءة والكتابة ومن مشرفة على كل أصناف العلوم والعلوم.

<sup>(١٩)</sup> المضوء: المضوء هو العلوم المتصلة كالرياضيات والفلسفة وغير ذلك.

وأكثر ما يعانونه (الطلب) الروحاني والسحر ويسمون علم السحر علم  
الطلب، ومن مهر فيه سمي طلباني، وهذا العلم يوجد عند الفلان أكثر من غيرهم،  
وقد ذكرنا سابقاً ما وقع من الفقيه مالك في أولاد السلاطين (وكيف) سحرهم حتى  
رجعوا إلى الفاشر بمنما حربوا منه، وما وقع من الفقيه تمرّو فلا فائدة للاعادة.

### تنبيه

اعلم أن دلفور وإن كانت كلها قليماً واحداً ومملكة واحدة فهو لها مختلف  
وأصحبها القوز، فلذلك تجد من فيه من من أعرب البانية أقوىاء أجرياء<sup>(١)</sup> لسلامة  
أرضه من العفونات والوخم لكن ماء قليل، فقد ذكرنا سابقاً أن منهم من (يكون)  
بينه وبين الماء مسافة يومين وأكثر.

ويليه في الصحة بلاد الزغاوة والمسماء بدل الرياح، فلذلك تجد الزغاوة  
والبديلات اتقاطنين بها في غابة القوة وسلامة الأعضاء، وأرضها هواء الصعيد،  
لكثيرة مياهها ووخمها وعفونتها، لكن لا تكون أرضه وخيمة إلا على من لم يعتدها،  
وأما المولود فيها فتراهم أصحاباً أقوىاء لكن عندهم الحمى كثيرة، وأردا من  
الصعيد المدن، وأقواها الفاشر ويليه كويبة وكبكليية ولامسلا وفنقرو وبينجا ومالا  
فأوخم الأماكن كلها، لكثرة الرطوبة عندهم، (واستمرار الأمطار لأنها لا تنقطع في  
الفترة الامدة شهرين أو ثلاثة)<sup>(٢)</sup>

ومع ما في دلفور مما ذكرناه من الأمراض، كل منهم يجب وطنه ويألف  
مكانه، وإذا تحول إلى غيره يبكي عليه ويتمنى الرجوع إليه، وهذه غريزة جبل  
عليها الإنسان وتطبع عليها الجنان من قديم الزمان، فلذلك كان المصطفى عليه  
الصلاة والسلام يحن إلى مكة حنين المشتاق ولولا أن الله أمره بسكن المدينة لأقام  
في مكة بعد الفتح باتفاق.

<sup>(١)</sup> أجرياء : يقصد سر من المتوحدين.

<sup>(٢)</sup> مائة الفاضل ( ) منقذ.



لكن من حيث أن أمراض بلاد السودان لم تكن وبائية قتالة كانت أعمارهم أطول من أعمار غيرهم، فلذلك تجد فيهم المسنين حتى تجد من تجاوز المائة وعشرين سنة، ولما أبناء السبعين والثمانين والتسعين فلا يكاد يحصرهم العدد، ولا يوقف لكثرتهم على حد، هذا مع ما ابتلوا به من الفتن والحروب والمحن، لأن كل قبيلتين منهم بينهما دم مسفوك، وثار مطالب به غير متروك، كما بين البرتي والزيادية، وبنى عمران<sup>(١)</sup>، والميمة والفلاتا، والمساليت والمسيرية، والحمير<sup>(٢)</sup> والرزقات، والمجائين<sup>(٣)</sup> وبنى جرار<sup>(٤)</sup>، والزغاوة والمحاميد، مما لا يكاد يحصى، هذا خلاف فتن الملوك وخلاف ما يصير من القتل في مجلس الشراب، أو في المعاندة على الكواعب الأتراب، ولولا ذلك لكانوا في الكثرة كـأجوج ومأجوج، وضاق بهم الفضاء والمروج.

فإن قلت: إذا كان الأمر كما ذكرنا فمآبال النساء العجائز قليلات مع أنهن لا يقاتلن ولا يحضرن قتالا ولا حروباً فلو كان مانكر صحيحاً في عدم كثرة الرجال كان وجود النساء المسنات كثيراً مع أنهن مثلهم أو أقل؟ قلت: لما كن يجزغن على من قتل لهن من الرجال، ويتحملن بعدهم الضر والنكال، كن عرضة للأمراض الرديئة الجالبة للمنية، بسبب ما يحصل لهن من الانتعالات النفسانية ومع ذلك<sup>(٥)</sup> هن أكثر من الرجال المسنين (ولقد كنت في بلدة أقل عمارة ومساكناً وهو أبو

<sup>(١)</sup> هو عمر: يذكر هؤلاء من أسلافهم قدموا من بربري بضمير مصر وكانوا لغارة ورجال طرق صوملة من صعدة أمراء مطت واستمر بعدهم في وسط كردغان وسط شبه الجزيرة وعموماً في حين استمر العمل الأصغر في شرق دارفور عند حدود كردغان. بمر: Macmichael. Op.Cit.P.249

<sup>(٢)</sup> الحمير: من مجموعة القبائل العربية التي دخلت السودان من منطقة شمال إفريقيا مروراً بالسودان الأوسط واستقروا في القابضة في دارفور لم تقفوا هناك وحلوا بقولهم من الحولمة والاحمسة والنسوبة ولم يتركوا في سهل دارفور الخالي لم يبقوا في كل منطقة قبائل كردغان، وهذه القبائل لها أكثر من ثلاثين فرعاً ينتشرون في أراضي وجرارفة والتمارة ومن أكثر أصولهم سوف، الأسس، والحصة لغارة والسوق الصمغ العربي واللحمة والحمير الثلاثة هي الحساكرة والمقارم والخرمسة. بمر: أحمد صديقه محمد، الترميم السابق ص ١١٥.

<sup>(٣)</sup> المجائين: جماعة من قبيلة دار حنظل التي تنسب إلى فرارة وهبطوا السودان من طريق العرب مع أصولهم من قبائل حمير واستقر بهم لنظام في وسط كردغان ودار حنظل بمر: Macmichael Op.Cit.P 256

<sup>(٤)</sup> هو جرار: يرى ماكمايكل لما ضمن مجموعة فرارة التي التفت إلى السودان من حمير مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (١٩هـ) وكانت من القوي قبائل دارفور وكردغان وموضعهم الآن في الحسوة بين دارفور وكردغان. Macmichael. Op.Cit.P.257

<sup>(٥)</sup> من كتبها: "بومع ذلك"، وحق لحالة العمل سلط في الأصل ولعل من تشبه الأفعال والفرجة العربية.

الجدول ورأيت فيها من المسنين والمسنات كثيراً، وكلما دخلت حلة لرى فيها أكثر من ذلك، مع أن معيشتهم في غاية الانحطاط، لو تناول منها أحد من أهل بلادنا مرة واحدة لذهب منه النشاط لأن أكثر ماكلهم إما مَرَّة أو متعفنة، ويرون أن هذه هي النعمة المستحسنة.

وكنت حين حلت ببلادهم، ولم اعتد باعيتهم صنعوا في الدار وبكة<sup>(١)</sup> ودعوني أن أكل منها فأبيت، ولما سمع والدي بذلك قال لي: فإذا لم ترض أن تأكل من هذا الأنم فلم جئت إلى هنا؟ وصار متحيراً، فكان يتكلف ويصنع لي أرزاً ببن، ولما توجهت إلى الفاشر ونزلت في بيت الفقيه مالك الفتاوى لحضر العشاء فرأيت الأنم مراً فسألت: ما هذا؟ فقيل لي هذه وبكة الهجليج، فأبيت أن أكل منها، فجاءوني بأمر آخر فشممت منه رائحة منتنة فقلت: ما هذا منتن؟ فقيل لي هذه وبكة الدودري، وهي جيدة عندهم، فأبيت أن أكل منها، فأخبر الفقيه مالك بذلك، فأرسل لي لبناً حليياً فيه عسل، فأكلت منه، ولما حضر في ديوانه للسمر قال لي: لم لم تأكل من وبكة الهجليج أو الدودري؟ فقلت له: إحداهما مرة وثانيتها متعفنة، فقال هذا هو الطعام الذي يصلح في بلادنا، ومن لم يأكل هكذا يخشى على نفسه من الأمراض<sup>(٢)</sup>.

والدودري وبكة تتخذ من عظام الغنم والبقر وسائر الحيوانات وهو أنهم يأخذون عظم الركبة وعظم الصدر ويجردون ما عليها من اللحم ثم يضعون العظام في خابية ويتركونها أياماً حتى تتعفن فيخرجونها ويهرسونها في هاون<sup>(٣)</sup> حتى ينهر من العظم في اللحم ويصنعونه كرات في جرم التبريقال الكبير، فلذا أرادوا

<sup>(١)</sup> البكة: هو السلاح من الآدم الذي يستعمله القاتل أو القاتل في دماره بالمعدة أو بجمع البكة عدة من دهن البقرة المذابة بالاصحاح إلى الشرعوط وهو اللحم المصفى (المطه) إضافة إلى اللحم مما كان قوياً، وتشكل المعدة مستطالاً أو حلة اليد لدى أهل دارفور ووداي.

<sup>(٢)</sup> ملاحظة المؤلف: سئل الضمير المرفوع والضمير في دارفور ووداي منطقة لكن هناك موروث هذه الملاحظة ذلك في هذه البلاد منقسماً على دار وشمالي هذه الضمير سرج القوم والضمير ولهذا يشاء الضمير إلى اللحم وتعلق منسقاته حتى يمتصوا بدمهم في هذه التلاحة الضمير لأهل السودان في ذلك الوقت بالاصحاح إلى أن الضمير الذي يخرج بالمرارة وليس من الضمير بل من الضمير منسقة في مثل هذه البلاد.

<sup>(٣)</sup> الهاون: هو المعدل أو النهر من وهو على نوعين أحدهما لمرس الحلال ونظيرها وكذلك مستخرجات السلاح والشمالي لمرس من والشمالي والشمالي من مستخرجات القهورة والشمالي.



الطبخ أخذوا قطعة من كرة وذوبوها في الماء، فإن كان فيها قطع من عظم صفوها من مصفاة، ثم صبوا ذلك الماء في القدر ووضعوه على النار حتى يصير له قوام، فيأتون بقدر صغير يقطعون فيه قليلاً من البصل ويقلونه في قليل من السمن، ويضيفونه لذلك (الماء) ويضعون فيه شيئاً من الملح والفلفل والكمبأ، إن وجدت، وهذا طعام لا يوجد إلا في بيوت أمراء الفور.

وأما ويكة الهلجيج فلا يخلو إما أن تكون من الورق أو من الثمر، فالتى من الورق هي التي يجنون التوريقات الطرية الحديثة ويقلونها، وتوضع في القدر على النار، وتحرك بالمسواط حتى يمتزج مع مائه من الماء والدهن.

وإن كانت من الثمر فكيفيتها أنهم يأخذون الثمر وينقعونه في الماء ثم يهرسونه باليد، حتى يذهب لحمه، كله في الماء، ويأخذون ذلك الماء ويصفونه في قدر، فإن كانوا فقراء وضعوا عليه قليلاً من الشحم وأكلوا، وإن كانوا أغنياء قلدوا النار حتى يصير له قوام، ثم عملوا نعليه كالتي ذكرناها في الدورى وأضافوا لها لحماً مدقوقاً من القديد، وصبوا فيه الماء، وتركوا الجميع على النار حتى يحصل الامتزاج التام فتزل عن النار وهذه من أعظم وياكهم<sup>(١)</sup> هذا طعام أغنيائهم، وأما فقراؤهم، فقد ذكرنا سابقاً أنهم يأكلون النخن بغير تقشير، وإن أنهم قبيح جداً لأنه إما 'كول'<sup>(٢)</sup> أو ورق الهلجيج الصغير الطرى، والمسمى عندهم بـ 'النيلمسو' أو ثقل المسمم أو ثمر الهلجيج الأخضر المسمى 'عنقلو' أو ثمره الناضج، وملح كل ما ذكرنا الرماد المسمى بـ 'الكتبو' لقلة الملح وغلوه.

وأترف الفقراء من تكون له شياه أو بقرة يحلب لبنها، ويأخذ زبدة ويسلق بمحيضه، ولا يعرفون اللحم إلا بعد أشهر، إن ذبحت في البلدة بقرة أو ثور

<sup>(١)</sup> وياكهم: الثوب جمع وياك وهو اللام كما سلت الأكلة ونظير الوياك الحيا في السموات على الهبة الغنة وطرا لها على مكونات التلاح الأساسية تحتل عليه اسم الوياك حكمة في دارفور ورواية.

<sup>(٢)</sup> الكول: وهو نوع من مشطرات اللام الأساسية، ويجمع من مانت يسمى الكول بنت حادة في الغزير القرية ورواية في السودان والاحدة الخواجات مشطرات لورقة الناصية والحمر في الحصل حتى تصح في شكل حبة لم يجر في داخل الارض حتى تصح رائحته صفا لم يصف في شكل كرات صلبة سوداء لينة الرابحة ويوضع حادة في التلاح تحيط بكها لينة حادة مع الحبة، يساكن البشر منها كميات كثيرة وقد أكلت الأبحاث العلمية الحديثة فوائد الحبة الغنة للإنسان.

والتسموها، فيأخذ الفقير منهم قمصاً على قدر حاله بامداد<sup>(١)</sup> من الدخن لآشئء  
آخر، ولذلك تجد أكثر شبانهم يعانون (من) القنص<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكرنا سابقاً أيضاً أنه في كل سبت يضرب الوردانج<sup>(٣)</sup> طبلة ويخرج  
الشبان كلهم معه للصيد، فكل منهم يلتقي في المساء بما تيسر معه، لأن شاباتهم فيها  
كثير من الحيوانات الوحشية، فأكثر ما يصيدونه الأرنب ثم الغزال ثم أبو الحصين<sup>(٤)</sup>  
ثم بقر الوحش<sup>(٥)</sup> وإن وجنوا تيتلاً مريضاً أو أخذوه على غرة قتلوه والتسموا  
لحمه.

والتيتل حيوان وحشي على صورة البقر الأهلي، إلا أنه أصغر جرمأً  
فأعظمه كالعجل، وله قرنان صاعدان مائلان قليلاً، إما للخلف أو للأمام طولها  
بنحو شبرين وأقل، ومع وحشيتها فيه نوع من القلادة، فلا يفر إلا من أناس  
كثيرين، وأما من رجلين أو ثلاثة فلا يفر، بل يثبت مكانه وينظر إليهم نظرة  
التمأمل. ومن عادة الغور أنهم إذا رأوه ينادونه بصوت عال ياتيتل يا كافر! فيصير  
شاخصاً إليهم كأنه غير مكترث بهم، فلا يبرح من مكانه إلا إذا دنوا<sup>(٦)</sup> إليه دنواً  
كلياً فحينئذ يمشي رويداً رويداً، فإن رآهم جنوا في طلبه هروا.

والفرق بين التيتل وبقر الوحش المعتاد، أن التيتل وإن كان نوعاً من بقر  
الوحش، إلا أنه أصغر حجماً، وقرونيه تثبت معنلة كقرن الغزال، وبين القرنين  
من أعلى تفراج كثير، ولون التيتل أصفر كله.

ولما البقر الوحشي فمنهم الأسود والأصفر والأبلق الذي لونه مختلط  
ببياض كثير، وقرونيه كقرون البقر الأهلي في الغلظ والاعوجاج، وحجمه كحجم  
البقر أيضاً وبهذا تعلم أن التيتل نوع من البقر وبينه وبين البقر الفروق المذكورة.

<sup>(١)</sup> الامداد: جمع مذ من الكاديل والله في دارفور ووداي سألني عن رطل من الفراء.

<sup>(٢)</sup> القنص: أي القنص حسب لغة النارجة في دارفور وهو الصيد.

<sup>(٣)</sup> الوردانج: في دارفور هو رئيس الرجال، وهو الذي يجمعهم في الشاسات الاحتفالية كالحفلة والعراس والمسير في أملاك القبائل  
والمرامح والسيوف رئيسة نسبي لغوم ويقتل بسيف الوردانج مع لغوم في تلك الشاسات.

<sup>(٤)</sup> أبو الحصين: حيوان صغير كالغزال، (المسورة) ظهر العنقا كقرونيه في الأرض حتى تسقط عنه الطوائع ولها من (أو الحصين) وهو  
دماً بعد الأمانة لئلا يمشي الكناكيت ليلها، وقد صفت الأمانة له في هذا البحث.

<sup>(٥)</sup> بقر الوحش: يطلق عليه في دارفور ووداي اسم الملموس.

<sup>(٦)</sup> في الأصل: .. لما يدنوا إليه..



وهذا أناس مشغولون بصيد الحيوانات لا حرفة لهم سواها، وكل منهم قد أعد لذلك عدة، فأما الثبان فيستعينون على الصيد بالكلاب<sup>(١)</sup> والسفاريك<sup>(٢)</sup> لاغير.

وأما الحدائق فيحفرّون على الصيد وهم على قسمين:

منهم من يتمحض لصيد ذوات الأربع كالغزال وبقر الوحش والفيل والجاموس والضباع والسباع والخرتيت ونحوها وهؤلاء يجتمعون فرقاً فرقاً كل فرقة منهم خمسة أنفار أو ستة فيأتون للطريق التي يمر عليها الفيل وغيره حين وروده الماء، ويحفرون فيها حفرة عميقة أطول من قامة، ويدقون في مركزها وتداً مدبب الرأس حاد السن كالرمح، ويصلّبون على الحفرة أعواداً ضعيفة ويغطونها بالحشيش، ثم يغطون الحشيش بالتراب، فتأتي الفيلة أو السباع أو بقر الوحش أو الجاموس أو الخرتيت، واردة الماء، فتمر على تلك الحفرة، فتتى ماثل على الأعواد الوطىء تكسرت تحت أرجلهم وسقط في الحفرة منها حيوان أو ثثنان، فتتى نزل الحيوان بقله على الوتد الذي في المركز دخل ذلك الوتد في لحمه فلا يقدر أن يتحرك حتى يأتي صاحب الحفرة فيتم قتله ويأخذ لحمه بعد سلخ جلده، فيعملون اللحم قنيداً وهو المسمى عندهم بالشرليب، لأنهم يشرطونه أي يقطعونه سيوراً، ويأكلون منه طرياً.

فإن كان فيلاً أخذوا منه وجلده وقننوا لحمه، وهذا القنيد يأكلون منه ويبيعون منه.

وكل فرقة لها جماعة في البلد يفتقدونهم في كل أسبوع، ويأتونهم بما يحتاجونه من الزك وغيره، ويكون معهم جمل فيحملون مايجنونه عندهم من القنيد والجلود والقرون ومن الفيل، فيأتون بالجلود فيعملون منها الشرق والسياط ويبيعون العاج وقرن الخرتيت والسياط للتجار ويبيعون الشرق للعسكر.

وهم قوم لا عهد لهم ويسمون: الثرامدة فلا يناكحونهم أبداً ولا يتزوج الثرمودي إلا من جنسه، ومنهم من يتحيل على الصيد، بأن يأتي لمحل الوحوش ويأتي بحبل من قد متين يجعله خرته واسعة، فإذا مر عليه شيء من الوحش

<sup>(١)</sup> السفاريك: جمع سفرك وهو آلة تصنع من الخوص وتعمل كسلاح في الحرب وأما السفاريك فمشتق من السفاركة جمع سفرك وهو آلة تصنع من الخوص وتعمل كسلاح في الحرب وأما السفاريك فمشتق من السفاركة جمع سفرك وهو آلة تصنع من الخوص وتعمل كسلاح في الحرب

ودخلت رجله في الخرقة - وهي دائرة أثبت بها العروة - فرفع الوحش رجله  
انخرطت عليه وهي مأكنة الأوتاد فلا يقدر الوحش على قطعها ولا قلعها، فيمكث  
حتى يأتوا إليه فيقتلوه.

ومنهم من يعلو على شجرة يقبل<sup>(١)</sup> تحتها الوحش، ويكون معه حربة أو  
حربتان من الحراب الواسعة الحادة التي هي هكذا



فيمكث في أعلى الشجرة حتى يأتي الوحش ويقبل، ويبدأ فينظر لمن هو قريب منه  
ويطمئنه وهو نائم في بطنه فتتفر باقي الوحوش التي معه، ويمكث المطلعون فينزل  
إليه الصيد ويتم قتله.

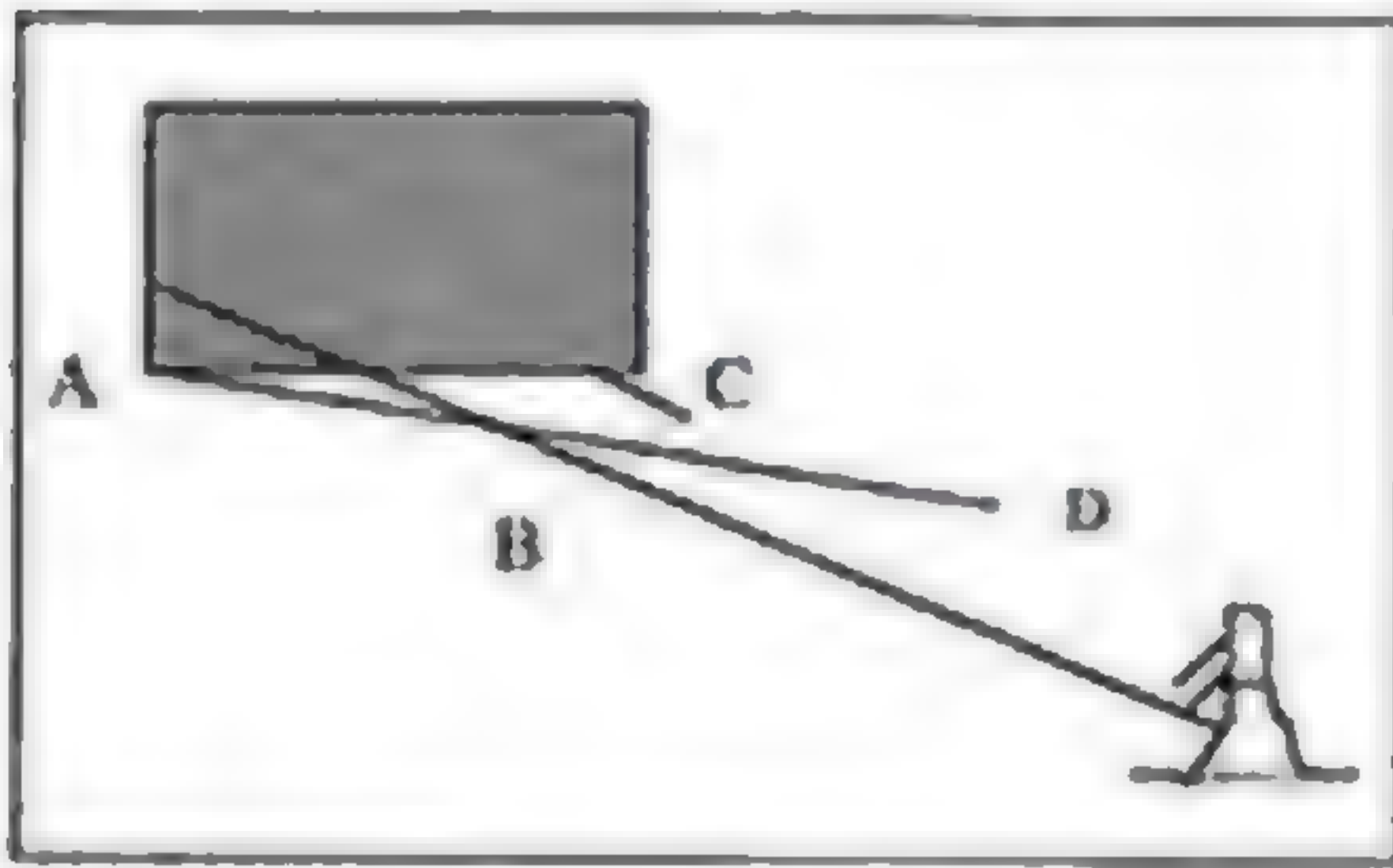
ومنهم من يتحتمض لصيد الطير، وأحسن طير يصاد عندهم الحبارى، وهو  
طائر عظيم أكبر من الدجاج الرومي لونه أبيض يميل إلى الأصفر والخرقة،  
يسن في أيام الثرى ممناً مفرطاً، ويكون لحمه طرياً لطيفاً، وهذا (الطائر) يألف  
بداً معروفاً عندهم، وحشرات صغيرة، فيأتي الصيد بذلك الدود والحشرات  
ويكون معه خيط قد قتله من العصب قتلاً جيداً وهو رفيع لا يكاد أن يرى للطائر،  
ويقصد المحال التي يصيد فيها فمتى رأى الصيد الحبارى في محل ربط حشرة أو  
دودة في خيط وربط الخيط في أسفل شجرة، ويذهب إلى الحبارى فيسوقها، وفي  
الحبارى بلادة لا تكاد تطير حتى يقرب الإنسان أن يمسكها، فيسوقها لجهة الحشرة  
أو الدودة حتى تراها، فمتى ما رأتها هزعت إليها وابتلعتها، ولما صارت الحشرة  
في حوصلتها وأرادت أن تذهب، يمنعها الخيط من الذهاب، فيأتي الصيد فينبحها  
ويضعها معه، ويربط في الخيط حشرة أخرى إن كان هناك حبارى.

ويوجد أيضاً طير آخر يسمى أباطنطرة، وهو أبيض وهو طائر أكبر من  
الحبارى بقليل، وله في عنقه كيس طويل مخروطي الشكل، أسفل واسع وأعلاه

<sup>(١)</sup> يميل من العلولة وهو السكون والخلل من حر الشهوة.



ضيق، يبتلع الحشرات أيضاً كالحبارى. ومنهم من يصيد الطيور الصغيرة بالشباك وهذا لقل الدرامدة كسباً، لكونه يفرح حباً إذ العصفائر وأبوموسى وأمثالها لا تقع الا على الحبوب، فيأتى (الصياد) فى المحل الذى يريد الصيد فيه بحيث يكون قُرب نهر أو بركة وينصب شبكته وهى شبكة مربعة هكذا:



ولها اربعة اوتاد، وتدلن منها مربوطان لصق ركنها وتدلن مربوطان فى حبلين طويلين فى ركنيها الاخرين فيدق الأوتاد فى الأرض وفى قُرب أحد أركانها الوحشى<sup>(١)</sup> حبل متين طويل جداً، فينصب الشبكة ويبذر الحب أمامها ويأخذ طرف الحبل الطويل ويمكث بعيداً عنه، فمتى نزلت الطيور وكثرت على الحب كفاً الشبكة عليها بالحبل الذى فى يده، وعيون الشبكة ضيقة جداً، فلا يخرج منها عصفور ولا يفلت منها شيء، فيأتى صاحب الشبكة ويأخذ الطيور منها، فإن كان فيها ما هو غالى الثمن كالنرة أو الببغاء ونحوه أخذ ريش جناحيه وتركه فى مكانه<sup>(٢)</sup> وإن لم يكن فيها ذلك نبحها كلها وبذر حباً آخر، وحين كنت هناك كانت لى شبكة وكنت أسطاد بها فى بيتى، فطالما شبعنا من العصفائر بصيدى منها. وهناك من هو مفرح بصيد القروذ والنسائس فى الجبال ولا اعرف كيفية اصيادهم لها.

وأحسن من ذلك كله الصيد بالتبارود، لأن الانسان هناك متى ما كان معه بندقية جيدة يشبع من لحوم الحيوانات بغير مشقة، ومن الأغنياء من يشتري من الدرامدة عبداً ولا يكلفه إلا بالصيد فمتى قنص ذلك العبد اشبع سيده من اللحم.

<sup>(١)</sup> الركن الوحشى أى الخارصى.

<sup>(٢)</sup> لنكل: الرسل.

ولقد رأيت عند شيخنا تفتيه منى عبداً يسمى سعيداً مسناً، فأخبرني أنه صياد، وأطعمني لحم غزال، ونكر أنه من صيده وأنه لابد له في كل جمعة أن يأتي له باللحم مرتين أو ثلاثاً، فصرت أتمنى أن يكون لي عبد مثله فما عثرت عليه.

وقسم متمحض لصيد الثراف والنعام، وهم أعراب البادية، كالمحاميد والزبداء والعريقات بدار الوداي، والمجانين والزيادية وبنى جرار والعريقات بدارفور، وكل من هؤلاء يصطاد على الخيل، فأكثرهم صيداً أسبقهم جواداً، ثم إن الإنسان منهم إذا رأى صيداً وتبعه لا يفتروا أثره بل يداريه حتى يحاذيه ومتى تمكن من فريسته عقرها، فأما النعام وإن كان شديد العدو، فيوجد من يلحقه، وأما الثراف فلا يكاد يحلقه في العدو فرس، ولذلك لا يلحقه إلا الفرس الذي يمر كالريح.

وأعراب البادية في دارفور ودار وداي منعمون فيما يشتبهون، لا يحتاجون إلا إلى الدخن والذرة والملبوسات، لكن يشترون من ذلك ما يحتاجونه بما زاد عن كفايتهم من السمن والعسل أو المواشي وجلود الصيد والبقر والأبل، حتى إنهم يجلبون لدار الوداي ودار الفور الأجرية<sup>(١)</sup> والقرب<sup>(٢)</sup> والبطلط<sup>(٣)</sup> والحبال المصنوعة من سيور الجلد، ويسمون هذه الحبال الجلدية بالتوجج والسياط وغير ذلك.

وأما السمن فمن أنعامهم، وأما العسل فمن الأشجار، لأن النحل يعيش فيها، وهم يجتونه، وتصيد كثير فلذا ترى ريش النعام عندهم لا قيمة له، وكذا قرن الخرتيت.

وحين كنت في دار الوداي جاء بعض التجار من فزان يطلب ريش النعام، وطلب من الشريف أحمد الفاسي الذي توزر بعد أبي أن يكتب له كتاباً إلى الشيخ شوشو شيخ المحاميد بالوصية عليه وأن يأمر الأعراب بالتصيد له برفق في الثمن،

<sup>(١)</sup> الأجرية جمع حربة: وهو رمح، يصنع من حديد الصم دماً ويحمل به القتل.

<sup>(٢)</sup> القرب: جمع حربة، وهي رمح يصنع من حديد الصم ويحمل به القتل.

<sup>(٣)</sup> البطلط: ذكر يروى في الترجمة العربية بأنها نوع من الخيل يستعمل في حمل السهم ويحمل وقد كنه بالاسم Battah.

مطبعة ص ٢١٠ من الترجمة الفرنسية.



وكان معه خمسون ريالاً من الفرائس، فكتب له الشريف بذلك فأخذ الكتاب وتوجه إلى المحاميد بدليل من العرب، ومكث هناك ماشاء الله أن يمكث ولما جاء أخبرنا بأنه حين وصل إلى حبيهم وسأل عن بيت الشيخ دلَّ عليه فنزل في أكرم ضيافته وأرحب نزل، ولما أراهم كتاب الشريف زاد الشيخ في إكرامه وبلغ في التلطف والبر به، وأفرد له بيتاً من الشعر بفرشه وجميع ما يحتاجه، ووكّل وصيفه لقضاء مهماته، وكان ذلك التاجر أخذ معه هدية للشيخ المذكور، فقدمها له فقبلها منه وأثابه عليها، ثم إن التاجر سلم للشيخ الخمسين ريالاً، فطلب الشيخ للعرب وقال لهم هذا رجل غريب أضاعني<sup>(١)</sup> والتجأ إلى ويريد ريش النعام، فمن كن له لرب في الريالات فليغد للصيد من الصباح، وكل من أتى بجك ظليم<sup>(٢)</sup> فله نصف ريال، ومن أتى بربداء<sup>(٣)</sup> فله ربع ريال، فاهتز العرب لمطلبه وأصبحوا قاصمين، ففى يوم واحد جاموا بنحو عشرين ظليماً، لمكث عندهم نحواً من عشرين يوماً، فجمع فيها نحو مائة جك ظليم وحملها له الشيخ على إبله، وزوده برك كثير، وكان من جملة ما جاء به دهن النعام، فانه جاء منه بكثير، وأتى ومعه من العسل والكنياكنيا<sup>(٤)</sup> والسرنة والكرنو<sup>(٥)</sup> شيء كثير وباع في ولده الظليم بثلاثة ريالات ولم يبق معه الا نحو عشرة من الجلود وربح ربحاً كثيراً. ولما الزراف فلا نفع له في المتجر الإبلوده فيبيعونها، وأما لحمه فيأكلونه طرياً وقديداً، ويوجد عند العرب من الأرز والدفرة والكوريب، والهجليج، والتمر هندي، والعسل، والكرنو، والسرنة، ما لا يوجد عند غيرهم، وأما اللبن فلا قيمة له عندهم لكثرة، يأخذون منه اللبن ويرمون رائبه حتى إن من أتى إلى أحيانهم وخصوصاً أحياء الرزيقات والمسبرية الحمر، والهبائية يجد الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبناً.

<sup>(١)</sup> ضاع: يريد أن يضل أو يضل عن طريقه.

<sup>(٢)</sup> الظليم: كما ورد في القاموس هو ذكر النعام ويذكر بيوت رواية سمعها من المؤلف أن الكلمة السوداء لها في كل حاجتان ومشتان وهي أربع كلال وربيع وسط اسمي بالظلم.

<sup>(٣)</sup> الربداء: وهي أثن النعام وشكلها رمادي وقد عرفها عرب القرمشور وودى أن رسالة لو رسمت بمطهر: Voyage au

Darfour, P 459

<sup>(٤)</sup> الكنياكنيا: هي لغة التي تسمى من نواحي كماله لرحبها.

<sup>(٥)</sup> الكرنو: مثل نمرقة وهو دمل من الكرنو، حيث يمل العسل ويصل في شكل كرات كثيرة، ياكلها الناس والارواح وله مذاق حسيبي ويستعمل غلياً في الترويع ولونون لراحة لوجبة سريعة حلوة للأشغال.

## الفصل الثاني عشر

### في اصطلاح تزوج النور

لما كان المتوحد في ذاته وصفاته وأفعاله غنياً عن الزوج والولد ما انفصل عن أحد، ولا ينفصل عنه أحد، إذ لا يحتاج لما ذكر إلا الحالات المسكين، الذي لا سند له إلا الله والامعين، وهو سبحانه وتعالى حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، واحد أحد، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولد، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له كفواً أحد، خلق آدم أباً للبشر من القراب، وخلق حواء زوجه من أقصر ضلع من الجبهة اليسرى على الصواب.

ولما كان سر خلقه أن يكون خليفة في الأرض، ويملاً من نسله طولها وعرضها، ركب فيهما الشهوة البشرية، ليحصل التناسل وفق الإرادة المسنية، وكان آدم حين خلقت حواء في سنة من النوم، ولما أفاق رآها أمامه على ترتيب منظوم، فوقت منه موقع الاعجاب وقال لها: من أنت يا أعز الأحباب؟ قالت: أنا حواء، وقد خلقني الله من أجلك يا آدم، وقدرك ذلك من لزل تقدم، فقال لها: هلم إلي فقالت: بل أنت تعال إلي فقام آدم إليها، فصارت عادة الرجال الذهاب إلى النساء.

ولما أن جلس معها ومن يديه جسمها دبت فيه الشهوة الانسانية، وأراد مواقعتها كما هو مقتضى الحيوانية قيل له: كف يا آدم لا تحل حواء إلا بصدق وعقد نكاح، ثم إن الله سبحانه وتعالى خطب خطبة نكاحها بكلامه القديم فقال: الحمد لعزتي والعظمة هييتي، والخلق كلهم عبيدي، وإني لشهركم يا ملائكتي وسكان مساوتي إني زوجت بديعة فطرتي، حواء أمتي لأدم خليفتي، علي صداق إن يسبحني ويهللني فكان ذلك سنة لأولاده.

لكن لما اختلفت الأقاليم واللغات وتعددت القبائل والاصطلاحات كان اصطلاح كل قوم مبيناً لاصطلاح آخرين، وإن كان العقد والمهر واحداً.



فمن اصطلاح الفور أن الشبان إناثاً وذكراناً يتشاورون جميعاً، ففي صغرهم، يمرحون<sup>(١)</sup> بالاغنام، ولا حجاب<sup>(٢)</sup> بينهم على الدوام، فربما اصطحب الشاب والصبية من ذلك الحين، واعتقت بينهما المودة التي لا تبلى على مر السنين، فمتى أحبها وأحبته ركن إليها وصار يغار عليها، ولا يرضاها تحادث غيره، وحينئذ يرسل أباه أو أمه أو أحد أقاربه فيخطبها منه، فإذا انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جمعت الناس للإملاك، وحضر الشهود للأملاك<sup>(٣)</sup> فيذكرون شروطاً كثيرة، ويطلبون أموالاً غزيرة، وكلها يأخذها الأب والأم أو الخال أو العم، ويعتقون لها على شيء قليل من ذلك المال الجزيل، وكنا قد ذكرنا نبذة من ذلك فلتراجع هناك.

ثم بعد تمام العقد يتركون الأمر نسبياً منسياً مدة طويلة، ثم يجتمعون فيما بينهم ويتشاورون، فيعقد رأيهم على وقت فيه يزفون، فإن كان العروسان من نوى البيوت الفخام والمراتب العظام، ابتداء أهلها في تهيئة النبايح والشراب قبل العرس بأيام كثيرة، ثم يرسلون الرسل إلى أحبائهم من البلاد ويقولون: العرس في اليوم الفلاني المعتاد، ويكون قد أحضروا من المزر<sup>(٤)</sup> والنبيد الأحمر المسمى عندهم بأم بئيل، ومن البقر والغنم ما فيه كفاية، فيأتي الناس في اليوم الموعود أفواجاً وهناك نساء معهن طبول صغار وكبار، كل امرأة معها ثلاثة طبول، اثنان صغيران وآخر كبير على هيئة الدربة، تضعها تحت إبطها الأيسر، أحدهما وهو الكبير من أعلى والآخران يحاذيان أسفل الكبير، وتضرب بيدهما على الثلاثة، ومجموعها يسمى عندهم النلوكة، وكلما جاءت طائفة (خرجت) النساء بالطبول لملاقاتها<sup>(٥)</sup> ويقفن كلاماً يمدحنها به، منه قولهن:

<sup>(١)</sup> يمرحون: أي يلهوون.

<sup>(٢)</sup> لا حجاب: أي لا حياء.

<sup>(٣)</sup> الأملاك: وللاطلاع بكسرهما وقع الحاق النوح لو انعقد (العرس).

<sup>(٤)</sup> المزر بالكسر: ضد الغرة والخمر.

<sup>(٥)</sup> في الأصل: مرحن النساء بالطبول ومدحها.

هي باني هي باني  
 وبتين حسن البان  
 ياهز ازين القنا  
 أمرت<sup>(١)</sup> ما بيجكر فنا  
 عين الحسود بالعمى  
 ياهز ازين الخراب  
 أمرت ما بيجكر خراب  
 عين الحسود في القراب  
 وكلما قالت كلاماً قالت قبل لن تقول غيره:

هي باني هي باني  
 وبتين حسن البان  
 لما هذا الكلام لا يعنى شيئاً بالحقيقة، وكنت مرة جئت الى عرس فتعرضت لى  
 امرأة وقالت:

الشرف جاي من المسيل<sup>(٢)</sup>

الكتاب في إيد

ومن قبل بيب

البرقد عيل<sup>(٣)</sup>

وكنت لحفظ من كلامين كثيراً نسيتهم.

<sup>(١)</sup> أمرت: لغة اليمن بالعامية، بمعنى كنت.

<sup>(٢)</sup> المسيل: هو الخلوة التي يقرأ فيها القرآن.

<sup>(٣)</sup> وهذا الخط كتابة من الشجاعة التي تمنع لها التمدوح لأن البرقد من القمل القذرة والتي ليس من السهل أن يراها وأسر ومخاط.



فيخرج أصحاب العرس ويتلقون القادمين، وفي كل طائفة يأتي رجال ونساء فيجعلون كل طائفة في محل، ويأتون لهم بالأطعمة والأشربة على حسب مقامهم، فمنهم من يأتونهم بالعصائد والمزر المسمى بالسبوزة، واللحم السليق والمشوى، ومنهم من يأتون له بالفطير والشراب الأحمر الذي كالنبيذ وتسمى عندهم بأم بئيل، وإن حضرهم جماعة من الفقهاء، أتوهم بالعصائد واللحوم وبالسوييا، وتسمى عندهم: نزايا، ثم يقبلون في أماكنهم حتى يبرد الحر ويعظم اللفى.

فتخرج الشابات من النساء مقزينات، والشباب من الرجال في أكمل زينة يتدرون عليها، وتصطف النساء صفوفاً صفوفاً، وكل (صف) من النساء يقبله صف من الشباب، وتخرج النساء اللاتي معهن الطبول فيضربن ويقفن من كلامهن، فيبرز صف من صفوف النساء، يمشين<sup>(١)</sup> هوناً ويرقصن بأكتافهن ويتقاصرن إلى الأرض، حتى يصلن إلى صف الرجال، فكل شابة تعد شابة حتى تضع وجهها في وجهه وتهز رأسها نحوه حتى تضربه بصفاتها في وجهه وصفاتها إذ ذاك مدهونة بالعطيب وأنواع ما يعرفونه من العطر فيبهج الشاب ويهز حربته على رأسها، ثم تلت راجعة فيتبعها حتى مكثها<sup>(٢)</sup> الأول، فيقف فيه الرجل وترجع هي القهقري حتى تصل إلى المحل الذي كان واقفاً فيه الرجل، فحينئذ من يتأمل يجد صف النساء ثبت في مكان صف الرجال وبالعكس، وإذا كان هناك بعض شبان لم يدخلوا في الصف، وأحدى الصبيات تريد أن يقابلها واحد منهم تألفه تخرج من الصف وتذهب إليه راقصة حتى تكب شعرها على أنفه فيبهج ويصيح ويهز حربته ويخرج وراءها، وإن لم يخرج كان ملوماً، وعليه وليمة للخروجة له. وبعد أن ثبت كل صف في مكان الآخر، تخرج النساء راقصات والرجال راقصين وكل<sup>٣</sup> منهم مقابل للآخر، وكل شابة مقابلة لشاب حتى يتلاقى الصفتان في وسط المجال، وكل شابة تكب رأسها في صدر ووجه الشاب المقابل لها، والشاب يهز حربته على رأسها ويصيح صياح الفرح، وهذا الصياح عندهم يسمى:

<sup>(١)</sup> في الأصل "يمشون"

<sup>(٢)</sup> في الأصل "من لا مكثها"

الرقصة، وكل من النساء والرجال مثل مما شرب، ولا يزالون هكذا حتى يأتي الليل، فترجع كل طائفة الى مقرها ويؤتى لها بالأطعمة والأشربة.

وهذا لا يخطر ببالك انه ليس عندهم رقص الا هذا النوع وهو المسمى برقص اللوكة، وهناك رقص آخر يسمى بالجيل، وآخر يسمى: النقي، وآخر يسمى شكندري، وهناك رقص آخر للعبيد والاماء يسمى: توزي، ورقص الفور يسمى تندنجة، وهناك رقص آخر للعبيد والاماء يسمى بننله.

وفي الأعراس كل أناس يرقصون نوعاً من هذه الأنواع فالنساء الجميلات بذات الأكابر يرقصن مع أمثلهن من الشبان على اللوكة، وأوامط النساء مع أمثلهن من الشبان يرقصن الجيل، ومن دونهن يرقصن اللينجي.

فلما رقص الجيل فتقابل فيه النساء مع الرجال يرقصن بأكتافهن ويضربن بأرجلهن اليمنى على الأرض، والرجال كذلك، لكن في كل حلقة هناك نساء يغنين والناس ترقص على غنائهن.

وفي رقص اللنجي: بعض النساء يغنين والشابات والشبان يضربون بأرجلهم الأرض ويرقص كل منهم بأرجليه اليمنى واليسرى، لكن الشبان يكرون كيراً<sup>(١)</sup> معروفاً لهم (ولما الشكندري<sup>(٢)</sup>): فيجتمع الشبان والشابات وكل رجل يأخذ شابة أمامه وتتحنى هي ويمسك خصرها بيديه، حتى يكونوا كلهم كدائرة متصلة أعني: الأنثى تضع يديها على حقوى الذكر الذي هو أمامها، والذكر يضع يديه على حقوى الأنثى التي أمامه وكلهم منحنون حتى يكونوا كدائرة تامة، ويمشون رويداً رويداً مع ضرب أرجلهم في الأرض لأجل رنين خلا خيلهن والبنات اللاتي يغنين خارجات عن الحلقة.

ولما البننلة: فهي من أنواع رقص العبيد وهو أن العبد يأتي بالنار جيل المسمى عندهم بالنليب ويتقبه وهو أكر<sup>(٣)</sup> مثل كرة المدفع، وينظم منه ثلاثاً أو أربعاً فسي خيط، ويربطها في رجله اليمنى كالخلخال، وكل عبد يفعل ذلك، وتقف جارية من

<sup>(١)</sup> الذكر المتعود على: هو اعراج الصوت من الحرة على لسان موهلة.

<sup>(٢)</sup> من ملة (ولما الشكندري...) وسن كلمة العبد في الصلاة (التي سلف من العبد).

<sup>(٣)</sup> وهو أكر أي يلقه وهو في كورة ان يكثر لومعه.



الجوارى خلفه، ويكونون كدائرة ولهم كرير مخصوص فيخرج العبد منهم لأخر  
 في وسط الدائرة، ويتحاول معه في اللعب وهذا اللعب مبنى على القوة وخفة  
 الجسم، كما يلعب البيلاوان، فبعد أن يتحاولا ملياً يضرب أحدهما صاحبه برجله  
 التي فيها النارجيل فلا يخلو أما أن يوقعه في الأرض أو لا، فالماهر هو الذي إن  
 ضرب صاحبه أوقعه والباقي يرقصون رقصاً لا تكسر فيه، وكلهم يريدون على  
 المغنيات وهذه المغنيات خارجات عن الحلقة.

ولما التوزى: فهو أن عبداً من العبيد يضرب على طبل كبير والنساء والرجال  
 حوله حلقة وكل رجل واضع يديه على حقوى امرأة وكل امرأة واضعة يديها على  
 حقوى رجل، لكن مع الانتصاب والاعتدال، لامع الانحناء، ويمشون رويداً والنساء  
 يضربن أرجلهن ببعضها لترن الخلاخيل التي في أرجلهن ومشيهم كلهم في الدائرة  
 على نظم نقرات الطبل، ويكونون أيضاً كدائرة والمغنيات خارج الحلقة.

ولما التنديجا: فهي لعب البرق والقفور<sup>(١)</sup> وهو أشبه بالتوزى ولما انفرق  
 بينهما في كون أن التوزى يمشون فيه رويداً والتنديجا بحركات عنيفة.  
 وبالحقيقة العبارة لا تفي بذلك لأن المشاهدة شيء آخر، فربما يرى المشاهد  
 شيئاً لا يمكن التعبير عنه) ولكل رقص من الأرقاص غناء مخصوص، فاما غناء  
 الجيل فمنه قولين:

يُوبَانِي مِي يُوْبَانِي

الليل يوبى<sup>(٢)</sup> يا المقتال<sup>(٣)</sup>

أنا راسى انداس<sup>(٤)</sup>

الليل يوبى يا المقتال

أنا راسى انداس

<sup>(١)</sup> قيل في ذكر المؤلف أن هذا الرقص هو رقص القور ولم يذكر القور معهم. لا سيما وأن ألعاب القور تختلف اختلافاً عن ألعاب القور.

<sup>(٢)</sup> القتال يوبى، عبارة تعال على مساعدة المحارب.

<sup>(٣)</sup> القتال المتصور به هو المحارب.

<sup>(٤)</sup> أنا راسى انداس بمعنى قد أصاب راسى القور من شدة الهيام والمقتال في عالم المحارب.

وهذه الكلمات: يوباني هي يوبتين\* لاتعنى شيئاً لكن واحدة منهن تتشد وتقول:  
الليل بوبي يا المتقال\* فتقول النساء الاخر\* انا راسي اندلر\* ومنه قولهن:

الليل بوبي

دارفور جفت<sup>(١)</sup>

انا راسي نوي<sup>(٢)</sup>

ومنه قولهن:

فريج الحانية<sup>(٣)</sup>

سينر الجانية<sup>(٤)</sup>

ويغرما الصنل<sup>(٥)</sup>

في يوتاقا مرندل<sup>(٦)</sup>

ولما غناه اللنجي فمنه قولهن:

يا عيال جيو المال فيض<sup>(٧)</sup>

دللمنج ودبتي

صرا دمرز الخيل في كرو

فيض دلومنج ودبتي

<sup>(١)</sup> أي ان دارفور أصبحت حافة أي طاردة نظراً لعدم تعاطف الحبب معها.

<sup>(٢)</sup> راسي نوي\* أي طغيت العزم والنية على معارضة دارفور بخفاء الاحباب فيها.

<sup>(٣)</sup> فريج، نعيم فريج، والحانية أي الشجن وهو تلبية الحبب بالحبس القصر لظلمة شياه وحسن مشهده

<sup>(٤)</sup> سينر الحانية: أي سب لما الطون

<sup>(٥)</sup> فريج الصنل.. وهو تلبية للمحسوب بالربح فسر الصنل لطلب معشره

<sup>(٦)</sup> ونغل... أي الحق اعترفاً وحناً للشحوب.

<sup>(٧)</sup> صرا دمرز الخيل في كرو... أي دمر الخيل بالثورة والتمرد والحرب كما فعل دلمنج وه مية: وهو من الامورة مية من السلطان والسدي

طلب الاذن من السلطان محمد فضل بالامارة على قتال العرب فطلب الترفيل الى غربه فطلب فطلب فطلب هذه الامة مدحياً له

ينظر: Voyage zu Wadzy.P.430



ولما غناء التتدنجبا عند الثور فمئة قولهن:

باسي طامر دقلا<sup>(١)</sup>

بي لبا ودعجج أبا<sup>(٢)</sup>

كتاب مصحف كج حلفين فيا<sup>(٣)</sup>

ترعدي كبي رولا<sup>(٤)</sup>

تاييجا مدني صتل جواجبي<sup>(٥)</sup>

ولو تتبعنا غناء أنواع الرقص لطاق الحال.

فبعد أن يأكلوا ويشربوا يزفون العروس بالثلوكة ويلفون بها حول البلد،  
ويأتون بها للمحل الذي أعد للدخول عليها فيه، ثم بعد العشاء بكثير يجتمع<sup>(٦)</sup>  
الشبان ويأخذون العريس ويذفونه بالغناء والرققة حتى يأتوا به<sup>(٧)</sup> إلى المحل  
المعلوم، فيجلسون خارجه، وحينئذ جميع الشابات مجتمعة مع العروس والشباب  
مجموعون عند العريس، وقد استوزر العريس أعز إخوانه لأنه حينئذ كالسلطان،  
واستوزرت العروس امرأة وسموها: ميرم فبعد أن يجلس الرجال مع عريسهم  
يطلبون الميرم، فلا تخرج لهم إلا بعد نحو<sup>(٨)</sup> ساعتين، فيتقدم لها الوزير ويسلم  
عليها بلطف ويلتصم منها حضور العروس فتقول لهم: من أنتم ومن أين جئتم،  
وما هي العروس التي تريدون؟ فيقول الوزير: أما نحن فضيوف وقد جئنا من بلاد  
بعيدة ونريد الملكة نؤانس ضيوفها، فتقول له: أما الملكة مشغولة بشغل عظيم، وها

<sup>(١)</sup> باسي بمعنى لواء، ودقلا، بمعنى لولاء.

<sup>(٢)</sup> بي لبا ودعجج أبا... بمعنى أنت الاب ومالك لولاءك.

<sup>(٣)</sup> كتاب مصحف نسخ حلفين فلا أي التستنت وت ولولاءك على المصنف.

<sup>(٤)</sup> ترعدي كبي رولا... أي كسلطمة بلدة كوية وتعلم عتيا.

<sup>(٥)</sup> تاييجا صتل جواجبي... تاييجا أي تقدم ومدو بمعنى حيلة وصلح فتح لومك وجوا أي لياورج وحى حلفين والحق صوما

جوا أنكم بالولاد الأمر طامر... قد حلفتم القسم لكم وأوكم الامور بصلحكم وحى وأنكم حتم الامور وتعلم بصلحكم مدية كوية

وتعلمكم على... طامر... Voyage: P.233,234,431

<sup>(٦)</sup> في الأصل لمجتمع الشبان.

<sup>(٧)</sup> في الأصل... بالون... به...

<sup>(٨)</sup> من هنا... كلمة "ساعتين" وحق منقولة في الرسل في المصنف القليلة سطر من المصنف.

لنا وكيبتها في ضيافتكم وقرانكم<sup>(١)</sup> وما يلزم لكم، فيقول نحن نعلم أن فيك البركة والكفاية، لكن لنا معها كلام لا يمكن إشاؤه لغيرها فنقول له: إذا كان كذلك فماذا للملكة؟ وماذا لي؟ لأن عانتها لا تبرز من حجابها، ولا تأتي لطلابها إلا بجعل فيقول: لها المال والأرواح وكل ما طلبته.

فلا يزال يحاولها وتحاوله حتى يتراضيا وهذا كله والعروسة قريبة منهم وراء ستارة لكنها لا تتكلم بشيء، والعريس أيضاً ساكت كذلك، والمحاورة بين الاثنين، فإذا وقع التراضي رفعت الستارة فتخرج العروس فيقول الوزير: أما الملكة فللملك وماذا لنا نحن؟ فتتأذى الميرم للبنات التي مع العروس فيحضرن وتقول لهن: أيتها البنات أريد منكن في هذه الليلة أن تؤانسن أضياف الملكة فيقتن لها: حياً وكرامة (وحيثما تتقدم الميرم) وهي تعلم كل صبية ومحبوها فتقول: يا فلانة كوني مع فلان، وأنت يا فلانة كوني مع فلان، وهكذا حتى لا تبقى إلا التي لا محبوب لها، أو التي لا محبوبه لها، فيأخذ كل شاب محبوبته ويبعث معها، وأن سمعهم المحل الذي هم فيه.

وصورة ذلك أن يبست العريس وعروسه، والميرم والوزير، وكل زوجين معاً صفاً أو صفين على حسب سعة الموضع، وإن لم يسع للموضع جميعهم بقي من وسعه المحل مع العروسين، وذهب الباقي، وكل شاب منهم يأخذ محبوبته، ويتوجه بها إلى بيتها أو إلى بيت بعض أحبائها، ولا يذهب بها إلى بيته، لأنها لا ترضى ذلك، لأن عانتهم إن الشاب متى أحب صبية وعلمت أمها بذلك، لا تقبله أبداً ولا يقابلها، وإذا رآته في طريق ولم تر لها مخلصاً منه بركت في الأرض وسكنت ثوبها على رأسها ووجهها حتى يمر وهو كذلك بفعل، يعني: إن راها وعرفها يرجع على عقبه هارباً إن أمكنه ذلك، والا لدار وجهه لنحو حائط أو شجرة حتى تمر، ثم يرسل لها السلام إن كان معه أحد، وكذلك هي تفعل بعد مروره، وإن لم يكن معه أحد ترسل له السلام إن كان معها أحد، وهذا كله عندهم من نوع الحياء والتعظيم. وعندهم أهل الزوجة محترمون فأمها كأمه بل أشد احتراماً، وأبوها كأبيه بل أشد، وإخوتها كإخوته، وهي مثله في ذلك إذا رأت له ولباه فرت، وسلكت

<sup>(١)</sup> وقرانكم من القرى ومر إتمام الحديث.



طريقاً غير طريقهما، وترسل السلام إليه أو يرسل إليها ولا تواجه منهما أحداً وتعتبر أباء كإبيها وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل) ولذلك تذهب مع محبوبها إلى محل آخر ولا ترضى أن تذهب معه إلى بيته، بل إن ضاقت الأماكن بكثرة الناس وليس هناك دار سوى دار أبيه لا تذهب معه إليها، بل يذهبان إلى الخلاء ويبيطان فيه.

ولما دار أبيها من حيث أن لها محلاً يُغذّ لذلك، فبييت معها فيه من أرادت ولا يراها أبواها فإن الرجل يذهب معها إليه ويخرج عند الفجر، وأمسها وأبوها نائمان، فلا يراه أحد منهما.

ولنرجع إلى ما نحن بصدد، فنقول: ثم يبيتون تلك الليلة فإذا أصبح الصباح قامت كل صبية وتوجهت إلى بيت أبيها فتصلح شأنها، أعنى: أنها تغسل وجهها وأطرافها بل ربما اغتمست، ثم تتطيب وتكحل وتجدد زينتها، وكذلك العروس تدخل عند أمها فتصلح شأنها، وكذا الرجال يذهبون إلى ديارهم إن كانت قريبة، فإن كانت بعيدة كانوا من بلد أخرى يذهب كل منهم إلى دار صاحب له، فيصلح شأنه هناك، وكذلك النساء إن كانت المرأة من بلد أخرى تذهب إلى دار صبية لها، تصلح شأنها فيها، لأن الشابات اللاتي حضرن للعرس مع كل شابة منهن كحليها وعطرها وما تحتاج إليه، فتصلح شأنها ويجلسن حتى يقرب الضحى، فتأتى العيرم إلى محل الزفاف والعريس غائب عنه، أعنى عند قيامه لاصلاح شأنه هو الآخر فتقمه<sup>(١)</sup> وتنظفه وتقرشه وتهيئ مجالسه: هي وبعض صواحبها فيأتى العريس فيجده نظيفاً فيجلس هو ووزيره وتقبل عليه الشبان فيجلسون معه. ثم أصحاب العرس بالخيار، إن شاموا جعلوا السبعة أيام كلها بالرقص والفلوكة، وإن شاموا اقتصروا على يوم واحد، فإن ظهر اقتصارهم جلس الضيوف إلى وقت الغداء، وبعد تناولهم الطعام رجع كل منهم إلى بلده، ولم يبق إلا أهل البلد الذي هم فيه، وإن لم يروا الاقتصار وعلموا أن أصحاب العرس يريدون أن يمتد عرسهم إلى السبعة أيام أقاموا، ويظهر ذلك بتجدد الزبائح وعصر الخمر والتبوير<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> وقدمه... أي تكفه وتناحل له، (العروس)

<sup>(٢)</sup> والاصل "بوالهوى".

## تنبية:

اعلم أن أهل كل بلد من البلاد الذين دعوا إلى مثل هذه الوليمة يأتون إما ببقرتين أو ثورين أو ثور أو بقرة أو بشيأ إعانة لصاحب الوليمة وإن كان لهم أقارب خارجين عن بلدتهم ودعوا، يأتون بأثوار أو بقر غير ما يأتي به أهل بلدتهم إعانة، ثم يمكثون نهارهم كله في لعب وضحك وإشراح وأكل وشرب وطيب محادثة إلى العصر، فتعزب العلبول التي هي الدلوكت، ويفعلون مثل ما فعلوا في اليوم السابق حتى الليل، فيأتيهم الطعام والشراب، وبعد فراغهم من ذلك يجتمعون رجالاً ونساء في محل الزفاف فيتحدثون حتى إلى منتصف الليل، ثم يأخذ كل شاب حبيبته ويبيت معها حيث باتا لسهما، ويبقون على ذلك المدة المذكورة.

وإذا أعوز الأمر إلى الذباح بأن كان ما أعد للذبح لم يكف من حضر، خرج أبو العروس أو أخوها أو أحد أقاربها إلى المرعى فكل ما وجد من البقر أمامه عقر منها ثوراً أو ثورين أو بقرة أو شيأها، وبعد العقر يرسل الجزارين فيذهبون العقير، ويأتون بلحمه إلى الضيوف، وهكذا فإذا بلغ الخبر صاحب البقر فلا يخلو، لما أن يطلب الثمن فيرضونه أو يسكت حتى يبقى له عرس أو لأحد أقاربه، فيعقر هو الآخر ما يريد من بقر من عقر بقره، ودقة بدقة.

ولذلك إذا عمل عرس تخاف أرباب المواشي من العقر فيأمرون رعيهم أن يبعثوا بها في الخلاء لأنهم لا يعقرون إلا من الأموال القريبة المرعى وهذه سنة جارية فيهم.

وفي تلك المدة تكون العروس كالمملكة وصواحباتها معها في لعب وإشراح والعريس كذلك.

ومن عادتهم: أن العريس لا يفتض عروسه الأبعد السبعة أيام، مع أنهما بيتان متعاقبين لاحائل بينهما، ويجعلون ذلك كرامة لها، ولأبويها لأنهم يقولون الليلة الأولى في كرامة أبيها، والثانية في كرامة أمها، والثالثة في كرامة أخيها إن كان لها أخ أو اختها وهكذا حتى تتم السبعة أيام، ومن استعجل وفض قبل تمام ذلك غيبا عليه وقالوا: قد استعجل ولكن من المحال أن يفتضها قبل ثلاث ليال.



## عجيبته:

من عوائدهم: أن المرأة لا تأكل أمام زوجها ولا غيره من الرجال. وإذا دخل زوجها وهي تأكل قامت وفرت، وهذا عندهم من أكمل الحياء، ويقبحون على المرأة التي تأكل أمام الرجل، وحين كنت هناك ورأيت ذلك قلت لهم: تستحي من الأكل مع الرجل ولا تستحي من النوم معه، وأنه يدخل بين شعبها ويولج فيها، ويرى فرجها وما هي عليه؟ قالوا: ذلك لا ضرر فيه، وأما أن تفتح فاما وتتدخل فيه العلمام أمام الرجل فهذا شيء قبيح، انتهى.

ومن عاداتهم أن الرجل لا يأخذ عروسه ويبني بها في بيته بل في بيت أمها وأبيها ولا يخرج معه حتى تلد ولدين أو ثلاثة، فإن طلبها للنقلة معه قبل ذلك أبت عليه وربما وقع الطلاق بينهما بسبب ذلك.

ومن عاداتهم: أنها لا تذكر اسمه على لسانها أبداً، بل دائماً تقول قال لي كذا وكذا فإذا سئلت: من الذي قال؟ تقول: هو حتى يولد لهما فتى ولد لهما قالت: أبو فلان أو أبو فلانة باسم من يولد، إن كان ذكراً أو أنثى.

ومن عاداتهم: أن الرجل لا ينفق على المرأة بعد الزفاف إلا بعد سنة، فإن جاء بشيء قبل السنة، جاء به على سبيل الهدية، مع أنه لا يأكل إلا أعز مما يأكلون، فيمكن أنهم طبخوا شيئاً قبيحاً لهم من المأكول الرديئة وينبحون له دجاجاً أو حماماً أو لحماً.

ومن عوائدهم: أن الرجل مدة ما هو في بيت أبي زوجته يصنعون له طعاماً جميلاً جداً غير العشاء يتناوله بالليل إما مرة أو مرتين أو ثلاث، ويسمون الأول بلغة الفور جرى جرانج، والثاني: تارنجا جيسو، والثالث: صبح جلو، ومرادهم بذلك تقويته على الجماع، وأما اسمه بلغتهم العربية ورانية، وأكثر الأغنياء يأكلون بعد أكلهم العشاء لأنهم ربما جاءهم ضيف، فلم يتمكن من الشبع، لحياته من الضيف أو كان العشاء غير جيد، فلا بد له من ورانية.

ومعنى قولهم: جرى جرائج: اتزع لتقيص، فان جرى معناه تقيص  
وجرائج معناه: اتزع وتلرنجا جييسو معناه: مسك الرجل، فان تلرنجا معناه: رجل،  
وجييسو معناه مسك وصبح جلو معناه طلوع الفجر.

وأما الوريانية: فهي عربية منسوبة لوراء ضد الأمام، لأنه يأكلها وراء  
العشاء، ولهذا تجد بعض الناس إذا كان عنده من يعز عليه من الإخوان، وحضر  
العشاء معه وأراد أن يقوم يمنعه حتى ينفذ المجلس ثم يدعو خادمه ويقول: هل  
من شيء يؤكل فيأتيه الخادم بالوريانية، فيأكلان معاً، وهذا لا يفعل إلا مع أعز  
الأصدقاء، وهذه الوريانية تنفع أحياناً للضيف المفاجيء بالليل الداجي، وهذا كله إن  
كان عرساً.

فإن كان ختناً فعلوا ما ذكرناه من استحضار الأطعمة والتمزير وأم يلبيل  
والدينزايا ودعوا الناس، ورقصوا على الدلايك وزفوا المظاهر<sup>(١)</sup> وجاء المزيين  
فختته وأبوه واقف، فإن بكى المظاهر نفر أهله منه وتركوه ومضوا، وإن صبر  
حتى الختن ولم يبك قال أبوه: اشهدوا يا أهل المجلس إني أعطيت ولدي بقرة أو  
ثوراً أو عبداً أو أمة مديقر عليه، وقالت أمه كنك وكل من حضر من أهله يهدي  
له شيئاً، فإن كان أهله أغنياء ناله فيهم شيء كثير، فيصير غنياً، وذلك كله بحسب  
غناء أهله وفقرهم، ثم يجتمع لثرايه في ثالث يوم الطهور ويأخذون المسفاريك<sup>(٢)</sup>  
ويجوسون خلال البلد يضربون الدجاج فيقتلون دجاجاً كثيراً، وفي رابع يوم التي  
اليوم السابع يذهبون إلى البلاد المجاورة لهم، فلا يرون حاجة الاقتلوها وكل يوم  
يتوجهوا لبلد يقتلون دجاجها وأصحاب الدجاج لا يرون بذلك بأساً.

وإن كان خفاضاً فعلوا فيه كل ما ذكرناه إلا الدجاج فلا يقتلونه، والخفاض  
لا يتغالون فيه كالختان، وما ذكرناه يعلم الوائف على رحلتنا أننا استقصينا جميع  
ذلك لتام الفائدة وحسن العائدة.

<sup>(١)</sup> المظاهر: أو المظهر: هو المهنود.

<sup>(٢)</sup> المسفاريك: جمع سفرك وهو عبارة عن ملاح يطلع من الفجر كسائر العرب.



واعلم أن أهل دارفور لا يستقلون بشيء من أمورهم بدون النساء بل تسهين  
بشاركتهن<sup>(١)</sup> في جميع أحوالهم، إلا في الحروب العظيمة، ولذلك فإن عرساً لا يتم  
إلا بهن أو حزناً كذلك، ولولاهن ما استقام لأهل دارفور شيء، فترى النساء  
يحضرن في الأمور المهمة.

ومن ذلك: الأذكار وهي على ضربين، ضرب يفعلُه أهل البلاد المستعربين  
أعلى من ليسوا بعجم، وضرب يفعلُه أعجام الفور. فاما الأول: فهو ما كان على  
طريقة شيخ من الصوفية أو ولي من الأولياء، وعلى كل فتحضر حلقة الذكر امرأة  
تتشد لهم والنساء خلفها وقوف لا يتكلمن، بل ينظرون أزواجهن وأقاربهن ليعلن  
أيهم أحسن ذكراً، وقد ينشد رجل والنساء يسمعن كبتية الرجال.

ومن ذلك ما وقع لن تلميذ الشيخ دفع الله حضر حلقة ذكر تلاميذ الشيخ  
يعقوب وبين تلاميذ الشيخين معاندة، فلما حصى الذكر أراد أحد تلاميذ الشيخ يعقوب  
أن ينكت على تلميذ الشيخ دفع الله قال:

الماعندي شيخاً فر اجاباً<sup>(٢)</sup>

لا يدخل حرقه ونشاباً<sup>(٣)</sup>

الماعندي شيخ مهيب

لا يدخل حلقة يعقوب

<sup>(١)</sup> في الأصل... تشاركتهن.

<sup>(٢)</sup> لم يأت... أي مبارك بحسب قوله...

<sup>(٣)</sup> لا يدخل حرقه ونشاباً... أي لا يرض عنه للمعظم...

فسمع تلميذ الشيخ دفع الله وعلم أنه عناء بذلك فقال:-

ندخل وفرق معاني

بالبينة والعمل الصالح

دفع الله فوقى طوائفي<sup>(١)</sup>

نلاحظ:

حضرت امرأة في حلقة ذكر والنسب:-

فصلى ليكم من ستة دواني

وأنا عزبتني طر فاني

يلتقرا ما ليكم زاني

فسمعها الذاكرون وكان فيهم شاب فهم اتبعني وكان يقول: الله، فصار يقول: أنا  
زاني أنا زاني<sup>(٢)</sup>

ولما أعجم الفور فيقتنون في الذكر صفين أو حلقة، وكل منهم خلفه صبية والنساء  
ينشدن وهم ينكرون ونكرهم كرير، فمن انشادهن قولهن:

كرو كرو بي عالماًنا

صح ليج كوي جنة

صح ليج كوي

<sup>(١)</sup> يعني: لم يدخل حلقة الشيخ بنفوس وخرج منها مائتي ودان حصل منها أطباء وأعمالاً أمثالها وحصل راحة الشيخ دفع الله.

<sup>(٢)</sup> على مختلفا كتاب تشييد الأسماء على هذه المرأة فقولها: دفع من هذه المرأة أن التوسى كان يهبط أحياناً إلى مستوى لاقحة له في أحوال رحمة العظمة ولا يستطيع اللذان أن يحيا لنفسه لانهما لها شوع من التواضع والثناء ومع هذا فإن الاعتداء الواردة في هذه الشارة لم تكن مستغرب من طبع بعض بن الناس لو من طبعه، وهذا ما ذكرناه أحياناً من أن التوسى كان شيئاً مرتفعاً في كنهه وحسنه هذه وهذا المثل له مجموعة من الشباب منه والذين يملكون إلى مثل هذا النوع من الأحوال الخلفية.



ومعنى ذلك: كَرُّوْ معناها شجرة وكَرُّوْ معناها: خضراء وعالمنا نما معناها ظلل العلماء. وصح لنج كوبي جنة، صح لنج كوبي: صحيح نمشي الى الجنة صحيح نمشي الى الجنة.

ومعناه ان الشجرة للخضراء ظل العلماء ونحن ندخل الجنة حقاً ندخل الجنة حقاً. ومنه قولهن:

جبرائيل ميكائيل  
كل سب ملكا الجنة

ومعناه:

جبرائيل وميكائيل كل حسنة يملك بها الانسان الجنة. ومنه قولهن:

لله قويا<sup>(١)</sup> الله  
شهر رمضان الله اندى  
كالنار فية

ومعناه:

لله يا أماء الله، شهر رمضان دواء الله فقرحوا به ومثل هذا كثير لو تتبعناه لخرجنا الى الاسهاب وجلبنا الملك لأولى الابواب، وفيما ذكرناه كذابة لكن من حيث اننا تكلمنا في التزويج وما يتعلق به، عن لنا لنا ننكر نبذة في حجاب النساء وهم المسمون في مصر بالطواشية وبأغوات الحريم، وبالتركية مزلر أغاثر، لانهم امناء على الحريم.

### الفصل الثالث عشر

#### في الخصيان المعروفين في مصر بالطواشيت

لما كان الحق سبحانه وتعالى غيوراً على عباده ومحرماً منتهكاً ممن تعدى حدوده بارتكاب مائمه، وكانت الغيرة وصفاً من أوصافه، ولذا حرم الظلم على نفسه وخلافه، جعل الغيرة ركيزة في طباع بني آدم من زمن سلف وتقدم، وأول من غار قابيل على أخته إقنينا لما أمر أن يزوجه من هابيل ويزوجه من أخته زميما، كما ورد بنص القرآن<sup>(١)</sup> بل توجد الغيرة في غير بني آدم من الحيوانات فيغير<sup>(٢)</sup> الحيوان على أنثاه، وتحصل المعاركات سيما والنساء لكثير شبقاً وعلمة ولا مروءة تمنعهن ولاهمة، وكان بعض النساء بلغ من الغيرة أعلاها ولزقي التي منتهاهما حتى إن بعضهم يغار على محبوبه من عيون النرجس إن رآه كما قال الشاعر من الكامل:

غضى جنونك يا عيون النرجس      منك استحييت بأن اقبل مؤنس

ثم الحيب قد بليت وجنانه      وعيونك كن شواخص لم تقس

وبالغ بعضهم حتى أنه غار على المحبوب من نفسه ومن الزمان والمكان كما قال الشاعر:-

اغار عليك من عيني ومنى      ومنك ومن مكانك والزمان

ولو أنى وضعك في جنوني      إلى يوم القيامة ما كانى

(١) والى عليهم ما أمر بالحق له فرأى ما كان فعل من أحدهما ولم يقل من الآخر قال لاقلك قال أيا بطل الله من الظن، كسر بسطت قل جنة لظني ما أيا بطل يدي لك لاقلك إن أحسن الله رب العالمين، إن لربك أن نوء بالهي وأنت تكون من المحسن  
الار وذلك حراء الظن، فطوت له لمة قل أمة طلة فصيح من الحار من سورة النعمة الآيات ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩.

(٢) وهو الأصل يغار من غار واستعمل الخراف صيغاً يغار الصبيح اللسان والحيوان وهو ولعه بذلك وبه التفرقة بين غيرة الإنسان وغيرة الحيوان.



ومثل قوله من الوافر:-

فلو أمسى على ثلثي مصرأ      لقلت معذبى بالله زلنى  
ولا تسمح بوصولك لى فانى      اغار عليك منك فكيف منى

وارتقى بعضهم الى أعلى المبالغة فغار من الضمير حيث قال:-

اغار عليك من ضميرى فياله      هو رانى حتى اتهمت جوارى

فتحيل الناس في حراسة الحريم، لما عندهم من داء الغيرة المتعددة المقيم فما راوا أحسن من حراسة انسان يكون مقطوع أعضاء<sup>(١)</sup> التناسل وهو الذى تطمئن اليه النفوس فى العاجل والأجل، وأكثر الناس احتياجاً لذلك الملوك والأمراء، لأن كل واحد منهم يجمع ماكثر عليه منهم بلامراء، ولما كانت ملوك السودان أكثر الناس للنساء جمعاً وإبذلهم فى ذلك وسعاً، وكان يوجد عند الملوك من الخصيان عدد كثير وجم غفير فيوجد عند سلطان الفور نحو الألف أو الأكثر وعليهم ملوك منهم، وهم له كالصكر وهو الذى يرتب فى بيت السلطان مايلزم منهم للحراسة، ويبقى عندهم مازك على احتياجه الى وقت الحاجة، ومع ذلك فلم يفسد دارفور مقام ومقام، وحال لايمائله حال حتى أن لهم هناك منصبين جليلين لايتولاهما غير خصى، أحدهما منصب الابوة<sup>(٢)</sup> والثانى منصب الباب واقول:

إن منصب الباب غير مختص بدارفور بل فى تونس وفى البسطنطينية كذلك.

فكثرة:-

مماوقع من عتوهم وتجبرهم أنه اجتمع بعض أمراء الفور فى محل للنشراح ونزهة وانبساط، وكان فيهم خصى فجعلوا يأكلون ويشربون والخصى كواحد (منهم) فاتفق أن واحداً منهم معه منديل من حرير، فأبرزه فى المجلس وقتل: هل تعلمون فى أى شيء يصلح<sup>(٣)</sup> هذا المنديل؟ فقال أحدهم هو يصلح لمسح العرق

<sup>(١)</sup> فى الأصل: أعضاء.

<sup>(٢)</sup> منصب الابوة هو منصب الأب الفصح، ولد من حرمة أو ثأراً من الكفار.

<sup>(٣)</sup> فى الأصل: .. لك يصلح.

وقال الآخر هو يصلح للتجميل، والزينة، وقال آخر هو يصلح لأن يجمل على صدر انثى جميلة، وطلق كل واحد منهم يقول ما بدا له، وصاحب المنديل يقول: لا، ولما أعياهم امرء قيل له: قل لنا أنت في ماذا يصلح، فقال: هذا يصلح للمسح بعد الجماع، فاستحبوا قوله وسكتوا، فما راعهم ألا أن قام الخصي من بينهم صالماً سيفه يروم قتل صاحب المنديل وقال (له): (الك) تعرض بي بأنى مقطوع ولا بد من قتلك، فقاموا إليه وتطفوا به وهو لا يرجع عن قوله حتى أرضوه بخيولهم كلها، وكان الخصي حليفاً لابن السلطان تيراب والذين اسلفنا ذكرهما<sup>(١)</sup>

وبلغ من عتوهم لن الشيخ محمد أوردكا كان في أيام السلطان تيراب في منصب الأبوة ومن عادة الأب أن يتوجه لبلاده ومحل حكمه في كل سنة في فصل الربيع ويجمع أهل البلاد في يوم واحد ويعرض الرجال ويرى العساكر، فاتفق أنه جمعهم في يوم شديد الحر في رحبة واسعة أمام داره ولم يخرج لهم حتى قالت القائلة<sup>(٢)</sup>، فخرج في أبيته راكباً جواده والمبيد يظللونه من حر الشمس ويجلبون له الهواء بالمراوح، وخرج العسكر وصفوا الناس صفوفاً كدائرة وهو واقف ينظر إليهم<sup>(٣)</sup>، وقد اشتد الحر ولما الناس بالجنى على ركوبهم<sup>(٤)</sup>، وسلاحهم ودرقهم في أيديهم، فكان الإنسان منهم لا يستطيع الجنى لشدة حرة الرمضاء، ومسأل العرق وكثر القلق، ومكث ملياً لا يأمر بأمر، ولا ينهى عن شيء، وعطش الناس وأخذ منهم حر الشمس أكبر مأخذ وهم صابرون على ما قضى الله عليهم حتى مات بعضهم من العطش، ولما رأى قلق العالم وتحيرهم أعجبه، وضحك وقال بلسان الفور تو يوماً عبوساً قهظيراً<sup>(٥)</sup>، وكررها مرتين أو ثلاثاً، وكان العالم مجتمع في تلك الجلدكا<sup>(٦)</sup> ماينوف عن عشرين ألفاً، وكان فيهم رجل صالح يقال له الشيخ حسن الكو<sup>(٧)</sup> فبرز له وقال: أسكت يا كافر ثلاثاً، فأخذه الرعب من الشيخ المذكور، وولى

(١) مثل ذكرهما في كتاب تنمية الأدب.

(٢) قالت القائلة: أي نصف النهار والشدت حرارة الشمس.

(٣) في الأصل: "واقف بمظهرهم".

(٤) هكذا في الأصل: "والصواب على ركوبهم".

(٥) قصد الاستهزاء بالألفاظ الكبرياء "الاف" من رثاء يومياً قهظيراً" سورة الاسراء الآية (١٠).

(٦) الجلدكا بمعنى جماعة للعرس.

(٧) الكو: شجرة دارفور نوع من الخشب الطويل، يستعمل في بناء المنازل السكنية.



هارباً ورفع الشيخ يده الى السماء وقال: اللهم ارحم عبائك، فماتم كلامه حتى ارتفع السحاب مثل الجبال ونزل المطر وتفرق الناس وكان يوماً مشهوداً.  
وسبب غضب الشيخ هو أن السلطان قد مثل نفسه بالاله، ومثل عرض الناس عليه بعرضهم للحساب، ومثل شدة حر الشمس بشدة حر يوم القيامة، ولذلك استشهد بالآية الكريمة.

## خاتمة:

حكى أن الشيخ أردكا المذكور كان قليل العقل، ومن قلة عقله أنه لما تولى منصب الأبوة أمره السلطان تيراب أن يقرأ ليتعلم القراءة والكتابة، فأحضر فقيهاً يعلمه فكتب له حروف الهجاء وصار يقرأ عليه في كل يوم، واستمر على ذلك مدة أيام ثم إنه ذات يوم طلب المصحف فجاءه به فتصفحه ونظر في السطور فرأى وأواً مفردة فعرفها وقال للفقير: إيمان وأو، أى هذه الواو، فقال الفقير نعم، فقال: قد ختمت القرآن، وأمر بذبح الذبائح وضرب الحلول وصنع وليمة عظيمة فعدت هذه من طيشه وخفة عقله.

ونرجع الى ما كنا بصدد فنقول: ومع كثرة الخصيان في دار السلطان لم يسلم من الدنس لأن النساء شياطين لا يغلبهن غالب، سيما وقد قام عندهن بدواعي كثرتهم في بيت السلطان وهن في من الشباب والراحة وحسن المأكل والملبس، فللغيرة فيهن نصيب أوفر ولما سُجن في هذا السجن عملن على دخول الرجال بكل حيلة، فمنهن من تصاحب الرجال من الخدمة الذين بالباب، ومنهن من لها عجايز يأتينها بالرجال بحيلة، وهى أن العجوز تتأمل في الفتيان حتى ترى الشاب الجميل الذى لا تبات بعرضيه فتتحيل عليه بلطف حتى تأخذه الى دارها، ومن المعلوم أن شبان السودان لا يخلقون رؤوسهم بل يوفرونها، فتشبه الوفرة لهم شعر النساء فتتحيل عليه العجوز وتجعل وفرته ضفائر كضفائر النساء، وتلبسه حلية كحليهن من عقود وتمايم ومدارع ومنجورة، وتلبسه دراعة وفردة ثوب بحيث لا يشك رائيه أنه امرأة، وتتخله دار السلطان بين نسائه فمتى ما ولج ذهب خوفها وسلمته لمن

لدخلته برسمها، فيمكث ماشاء الله أن يمكث فإن ستر الله عليه خرج كما دخل. وإن عثر عليه قُتل ولا يعثر عليه إلا بأسباب<sup>(١)</sup>

منها: أن تعلم أمره إحدى ضرائرها فتطلبه منها فتأبى هي بخلافه أو لا يرضى هو أن يذهب، فحينئذ يحملها الغيظ على أن تفتن به فيعثر عليه.

ومنها: أن السلطان يأمر بالتفتيش فيحضر العلوانية كلهم ويفتش معهم البيوت ومن وجدوه قتلوه.

ومنها: أنه يزق من طول المكث فيخرج وحده فيعثر عليه البوابون وهو خارج فيقتلونه، وإن ستر الله عليه خرج، وأغلب من يدخل بالصفة التي ذكرناها لا يخرج إلا بالليل أو مع نساء كثيرة وهو في وسطهن.

ومن العجائز من يتحين في خروج النساء من بيت السلطان بأن ينكرن المرأة فيهن بشباب مهيئة فقرة ويخرجنها أمام الناس جهاراً، فإذا عثر بها البواب أو أحد الخصيان قيل له: هذه امرأة مسكينة كانت دخلت معنا تنمس معروفاً، ومنهن من يدلس عليها الخصيان، وذلك لا يكون إلا إذا علم الخصي أنه إن عرض انفتح له فهو يفتل فيه، فحينئذ يسكت قهراً عنه وتتدخل المرأة وتخرج وتتخل من شامت ولم تخش بأساً.

ومن ذلك ما وقع من بعض محافظي السلطان صابون مع ترقنك محمد ابن عمها وسنذكر ذلك في سيرة السلطان صابون سلطان دار السوداي أن شاء الله تعالى.

واعلم أن نساء السودان كثيرات الشبق والغلبة أكثر من غيرهن لأمر:

الأول:- لفرط حرارة الاقليم.

الثاني:- لكثرة مخالطتهن للرجال.

الثالث:- لعدم صونهن واستقرارهن في البيوت، فمن ذلك ترى المرأة فيهن لا تنزع

بزوج ولا بخليل واحد، على حد قول الشاعر من الهزج:-

<sup>(١)</sup> ما بين الحاضر والماضي من الأصل.



أيا من ليس يرضيها خليل ولا النأ خليل كل عام

أراك بنية من قوم موسى ضم لا يصرون على طعاع

الرابع:- لعدم اقتصار أزواجهم عليهن لأن الرجل منهم إن كان ذا قدرة فكح من الحرائر أربعاً، وتسرى بغيرهن من الميراري، وكل ذلك على قدر حاله، والنساء شقائق الرجال والنفس واحدة في الشهوة والطبع خصوصاً وعندهن من الغيرة ما لا مزيد عليه فيتحيلن على الاجتماع بغير أزواجهن، وتأخذ كل منهن في ضروب من الحيل تتوصل لذلك في مرغوبها وإن كان لا يقدر على التسرى طمع نظره إلى غير امرأته، فمتى علمت امرأته بذلك حداها حداي الغيرة على الاجتماع بغيره.

الخامس:- العادة لأنهن من صغرن قد تعودن الاجتماع مع أترابهن من الذكور حتى كبرن على ذلك، والعادة إذا استحكمت صارت طبعاً، فلذلك إذا تزوجت لا يمكنها الاقتصار على زوج واحد إلا من رحم الله، ومن حيث أن هذا الطبع مركوز فيهن، يصدر منهن ما يصدر، فذلك لا يرى منهن من اقتصرت على بعها إلا القليل وكلما تقادم الزمن كلما كثر الفساد عندهم.

### خاتمة:

ومن المجرب في دارفور أن النار إذا اشتعلت في دار واشتد وقدها وعجزوا عنه نادوا: هل من طاهرة؟ فتأتي امرأة عجوز لم تزن قط فتخرج كنقوسياً<sup>(١)</sup>: وتسير به إلى النار فتعلقاً برادة الله تعالى وهذا من مجرباتها. وحين كنت هناك وقع حريق في بيت جدة السلطان واشتد وحضر السلطان بنفسه وأرباب دولته فما أمكنهم إطفاءه ونادى منادى السلطان: هل من طاهرة: وتكرر النداء في البلد، فما قدرت امرأة تأتي لذلك الحريق، ومن هنا يعلم أنه

(١) الكنقوس: ملود والجمع كنقوس وهو ليس غنمه تماماً بل ذات الصلوات في دارفور ووداي وهو عبارة عن ملود مسوح عرسه هو أربعة فراسخ وطوله نحو من ثلاثة أميال، فأما المرأة وتدخل طرفه من الأمام وأخلف في شرط مروط في وسطها فتسوق طرفه الأمامي ليسر حور لها من الأمام والمطرف الآخر من الخلف وهو كالحملاء عند النساء السود في أيام الخمر:-

نظر القوسى: لشجيرة الأفعان ص ٢١٢.

لا يوجد الآن فيهن طاهرة، ولكن سمعت بأن ذلك قد يوجد في أعراب بنياتهم، ولما  
نساء السودان فقل لن يوجد فيهن طاهرة، لأن المرأة منهن - حيث لا أصل يردعها  
ولا خوف يزجرها ولا دين تراعيه - تفعل ما أرادت، بل قد تتفخر بكثرة الأصحاب  
وتقول: لو كنت قبيحة ما جأني أحد، ولولا أنني من الحسن بمكان ما اتقى الرجال،  
ولرتكبوا من شأني الأهوال.

ومن العجب أن في بلاد العرب، إذا أسنت المرأة وكئن لها ولد جليل نو  
شيرة يمنعها عن ارتكاب الزنا وعن التطلع للرجال، لما لعلمها بعدم الرغبة فيها  
إن كانت مسنة، أو لخوفها على مقام ولدها وجلالة قدره إلا نساء السودان.

فقد حكى لي من هو أعز أصحابي، وصونا لصحبته لا أنكر اسمه - أن  
خال السلطان محمد فضل المسمى: محمد تيتل زوجته اخته وهي أمبوس أم  
السلطان وعمرها نحو خمس وثلاثين سنة بالمرأة من بيتها، وصنعت له مهرجائاً  
عظيماً درع الناس للفرجة عليه، فأخبرني أنه كان من جملة المتفرجين، قال بينما  
أنا واقف إذ جاءت أم السلطان ومعها سرب من النساء كنهن الغزلان، وهي  
تمشي أمامهن، ومن خلفها، وهي كانت جارية بشعة المنظر، مشوهة الخلق دنيسة  
الأصل، لأنه لا يوجد في مكان دلفور أنى أصلاً من البيوت الذين هي منهم،  
فصار كل من الواقفين يتعجب من صنع الله تعالى لن قثم هذه المرأة مع ما هي  
عليه من قبح الذات والأصل على من من أحسن وجهاً وأصلاً وذاتاً وبهاءً  
وجمالاً، قال: فنخلت على أخيها تيتل وكان وقت بنائه بعمره، فمكث عنده برهة  
ثم خرجت، قل فلم نشعر الابرين بالخلل والحلي وعبق الطيب، فعلمنا أنها  
خارجة، فوقفنا صفاً حتى إذا خرجت لم نشعر بها إلا وقد قبضت على يدي  
وجنبتي للذهاب معها، فأردت الامتناع وكنتي تعاصيت فدفعني النساء الثلاثي  
خلفها، وكرهن أن يشعر الناس بذلك، فمشيت معها محاذياً لها وهي بجانبى قابضة  
على لما كنا في أثناء الطريق قالت: أنا تعبت، مع الله لم يكن بين بيت أخيها  
وبيتها أكثر من مائة خطوة، وقد بلغني أنها قبل اتصالها بالسلطان كانت من أقل  
الجواري المبتذلات للمهنة، فكانت تأتي بالماء والحطب على رأسها من الخلاء،  
والآن تعبت من مشي مائة خطوة قال: فقلت لها: من كثرة ماعيت في هذا اليوم،



قال: ثم دخلنا الدار والخصيان واقفون على الباب لا يجترأ أحد منهم أن يتكلم، وقد عرفوني معها، فلما وصلت إلى حجرتها دخلت معها، فأطلقت يدي فجلست على فراش هناك وانطرحت هي على سريرها تتقلب يمنة ويسرة، وتهز منحورها بينيها ثم قالت لي: إن بي صداعاً، فقلت لها: لا بأس عليك، قالت: فاقرا لي عليه، لعله يذهب فجلت إليها وقد علمت أن ذلك حيلة منها لمقصودها، وإن الكبر يمنعها أن تقول لي: هيت لك، مع أن جميع من كان معها من النساء ذهب، ولم يبق إلا أنا وهي، وهناك جارية جالسة خارج الباب إن احتاجت إلى شيء دعتهأ له.

قال: فلما كثرت من التقلب ولم تر مني ميلاً إليها، دعيتي لأقرأ على صدغها، فحين وضعت يدي على صدغها وابتدأت القراءة ارتعشت تحت يدي وصارت تضطرب اضطراب المذبوح وتقاوه، فشممت منها رائحة الطيب فاعتشتي وأخذني مياخذ الرجل من النشاط، فهمت أن أعطوها فأتركني خوف من ابنها السلطان، لأنه متى وجد مع أمه أحداً قتله، وقد تكرر منه ذلك مراراً إذ كان يهجم عليها بغير استئذان، لكنها قد رصدت له أناساً يخبرونها بمجيئه، فإن كان عندها أحد تحيلت في إخراجه.

قال: وخفت أيضاً على نفسي، لأنني كنت سمعت أنها مصابة بداء الحصر وهو المعبر به عند الحكماء بالسيلان الأبيض، أعني أن كل من واقعها ابتلى به سيما وقد شاهدت من مرض به منها.

قال: فحين أتركني الخوف من هاتين الجهتين برد مابي قليلاً، وكأنت قد أطلعت على حالي أولاً، فلما رأيت مني الفتور ظننت أنني جائع فدعت بجارية لها اسمها ذراع القنار، وقالت لها أنت بطعام جميل، فأنت الجارية بانامين في أحدهما حمام مقلو في السمن، وفي الآخر فطير بالعسل قالت لي: كُلْ كُلْ: فأبيت واعتذرت بأنني غير جائع فحلقت على فتأولت من الطعام وأعجبني وكان الوقت متأخراً، وكنت في تلك الليلة محتاجة للطعام، وبينما أنا أكل إذ سمعت حركات عذيفة وكركة، وجاء الخدم يهرعون ويقولون إن السلطان قد أتى، فقالت: خذوا هذا وأخرجوه من الباب الثاني، فأخذني الجولري وأمرعوا في المشي حتى أخرجوني من الزريبة.

ومن لطف الله تعالى أن السلطان لم يدخل عليها من الباب الذي عاتته  
 الدخول منه، بل من الباب المذكور، وأوقف عليه حرساً، ودار حتى أتى للباب  
 الذي خرجت منه، لأني بمجرد خروجي وانفصالي عن الباب رأيت نواصي الخيل  
 قد أقبلت، فوقفت على بعد أرى ما يكون، فسمعتة يقول للبوابين: من خرج الآن من  
 هنا؟ فقالوا: لأحد، فقال أحد القرمطين: أنا رأيت انساناً انفصل من هنا وأظنه كان  
 هنا، فقال جميعهم مارأينا أحداً، كل ذلك وأنا واقف أسمع، وحمدت الله الذي  
 أخرجني قبل وصولهم، والا لو وصلوا إلى الباب قبل خروجي كنت أول قتيل.  
 فحين سمعت منه هذه القصة تعجبت غاية العجب، وعلمت أن الخصيان  
 لا ينفعون الامع عدم عرض النساء، ومتى كان للمرأة عرض لا يقدر انخصي أن  
 يصنع شيئاً، فانظر يا أخي كيف وقعت هذه القصة من هذه المرأة مع أنها أم ملك،  
 ولو وقعت من غيرها لكان للكلام فيها مجال، فكيف بهذه<sup>(١)</sup>؟ وبأجملية فالنساء  
 لاخير فيهن الا من حفظها الله ورحم الله من قال من التطويل:

ففيهن من تسوي ثمانين بكرة	وفيهن من تغلو بجلد حوارة
وفيهن من تأتى الننى وهو معس	فيضحي وكل الخمر في صحن دارة
وفيهن من تأتى الننى وهو موس	فيصبح لسه عليك علق حارة
وفيهن من لم يستأ الله عرضها	إذا غلب عنها الزوج راحت لجارة
فلا ربح الله خاتمة النساء	واحرق كل الحائضات بئارة

وليعلم ان كل مصيبة تقع أصلها النساء، فكم بسببهن قتلت ملوك وخربست  
 ممالك وسفكت دماء، فين لنا شياطين على حد قول الشاعر:

ان النساء شياطين خلقن لنا      فعوذ الله من شر الشياطين

<sup>(١)</sup> مثل النص على هذه القصة بأنها مائة من المملكات والفا من المملكات القوي وشهيرة وجاهرة بمذمة الجسد، لا ثم يعرف من  
 هذه السيدة شيء من هذا القبيل في حياتها الطويلة، وهووم حديثه عن النساء في ديوانه وروايت حديثه مبالغ فيه ويكشف لنا ذلك انه  
 كان يدرس انسان لم يفتن في مثل ما وبين يملكون الى الحيل والمخامرات وصنع الطولات في هذا العالم



## غريسة:-

مقتضى انهم جعلوا الخصيان لصيانة الحريم عن الرجال، ان الخصيان آمناء عليهن من طرف السيد، والأمر يخالف ذلك، فقد رأينا منهم من عنده عدة نساء يتمتع بهن، وأول من رأيت عنده ذلك محمد كرا، الذي أسلفنا ذكره.

وحكى لى من أتق به: أنه لما رأى الغلب عليه فى قتال السلطان محمد فضل كان عنده امرأة من من أجمل النساء فنبحها بالليل قبل موته لنلا يحظى بها غيره وهذه نهاية الغيرة.

ورأيت فى دارفور وفى الوداي كثيراً من الخصيان، كل منهم حائز نساء عديدة وسألت من أهل الخبرة ما يصنعون بهن، وهم كهن من حيث أن أعضاء التناسل مفقودة؟ فقل لى: أنهم يساحقون النساء ويشد بهم الحبال وقت المسابقة حتى أنه بعض الأنثى وقت الانزال عضاً مؤلماً، وكنت إذ ذاك لجهلى بعلم الطب أصدق ذلك، لكن الآن ل لا أصدقه لأن وظيفة العضو فكتت بفقده والعلة تدور مع المعلوم وجوداً وعدمًا.

وكنت سألت أهل الخبرة عن كيفية الخصى، فأخبرنى بعضهم أنه يؤتى بمن يراك الفعل به فيضبط مضبطاً جيداً وتمسك المذاكير وتصل بموسى حاد، ويوضع فى فى ثقب مجرى البول أنبوبة، صغيرة من صفيح لنلا ينسد، ويكون قد سخن السمن على النار تسخيناً جيداً حتى غلى، ثم يكوى به محل القطع، وبعد أن يكون محل القطع جرحاً حديدياً ينتقل جرحاً ناريماً ثم يداوى بالتغيير عليه بالتفتيك والأربطة، حتى يشفى أو يموت، ولا يشفى منه الا القليل.

فان قيل: إن فى هذا تعذيباً للحيوان الناطق، وقطعاً للتناسل المأمور بكثرة شرعاً فهو حرام، قلت: نعم، قد صرح غير واحد من العلماء بحرمة خصوصاً جلال الدين السيوطى رحمه الله، فانه صرح بالتحريم فى كتابه الذى ألفه فى حرمة خدمة الخصيان، لضريح سيد ولد عدنان<sup>(١)</sup> لكن الحرمة على الفاعل،

<sup>(١)</sup> يفتى الشيخ السومرى هذا الكتاب حرماً لصحة الرجال وإرسالهم الى نهاية السوء للاختطاع العمل فى خدمة مسحة الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان يعمل بعض السلاطين والفقهاء، خاصة سلاطين القور، ويقتل من هؤلاء اسم الاموات كدعوى متعارف

ولما يخصى الخصيان قوم من المجوس، ويأتون بهم الى بلاد الاسلام فيبيعونهم ويهادون بهم ولا يخصى على يد المسلمين منهم الا القليل النادر.

وأما استخدامهم بعد الخصى فلا ضرر فيه بل فيه ثواب عظيم، لأنهم لو لم يستخدموا لحصل لهم الضرر من وجهين: الأول: مما وقع عليهم من الخصى الموجب لفقد اللذة العظيمة وقطع التناسل، والثاني: من ضيق المعيشة.

فإن قيل: إذا كان الأمراء كالمملوك ومن يجرى مجراهم يجمعون كثيراً من النساء في دورهم وكنهن شابات، ومن المعلوم أن الغيرة موجودة فيهن، كما هي موجودة في الرجال، لانهن شقائقهم، فكيف يعاشرن بعضهن خصوصاً إذا أحب الرجل واحدة منهن، وأعرض عن غيرها؟..

قلت: إن العداوة واقعة بينهما على قدر أحوالهن فكل منهن تمني أن يخلو لها وجه زوجها، ولا يأنف سواها، لكن لما كن تحت قهر الزوج خصوصاً إن كان ملكاً يخفين البغضاء، ويظهرن المودة وهذه عادتهم في إخفاء ما يبطن وانفسار ضده، ولا يظهر ما أخفت المرأة منهن الا إذا زال خوفها، وملك رشدها وحينئذ تظهر ما كان كامناً في صدرها.

فإن قيل: ما رتبة نساء السودان في الجمال؟ قلت: اعلم أن نساء السودان على اقسام في ذلك، ومن المعلوم أن كل قبيلة فيها الجميل والتقيح لكن هناك قبائل يوجد فيها الجمال أكثر وأخرى يوجد فيها الشوه أكثر، وأقل قبيلة في دار الفور معروفة بالجمال هم النوركة، لأنهم وحشيون أهل جبال وسوء معاش، وكذا الكراكت<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا سابقاً أن قبيلة البرتي والميدوب أجمل نساء من غيرهما، يليهما قبيلة البيقو والبرقو والميمة والتنجور وأشوه قبائل الفور نساء أعجام الفور، يليهم الداجو والبرقد والمسايط، كما أن في دار الوداي قبيلتي لب مسنون وملنقا أو مننيقا أجمل نساء الوداي، يليهم الكوكة والميمة وكشمود، وأقبحها نساء

(١) الكراكت، أصل الفوس في كتابه الأول "منحله الامهات" التي في الفور مضمون الى ثلاث فصب أو بطون: الأولى الكشمودة ومعشهم من شرق جبل مرة، والثانية الكراكت، وهم سكان جبل مرة الاصليون، والثالثة النوركة، وهم بطون في جنوب غرب دارفور.

مطبعة الجمعية الادبية ص ١٤٣ هامش



التأما، ويلبها البرق والمسايط والداجو، ولا يكثر الانسان ان يسأوى بين جمال أهل السودان وغيرهم من أهل بلادنا لاختلاف اللون.

### تبيية

أجمل أهل بلاد السودان عموماً من مشرقها لمغربها نساء غنىو<sup>(١)</sup> يليهم باقرمة وبرنو وسنار وأوسطهم الوداي، يليهم الفور، والبيهم التبو<sup>(٢)</sup> والكتكو<sup>(٣)</sup> وبالجملة فالجمال يوجد في كل قبيلة لكن قد يقل في واحدة ويكثر في أخرى وسبحان من خص من شاء بما شاء، لأرب غيره، ولا معبود سواه، فما كل أسمر مسكاً، ولا كل أحمر يقوتاً ولا كل أسود زباداً<sup>(٤)</sup> ولا كل لماع ملباً، وإن شئت قلت: ما كل أسود فحماً، ولا كل أحمر لحماً، ولا كل أبيض جبراً، فقد يوجد في الأسود والاسمر من الجمال ما لا يوجد في الأبيض الشاق، وكأني بقائل يقول: وهل تستوى الظلمات والنور، أو الظل والحرور<sup>(٥)</sup> لكن من الناس من تعشق في الاسمر حيث قال من الطويل:-

وفي الاسمر معنى لو تأملت حسنه      لما عشت عينك يضاً ولا حراً

واحب بعضهم السواد وبالع حتى قال، من الواقف:-

أحب لأجلها السواد ان حنى      أحب لأجلها سود الكلاب

<sup>(١)</sup> غنىو: إحدى بلاد النيجر على غربي غانا شمال بلاد النيجر: P. 15 Voyage au Ouaday.

<sup>(٢)</sup> التبو: مثل اسم التبو Toba واليهذا Teda على الساحل المصري لواء التي لسكن منهم نسوة وهم يشككون الخبر القليل لموجودات الرعاة والمزارعين وغيرهم. مفر: مفر: لشعوب الاسلام، مفر: "تبو"

<sup>(٣)</sup> الكتكو: منهم سبق ترجمته ونسكه لقال معده يعلق عليها اسم كتكو وهي لاني لربمة زينة.

<sup>(٤)</sup> الزباد: وهو حارة من شيب يخرج من مفرحة السور، أي لط الزباد وهو شيب زباد هو لون أسود.

<sup>(٥)</sup> هذا قول من الآية الفرافة: "وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور" سورة الفرافة ٥٣

وكنيت قديماً مفرماً بهذا المذهب فقلت، من اتوا فر:-

يلومونى على حبي بسودا	وما علموا السيادة فى السواد
فقلت لهم: دعونى لا تلوموا	فان السود سلاوا بالسواد
وجلّ اليض لولا الحلابان	وخال الخد حالك فى السواد
لما عشقوا ولا نظروا بعين	ولكن الضيلة فى السواد

وفى الأول السواد بمعنى: المؤدد، وفى الثانى بمعنى: المال، وفى الثالث بمعنى  
السود الحقيقى، وفى الرابع بمعنى: العلم الكثير.  
وقال بعضهم من البسيط:-

قالوا: عشقتها سودا فقلت لهم	لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس حب اليض مكرمته	عندى ولو خلت الدنيا من السود

وقال الفاضل الشيخ عبدالرحمن التصفى من الكامل:-

بالروح احمر قطعت من لونه	فكسر الياض من الجمال شعاعاً
ولو اسفل من الياض مثلها	لا غاض من ثوب الملاحه عاراً
ما من سلاقة سكرت وانما	قركت سواد العنقول حبارى
حسد الحاسن يعها حتى اشبهت	كل الحاسن ان يكون عذارى

وكنيت عارضته بقصيدة منها قولى، من اترجز والكامل أحق:

الحق أبيض	دع مثالة معشر	قد عاندوا واستكبروا استكباراً
-----------	---------------	-------------------------------



وقال الصفتى أيضا من التبسيط:-

قالوا تشبهنا سمر افنت لهم لون الغوالي ولون المسك والحدق

ومائر كت ياض البيض عن غلط انى من الشيب والاكمان فى فرق

وتعالى بعضهم فى مدح التبييض ونم السواد بكلام يطول وقال: من عند فى ذلك،  
عنيت بصيرته عن قوله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة<sup>(١)</sup>  
ولكل وجهة هو موليها<sup>(٢)</sup> وللناس فيما يعشقون مذاهب.

<sup>(١)</sup> سورة الامراء الآية ١٦.

<sup>(٢)</sup> سورة الفرقان الآية ١٨.

## الفصل الرابع عشر

### العودة الى المغرب ومصر<sup>(١)</sup>

عندما عمر الله بعظمة قدرته وجه الأرض بالناس، وقسم لكل الأجناس المأخوذات التي ثلاثها، وضع في قلب الإنسان حب الوطن ولرك لن تحب الحيوانات أيضاً مساكنها وبلادها.

قال نبي الله خير بنى عندنا: "حب الوطن من الدين" حقيقة لا ينسى الرجل أرض مولده ويحب أبداً أكثر من هذه الأرض الأولى التي قضى فيها جزء من أيامه عالم يعيش فيها ذليلاً مهاناً، وإن لم يجد أرضاً أخرى يعيش فيها عيشاً أكثر يسراً وعزاً، ومع كل سينكر دار لمرته في خفض جناح والديه، قال الشيخ النميري في غمرة فرحة والاحترام الذي لقيه عند إقامته في الهند: ليتني مع كل هذه السعادة في صاحبتى دميرة.

كان يحلو للعرب أن يضمنوا قصائدهم ذكرى الأماكن التي أقاموا فيها وأهلها والواحات الخضراء التي تحيط بها، وغنوا أيضاً للمساكن التي التقوا فيها، وعندما خرج الرسول الكريم من مكة إلى المدينة، توجه صوب الكعبة وعيناه تغروران ثم قال: "تعم احبك ابنتها المدينة الفاضلة، ولولا مكر كفار قريش لما تركتك" ثم رفع يديه إلى السماء وقال: "رب انت الذي أخرجتني من هذا المقام الذي احب، فلتدني واستقبلني في المكان الذي تحب"<sup>(٢)</sup> هذه على الأقل أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تدل على تحسره.

<sup>(١)</sup> هذا الفصل مكمله ثم يكن موزعاً في المخطوط العربي فاستعاض في كتابه بالرحمة الترسية عن تكميل الكتاب ولعم فتمت.

<sup>(٢)</sup> ورد هذا الحديث بصيغ عدة منها قوله صلى الله عليه وسلم "كده طعت في أمي، البلاد التي هي وحيي مكسبة طولا ان قومسي امر حون ما خرجت اللهم اجعل في قلوبنا حب مكة". رواه الطبراني في معجم الامم عن ابن عمر، كسر العمال ٢١٠/١٦ بساكنه فصيل الامكة. ومنها: "والله لك نحو لرمي الله اني ولولا الله امرحت منك ما خرجت". رواه الحاكم عن ابن مسعود في المستدرک وتعقب عن صفار عن ابن الحارث بن هشام عن ابيه، كسر العمال ٢١٠/١٦، ومنها ايضاً: "والله لك نحو لرمي الله واحب لرمي الله اني الله ولولا ان امرحت منك ما خرجت". كسر العمال ٢١٠/١٦ قال رواه في المستدرک عن عدي بن الحمر، امر حة امر حة من كتاب الطب في باب فضل مكة، رقم ٣٩٢٥ وقال حسن صحيح.



أما بعد.. فتعالوا إلى قصتي:

عندما وصلت إلى ودای كان والدي قد غادرها وذهب إلى تونس وكان من جانبه يرى أن الذنب ذلبي لأنني تأخرت في اللحاق به كان قد كتب إلى سلطان دارفور والفقيه مالك يرجو منهما السماح لي بالمغادرة إلى ودای، لكن السلطان نفسه منع سفری وأرغمت على البقاء شهوراً في دارفور، نفذ صبر والدي من تأخری فأودع بيته وأملأه ومزارعه وأولاده لعن الشریف أحمد زروق، وغادر ودای قبل أن أصلها.

قررت وقد ساعني عدم محاولة الحظ لي أن لا ألقى بعض المسافرين، وأن أوصل مباشرة حتى ألقى والدي، لكن لطف السلطان صابون لوقفني، فقد أرسل لي هدايا جيدة أصيلة وجواري حسناوات، وملابس ثمينة فخف حنيني ولم أفكر مجدداً في قراري الأول.

مكنت في ودای لبعض الوقت، ولموء حظي خلف الشریف أحمد الفاسي (من فاس بالمغرب) والدي في الوزارة، كان الشریف أحمد رحمه الله يكره والدي وكل من له علاقة به، فوشى بي عند السلطان قائلاً: انني لم أكن سوى جاهل، ورجل فارغ بلا قيمة، وغير جدير بأن يستقبلني أو أن اقترب من أمير، هذه الوشاية وقد تكررت على مسامع صابون فتألمت فيه انفور، ولم يعد يرفقي إلا ببرود وتجاهل، وتوقفت عنى عطايا السخية.

من جانب آخر استولى عمي زروق على كل خراج أرض أبي، ولم يعطني إلا ما يقيني شر الموت جوعاً، وحرمني حق التدخل والتصرف في مال والدي، وجعلني أسمع انني لا أعرف إلا التبذير، وشكوت عدم رضاي عن مسك عمي زروق، لكن أحداً لم يشأ أن يأخذ بحقي، أو يساعني في التمكن من التمتع بحقوقی فوجدتني في ضيق وسط الوفرة، وضائق على الأرض بما رحبت وصارت شحيحة على، بعد أن كانت في أول الأمر كريمة.

ولكن إذا قرر الله أمراً يمهده الأسباب، ويفتح له سبل النفاذ، لقد مللت وسئمت مثل هذا العيش، وطلبت من السلطان الآن لي بمغادرة ودای، والتوجه صوب فزان للوصول إلى تونس حيث يوجد أبي، كنت القافلة السنوية تستعد

للرحيل والآن الذي كنت أطلبه حصلت عليه بعد تدخل الشريف أحمد، وأعددت عدتي للرحيل، فاشتريت قرباً وزاداً وكل الأمتعة الضرورية وأخيراً حسدت يوم الرحيل وأعلن.

أريد هنا أن أقول عرضاً ماهي بدايات الشريف أحمد الفاسي، وكيف كان، ومأمملكة وأنبه وكيف كانت نهايته.

لا يترك العقل العنان لخياله فعليه أن يذكر الحقيقة مهما كانت، ولو كانت ضد مصالحه، ولذلك أقول: إن الشريف أحمد رجل يعرف الشريعة والحديث والسيرة، ويعرف بعمق مبادئ المذهب المالكي، إذ كان يحفظ عن ظهر قلب الموطأ (أساس مذهب الإمام مالك) وكان يشرح الحديث على بصيرة، إذ يدرك شأئيه وأحكامه، وكان قد تلقى تربية رفيعة في وسط روحاني يعرف أسس ومبادئ العقيدة، وقد تلقى معرفة غزيرة في العلوم الشرعية والأحكام.

إن أحمد الفاسي كما قال لي أحد العلماء البارزين في فاس: لقب ببابا، لكن لا أعرف إن كان هذا اللقب لكثرة أبنائه أم أطلقه عليه تلاميذه<sup>(١)</sup>، فانت به أحداث بسيطة إلى وداي، كان قد خرج من بلاده لأداء فريضة الحج، وبعد أدائها بقسرة الله وجد نفسه مع حجاج من دارصليح، فحدثوه عن كرم السلطان صابون وخصاله الفاضلة حدثوه عن حب هذا الأمير للعلم والعلماء، فالتأت هذه الأحاديث رغبة الفاسي في رؤية صابون والتعرف عليه، فمر بسواكن ومنها إلى سنار وكردفان ثم إلى دارفور، كان ذلك على ما اعتقد في عام ١٢٢٤هـ - حوالي ١٨٠٩-١٨١٠م

التقى في كردفان بالشريف بدر الدين وهو فزاني، وصهر لسلطان فزان، وقد عرف بدر الدين هذا والذي، ونهل من علمه الغزير، وفي كردفان أيضاً تعرف على الشريف أحمد، ثم خرجاً معاً من كردفان، كان بدر الدين يحدث الجميع عن فضائل وعلم سيده، وعكف على خدمته كما يخدم العبيد سائقيهم، كان لهذا السلوك

<sup>(١)</sup> وهو في لقب بابا لكثرة علمه لشرفها له بالنسبة أحمد بابا الذي انتشر تلاميذ ليكت والسودان المعروف بمرارة علمه ومناصبه وكثرة مؤلفاته وعندما طرأ الطفرة دولة صليح اعتل أسوأ إلى مراكز وهناك جلس للعلم في مسجد الشرفاء الأكثر من حجة حتى علماً أصبح سيد العلوم في الغرب وحكمة في الله فاشكر وكانت له مؤلفات مشهورة مع منطلق الغرب اللقب بالعمود الدعوي لم يسبق أموره وعاد إلى السودان في بداية القرن الحادي عشر ونزل في مدينة ليكت: بنظره صداره من سمع في تاريخ السودان، ضلع هو دس



عاقبته، إذ كان الفزائى يعتقد جيداً أنه سيكسب كما يكسب سيده بعض الحفاوة عند السلاطين، ففي كل بلد يتوقف فيه الشريف كان بدر الدين يتحدث عن مقدرات سيده الخلقة وكما يقولون: بهز الفروع ليلنقط صاحبه الثمر، أى أنه كان يحث الناس على تقدير فضائل الفاسى ومعاملته بسخاء.

عندما وصل الصديقان الى دارفور استضيفا فى قرية ابوالحسن بالقرب من تنلتى من الناحية الشرقية، وبعد زمن قليل عم نبأ وصول عالم الى القرية، عم كل تنلتى وجاء الناس من كل حذب وصوب وحتى من مسافات بعيدة لزيارته وأسرعت جموع الفضوليين من القرى والبلدات.

كنت حينها فى تنلتى فذهبت أيضاً لرؤية الشريفين وتقديم التحية والمجاملة ودعوتهما لمرافقتى الى قريتى فى جلتو، لكنهما اعتذرا وشكرانى وقالوا انهما مستعجلان لمغادرة دارفور.

علم السلطان محمد فضل بوصول عالم الى قرية ابوالحسن، فأرسل يطلب منه الحضور الى الفاشر، وأخبره بأن السلطان سوف يستقبله بحفاوة، فرفض الفاسى بكبرياء الذهاب، وقال: ماأهمية مقابلة هذا الظالم، ليظن انه يغرينى بهدياه ويلجمنى عن قول الحق.

ذهل السلطان لهذا الرفض وأراد أن يتحمل أتعاب المسعى، وبعد حوالى ساعة ونصف من مغيب الشمس وصل السلطان الى الحاج المتملى وقبل يديه ثم رجليه لكن الفاسى سحب يديه ورجليه متحاشياً لمس السلطان، ثم قال: "ابتعد عني أيها الظالم" ترجاه الفضل أن يباركه، لكن الفاسى رأى أنه لا يستحق وقال: لن أدعو الله لك الاعنما تتخلى عن أعمالك الظالمة.

صاح السلطان وقد أثارته هذه الاجابة وجرحه هذا الاحتقار وهذه الكبرياء والوقاحة " إن قتل مثل هذا الرجل من العدالة لكن ولحسن الحظ أنه كان برفقة محمد فضل ابن أخته الأمين حامد، والذي سعى لتهدئة خاله، حيث قال: إن الأمراء لن ينالوا احترام الرجال بقتلهم العلماء حتى اذا مسحوا لأنفسهم الحديث بحريسة، واذا ظنوا أنهم يجب أن يبقوا بعيدين عنا، حسب مبلانهم وتعاليمهم الدينية فلن

عاملتهم بسخاء سيكون ذلك أكثر شرفاً لك، وبذلك تمنع أن يقول الناس بأن حاكم دارفور لا يعرف سوى احتقار واحداً العلماء الذين يزورون بلاده.

فهدأت نائرة السلطان، بل أحنق على الشريف أحمد بالعطايا والنفاءة، فأرسل له عشرين عبداً وعشرين قلة من السمن والعسل وعشرة جمال محملة بالقمح، وأضاف الأمين حامد ورفاقه إلى ذلك هدايا أخرى من جانبهم.

لكن الحاج المتصلب مصرأ على كبريائه حيث احتقر هذه العطايا وأراد أن يرفضها، لكن بدر الدين أوضح له مساوئ مثل هذا العمل، وخلص أخيراً على أن يقبل كل شيء.

بعد ذلك بقليل ذهب المسافرين إلى قرية كوبي حيث استقبل الشريف أحمد بحرارة، وهرع الناس إلى مده بكل ما يحتاج، ثم أووه وعاملوه برفق، وأخيراً واصلوا السير وسلكاً طريق وداي، ولكن أينما ذهب الفاسي الماكر يكرر دوماً تباينه بورعه، وإن هذه العطايا التي تحمّل إليه لم تكن في نظره سوى أشياء تافهة لا يعيرها أي قيمة أو اهتمام، وإنما تذهب للمسكين الشريف بدر الدين الذي قبلها واستلمها من أصحابها، لكن في الحقيقة لم يحصل منها بدر الدين إلا على طعامه اليومي.

عندما وصل أحمد الفاسي إلى وداي لم يبد السلطان صابون حرصاً كبيراً على ملاقاته، كما فعل محمد فضل، إذ اكتفى بأن أهداه بعض العبيد، وعين له مسكناً في قرية نمرو، ثم قطع له جعلاً متواضعاً يعيش عليه.

هكذا عاش الشريف في قريته حتى يوم قرار والذي السفر إلى تونس ومطلب من السلطان صابون الآن بالرحيل، وحين سأل السلطان والذي قائلاً: لكن من سيقوم مقامك في الوزارة؟ أجاب والذي: الشريف أحمد يستطيع أن يحل محلي في الوزارة ويعلمك القراءة.

فتم انتخاب الفاسي ومعه اختفى زهده وورعه، وبدأ في الاكتسار، فكدس ثروة على ثروة حتى جاء اليوم الذي اغتالوه فيه مثله مثل أي بائس.

هناك عدة أسباب مهدت لهذه النهاية الفاضحة مثل: بخله، طمعه، تكبره، لقوله الجارحة، سلوكه المتعالي، حبه المفرط لذاته، وزهوه ورغبته في اذلال



الجميع، فإن اجتمعت كل هذه المساويء في ملك لجريته، وإن اجتمعت في تاجر لحلمته في يوم واحد، وإن اجتمعت في أي رجل آخر غير الفاسي لهفته في لحظته وغلطه بالعار.

لرقت أعمال الشريف أحمد ووجوده أهل ودای، ففكر كبارهم في التخلص منه بالقوة، ولكنهم خشوا غضب السلطان صابون وثاره منهم، مما جعلهم ينتظرون فرصة مواتية، فسكتوا وأضمرُوا كراهمتهم وغيظهم إلى حين، فقبل حوالي ثلاث أو أربع سنوات مرت أحداث راح ضحيتها الفاسي، وقبل الحدث كانت هناك مناسبات عدة كانت كافية لجعله يفتح عينه على الأخطار التي تحيط به ويغادر ودای إلى الأبد، كان أهم هذه الأحداث مغادرتي لدار صليح، فقد أخبرت والدي بأفعال ومعاملة الشريف أحمد لي، فقرر العودة إلى ودای مستكراً نكران الفاسي للجميل.

لقد استقبله صابون بحفاوة بالغة وجرد أحمد الشريف من الوزارة، فعاد يلقي الدروس في بيته كما كان يفعل سابقاً، مر عامان هكذا، وبعد أن عجز أحمد عن استعادة مجده واحتقره الجميع، طلب الآن بالسفر من ودای، كان يتخيل حينها أن السلطان سيمتنع ويعيد إليه على الأقل جزءاً من اعتباره وعنايته، لكن الطلب قبل على الفور وسارع صابون في تسهيل أمر سفر الشريف.

خرج أحمد يسوق معه على الأقل خمسمائة عبد وأربعمائة من الجمال الجيدة، وجواريه وأولاده وكل ثروته القديمة والجديدة، ولم يترك شيئاً البتة في ودای، ولمسوه حظه انضم إلى قافلة ملكة خط جالو، وقد مضى وقت يسير على تسيير صابون قوافل في ذلك الاتجاه، وبالتالي لم يعتد خبراء الطرق على التسيير في هذا الاتجاه الجديد، ولم تبعد القافلة التي رافقها أحمد سوى سبعة أو ثمانية أيام من السفر عن جالو حتى تاهت وهامت على وجهها في الصحراء لعشرة أيام، فنضب مخزون الماء واستحكم العطش في الناس، فقد كان الجو حاراً والمرباب يمنع، فسيطر اليأس ووصل الحال إلى بيع جارية الماء المستخلص من كروش الجمال بسبعة ريالات، أما الماء النقي فقد بيع بسبعين ريالاً، فمات عدد من

المسافرين، وكان الشريف أحمد مخزوناً معتبراً من القرب الكبيرة والصغيرة  
 المليئة بالماء، ولم يفقد من عبده الا الذين تَخلى عن مراقبتهم والعناية بهم<sup>(١)</sup>  
 كانت القافلة تعرف ان لدى الشريف قنراً وفيراً من الماء، وأنه منذ بداية  
 تيه القافلة كان قد خبأ جزء من قربه في مخاليه، فجاءوا يترجونه ويستغيثونه ان  
 يكون انسانياً وكريماً يعطى القافلة التي هدها العطش وانهكها التعب قليلاً من الماء  
 لو يبيعه لهم بالسعر الذي يريد، فاستشاط أحمد غضباً وهاج وماج وقال لـهؤلاء  
 التعساء: في الحقيقة عرضكم عجيب، تريدون حرمانى من مائى وتعرضونى  
 ولولادى للخوف والعطش، قالوا له: ليس لدينا إلا كلمة واحدة نقولها لك: اتظن بأننا  
 نموت من العطش ولديك من الماء مايكفى لعبيدك وجواريك وأبنائهم؟ كل الناس  
 أناس أمام الله كخلائق، هذا صحيح لكن نحن المسلمين وكذلك الأحرار أعظم عند  
 الله من العبيد، قال أحمد: ليس لأحد الحق في أخذ زائى، ولا أريد ان أعطى منه  
 شيئاً فالماء في المواضع الحرجة مثل التي نحن فيها الآن، أشلى من ان يعطى أو  
 يباع.

بعد هذا الكلام القاطع هجموا على جمال الشريف وأخذوا ماءه وتركوا له  
 قربتين لتكفيه هو وأبناؤه، وبعدها عطش عبده وإماؤه وماتوا جميعاً، وعندما حل  
 الليل وبفضل البرودة تمكن الشريف وأبناؤه وبعض العبيد وثلاثة جمال من النجاة  
 من الموت، ثم تحركوا، ولكن بعد ثلاث محطات من السفر مات باقى العبيد  
 وضاعت هكذا ثروة الشريف الجشع والتي جمعها بالمكر والخداع.  
 عند وصوله الى جاثو استأجر أحمد جمالاً وعاد متعباً دربه باحثاً عن  
 بضاعته التي أرغم على تركها في الصحراء، لقد كانت تحوى صمغاً وعاجاً  
 وریش نعام كلها منتقاة وذات جودة عالية، فوجد ما وحملها وباعها فحصل منها على  
 ثروة تمكنه من عيشة متواضعة.

عند عودته الى فارس وبعد ان تخلص من قلقه وخوفه من رفاق سفره كتب  
 الى علماء طرابلس (بلاد البربر) طارحاً عليهم السؤال النالى: (ما رأيكم حفظكم الله  
 في هذه المسألة: مسافر في الصحراء يتبع قافلة متزوداً بما يكفى من الماء، وتاهت

<sup>(١)</sup> تحدث المؤلف عن هذا الحدث في فصل سابق، وانظر الى أنه سيحوله بالتفصيل في فصل آخر.



القافلة، وبدأ المعلى واشتد، فانتزعت كل القافلة ماء الرجل بالقوة، فمات من معه من العبيد، ولقد بذلك ثروته، أيجوز في هذه الحالة أن يتحمل أهل القافلة خسارة الرجل لم ٩٧.

رد علماء طرابلس بأن القافلة مسؤولة عن خسارة الرجل، ثم وقعت هذه الفتوى وأرسلت إلى الشريف أحمد، فأخذها وتوجه بها إلى السودان. لم يكن والدي موجوداً في حينها، فاستعاد أحمد الوزارة واستعاد معها سلطته القديمة، وأعلن صراحة عدائته لعلي زروق ورفع القناع وكرر لمن يريد أن يسمع: أن كل أقارب الشريف عمر أعدائي.

عادت القافلة إلى السودان وعاد معها الذين استولوا على ماء أحمد الشريف في صحراء جالو، وما أن يدخل أحدهم وداى حتى يجرد من أملكه لصاحبه الشريف، بموجب فتوى علماء طرابلس، وبهذه الطريقة استعاد القاضي الجشع ضعف أو ثلاثة أضعاف قيمة ما فقد، لقد ترجاه عدد من أكابر وداى بالتعفو عن رفاقه المساكين، لكن الشريف القاضي أعرض عن ذلك، ولم يستمع إلا لنداء النار (سيستمعوا خبري) كان هذا رده لكل طلبات العفو.

تبع الشريف أحمد بثروته التي جمعها على حساب رفاق دربه القاضي وتخيل إليه أن الحظ قد يمد إليه يديه ويجلب له السلامة والأمن في المستقبل، لكن فجأة اغبرت الأفق وتقب دلوه وبدأ غبار الخطر يرتفع، وأضربت النار في هذه الفترة ناري منادي الموت السلطان عبدالكريم صابون، وعمت البنبلة والقلاقل، واعتلى العرش سلطان جديد هو يوسف عبدالقادر بن صابون، ولصغر سن السلطان الجديد لم يكن قادراً على فرض سيطرته على الجيش والمواطنين، عندما أخبر فجأة بأن سكان ولره ينبرون أمراً لضباع الشريف أحمد.

بعد موت السلطان صابون جرد الشريف أحمد من الوزارة وعاد إلى حياته الخاصة، فأرسل إليه السلطان يوسف عبدالقادر يخطره بالخطر الذي يحيط به، ونصحه بالهروب من العاصمة ولكي يقنعه بمغادرة وداى وضح له بأنه لن يصل إلى أي خليفة بعد ذلك اليوم.

شك الشريف أحمد في جدية ورأى السلطان، فبقى في قرية نمر، وذات يوم هجم سكان واره على قرية نمر واستولوا على بيت الشريف أحمد وقتلوه ثم جرت جثته الى خارج القرية وأحرقت. جعل الله هذه الميثة كفارة لذنوب الشريف المسكين، غفر الله خطاياهم.

نعود الآن الى قصة مغادرتي:

عندما كانت القافلة التي قررت السفر معها على وشك الرحيل، ولم يبق لها سوى شد الرحال، طلبت من السلطان صابون جمالاً للسفر وكنت أمل أن يعطيني جمالاً جيدة، ولكن بسبب تدخل الشريف أحمد أرسلوا إلى جملاً صغيراً وصل لنوره من الشد، ضعيف وغر، وما زال غير صالح للتحميل أو الركوب، صبحت حينما رأيت الحيوان الهزيل: "لرب أيمن لمتل هذا الجمال أن يتحمل تعب رحلة طويلة كهذه" قال لي الشريف أحمد: لكن أيها الوقح هل سيدنا السلطان مدين لك بشيء؟ هل لديه جمال نجاتي<sup>(١)</sup> بسلام كالجمال حتى تتجراً وتشكو، وتقول انه لم يعطيك سوى جملاً سيئاً؟ هل التزم سيدنا بميثاق بموجبه يعطيك شيئاً آخر؟ أليس تريد مداه؟ لقد فقت صوابك في الحقيقة وصرت تتصرف بطريقة غير لائقة، خذ هذا الجمال بسرعة والا أخبرت السلطان بما تفعل بفضائله عليك.

أخذت الجمال مرغماً، وكنت مفتانلاً ومحبطاً.. ثم أضفت بعض النقود لاستبدال جملي بلآخر، ثم غادرت واره مفعماً بالخيبة، ولكن ما أن اقتربت القافلة إلى أرض المحاميد في حافة الصحراء حتى وصلنا رسول السلطان صابون حاملاً لي معه ثلاث جوار وعبداً وجمالين جديدين وثوراً سمياً لأعد منه القديد، فذبحناه وجهزنا قديدنا وبذلك ندين بالعرفان لكرم السلطان صابون، ونشيد بخصاله الحميدة، وقد عرفنا بعد ذلك أن اليد الشريرة التي أوقفت عطايا السلطان كانت هي يد الشريف أحمد سامحه الله، ولكن ليبارك الله أيضاً الأيام التي قضيتها في وداي، فقد كان فيهن السعد والفرح، رغم ما تحملت من شرور ونزوات للرجل.

<sup>(١)</sup> لغاية: لغة عربية انتشرت بمرور الجمال الاصيلة. مرود



عندما جف قدينا تأدينا للتوغل في الصحراء، فلما قرب بالماء وخرجنا ذات صباح مسرورين بالهدية التي أرسلها السلطان صابون، لم يوقفنا شيء الاخضوعنا للزيارة التي تخضع لها القوافل عند المغادرة.

لقد فحص مفتشو الحكومة كل الرقيق الذي كان بحوزتنا ليتأكدوا عما اذا كان أحد منا يسوق معه أشخاصاً أحراراً كرقيق، وسألوا في هذا الموضوع كل رقيق القافلة كباراً وصغاراً شيباً وشباباً، ففي هذه التحريات يطلق المفتشون كل عبد يثبت أنه من أصل حر، أو أنه كان مسلماً قبل استرقاقه، أو أي عبد يؤخذ قسراً من سيده أو يباع دون علم أو رضا صاحبه.

ثم عبرنا سهولاً شاسعة من الخضرة ومراعى واسعة يرعى فيها العرب للمحاميذ بقطعاتهم ومعهم قبائل أخرى، وبعد خمسة أيام من المسير وصلنا الى أبار يرد اليها العرب وحتى البدييات في شمال شرق وداي وقبائل أخرى مستعدة دائماً لملاقات القوافل ولعرض وبيع المؤن وبعض معدات السفر، كتقرب والحبال وغيرها وتاجير الجمال للجلابة أو للمسافرين العاديين، انها نقطة التقاء ويعلم الله اننى نسيت اسم هذه البئر.

توقفنا هناك واسترحنا لمدة يومين وتركنا جمالنا ترعى بحرية ثم استأنفنا المسير، وبعد خمسة أيام نزلنا في بئر الدوم وسميت كذلك لأشجار الدوم التي تحيط بها، في هذه المسافة تهنا وكندا نبلع آخر ريق لنا.

كان دليلنا قائد القافلة يسمى أحمد، رجل مسن مرت عليه صروف الدهر كان من قبيلة من قبائل التبو تسمى في فزان توبو رشاد أو توبو الحبال، وكان أحمد قد قتل في السابق رجلاً من قبيلة أخرى من التبو ومن يومها أخذ رجال هذه القبيلة يترصدونه للنار منه، ففر القاتل بعد الحادث الى دارصليح، وبقي فيها عشر سنوات خشيبة أن يعود الى أهله بأكراً فيوقف ذاكرة خصومه، وينفع منه مقابل الدم الذي سفك، لكنه أخيراً لم يستطع مقاومة الرغبة في رؤية بلاده وبيوتها ومنزله القديم، وكان يظن أن عشر سنوات من الغياب قد أنست النار، فسافر مع قافلتنا وتولى قيادها.

عاش أحمد على أرباح تجارته سعيداً هائفاً في وداي، وتمتع بعيش رغيد راضياً عن حاله، ولم يكن هناك من يخشى إلا الله، فقد جلبت له مسنه وثروته احترام واعتبار الجميع، فعندما خرج معنا اصطحب معه أكثر من مائة وعشرين شخصاً من أبناء عمومته وأبنائهم لما باقى القافلة فتكون من حوالى خمسة عشر من أهالى وداي، وخمسة عرب، أنا وطرابلسي اسمه الرئيس عبيدالله (فزائى) ومحمد خير ياسر (فزائى آخر) والسيد أحمد من قرية زويلة وآخر اسمه خليل من طرابلس.

لاحظنا أثناء سيرنا أننا كنا خارج الطريق، وقد تهنا بالفعل فوقفنا بدلاً من مواصلة السير، لأننا لو واصلنا السير لأضعنا وقتاً ثميناً، فقررنا التوقف، وبركنا جماعتنا، ولكى نحفظ زائدنا من الماء من حر الشمس استقلنا قربنا داخل الطرود (الترايف) تحت ملائسنا، التكب أحمد عنداً من أبناء عمه وأخذ يضرب الصحران بمئة ويسرة باحثاً عن البئر التى يجب أن نتوقف عندها، لأننا وحسب عدد المحطات والأيام قد تجاوزنا موعد الوصول الى هذه البئر، وأننا قد انحرفنا عن مسارنا وقطعنا مسافة طويلة بلا جدوى، عند الضحى ظهر مستكشفونا من على التبعد عائلتين ليننا، كان الغبار يغطى وجوههم، وعند اقترابهم اعلنوا النجاح فى محاولتهم، وقالوا لنا: اننا لسنا بعيدين عن البئر، وسوف نصلها بعد لحظات ولو مرنا بخطى بطيئة، فحل الفرح مكان القلق، والهم، وفى لمح البصر استأنفنا السير، حضضنا جمالتنا على السير بسرعة، فقد كنا نريد وصول البئر قبل ان يعذبنا العطش، فمشينا نحو ساعة على الأكثر فلاحت أشجار الدوم فصعنا (هاهى هاهى) حيث يوجد الماء ناحية هذه الأشجار، فقلنا يجب أن نرتاح هنا اليوم، وما أن نطلقنا بهذا القول حتى ظهر لنا جمع من النبو تركمان.

والتركمان هؤلاء لا يقومون باستقبال القوافل مطلقاً وهم يقومون على حواف صحراء ليبيا، وينقسمون الى مجموعات متفاوتة فى العدد، يحكم كل منها سلطان أو ملك، وهذه التى جاعتنا كانت حاضرتها تسمى مرمر، فعلم هؤلاء النبو من خلال بعض مسافريهم الى وداي قبل شهرين أو ثلاثة أن قاتد قافلتنا هو أحمد الذى كانوا يبحثون عنه للاخذ بذرهم منه، وهذا فقط ماجعلهم يترصدون طريقنا



ويرقبون قدومنا، عند العبور قتل هؤلاء التبو أعداء قللنا الطريق أمامنا وأوفدوا  
إلينا مندوباً جامعاً مسرعاً على ظهر بعير تخاله حصاناً يعدو، (رائع ان ترى  
المهارة التي يمتطي بها التبو جمالهم، اذ يدربونها كالخيل على مجموعة من  
الحركات البارعة، ولم يكن في أيديهم الإزمَام (رسن) رفيع طرفه مربوط بتقرب  
في أنف البعير، والآخر في يد الراكب، كل التبو تقريباً الذين يركبون هذه الجمال  
للنهب يرتدون ملابس من جلد الضأن لا ينزع صوفه.

كان فارس التبو الذي أوفد للتفاوض معنا ملثماً، اذ يتنلى طرف عمامته  
ليلف مرتين أو ثلاث من الأمام للخلف بطريقة لا تترك مكاناً يرى من الوجه سوى  
العينين.

عندما التقرب منا صاح بلغة التبو: يا أهل القافلة ان سلطانتنا وجماعتها قد  
حلوا بالبئر ويحذركم من الاقتراب، واعلموا انكم لن تردوها حتى تسلموا قلائدكم  
ليقتل قداء قتله أحد إخوتنا، قولوا: مارأيكم في هذا الشأن لكي أخبر به السلطان  
الذي أوفدني لاستجوبكم في هذا الخصوص، ترجم أحد رجال التبو مقالته الموفد  
وقررنا بالاجماع عدم تسليم أحمد إلى أعدائه ولن التبو اذا طلبوا منا حبلاً لمنعناهم  
عنه، ثم قلنا للموفد: عد إلى سيدك وأخبره بأن لاشيء يجمعنا بكم، ولن ليس من  
بيننا أحد يسلم إليه.

ذهب الموفد ونقل ردتنا، فاستعد السلطان لمهاجمتنا، وحينئذ انفصل عنا كل  
التبو الذين كانوا معنا في القافلة باستثناء أحمد وأسرته، وبقوا بعيداً عنا، كان  
فريقنا لا يضم سوى خمسة وعشرين شخصاً بما فينا أحمد، ولم أحسب العبيد فقد  
كانوا أكثر.

عند اقترابنا من البئر جاء عدد من التبو في حوالي سبعين جمللاً مترافقين  
كل اثنين في جمل وهجموا علينا وقتلونا بالحرايب، أما نحن وأعني العرب الخمسة  
فقد صوبنا عليهم وأطلقنا بعض العيارات النارية، فتعاجأ التبو وولوا الأنبار فلرین  
كالنذاب المذعورة، وأصبحنا ملأء على البئر، فضربنا خيلنا وشربنا، وتركنا  
جمالنا ترعى في الحشائش القريبة.

اعتقدنا أن التبو الأجلاف الذين شتتوا شملهم بسهولة عادوا إلى ديارهم، فاسترحنا في البئر يومين كاملين ولكن في اليوم الثالث سمعنا فجأة صراخاً مدوياً وصياحاً فاتجهنا نحو مصدر الصياح لاستجلاء الأمر، فرأينا خمسة جمال باركة وعنداً من الرجال المسلحين، وجدنا بتقرب منهم قائدنا أحمد واقفاً مع رجاله وبعض الودايين من أفراد القافلة، كان في وسط المسلحين عجوز يبدو عليه أنه زعيمهم كان رأسه ملفوفاً بقطعة من السجاد بعرض خمسة أو ستة أصابع وبطول ذراع تقريباً، كان العجوز باركاً وعقبه على عرقوبية كما يجلس الكنب أو الذئب قال له زعيم الودايين: (ماذا أتى بك إلى هنا؟ لقد ذهبت فلماذا عدت؟ وعم تبحث؟ ماذا تدعى؟ رد السلطان: إعلموا أولاً إنني ملك هذه الصحارى، ولي من الجند مالا تستطيعوا عهدهم، وماجنت لأجله هو أنني جئت انصحكم بتسليم أحمد، إن كنتم تريدون الذهاب دون حرب أو جرح، تعلمون أنه لاعداء بيننا ولا حرب، لكن إن رفضتم تسليم أحمد فسوف تجرون لأنفسكم المخاطر لقد قتل أحمد ابن عمي الذي كنت أحبه كابن لأمي، ووالجبي الذئب لابن عمي، غسل العار الذي خلفه ترك هذا القاتل حياً، أردف زعيم وداي قائلاً: ولكن ألا تخاف أن تقتل كما قتل قريبك؟ رد هذا العجوز: لا أخاف البته، فمن يقتلني سيقول بدوره لأمحالة، فنحن لانفسر عن نار أبداً حتى ولو مزقنا إرباً، بهذا الكلام الواضح قام أحمد وأمان السلطان وهم بقتله إلا أنه أوقف، لكنه تسلل من خلف الجند مستغلاً انشغالهم وهاجمهم وقام بقطع عرقوبي جمل السلطان فصاح الأخير فيه: "هذه الأخرى ستدفع ثمنها غالياً، سوف أنزل لجملتي أيضاً وسأقطع عراقيب أكثر من جمل من جمالك وسوف لن تستريحوا لحظة، وسترونا على أنركم حتى نسحقكم، بعد هذا التهديد قام زعيم الودايين وجك الزعيم العجوز بقوة في جانيبه وقال له: اذهب وافعل ما تشاء لعنك الله أنت ومن خلفوك.

قام السلطان العجوز ورجاله بهنوء وذهبوا بدون أكثرات مضمرين كل ما في صدورهم من غل للودايين.



انتهى ذلك اليوم، وفي صباح اليوم الثاني ملأنا قريتنا وجهزنا امتعتنا وفي لحظة شد الرحال صاح أحد رجال القافلة 'انتظروا لحظة، لقد اختفى أحد جمال الودايين' انتظرنا لحظة ثم تعالى الصباح من كل جانب فاضطربت القافلة وهاجت وماجت، فعرفنا أن التبو تركمان قد أخذوا الجمل المفقود وأنهم قتلوا أحد الودايين، انقسمنا بعد ذلك إلى مجموعتين: الأولى جرت صوب المكان الذي قتل فيه رفيقنا، وبقيت الأخرى تحرس التعبد والمتاع والجمال، فكنت من بين الذين ذهبوا للبحث عن الضحية فوجدنا الوداوى غارقاً في دمه وفي أنفاسه الأخيرة، وعلى مسافة منا رأينا مجموعات من الجمال، يحمل كل جمل فارسين ملثمين بالسواد حتى يخالهم المرء غرباناً حاطين على الجمال، لقد درب هؤلاء الأجلاف مطاياهم بحكمة ودراية بالغة فليس الحصان أكثر سرعة أو طاعة أو صبراً في أرض المعركة من جمالهم، فتقدم أحد التبو نحونا وصاح فينا قائلاً: ماذا تدعون؟ هل جئتم حتى ترفضوا ما يطلبه منكم؟ بالنسبة للجمل الذي عقرتموه فقد اخذنا جملاً أحسن منه، أما الجلد فقد دفعتموه حياة واحد من أفضل رجالكم، هذا الذي ترونه قليلاً أمامكم وسترون آخرين مثله أيضاً إن لم تكفوا عن عنادكم قبل فوات الأوان، فلاتغرنكم بنادقكم سوف ننقض عليها في جماعات منقطعكم لرباً لرباً.

كان ردنا على هذا المنطق القريب هو إطلاق بعض العيارات النارية على القوات التي كانت تراقبنا، وفي لمح البصر لم يبق من التبو الذين كانوا على مقربة منا سوى نقاط صغيرة بعيدة على الأفق، أما التبو الذين كانوا أساساً في قافلتنا فقد انعزلوا وساروا لوحدهم على مسافة منا.

طفى علينا القلق والخوف من أن يهاجمنا أجلاف التركمان من حيث لا ندرى، وتحسباً لأي خطر قد يطرأ رفعنا خيامنا وابتعدنا عن البئر لكن التبو تابعونا عن بعد، وطول اليوم كنا نراهم يكرون ويفرون ويقتربون منا ليهاجمونا ثم يداوشون وهكذا حتى أظلم الليل.

فتوقفنا بعد ذلك لأننا في حاجة لقسط من الراحة، لكن التبو المزعجين لم يتركونا للحظة ننعم بالسلام، كانوا في كل لحظة يداهدنا بعضهم رغم حلول الظلام، فكان بعضنا واقفاً للحراسة ويذهب آخرون للنوم، الأمر الذي جعلنا في

حالة استعداد دائم، كان عندهم يسمح بأن يقتلوا مضاجعنا، أما نحن فقلقه عندنا ماكن النوم يداعب أجناسنا الا نلجأ، فقد كنا ندرك جيداً أنه اذا أخذ القيو واحداً منا فسيفتلونه في الحال، فما كنا نستطيع مجاراتهم، فان قتلنا واحداً منهم فسوف يسحقوننا بعندهم، ثم اننا في بلادهم إضافة الى أن الموت بالنسبة اليهم لايعنى شيئاً.

كان علينا فقط ان نقوم بمقاومة سليية، وخلصنا الى ان نتحمل كل شيء، هذه الحالة المرحقة وهذا التهديد المتواصل والتعذيب الذي لايعطى تحملاً لمدة عشرين يوماً، ولم نتخلص من هؤلاء الأعداء المشاكسين الا بعد دخولنا لأراضي سلطان آخر من القيو، هم توبو رشاد أو توبو الجبال، أرض هذه البلاد محروقة جنباء تتخللها صخور عارية ولاتثبت الأشجار وبؤساً.

وما أن دخلنا بلاد القيو رشاد حتى انتشعت مخاوفنا وهناك انفسنا بالتخلص من أعدائنا بهذا القدر من الخسائر، كانت الشمس في كبد السماء عندما دخلنا أرض القيو رشاد، فواصلنا السير حتى السماء ثم توقفنا وتركنا جمالنا ترعى بحرية، فماعدنا نتخوف من طمع وضلوة التركمان.

وبينما كانت الشمس في طريقها للتبدد في الأفق، رأينا جماعات من القيو - رشاد يتون من كل حذب وصوب، وماهى الا دقائق حتى تجمعوا حولنا في حلقة دائرية على مسافة منا ثم نزلوا من جمالهم في انتظار جماعات أخرى، تابعنا هذه العملية بهدوء ثم سمعنا فجأة على البعد صوت طبول صغيرة تشبه طبول المسندية أو الشاويشي أو الدالاتية (وهم جوقة تبع القصر، يتبعون الأمراء بطبولهم في زمن الانكشارية<sup>(١)</sup>) وما أن سمع القيو رشاد صوت الطبول حتى قاموا جميعاً صائحين 'ماهو السلطان قد أتى'

<sup>(١)</sup> الانكشارية: هي القوة العسكرية التي تأسستها الدولة العثمانية في عهد بایزید الأول (١٣٨٩-١٤٠٣ م) حيث تطور نظام حرس الأولاد للدولة في تركيا باسم 'أمو حرمه' الى ما يعرف بالانكشارية وهم صناديق واهل المعارك الذين لم يصفون بسلح المعركة ووربون في المعسكرات العثمانية تربية عسكرية اسلامية نظمية وتتفق بعضهم لفهم اسلامية عالية واعط هؤلاء الملحق الى حرس السلطان وهم الانكشارية ولا يهرلون لاغصهم الا ولا لأمأ سوى السلطان والاموال، ولما اتحدت عندهم الدولة العثمانية في قوتها العسكرية والى ما، دولتها. بنظر د. عبدالرزاق الشاذلي: الدولة العثمانية - دولة مغربي عليها ج ١ ص ٣٢١.



لقد رأينا في الحقيقة رجلاً عادياً لم يكن لديه ما يميزه عن العامة، لقد جاء مع زوجته مردوفة خلفه على ظهر جمل، لم يصطحب السلطان معه شخص آخر سوى زوجته وعندما توسط الجميع، استقبلوه بحفاوة، وأناخوا راحته ثم أنزلوا جلالة السلطانة وبعدها غرسوا في الأرض أعمدة حديدية في شكل مربع، ولفسوا عليها ملاية كبيرة في شكل خيمة، يشبه هذا السائر الحواجز المثقلة التي تنصب في المعسكرات خلف خيمة الجنرال وخيار كبار القادة.

دخل السلطان وزوجته هذه الخيمة المرتجلة وتحول الجمع إلى حرس من حولهما، وبعد ذلك بقليل اقترب منا أحد النبوء وصاح قائلاً: 'يا أهل القافلة هيا تعالوا جميعاً دون استثناء تعالوا سلموا على السلطان قمنا وذهبنا للسلام، وعندما اقتربنا من "الكاريكاتير" السلطان أمرنا بالجلوس على الأرض فجلسنا في ثلاثة صفوف، ثم تقدم في المسافة التي تفصلنا عن جلالته رجل يرتدى على ظهره جلد خروف: أنه المترجمان فقال للسلطان: 'ها هم رجال القافلة أتوا للسلام عليك، قال صاحب المعالي التوبوي قل لهم أنني أسلم عليهم وأنهم في أرضي في أمن، وأنهم سيلقون معاملتهم حسنة نقل لنا المترجمان ماقاله السلطان الذي أضاف، يا أهل القافلة علمت أنكم ثلاث طوائف، اشراف وودأوين وتوبوي، وبالتالي يجب أن تقدموا لي ثلاث هدايا قبل الخروج من بلدي، واعلموا أيضاً أننا نرغب بشدة في أكل اللحم، لأننا لم نذقه منذ زمن طويل، وأن عندنا كبير، ففكروا في وجبة عشاء تكفيها جميعاً، ثم أحسنوا الطبخ هل سمعتم؟ فيجب أن يكون جيداً وأن يجهز سريعاً' اجبناسمماً وطاعة، قمنا بعد ذلك وعدنا إلى محط رحلتنا وهدانا في أعداد أحسن ما يمكن إعداده من طعام.

وعندما كنا نعد الطعام خرج السلطان وزوجته وجاءا إلى مكان قريب جداً منا، فتمعنت النظر فيهما، كان السلطان عجوزاً متهماً قانياً جافاً ونحيفاً ذو ناحية خفيفة ووجنتين شائرتين، بشع المنظر يرتدى إزاراً أزرق، شبيه بالمسيري الذي يلبسه الخدم في مصر، كان وجهه منطلي بشام أسود، يتلقى من جنبتي رأسه كقبليتين، يمدل في يده اليسرى حربة ريشة ذات رأس كبير، وإلى اليسرى عصا مثقبة مثل التي تستخدم في حث الجمال على المسير بسرعة، وترفع

بالطرف المتشعب منها الاغصان المتاخمة في الطريق، والتي يجب المرور تحتها،  
كانت السلطنة عجوزة نحيلة ومجعدة تشبه الساحرة، كانت تلف نفسها بملاءة  
مسيونية، وكان وجهها مكشوفاً ولكن أى وجه أو بوزا

دار صاحبها الجلالة حول خيامنا دون أن يتقوها بكلمة، أو يحييها أحداً  
وعندما جهزت الوجبة في الليل، وقد أعدناها على أحسن ما نستطيع، حملناها إلى  
صاحبى الجلالة النحيلين فأخذا ما أعجبهما وقسما الباقي على اتباعهما الجاسمين  
البانسين مثلهما، لقد قسمنا لهما أحسن الأطباق المرغوبة فى السودان، وهى  
عصيدة الدخن بويكة 'ملاح' المرموط (بعد هذا الملاح من التقيد الذى يسبق ثم  
يغلى بالسمن ويضاف إليه البصل وقليل من الماء، ثم يضاف إليه دقيق البامية  
الجافة مما يجعله متماسكاً فيصب الملاح حول العصيدة، ولكى تأكله تأخذ لقمة من  
العصيدة وتغمزها فى الويكة ثم تأكلها<sup>(١)</sup>)

بعد أن أكل السلطان وقومه أعلوا إلينا الأواني الفارغة، وأمرونا بإعداد  
وجبة أخرى للغد قبل شروق الشمس، وأصروا على أن نعد فى الزمن المحدد إذا  
أردنا أن لا يحصل لنا مكروه أو أن لا نثير غضب جلالتهم.

طلبنا من خدمنا اعداد الوجبة فى الزمن المحدد، قضينا أسوأ ليالينا  
متضجرين من هوس الذين أرحقونا من قبل، وهؤلاء الذين يهددوننا الآن، عند  
شروق الشمس أعطينا السلطان ما طلب، وقمنا للاستعداد للرحيل، وتحركنا ظناً منا  
أننا بذلك قد تخلصنا من صاحبى الجلالة السخيفين، وأننا لن نراهم ثانية هم  
وقومهما الانتهازيين المتسولين الجوعى.

فسافرنا طول النهار ولم نتوقف الا فى المساء بعد أن أرحقنا التعب، ثم  
لمحنا من جديد السلطان وعقابيله والسلطنة من خلفه، وصل بهندوه وهو يتحدث  
مع أصحابه ثم نزل على مسافة منا وعانت كل مراسم الأمن عدا السلام.

طلبوا من جديد وجبة، فأعدناها وقد نفذ صبرنا واشتد غيظنا لأبعد الحدود،  
حل الليل وذهب، ولم ندر كيف نهش هذه الآفة التى عذبنا، وكيف نتخلص من

<sup>(١)</sup> هذا الوصف من المعمرين المتأخرين من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.



مخائب هذا السلطان الجائع، ومنذ الصباح الباكر كان لابد أن نسلمه أنوارته، له ولعقابيله كما حدث البارحة.

ثم خرجنا أخيراً ومشينا طول اليوم في طريق مملوءة بسالحصى أنمت خفاف جمالنا، ثم نزلنا في المساء في مكان محاط بالجبال، قالوا لنا إنها عاصمة الدولة ومقر إقامة السلطان العادية، وجدنا السلطان الملعون مرة أخرى هناك، وجبة جديدة في المساء، وأخرى صباح اليوم التالي، لكن هنا زارنا أهل البلد الذين لم يرافقوا السلطان في رحلته لاستقبالنا على مشارف حدود امبراطوريته غيظاً لنا (علم السلطان بالهجوم الذي وقع علينا من قبل التبو تركمان، وللحصول على وجبات إضافية مشى أبعد ما يمكن لاستقبالنا ويستغلنا بكل سيولة<sup>(١)</sup>)

كان علينا أن نصرف كمية كبيرة من زائدنا في الجبال الثلاثة، فقد حاصرونا الحشد، وكنا نموت حمرة، فسألنا الله بخالص نوايانا أن ينجينا بسرعة، ومع ذلك فقد مددنا أقدامنا قليلاً للاستزادة بالماء، وأرسل كل واحدنا من هدايا لهذا السلطان البائس، في هذه الأثناء تمكنا من التجول قليلاً لروية المنطقة.

بينى التبو رشاد أكوأخهم على سفوح الجبال، ويعم البلد منظر حزين وبائس ويخلو من كل شيء إلا من بعض القلعان الصغيرة التي يشرب أصحابها لبنها والذي يعد غذائهم ومأدبتهم الرئيسية، أما الأشجار فليس في البلد سوى السيقان والذوم الذي يأكل التبو ثماره.

عندما تمر قافلة ويموت جمل من التعب يستولى عليه التبو ويقسموا لحمه، يقطعونه شرائح ويعدون منه القديد، الذي يحفظونه ويتغذون عليه، وتلك لعدم توفر اللحم الطازج.

في يوم الرحيل عند الصباح، وعندما كنا نستعد للرحيل لاحظت أن أحد عبيدي قد اختفى وأخذ معه جاريتين وحرب في الليلة الفائتة غائباً لبيعهما، أخرنا سفرنا ليوم وأرسلت للبحث عن العبد والجاريتين، فقد كان قد هدم خسارة معتبرة لي، فأعطيت التبو مبلغاً للحاق بهم لكن دون جدوى، فندمت لكوني أضفست إلى خسارة عبيدي خسارة نفودي أيضاً.

<sup>(١)</sup> ما بين الحاصرين لوميج فندم من المؤلف ليحول فتم يظهر في الأصل امرن - من: الرحلة في مصر.

فتذكرت في تلك اللحظة حكمة مجربة يعترف بها الجميع، وهي أن الإنسان عندما يعرض له الخير أو يأتيه ويرفضه سيندم حتماً يوماً ما، ويتمنى لو أنه سمع النصيح وقبل العرض الذي قدم إليه، وذلك ينطبق علىّ حينما فكرت في هذه الرحلة المشؤمة وعبور الصحراء اللعينة هذه، حاول السلطان صاهون شئياً عنها، وطلب مني البقاء في وداي قائلاً لي: انتظر عودة أبيت وسأهتم بأمرك، لكنني رفضت وتمسكت بقراري ويعلم الله ماكنّني هذا الرفض من ضجر وعذاب..

كانت أولى مشاكلي مع هذه الرحلة الكريهة هي ضياع حملي السريع الممتاز، حمار ذو قيمة كنت أعني به وأقول في نفسي لم لا يكون أفضل لي من أي جمل حيث يرحقني بقدر أقل وسوف أمتطيه لمعظم الوقت في الرحلة، وعندما يتعب أتركه لوحده ليستريح وأمتطي ساعتها جملًا.

عند بداية الصحراء دخلنا سهولاً واسعة من الرمال المتفككة حيث تمشير المطايا العادية بصعوبة، ومع ذلك فقد مشيت بشكل جيد ليوم كامل على ظهر حملي، تجاوزت فيه القافلة وسبقتها بمسافة طويلة نزلت لانتظرها واستريح، وبعد وصولها تركتها تمر حتى كانت أن تختفي من نظري، عندئذ لكزت حملي فمشي بسرعة فائقة خشية من أن تختفي القافلة عن ناظري فأعرض لضياح الأثر والنتية من بعده.

وصلت القافلة بمشقة كبيرة، وحملي المسكين بعد أن لرققه التعب، بدأ يعرق، فسأل الماء من جسمه كما لو أنه خرج لتوه من نهر لم ألق في بادئ الأمر، وماكنت أفكر إلا في اللحوق بالقافلة، وسلسلة الجمال المربوطة بعضها خلف بعض كحبات المسبحة.

كانت تسير بعد جمال القافلة مباشرة الجولري، وكان من بينهن جارية ذات جمال خارق، درة، فجاء حملي ووقف بالقرب منها وكاد أن يلتصق بها، كأنه أراد أن يحتسب بها، ويطلب منها النجدة ويشكو لها كم كان مرهق أردت أن أتبعه فضغطت برجلي على جانبيه لكنه أصر فضربته بقمى فعر، وبدأت الفتيات يضحكن علىّ، وقتن لي المسك عليك حمارك، ودعنا نسير في هدوء لم نستطع كبح عناد حملي، فنزلت منه وألزمت به ضربة قاسية من قمتي على بطنه فسقط



مغشياً عليه، كما لو أنني غرست فيه سكيناً، وقفت مذهولاً لم أتصور موت الحمار المسكين، فنزعت عنه لجامه ومرجه وكل حملة، وحملتها على أكتافي وأسهرت للحاق بجمالي، حيث أوقفت منها واحداً امتطيته.

حادثة أخرى وقعت لي، عندما لزمعت الرحيل من وادى كنت قد اشتريت عبداً قوياً ويعلم الله أنهم قد أخبروني بأنه لا يفكر إلا في الفرار، وللتحسوط كنت لبقية مقيداً دوماً وبالليل أربط السلاسل المربوطة في عنقه في وتد مغروس في الأرض عميقاً، وأجمل عبداً آخر ممن كان في خدمتي بنظام متوسداً السلسلة، فلم يجد فرصة للهروب، وبعد خروجنا من وادى كنت أطلق عيدي في النهار وأعيد ربطه بالليل بالسلاسل في عنقه والتود في الأرض، ووصلت في هذه الاجراءات التحوطية حتى وصلنا عند التبو رشاد، في الجبال الثلاثة فرجوني بعدها أن أفك أغلاله قائلين، أين تريد أن يذهب الآن؟ لاتعنيه أكثر من ذلك، فاذنعت لرجائهم وحملت وثاقه، لكنه خان وسرق اثنين من أجمل جوارى وهرب. كانت تلك بالتمسبة لي خسارة فادحة، فقد عرض على مبلغ مائة وعشرة مثقال من الذهب أي مايعادل مائتي كلون اسباني، مقابل هاتين الجاريتين ولكني رفضت وعرض على مستون كلونا مقابل العبد نفسه ورفضت أيضاً.

خيبة نائلة في رحلة الصحراء هذه، وقعت بعد أن فقت حمارى والذي عندما لرفقه المشى لحنى بجارية لم تر عيني جمالا يضاهي جمالها جانبية وسحراً فسألت من أى البلاد هي؟ ومن هو سيدها؟ علمت أنها ملك أحد التبو فى قائلتا يسمى تشاي، ذهبت اليه أن يبيعني الخادمة، فرد قائللاً لا أبيع خادمتي الا بأربع من منها وهذا يعنى أنني لاأريد بيعها، ساسخر هذه البنت لادارة منزلى، لأننى غير متزوج وستكون ربة بيتى، ارسلت للتبو ملحاً ومقماً عرضاً جديداً، وبعد أخذ ورد والباح اتفاقنا على أن أنفع ثمنها إحدى أجمل خدمني، وأخرى دخلت لتوها من الرشد، جميلة الجيد، وجمل سريع، فقم الاتفاق، وعندما أظلم الليل أرسل التبو الجارية وارسلت خادمتي والجمل، وعندما أدخلتها خيمتي ونظرت فيها لم أجدها هي تلك التي رأيتها، لقد نسيت واحترت ماذا أفعل، لقد بدت خادمة التبو زميمة، فارسلت لتشاي أخبره بأنه قد حدث للتباس في الاستبدال، وأن التي أرسلها

لم تكن هي التي أطلب، لم يرد التوبوى أن يستجيب لطلبي، فقد قال: ليس لدى جارية غير هذه وقد تم البيع، ويجب أن يفهم الشيخ أن الاتفاق هو الاتفاق، ولن أراجع عن اتفاقي، لقد ضايقني هذا الرد، ومع ذلك وبعد وساطات ومفاوضات ورجاءات حصلت من التوبوى أن يرد لي خاتمتي ويحتفظ بالجمل، فقبلت لأن الرجل من التبو رشاد ولا توجد هنا عدالة أخرى الجا إليها.

عدت أبحث عن تلك الجارية الجميلة فعلمت أنها ملك لتوبوى أخسر، وأن هذا الرجل يحبها كثيراً وتحبه أكثر مما يحبها، وإن هذا الجلف لن يبيعها ولو بوزنها ذهباً.

نعود لقضيتنا الأولى:

قبل أن نستأنف السير جمعنا كل ما كنا نريد أن نهبه للسلطان وقمنا به إليه ولكن بعد برهة أرسل يقول من جالبه ومن جانب زوجته أنه يحب أن يقدم كل فرد من القافلة مداً من الدخن كنديل على حسن النية، وفي الحال فرش سفراء صاحب الجلالة فروة كبيرة على الأرض وقام كل واحد من أفراد القافلة بتقديم حصته وفي لحظة ارتفع كوم من الدخن يكفي لإطعام السلطان والسلطانة وقومهما لفترة من الوقت لا ترى، فجمع التبو الدخن بعذية، ولم يتركوا منه حبة، وصبوه في جريبتهم ثم انصرفوا.

وما إن بدأنا في شد جماعتنا حتى رأينا السلطان يدور حول خيامنا وبينها كننل بائن، كان ينظر في كل الاتجاهات، ويهدي نفسه كل مأوقع عليه بصره من حبال وأباريق... الخ وكان يكرر كل مرة: "لنا سلطان هذا البلد، وسيد هذا الطريق، وكل من يرفض لي طلباً لن يخرج من هنا" جمع صاحب الجلالة التوبوى حصيلة طيبة، وعندما فرغ من التفتيش قال لنا عبر مناديه "انتظروا للحصول على الآن، ووصول صاحبة الجلالة لتودعكم هل تسمعون أيها الاصدقاء؟ فكان لزاماً علينا أن نؤخر شد رحلتنا وقبلنا: "علينا بالصبر فالصبر حكمة" وهما في نظير الساحرة المحجوز المرعوبة تمشي مثل الزرافة القبيحة، موشحة بعلاقتها كشبح إن رأها الشيطان تفرح، وصلت تفرح وتطلب من الجميع "الكلود" وأخذت من كل من كان عنده، أما الذين لم يكن لديهم فالتفت منهم مارةق إليها.



أخذت الأميرة حصيلتها ووضعتها في جراب كان يحمله واحد معها فحبستها واختفت، ولكن بعدها بقليل انقض علينا جمع من التبو قطيع من الأغوال والسياطين الفارة من الجحيم، فالتقربوا وكل واحد منهم يكرر عبارة 'لنا ميلايو' أي: ابن السلطان، فجابوا ثقالة وأخذوا كل ما أعجبهم، وكان يجب إعطائهم كل ما طلبوا.

لم يبق لنا تقريباً أي شيء ذو فائدة وبعد هذا التجريد سمح لنا السلطان بالمغادرة، ولم نتأخر فقمنا مسرعين ضجرين ومتعبين حتى الثمالة من أفعال التبو القبيحة وكما يقولون لقد نفذ السهم، أخذوا منا كل ما أعجبهم، من نأحييتي تكاد عيني تدمع كلما أتذكر العبد الذي فر مع لمتين من جوارى.

دخلنا الصحراء التي كان يجب علينا أن نعبها للوصول إلى قطرون وهي أول بلدة على الحدود الجزائرية، لقد رافقنا حوالي مائة وخمسون من التبو رشاد الذين كانوا يتبعوننا عن بعد، ويتابعون نقاط استراحة فافلتنا، حتى إذا نسينا مسكيناً أو قطعة أو مشاكل ذلك (والقوافل تخلف دوماً أشياء مماثلة) جاموا وأخذوه، وعادة إذا مات جمل فاتهم يأخذون لحمه ليصنعوا منه القديد، وإذا مرض جمل واستغنى عنه صاحبه فاتهم يأخذونه أيضاً، في هذه الرحلة الطويلة إلى فزان استأجرنا منهم عدداً من الجمال ويتم الاستئجار على النحو التالي:-

عندما يلاحظ أحد المسافرين أن جملاً من جماله قد تعب ولا يستطيع الوصول إلى موقع توقف ثقالة، فإنه يعطيه لأحد التبو ويطلب منه جملاً آخر، فيسأل التوباوى 'أي جمل تريد أن أرحله لك' فيشير إليه المسافر للجمل الذي يراه جملاً فيقيس التوباوى الجمل للتأكد من وزنه، فإن رآه مناسباً وافق على حمله حتى فزان، ويأخذ التوباوى الجمل المريض أو المتعب فيتركه يمشي على مهله حتى يصل إلى بلاده أو إلى فزان، ثم يخضع لعناية خاصة حتى يستعيد عافيته وقواه.

وإذا وجد التوباوى الحمل ثقيلاً يتركه، وقد اضطررت لاستئجار جمل من التبو حيث التزم أحمد بحمل لمتنى عليه ثم ركبت مع لمتنى حتى مرزق، وكان على طول الطريق يأتي التوباوى كل صباح ساعة من الرحال ليشد جملة بنفسه،

فإذا أضفت شيئاً يسيراً على الوزن الذي اتفقنا عليه من قبل يحتج التوباروى بشدة قائلاً: لن نرحل إلا الأحمال التي قبلتها عند الاتفاق.

كنا نشاء الخروج من أى محطة يأخذ التوباروى زمام الرحلة التي أجهزها لي ويسير على أقدامه طوائف فترة الصباح والضحى ليقتلع كل الشجيرات والأشجار أمامه ويطعمها جملة دون أن يتوقف، وبعد حلول منتصف النهار يترك الرجل الزمام متنبئاً ويذهب لجمع الأعشاب حتى من مسافة بعيدة من القافلة، وعندما يتوقف يأتي ويطعم جملة الأعشاب التي جمعها، ولذلك فإن جمال التبو ورغم طول المسافة تبقى دائماً على أحسن حال، بينما تبدو دائماً سيماها الجوع والتعب على جمال المسافرين، كما هو حال جمالنا.

سأحكي هنا قصة قصيرة تعكس جهل ووحشية التبو المنتشرين، فقط في صحاريهم ولا يعلمون شيئاً عن أبسط الأشياء في البلدان المتحضرة. كان في قافلتنا طرابلسى اسمه الرئيس عبدالله، وكانت له ساعة قيمة رغم كونها من النحاس، وعندما ذهب إلى وداى كان ينوى بيعها للسلطان ولكنه لم يحصل على السعر الذي طلب، فاستبقاها، وكان يهتم بساعته ولا يترك أحداً يمسها أو يلمسها، وكانت آخر محطاتنا في أرض التبو رشاد مكان ظليل كثيف الأشجار، فتوقفنا للقبولة عنده، حيث أرحقنا بحر أحمراراً وعبيداً، فانتظرنا لنخف حرارة الشمس حتى لا نسقط، عندما بدأت الشمس في الانحدار استأنفنا السير قبل وقت كاف من المغيب حتى نستطيع تعويض الزمن الذي أضعناه في النهار، لن نعوضه ليلاً وحتى نكون في مأمن من العطش والموت.

شاء التقدر أن ينسى عبدالله ساعته في المحطة فقد نسيها معلقة على غصن شجرة، عندما أوى إلى ظلها في الظهيرة، وعندما تحركنا جاء التبو كعادتهم وأخذوا كل ما نسيناه أو تركناه، فرأى أحدهم الساعة فعمد الفرح لروية لونها الذهبى ثم تقدم وأمسكها لكنه سمع صوت حركة بالقرب من القطعة الذهبية فردها من أنفه، فإذا بالصوت يزداد حدة ووضوحاً، تخيل هذا التوباروى الجلف أن هناك شيطاناً محبوساً داخل هذه القطعة الذهبية، وبكل قوته قذف بالساعة لترطم بجزع



الشجرة وتتكرر الى ألف قطعة، الزجاج، السلسلة، لقد انكسر كل شيء ثم صاح المتوحش (شيطان - شيطان) وفر بأقصى سرعته وتبعه رفاقه يتسابقون. تذكر عبدالله ساعته وبحث عنها في كل مكان ولم يجدها، سأل عنها رفيقه وجوليه ولم يعلم أحد ماجرى لها، تذكر أخيراً أنه نسيها معلقة على الشجرة حيث استراح عند الظهيرة، فأخذ جملاً وأسرع نحو المكان، فوجد الساعة مكسرة وقطعها مبثرة على الأرض هنا وهناك، وقف مذهولاً يضرب كفه بالآخر متحسراً، ثم صاح: لعن الله الوقت الذي مضيناه هنا، ثم رجع الى القافلة حيران لئلاً.

عند محطة للرحال ذهب عبدالله الى التبو الذين كانوا يتعقبوننا وسألهم عن من كسر الساعة، فقال أحدهم أنا، أنا الذي دمرت الشيطان، لقد أوقعت عليه ضربة قاضية كتب عبدالله اسم محطم الشيطان، وعند وصولنا الى مرزوق، امسكى عبدالله الى القاضي طالباً مبلغ أربعين ريالاً، وقد أرغم التباوى على الدفع. وقبل أن نبرح لرض التبو أقول كلاماً يسيراً عن الطريقة التي يسلمون بها على بعضهم البعض.

يعيش التبو في مجموعات معتبرة العدد، جشعين وشحيحين ويفوقون كل قبائل السودان في الوحشية والبدائية، سأذكر هنا مثلاً لطريقتهم في السلام: فهي إحدى السخافات التي استوقفتني، فعندما يلتقي أحد التبو بفرد آخر لم يره من زمن بعيد فأنهما يتباشران بالمصافحة بل يجلسان بهدوء وصرامة كجلسة القرد، والثناء متدلّياً على وجهيهما حتى العينين، اليد اليمنى ممسكة بالحرية المغروسة على الرمل، واليد اليسرى ممسكة بالترع، يقول أحدهما للآخر بصوت فظ توحانتشيدو فيجيب الآخر توحانتشيدو هذه طريقتهم لقول السلام عليكم ثم يكررونها بالتناوب كثيراً، بعدها يقول أحدهما للآخر: تيحيلو جانحي فيرد الآخر تيحيلو جانحي وتعنى: كيف حالك، ويكررون ذلك بالتناوب مرتين أو ثلاث دون أن يتحركاً، ثم يبدأ أحدهما يقول: 'أحيلاً' ويكرر الآخر على الفور 'أحيلاً' ويبدو أنها تعنى حفظك الله، وعندما يصل التبو الى هذه الأحيلاً فأنهما يكررنها ويبدأ في خفض صوتيهما تدريجياً، حتى إذا ما علت آخر أحيلاً مسموعة يبدأ أحدهما من جديد فجاء ويصرخ

صرخة مدوية أحيلاً، وتخال أن مراسم السلام قد انتهت، لكن المسألة تبدأ من جديد وبصرخة مدوية ب (ولحانتين) وكل الموسيقى وكل المراسم تعود بين الطرفين بنفس البطء وب نفس الطول، وللمرة الثالثة: ودائماً بنفس الطريقة ونفس الكلمات في نفس الأماكن ونفس القصيدة التراجعية.

ويدور هذا المشهد بأكثر قدر من البرود في العالم، ولمدة قد تصل إلى ساعة لم أر شيئاً مماثلاً لهذا النوع من السلام، الا عند أكلاف الفور في جبل مرة وتموركة، فعندما يلتقي اثنان من الفور فانهما يلتقيان على بعضها التحية تقريباً بنفس البطء كما هو الحال عند التبو، الفارق فقط هو أنهم ينوعون عبارات التحية والمجاملة ولا يكرر الشخصان نفس الكلمات، يقول أحدهما لولا 'أسي' كما تقول 'بخير، بصحة جيدة، أراك على مايرام' فيجيب الآخر 'كي ديون أسي' وتعني نراك على مايرام، ثم يقول الأول: 'كموننقو مياحين أسي، تلي جساء لا وتعني جنت تبدو لي بصحة جيدة، (لا يعرف الشيخ التونسي معنى الكلمة الأولى: جين بمعنى أنت، ون للتوكيد أسي: حرف للربط، تلي: على مايرام، لا: تأتي فيرد الثاني (جين اف جن) وتعني: وأنت هل بصحة جيدة، جن بمعنى: أنت، أسي: بمعنى: عافية، وهي كلمة عربية، جن، بمعنى: منك، يواصل الأول بقوله 'نقلا تلي أسي' بمعنى هل الاطفال بصحة جيدة، نقلا: اطفال، تلي: أي جيد، لي بمعنى: هل، والرد (أي تلي) أي نعم جيد، ثم يصدر الأول صوتاً أصمّاً وفمه مغلق 'أم م' ويكرر الثاني معه 'أم م' ثم يكررها كليهما لبعض الوقت، لكن كل ذلك يتم في وقت أقل مما يمضيه التبو.

لما الفور الذين تعربوا قليلاً كفور الفاشر، كوبي، كريو، تارني، والبرقد، وكل الأماكن التي يتحدث الناس فيها قليل من العربية فإنهم يتسالمون عندما يلتقون بقولهم 'أصبحتو' والرد 'أصبحتو' وتعني حفظكم الله هذا اليوم<sup>(١)</sup>، ثم يقول الأول: عافية، ويرد الثاني أيضاً: 'عافية' وعندما يتقابلان عند الظهيرة، أو مابعدهما يقولون: قيلتو<sup>(٢)</sup> ويقال الباقي كما يقال في الصباح وينتهي بعافية.

<sup>(١)</sup> أصبحو: بمعنى كيف أصبحتم، فود اثنان، عافية.

<sup>(٢)</sup> قيلتو: بمعنى كيف كنتم فلو كنتم، فود اثنان، عافية.



وعندما يقابل شخص شخصاً آخر من بلد غير بلده يقول له 'حبيبك' وهو تحريف لمرحبا بك العربية ويرد الغريب 'حبيبك عشرة' وباقي السلام يتم كما ذكرنا انفاً.

ويقال للذي يعود من السفر 'جيداً جيتو' فيرد: 'جود حالك' اما الفور الذين يسكنون في نفس المكان فيستخدمون عبارات للسلام خاصة بهم في الصباح وما بعد الظهر، ففي الصباح يقال 'اس جن اس تلى كولا' بمعنى هلى صحوت من النوم بخير\* والترد يكون 'كى ديلون اسى جلى نى فى جن' بمعنى تراك بخير، او انت بصحة جيدة<sup>(١)</sup> وبين الظهر والمساء يقولون 'اسى بمو' أى هل امسيت بخير فيرد الثانى 'كى ديلون اسى بمو' بمعنى تراك بخير هذا المساء وباقي السلام هو نفس سلام الصباح وبصورة خاصة سلام الظهر.

وفى برنو يتسالمون على الطريقة التالية: يقول أحدهم 'فى لايلار' بمعنى هل من اخبار 'وتعدل: كيف حالك، وهى تحريف للعبارة العربية 'هل من خبر' ويرد الثانى 'لى لى لى' بمعنى 'بخير وكيف انت'.

نعود الى التبو فهناك أيضاً مايتفرد به هؤلاء الاجلاف فبعد انتهاء السلام يتحدثون عن بعض شئونهم ونزاعاتهم، ودائماً يحول الشخصان المتسالمان السلام ولمدة طويلة الى شكوى وتذمر، وفى لحظة مايقومان ويتضاربان بالحراش حتى يفصل الناس بينهما وهكذا، فعندما يلتقى اثنان من التبو يتبادلان عبارات مجاملة طويلة ويتسالمان لمدة ساعة بطريقة ودية جداً، ثم ينفجران فجأة وفى يد كل منهما حربته، فيهم بها على الآخر، بكل ما أوتى من قوة، دائماً يكون سبب هذه الصراعات المفاجئة الجشع والشح الذى يتمتعون به، فيذكر أحدهما للآخر حدثاً أو يلومه بكلمة أو على ضياع شىء تافه، فتثور بينهما ثائرة الغضب، ويقومان للنزال<sup>(٢)</sup> ويميل على جشعهم فانهم قد يتنازعون ويمنعون تحرك قافلة من اجل حبل أو قطعة جلد قد لا تساوى قرشاً واحداً.

<sup>(١)</sup> توضيح للمعنى لعل به الشبح الفرنسي غير موجود في الامل العربي.

<sup>(٢)</sup> توضيح للمعنى لعل به الشبح الفرنسي وهو في الامل العربي.

لنعود إلى حكاية السفر، كنا كما أسلفت في الصحراء التي تفصل بين بلد  
التبوء وحدود فزان، وتبلغ المسافة في هذه الصحراء القاحلة عشرة أيام بلا ماء في  
الطريق، ولهذا أخذنا ما يكفي حاجتنا من الماء وأعطيناها غاية فائقة، كنا نساءفر  
ولماعات طويلة في أول الليل وآخره، لنتحاشي عذاب الحر والعطش، وأرد أن  
أقول إن العطش الحارق عندما يصيب أحداً يشتد عطشه ويزداد كلما شرب ماءً،  
لقد أمرنا الخطاء، وأردنا ابتلاع المسافة وفي آخر ليلة، لم يبق لكثير من  
المسافرين ماء، فقط تبقى للبعض منهم النذر اليسير، أما أنا فمازلت أحتفظ بفضل  
الله بأربع قرب، فقد جاءتني فكرة ادخال قربتين في قرفة للاحتفاظ بهما، متحاشياً  
نقص الماء بالتبخر بفعل الحرارة والهواء، أما الأخرى فأتيت: فكانتا معلقين على  
الجمال، القرفة في السودان تعلق على حقائب كبيرة من جلد البقر مدبوغ بعناية  
تصنع في وداي وتخاط بسير رفيعة من الجلد.

في الليلة التي سبقت دخولنا فزان، مثبناً كثيراً، ولم نتوقف إلا عندما يغلب  
علينا النعاس والتعب وبوضع أرجلنا على الأرض ينام كل منا في مكانه، لقد أعيانا  
التعب، كنت قبل النوم أعطيت العطشى من عبيدي ماءً، ووضعت رأسي بين  
قربتي لم أفكر في حفظهما بشكل أفضل، ونام عبدالله ورفيقه بالقرب منا، وعندما  
استيقظت في الصباح وجدت قربتي فارغتين، شرب ماءهما عبيد عبدالله، فشكوت  
ليه، لكنه لامني على عدم تحوطي، وخاصة في صحراء كهذه، ولامتني القافلة  
على حملي على عبدالله، لأنه أقسم لي بأغلظ الأيمان أنه لم يلحظ شيئاً، وأنه بجهل  
تماماً ما إذا كان رفيقه قد شربوا الماء أم لا.

ثم توجهت القافلة صوب بنز تبعد حوالي ست ساعات من القطرون،  
فوصلتها في الصباح، قبل الوصول إلى البنز التي ذكرتها تعرضت إحدى جاريتي  
اللتين أعطيتهما مع الجمال مقابل جارية التبوء، والتي تحدثت عنها سابقاً، تعرضت  
لعطش الصحراء (الثوب) فالمسكينة أصابتها رغبة عارمة في الشرب، وكانت  
كلما تبتلع جرعة تزدد عطشاً، فارتعشت لرؤية المسكينة وهي في حالة تدهور،  
فلحظت نوترى بدوى من رجال القافلة اسمه خليل فقال: أعطوا هذه البنت عرفة  
أصبع من اللبن وستحسن حالتها" فاتبعت نصيحة البدوى وفي لحظات خفت



معاناة جاريتي وأركبتها في جمل، لأن كل العبيد الذين يرافقون القافلة كانوا يسيرون على الأقدام، شاء الله أن تنخفض حرارة الشمس، وبحلول الليل شفيبت جاريتي تماماً من الألم، وكنت حتى ذلك اليوم أجهل تلك الوصفة التي نلتى عليها البندى خليل، وعند عودتي إلى تونس حدثت أحد أصدقائي بذلك، فحكى بدوره الحكاية التالية والتي اعتقد في صحتها، لأنه صدوق ياتمه الناس.

قال لي: قبل سنوات تحرك ركب حجاج المغرب عبر الصحراء قاصدين مكة فتأهروا وانتهى ما عندهم من ماء، فقال لهم شيخ القافلة لكل قافلة شيخ وإمام بواسطة مناديه: كل من يؤمن بالله واليوم الآخر ولا يريد أن يذل بتعجيل نهاية أيامه، ويريد أن ينجو من الخطر الذي يهددنا عليه أن يتناول بضعة أصابع من السمن فسمعوا نصيحته ولم يتناول أحد منهم ولمدة عشرة أيام شيئاً غير السمن فلم يعاني منهم العطش رغم الحر والتعب، ثم أعاد الله الحجاج إلى طريقهم لم يمض منهم أحد، هذه الحادثة أغرب من حادثة خالمتي.

عندما وصلنا البئر التي كنا نقصدها حمدنا الله وكان قد تبقى لي حوالي قربة من الماء موزعاً بين القربتين، فمكثنا في البئر حوالي ثمان وأربعين ساعة ثم قمنا ودخلنا الأراضي الفزانية، كان أول بلد نبلغه هو القطرون، وجدنا ضواحيها حديق نخيل كبيرة، ورأينا جمعاً من سكان قطرون قادمين للقائنا، جاءوا يداركون وصولنا، ويستقبلوننا بحفاوة، فنزلنا القرب في البلدة، بعدها جاءت مجموعة من الأهالي تبيع لنا البلح، يلاحظ أن بلح قطرون كبير الحجم ونحو طعم ورائحة طبيبتين، وتكفي بعض الحبات لأشباعك هذا على الأقل ما حدث لي.

اعتاد سكان البلد على التمر الذي هو غذائهم الرئيسي وربما الوحيد، ويأكلونه بكثرة، وفي كل وجبة، ويطعمونه حيواناتهم الأليفة كالأبقار والخيول، أما أرض قطرون فرملية وجنباء وسكانها سود على الأقل كسوك السودانيين، وهم خليط من التبو رشاد الذين لا يعرفون العيش بين الصخور، وبعض الفزانيين الأصليين من مواليد قطرون، هذا البلد باتس جداً، والسمن والعسل فيها نادران نذرة عنقاء الغرب، ويكاد القمح أن يكون غير معروف تماماً، فلا يوجد غير التمر والشعير والشحم الذي يأتي به العرب من المناطق المجاورة التابعة لمحمية

طرابلس، وبيع بسعر غالى، ويوزع الشعير فى ضواحي القطرون بالتقرب من  
الآبار ويستخدم ماء هذه الآبار للرى لئلا تنزل الأمطار أبداً.

ويعتبر اللبن أيضاً من الأشياء النادرة فى قطرون، فالذى يمتلك نعجة أو  
شاة جلوباً يذكره الناس كرجل سعيد، ويحسده البعض، وفى هذا البلد الفقير يباع  
الخروف بعشرة درو، وقد لايزن خمسين رطلاً من اللحم، والشخص الذى يبيع  
خروفاً بمعجزة فائه يحفظ جلده بعناية، ويخلق صوفه بعناية، ويغزله أما الجلد،  
فيفلى ثم يؤكل بشهية، وتقام مأدبة مساء اليوم الذى تقم فيه وجبة الجلد ويملا  
السرور والغبطة البيت.

قضينا ثلاثة أيام فى قطرون، ثم سلكنا طريق مرزق عاصمة فزان  
وصلناها فى أربعة أيام، الناس فى كل السودان يسمون هذه العاصمة 'زِيلَع' ويبدو  
أن هذا هو اسم المدينة القديم.

استوقفنا رجال الجمارك فى مدخل مرزق، أحصوا الرقيق ودونوا العدد  
الذى يملكه كل منا، بعد ذلك دخلنا المدينة ونزلنا جميعاً فى منزل محمد بن يونس،  
أحد أبناء يوسف باشا، والى طرابلس.

مرزق بلدة كنيية قد لا تسأرى قلوب 'حاضرة مقاطعة القليوبية، على بعد  
أربع أو خمس ساعات من القاهرة، وسكانها خليط من زنج أفانو وبرنو، أما  
السكان البيض وذوى البشرة البرونزية فكلهم من العرب القادمين من محمية  
طرابلس، جالو، أو جله، ودرنة، أرض مرزق هشة ومالحة، وتنعزل عن أى  
مكان آخر ماحول بالسكان بمسافة يوم ونصف أو أكثر، وفى بعض الاتجاهات  
ثلاثة أيام، يتكون سوق عاصمة فزان من صفين من النكاكين فى كل صف سبعة  
لا أكثر ولا أقل، يبدأ السوق فى كل يوم حوالى الساعة الثالثة أو الرابعة، حسب  
طول، اليوم يتجمع الناس، البعض جالس القرفصاء أمام الأربعة عشر مكاناً،  
ويجوب الدلالون المكان يصيحون عارضين مختلف البضائع على نظام المزاد،  
يكررون الأسعار التى يعرضها الحضور، والذى يزيد دوماً على تلك الأسعار من  
سمن مثقال من بندرة الذهب إلى ربع نصف، أربعة أمداس المتقال.. الخ ولايستمر  
السوق أبداً لأكثر من ساعة ونصف.



يوجد أمام قصر السلطان<sup>(١)</sup> ميدان فسيح في مساء اليوم الذي وصلنا فيه  
قدم لنا وكيل محمد يونس وجبة عشاء، إذ من العادة أن يقدم صاحب الدار الذي  
تنزل فيه النافلة أو وكيله وجبة عشاء في الليلة الأولى، لقد قدم لنا طعاماً يعلم الله  
حتى رقيقنا لم يتمكنوا من تناوله.

ذهبنا صبيحة اليوم التالي لمقابلة السلطان ومعنا هدايا سلمناها لوزيره  
الأول عثمان والذي كان سلفه مملوكاً للسلطان محمد في فزان ثم قدمونا الواحد  
بعد الآخر لصاحب الجلالة الفزاني.

بشرة السلطان محمد المنتصر كما يسمى، ببضاء تميل إلى البرونزية،  
عندما دخلنا عليه وجدناه متلفحاً بثوب أبيض كبير من الصوف، موشى بخطوط  
من الحرير الأبيض، يشبه الأشعلية التي ترتديها النساء في تونس، وأتباع الباشا  
من البدو. كان يبدو على محمد المنتصر العزلة والاعتداد، يجلس على كرسي  
"نوعامة" والذي يبدو هو عرش جلالة يساوي طول هذا الكرسي طول اثنين أو  
ثلاثة من الكراسي الأوربية، إذا وضعت جنباً إلى جنب، يشبه مقاعد الحدائق  
العامة، الفارق هو أن هذا الكرسي الذي يجلس عليه صاحب الجلالة الفزاني له  
مسند ظهر من شرائح خشب الأسل المضفور له أربعة قوائم من خشب الدليب  
الهندي سوداء اللون، ومزين في بعض الأماكن بالأصناف الصغيرة والمحار،  
تلتقي هذه القوائم الطويلة إلى حد ما وتتقاطع في أطراف الكرسي مع قطع خشبية  
أخرى تشكل أنوعاً للكرسي، وعلى ظهر الكرسي شكل أشبه بالقبة، مصنوع من  
شرائح الخشب المضفور أيضاً، على هذه الحافة يضع المرء العمامة والملابس  
عندما يذهب للنوم، لا يستخدم مثل هذا الأثاث في مصر إلا لوضع الملابس.

منذ أن ترك أكابر موظفي مصر لبس العمامة، ماعداً حامل العمامة  
مستخدماً في المنازل، كانت العمامة قبل حكم محمد علي باشا، وخاصة في عصر  
المماليك من الكماليات، وكان التجار يفتنون عدداً منها ودائماً من الكشمير بأحظ  
التمن، أما اليوم فما عاد يلبسها سوى المشايخ والخدم والسواكن وعامة الناس..

(١) رابع حاكم فزان اسمه وشيخها لقب سلطان، رغم أنه لم يكن سوى حاكم تابع لباشا طرابلس.

نظر: الترجمة الفرنسية

وأخيراً الإقباط وكل الذين لا يرتدون للنظام (الزى العسكري) يلبسون العمام  
ولا توجد حاملات العمام الا فى بيوت علماء الدين وميسورى الحال.

دائماً تزين قبة الكرسي بكرات لامعة وغالباً ما تكون ذهبية اللون، وتحف بأهداب من الحرير، والشرابيل في الأركان الأربعة وفي وسط القبة من الخارج تبرز كرات ذهبية اللون أو فضية أو من معدن الفضة أما في نهاية الأرجل الأربع للأعلى، فتوجد كرات فضية أو مفضضة تسمى عسكر.

لا يجلس تقاس أبدأ في مصر على الكرسي حاملات العمام، فهي خفيفة وحشة قد تتهاز بمن يجلس عليها، أما ذلك الكرسي الذي يجلس عليه الأمير الفراني المصمم فمصمم بشكل جيد ومتين وقد يكون جلالتة قد طلبه خصيصاً من مصر أو المغرب وقد يكون الوحيد من نوعه في داخل إفريقيا<sup>(١)</sup>

عندما دخلت على صاحب الجلالة الفرائي وجنته يرتدى عمامة بيضاء ضخمة لم أر لها شبيهاً، ولقد لفت على طريقة مكة، مائلة على الجانب الأيمن أكثر من الجانب الأيسر، ولا يوجد مكان في العالم الإسلامي يطوى فيه الناس العمامات بهذا التناقض إلا في مكة، لكن صاحب الجلالة الفرائي بلغ في حجمها وكيفية طيها لدرجة جعلت من التقائه أو تحريك رأسه أمراً شاقاً، لقد تكرم السلطان بقبول هداياي، ثم خرجت وكنت أضحك على هذا الأمير المفتوح والمتهني، والذي لا يسمع الأبلق الأنف كلمات منقطعة وبصوت خافت بغير شفوية وغالباً ما كان يرد أو يعبر فقط بإشارات غير واضحة - يبدو أنه من اللياقة في فزلان عدم الإسراف في الكلام أو الحركة في المراسم.

وتتف حول هذا السلطان المتعالي واسمه الكامل محمد المنتصر كما ذكرت  
حاشية من رجال يلبسون ثياباً رثة من الصوف يبدو عليهم جميعاً البؤس.  
بعد أيام من وصولنا إلى مرزق رأيت السلطان المزعوم يتجول وحيداً  
مترجلاً بين بيوت المدينة، يقولون أنه يزور بعض خليلاته من النساء.

هذا المذكر المرفوع من المجلس المذكور في تاريخه المذكور في الأصل المرفوع.



لقد زحف المكنى بجيشه ضد هذا السلطان المنتصر وجرده من الحكم وأرسله إلى ابن عمه أحمد الذي قتله بأمر الأول ومن ثم قتل المكنى أحمد وحكم فزان.

في اليوم الذي لايت فيه السلطان ذهبت في حوالي الساعة الثالثة لزيارة وزيره عثمان الذي يسكن في دار تجاور دار سيده، فرأيت أمام القصر عدداً من الزنج بثيابهم الرثة، يقفون لدرجة الغثيان ويضربون طبولاً أشبه بطبول الأتراك في العهود السابقة وينفخون على مزامير يبدو عليها البؤس أيضاً. قابلت عند عثمان القاضي طاهر وأخاه زين العابدين والشيخ الفاضل أحمد بن عيسى والشيخ محمد بن غلبون من طرابلس، ولقاء إقامتي في مرزق كنت أواظب على حضور الدروس التي يلقها الشيخ الأخير، في شرح وتفسير القرآن الكريم.

لقد سئمت البقاء في مرزق إذ لم أجد فيها حتى الطعام المناسب، ولم أعرف الموعد الذي ستغادر فيه قوافل طرابلس، ولايجرأ إنسان على التحرك، لأن العرب من بني سليمان قد قطعوا الطريق، وتمردوا على يوسف باشا طرابلس، ينهب هؤلاء الأعراب كل القوافل التي يرونها، وحرار دليل الباشا في كيفية ردهم إلى صوابهم، فانتظرت ثلاثة أشهر لأجد الفرصة للمغادرة، في هذه الفترة شهدت وصول المكنى، والذي كان في طريقه إلى برنو، بأمر من يوسف باشا، وكانت تلك هي آخر رحلة تجارية يقوم بها المكنى للسودان، فعند عودته من تلك الرحلة أعد له يوسف باشا حملة فزان ضد محمد المنتصر.

يوجد في مرزق عند محمد جداً من الأجانب، من المغرب وأماكن أخرى ممن قرروا البقاء في فزان، وفي مرزق هؤلاء يعيشون حياة أفضل، وفي هذا الموضوع قال لي الشيخ أحمد بن عيسى: ذات يوم جاء عالم متمكن إلى مرزق وبعد أيام من إلقائه الدروس الأولى تجمع حوله عدد من الناس يتابعون دروسه بمواظبة وإهتمام، ولكن الشيخ هرب ذات يوم ودون أي مقدمات، إذ ماعداً يطبق البقاء في مرزق فقال عند خروجه من المستحيل أن أبقى في مثل هذه المدينة أكثر من ذلك، فسأله لماذا؟ فأجاب: إن مرزق صورة طبق الأصل لجبهتهم، إن

جهنم حارة، ومرزق حارة وحارقة، ملاعين جهنم سود ومسكان مرزق بنفس  
السود على الأقل، لجهنم سبعة أبواب ولمرزق سبعة أيضاً أى شيطان تريدونى أن  
أكون، وإن أفل فى مكان فيه كل مافى جهنم\* ثم ذهب الرجل.

تبيع النساء فى مرزق أغراضهن ببعض التمرات أو حفنة من الشعير، هذا  
مأكده لى عند من الأشخاص، ما العمل فى هذا المكان؟ كيف أقتل السام، وكيف  
أعود على مكان ليس فيه طعام يطيب للمذاق، ولا يروح النفس لحفلة، وحيث  
لا تسقط قطرة من المطر، وحيث يأكل الناس وبهائمهم نفس الشيء: البلح كما أن  
الحصى اختارتها موطناً تبقى وتتجدد فيه بشكل دائم، بسبب تعاطى البلح وخبز  
الشعير والقمح نادر، لا يتعاطاه الا الأكابر والوزراء والسلاطان، والزبد معدوم كعدم  
الترتور الأحمر السحري، وذلك القليل الذى يجده المرء أحياناً بالصدفة يبدو  
كمعجزة تظهر للأغنياء فقط، ما العمل بالشحم الذى يباع فى مرزق كمادة رئيسية  
للمطبخ، مامصير المرء فى بلد يأكل فيه الناس ونعاجهم الكذب؟ ويعنون منه  
ولأنهم بعد أن يخلط بقليل من الملح، وإذا وجدت بالصدفة حاجة فإنها تباع بنصف  
مقابل من الذهب، وتباع عشر بيضات عندما يجدها المرء بنصف ريال وماذا بعد؟  
ألم أر عند القاضى نساء وخمناً يشكون رفض رجالهم إعطاءهم ما يأمرون وماذا؟  
التمر هل هناك أكثر بؤساً من الجباد التى تجر الماء من الآبار لسقى بعض  
المزارع الصغيرة؟ فى الحقيقة لا يستطيع البقاء فى مرزق الا التجار، إذ يحققون  
أرباحاً قد تصل الى ألف فى المائة.

لا يوجد فى كل قران سوى مائة وواحد مكاناً مأمولاً ويعيش الكل على  
التخيل والذى يؤدى مجموعة من الوظائف، فالتخيل هو الثروة الوحيدة، وبالكاد  
توجد بعض أشجار التمر الهندى حول الآبار.

لا يمكن أن تبقى مرزق أو تكون بنون التجارة فهى نقطة عبور قوافل برنو  
ووداي وباقرمى وكل السودان الشرقى والغربى يذهب تجار أوجلة لشراء البضائع  
المصرية ويرحلونها الى مرزق ويتزود تجار سوكنة فى طرابلس وبلاد البربر،  
ويذهبون بعدها الى مرزق وكذلك تجار بنغازى حيث يجلبون البضائع من طرابلس



وحتى من القسطنطينية ويأتوا بها الى عاصمة قران وبذلك تصبح مرزق حقاً  
عاصمة تجارية.

تقع سوكنة التي ذكرتها قبل قليل بين محمية طرابلس وعاصمة قران على  
تثنى المسافة من طرابلس أى على مسافة ستة عشر يوماً بسير القوافل وبعد يوم  
واحد من سوكنة في الاتجاه الغربى توجد هون.

في مرزق يفضل الناس الرقيق القادم من هوسا عاصمة أفناوا على الرقيق  
القادم من برنو ووداي وكل البلاد الواقعة شرق هذين البلدين، وفي كل مكان  
يرتفع الطلب على رقيق الهوسا، ويباع بسعر أعلى من الجميع، أما رقيق الباقرمى  
وبعده رقيق البرنو لمعتبر وذو قيمة أكثر من رقيق وداى، لكن أقل قيمة من رقيق  
السودان الغربى.

في المغرب وفزان كما نشرنا سابقاً لا يطلق اسم السودان الا على أفناو  
وهوسا ونوفي والبلدان الواقعة غرب أفناو، أما برنو ووداي وكل البلدان المجاورة  
شرقاً فيطلق عليها اسم بلاد العبيد.

في السودان الغربي تسمى مرزق - زيلع، وعند إقامتي بهذه المدينة سمعت  
للحصول على بعض المعلومات التاريخية عن البلد وأصلها، ولكن لم أحصل الا  
على معلومات تافهة، وكان ما استطاعوا قوله هو أن ملك فزان من سلالة الخلفاء  
العباسيين، وأن المنتصر الذي تحدثنا عنه والذي رأيت في مرزق يدعي الاتحاد  
من هذا النسب، الا أن العباسيين بعد أن طردهم التتار من بغداد هربوا حتى فزان  
حيث أقاموا ملكاً.

يمر الطوارق والتواتيون سكان توات بمرزق مسافرين وتجاراً، وأيضاً  
قوافل حجاج تبكت والتي تتوجه بعد مرزق الى أوجلة ثم سيوه في محافظة الجيزة  
ثم القاهرة، كانت قوافل تبكت تجلب الى مرزق كميات كبيرة من السلع والنقود  
من بكرة الذهب وشظاياها ومبائكه وختمه، ولكن الناس في فزان يفضلون بكرة  
الذهب إذ أنها أكثر نقاءً وضماناً، إن الذهب المجلوب من تبكت وبعض الأماكن  
الأخرى في السودان الغربي هو الذي يستخدم كنقد في مرزق بوزن الذهب،  
بالمقابل ثم يقسم للدفع، أما اليوم فقد نقصت كمية الذهب بشكل معتبر في فزان،  
ويدفع الناس غالباً الدورو حسب كمية وحجم المشتريات، وكذلك أرباع وأنصاف  
أو ثلاثة أرباع الدورو التي يقطعها الناس الى أربعة أجزاء متساوية.

أما بالنسبة لشراء المواد ذات القيمة الأدنى فلا يستخدم الناس في التبادل الا  
الشعير والتمر، إذ لا توجد قطع نقدية أصغر، وميلند الانتباه ويثير العجب في  
فزان هو طيبة وفطنة السكان في القول والفعل، وسأذكر هنا مثالاً:

يحكى أن أحد الفزانيين لنفق ماله بتهور وتضاعف الى درجة البؤس، وقبل  
أيام من مغادرة إحدى القوافل الى السودان ذهب وقطع كمية من جريد النخل  
والسعف وخرمها ووضعها في أكياس كتائية كبيرة، ثم خاطبها في طريدين  
وربطهما بعناية وقوة، فصارت تشبه البضائع، ووضع الرجل الطريدين على جمل  
وأتى بهما الى مرزق، وعند الدخول الى المدينة طلب رجال الجمارك اثنين دورو



على الجمل وعلم ان طردين قد وصلا الى السيد فلان من مصر، وفي العادة كانت رسوم الجمارك اثنين يورو عن كل جمل مهما كانت البضاعة، فمات رخيص أو حرير أو كشمير... الخ لا يسعى أحد لمعرفة ماهي البضاعة، ولم تفتح الطرود أبداً.

أخذ الفزاني الحمل الى بيته ثم ذهب لمقابلة الوزير عثمان قائلاً له: تعلم ان قافلة تتجه الى السودان يوم غد، ووصلني اليوم طردان من البضائع ولا استطيع ان أفتحهما وأعيد تعبتهما في الغد، وإلا تأخرت فخذ هذه البضاعة معك كرهينة وأعزني مائتي فرانك كمولونات لأجرب حظي في السودان، ومن ثم لرد الدين، قال عثمان: حسناً، ثم ذهب الرجل ورحل الطردين الى بيت الوزير، والذي وضعهما في غرفة خاصة، وأعطى الفزاني مائتي فرانك، ثم غاب الفزاني مايقرب من ستة أشهر، ونجح في متاجرته وعاد يقود عدداً معتبراً من الرقيق، وبعد ان استراح لبعض الوقت باع رقيقه ثم ذهب ليمدد دينه ويشكر صاحبه، وعندما قبض عثمان ماله قال الفزاني: هل تتكرم الآن باعطائي بضاعتي فأمر عثمان عبده باحضار الطردين فذهباً ولكن بعد جفاف الخشب صار الطردان خفيفين وبدا أقل امتلاءً مماكانا عليه عند وضعهما، وصار يسمع لهما صوت عند تحريكهما، فرفع الحمل عبدان فقط بينما كان في بادئ الأمر لا يستطيع ثلاثة أو أربعة تحريكه.

اندش الوزير وسأل عما جرى لبضاعة الفزاني وخطر له ان لصاً سلب وسرق شيئاً من الأمانة، أو ان رقيقه سحبوا منه شيئاً لم يدر عثمان ماذا يقول، وبدا قلقاً ومضطرباً، فهذه الفزاني قائلاً: لا تقلق لم تنقص بضاعتي شيئاً فهي كما تركتها، وهي ليس أكثر من كرناف (جريد نخل) وكان ذلك هو كل ما اعطيتك من رهن، وتحملت هذه الوسيلة حتى أحصل منك على المبلغ الذي أعزنتي إياه وقد وفقتي الله في مسعاه وجنت لارد لك نقودك وأشكرك على طيبتك أثبتك الله، فرد عثمان أنا سعيد بأن استطعت مساعدتك وقد برهنت لي خديتك الدقيقة والعالية، وقد وفقتك الله بها أعلى الدرجات، ومنذ اليوم فإن كل مالي وثروتي رهن لشارتك فكلما ترقاح الى شيء في تجارتك واسفارك لرجوك أن تأتي وتطلب المبلغ الذي تحتاج.

ومنذ ذلك اليوم صار الغزائي والوزير صديقين حميمين، هذا يؤكد قول  
الرسول الكريم "حسن النية سفينة للنجاة"

طالت اقامتي في زرق طول عمر لوبد<sup>(١)</sup> (صقر لقمان) فتضجرت ومللت  
الانتظار، ويعلم الله شوقي الى ما وراء الجبال والأودية، وتمنيت لو أن لي جناحين  
لطرت سريعاً، كان السفر غاية ما أتمنى لكن ما العمل؟ فقبيلة بني سيف النصر  
أحد بطون بني سليمان قد استولت على الطريق تهب وتسلب وتسبي، وحتى تقتل  
المسافرين، وجعلوا من عبور الصحراء أمراً مستحيلاً فتعلق سفر كل القوافل.

كنت أبحث كل ساعة وفي كل مكان عن رفاق يمكن أن أعتمد عليهم  
وأحتسب بهم فلم أجد، وأخيراً جاعني الشيخ محمد أبو قصيصة وقال لى أول  
ما رآنى: (هيا يا صديقى استعد مستافراً، لقد منحت سائحة لنهاية تضجرك، سألته  
أى سائحة يا شيخى الجليل، قال: لقد وصل أكثر رجال العلم الذين عرفتهم، وهو  
الشيخ بوبكر بن رديون رجل تجله الناس لتقواه وتحترمه كل قبائل عرب بنى  
سليمان، وقد اختاره يوسف باشا طرابلس وسيطاً لإخماد الحرب التى اشتعلت بين  
قبيلتي بنى بشر وبني سيف النصر، سألت أبو قصيصة: أى حرب هذه؟ ولماذا جاء  
بوبكر بن رديون الى هنا؟ قال نكل مافى الأمر هو أن بوبكر جاء موفداً ليوسف  
باشا ومعه الآن باصطحاب أعيان من بنى بشر، وهى أيضاً فرع من بنى سليمان  
الى طرابلس تحت حمايته.

تنقسم قبيلة بنو سليمان الى بطنيين: قبيلة بشر، وقبيلة سيف النصر، وهى  
الأكثر عدداً والأقوى عوداً، أولاد بنو سيف النصر المسيطرة على بنى بشر رغم أن  
القبيلتين تتحدران من أخوين، حملت كل منهما اسم ابيها، فقامت بينهم الحرب،  
فانتصر بنو سيف النصر، أما البشر المهزمون، فقد تركوا عدداً من القتلى فى  
أرض المعركة ولرغموا على الفرار، ولم يجنوا ما يفعلوا سوى اللجوء الى حدود  
أزلان ليعيشوا بشكل أو بآخر تحت حماية سلطان أزلان.

ومنذ ذلك اليوم بقطع بنو سيف النصر الطرق، وينهبون القوافل ويخلوا فى  
عداوة سائرة مع باشا طرابلس، فأرسل يوسف باشا قوة ضدهم لكنسها خزمته،

<sup>(١)</sup> صدر من سفر القمان انكم من لوبد، لم تمت بموت، بخر الرحمة العربية.



وارسلت اخرى لكنها هزمت أيضاً، اندمشت يوسف باشا وزداد قلقه، فاستشار وزراءه فنصحوه بان ينادى قبيلة البشر الذين انسحبوا الى مقاطعة شيباتى، وان يتقرب اليهم ويقرر قيام حرب بينهم وبين بنى سيف النصر، فقال الباشا: من استطيع ان استخدمه فى هذه المفاوضات، فقلوا له: من الاضمن ان توكل المهمة الى بوبكر بن رديون، فالرسل يوسف باشا فى الحال طالباً بوبكر، فجاء الى طرابلس واستقبله يوسف باشا بحفاوة بالغة وقدم اليه الهدايا ثم أخبره بنواياه، وشرح له غاية المفاوضات التى لوكل أمرها اليه، فقبل بوبكر المهمة، ووعد باحضار كبار بنى بشر الى طرابلس، أعطى يوسف باشا الشيخ بوبكر فرماناً واعدأ فيه بت القسم بحماية بنى بشر الذين يأتون الى طرابلس، ووعد بان يعاملهم بكرم وشرف. أخذ بوبكر هذه الوثيقة وجاء الى قران وقد وصل لتوه، وأعلن ان هذه أفضل مناسبة يمكن ان تتوقعها للسفر، انضم الى هذه البعثة (يقول أبو قصيصة) ورتب مع رفاقه وسكون تحت حماية بوبكر، فهو رجل دين وفضيلة، فقلت: منشرحاً: حفظك الله، أقمتنى للشيخ بوبكر حتى أتمكن من التفاوض معه والتعرف على مسائل عن أمر سفرنا، قال الشيخ: حسناً، سنراه بعد العصر رتب حالك للخروج من مرزق، من هذا السجن.

وفى الساعة المحددة ذهبت الى منزل أبو قصيصة ووجدت رجلاً يجلس بين العرب، يبدو عليه بحق القبل والتميز، كان ذلك هو بوبكر وعند دخولى قال أبو قصيصة: هذا هو اتونسى، أركيه وأضعه تحت حمايتك، فرد بوبكر: حسناً: حماية، اهتمام، دعم، نجدة، كل ما تريد ثم قال بوبكر: هل لك حاشية كبيرة ومتاعاً كثيراً، أحببت بنعم، بان لى متاعاً معتبراً، أردف الشيخ: من الأفضل ان تخرج من هنا قبلى وان تنتظرنى فى شيباتى، فلن أبقى فى مرزق إلا بضعة أيام، سألت: ولكن لا أعرف عند من مستزل فى شيباتى، رد قائلاً: هذا أمر سهل لا تقلق ولا تخف من شيء وكتب لى خطاباً الى زعيم قبيلة بنى بشر والمقيم فى شيباتى، ويسمى هذا الزعيم بشر أيضاً، وقد كتبت لرسالة تحوى الكلمات الآتية: عند تسليم هذه الرسالة عامل حاملها بصورة كريمة واعتنى به الى حين وصولى والسلام عليك وعلى أحبائك.

عين لي بوبكر مرشداً للطريق وفي صبيحة اليوم التالي غادرت مدينة  
مرزق القميئة المملة، ومع الصباح الباكر سلكتنا الطريق الذي يجب أن ينتهي بنا  
إلى مضارب بني بشر، صار المرشد رفيقاً وصديقاً ومؤنساً، سرنا معه لمدة أربعة  
أيام، وفي اليوم الخامس وصلنا إلى بلدة شيتي، ولحقنا مضارب بني بشر، قبيلة  
شجاعة متأهبة دوماً لأي طارئ: الهجوم والدفاع والأسر.

توجهنا مباشرة إلى خيمة بشر زعيم القبيلة وسلمناه رسالة بوبكر، فقال لي:  
مرحباً بك أنت هنا في دارك ووصف لي مكاناً بالقرب من خيامه لأضع فيه  
متاعى ورقتي، وفي لحظات نزلت كأحد أبناء القبيلة، عاملني بشر معاملة كريمة  
ولذلك انتظرت بدون قلق وصول بوبكر.

كانت مقاطعة شيتي حيث حل بنو بشر مؤخراً أرضاً مخيفة، تسمى 'وادي'  
وهي في الحقيقة واد تحفه أشجار النمر الهندي، وظلالها الوارفة، ولم الحظ فيه  
سوى قرية واحدة على مسافة من خيام البشر.

سيطر بنو سيف النصر على بني عمومته بني بشر وعذبوهم كما تكررت  
وأرغموهم على نزع مضاربهم والبحث عن أرض أخرى بعيدة، فصارت قبيلة  
بنو سيف النصر بشجاعتها يهابها الجميع، وأقاموا بين فزان ومحمية طرابلس  
متأهبين دوماً للنهب أو الحرب، ولم يضعوا أبداً سلاح الحرب أو النصب ويقع  
كائناً من كان ضحية في أيديهم.

لنر، أي وسيلة استخدمها يوسف باشا لتحجيم هذه القبيلة وإبعادها وتطهير  
طريق القوافل من وجودها، لقد طلب من بوبكر أن يبحث بشر شخصياً ومقربوه،  
مشروعه ضد الحملات المتواصلة لبني سيف النصر، وقد وعد يوسف باشا بدعم  
بشر ومده بالقوات، ووعدهم أيضاً بحمايته ومعاملته بشكل طيب إذا أرادوا قتال  
بني سيف النصر وملاحقتهم، لقد أتم بوبكر مهمته، فقد جاء إلى بشر والفضي إليه  
بمشروع يوسف باشا.

كنت قد انتظرت بوبكر لخمس أيام عندما جاء إلى شيتي، لقد مرت هذه  
الخمس أيام رغم ضيق عيدي وامثلي، لقد ابتعدت عن مرزق وقد أعاد السفر



الهمة إلى النفس، وأخيراً أصبح ممكناً أن لشرب لبناً، وأكل لحماً من بنى بشر  
وقتما أريد، وهنا أيضاً مرعى طيب لجمالى، حشائش خضراء وفيرة.

عند وصول بوبكر تجمعت القبيلة في مجلس كبير لتتساور كباراً وصغاراً  
شباباً وشباباً ليتفكروا في الحاقه الزامه، ويناقشوا الموضوع، ولذكراً دائماً بكل  
مرور الانطباع الذي تركه على الاجتماع والحرية التي كان يعبر بها أفراد القبيلة  
عن آرائهم وأفكارهم، حيث ينلى الشباب والأطفال مابين الثانية عشرة والخامسة  
عشر من العمر بآرائهم مثل المبحلين من كبار القبيلة، ويستمع إليهم الجميع  
باهتمام، ويعبروا عن أفكارهم، والجميع يعبرون المتكلم نفس الاهتمام بصرف  
النظر عن منه أو غرضه، ثم يردون إليه، فلا يرفض رأى أحد أو احتقاره.

من الأشياء الرائعة التي لحفظ ذكراها دوماً هو رؤية المسنين يستمعون إلى  
آراء الشباب الذين لم يبلغوا من الرشد بعد، لم يشد لتباهاى أى مجلس آخر بهذه  
القوة ولا اعتقد أن شيئاً مثل هذا يحدث في أى بلد في العالم، مجلس هادى ومنظم  
ومهم، مجلس يضم كل الاعمار لمعالجة مصلحة عامة، قضية تهم الجميع وتمس  
مصالح جميع فئات القبيلة، مجلس كهذا جدير بأن يتبعه ويقلده كل شعوب الأرض،  
لاأرى كيف تدار المجالس التساورية في فرنسا وانجلترا، ولكننى مقتنع بأن  
الفرنسيين والانجليز يمكنهم أن يأخذوا الترس والأنموذج في الاهتمام والحرية  
وشكل الحوار الجماعى من صحراء افريقيا، حيث يوجد هؤلاء الأطفال من قبيلة  
بشر، فللمتوحشين محاسن وللأجلاف كلمة، وهناك حقيقة، وهناك صبيحة يلقنون  
العلماء درساً، كما يوجد في الصحراء واحات وأماكن خضراء<sup>(١)</sup>

كان قرار المجلس هو أن يذهب بعض أعيان القبيلة إلى طرابلس مع  
بوبكر، وأن يبقى الباقون في شيتى، وبعد هذا القرار بدأت التجهيزات للسفر في  
قرب الماء، زيادة وتحسين علف الخيل لتحمل هذه المسافة، دامت الاستعدادات  
لمدة خمسة أيام، وفي السادس تحركت القافلة نحو طرابلس، ومشت على بركة  
الله، لم يكن معنا سوى عشرين من عرب التبادية الذين رافقوا بوبكر لمقابلة يوسف

<sup>(١)</sup> هذه الحكيمة حكمة من حديث علي بن ابي طالب في الشجيرة الحسنة.

باشاً، خرجنا من حدود فزان بعد يومين من السفر، وفي اليوم الثالث دخلنا سهولاً واسعة على مد البصر تكسوها الخضرة، ومغطاة بالأشجار الجافة والمخضرة. على طول الطريق لم يكن للبشر ممن هم في قافلتنا حديث سوى مغامراتهم ومعاركهم وسلبهم، يقول أحدهم: تذكرون اليوم الذي قمنا فيه بالحملة كذا، عندما هجمت علينا قبيلة كذا، حيث انقض علينا الخيالة في الموقع الفلاني، في ذلك اليوم الذي قتل فيه فلان وفلان في ذلك اليوم قتلت فلان، ورأيتي كل القبيلة أسدد للضربة التي أرنته قتيلاً.. ولم نسمع حواراً آخر سوى قصص ومغامرات بسو الصحراء.

سافرنا لمدة خمسة عشر يوماً في هذه السهول الغنية بالخضرة والمرعى، وكان بعض من عربنا في العطية يصعدون التلال ويجوبون الأفاق، في كل الاتجاهات، يتأكدون من أن المكان خال من أي مخاوف ومفاجآت، ولأنهم لم يروا شخصاً، ثم يعودون إلينا، ونسير سوياً حتى يظهر ما يوجب إرسال بعثة جديدة للاستكشاف.

دخلنا أرض الغريان في اليوم السادس عشر، وهي أرض كثيرة الأشجار مزدانة بالحدائق، ومواقع خلوية جميلة، وينابيع مياه وبرك، وبها أيضاً مزارع زعفران كثيرة، وفواكه مختلفة تقع الغريان على بعد عشرة أيام تقريباً من طرابلس في أرض المحمية نفسها من الناحية الغربية.

الغريان شعب طيب كريم ومضياف وودود، لكن الغريب عندهم هو أن كل مساكنهم مبنية تحت الأرض، ولا يرى على سطح الأرض في قرأهم سوى المسجد، وعلى مدى الفترة التي كنا في غريان، كنا نتوقف المساء في قرية، بينما نستجم عند الظهر في محطة، وحيثما ذهبنا كنا نستقبل بحفاوة وكرم، لكن العليخ لم يكن جذاباً لمذاقي على الأقل، ولم أستطع أن أكل إلا قليلاً من اللحم ماكن يقدم إلينا، ما عدا ذلك كان مستحيلاً على أن أكل منه شيئاً، كانت الوجبة الرئيسية والمأدبة الكبيرة عند الغريان هي عصيدة مغمورة في الزيت ومحلاة بعجينة من البلح، ولما لم يكن متعوداً عليها، لم أستطع أن أبتلع منها أكثر من لقمتين وبعدها اختنق.



عبرنا الغريان في خمسة أيام، ثم قطعنا بعدها سهولاً مثل تلك السهول التي قطعناها عند الخروج من فزان، مع فارق بسيط هو أننا نجد في غريان مضارب بدو من العرب هنا وهناك، لقد خرجنا الآن من المخاطر وماعدنا نخاف سوى الله. لقد اهتم بي الموقر بوبكر اهتماماً شديداً وعاملني بكرم، فأرغمني على الأكل معه، وعمرني برعايته، وعمني باطرانه وقدمني لإمامة الصلاة كان يستشيرني ويقبل رأبي في جملة مسائل فقهية وشرعية وعقائدية.

أما البشر الذين كانوا معنا، فبدأ لي فارغين من أي محتوى ديني وماكانوا يعيرون أمور الإيمان والشريعة أي اهتمام، فلم يصلوا أبداً ولاشيء، محرماً أو محظوراً عندهم، فتساوى عندهم الفضيلة والجريمة، يقسم البشر دائماً بالطلاق بالثلاثة، مضروبة في ثلاثة ومضافاً إليها ثلاثة للمسلم إذا قسم بالثلاثة لأي سبب وفعل بعدها الشيء، فعليه أن يطلق زوجته ثلاثاً بمجرد الفعل الذي أقسم به، ويقسم البشر على سبيل المبالغة (بالثلاثة) مضروبة في ثلاثة مضافاً إليها ثلاثة.

يفتخر البشر دائماً بعدد الأعداء الذين قتلهم ونهبهم، ويندم على مضي تلك البطولات ويتمنى لو عادت، كنت عند ذكر مثل هذه القصص والبطولات أقول للبشر: 'هذه الأعمال إجرامية لايرضاها الله، كفوا عن الأعمال الشريرة، توبوا' فيقولون: 'نحن ناس الحرام هذه حياتنا نعيش على الممنوع، وتزمننا مثل هذه الأعمال، أنها منافع أرسلها الله إلينا لكي نتمتع بها، ونعيش عليها، خلقنا الله بدواً وأسكننا هذه الصحاري' كنت ألتوا عليهم بعضاً من آيات القرآن الكريم، وأقرأ لهم بعض الأحاديث، دائماً فيما يخص عادات القتل والنهب والسلب، لكن البشر يضحكون عليّ، ويعنون ما أقرأ وأفسر مزاحاً، وأكبر دليل على أن المواعظ لم تنض إلى شيء هو أن أحد البشر واسمه كاتار، قال لي ذلك يوم: ياشيخ أنت سعيد بأن كنت اليوم تحت حماية بوبكر بن رديون ولولاه لكانا استوائينا على ما عندك من جمال وعبيد' وجملة القول: أن هذه القبيلة لا تؤمن بشيء، لا إيمان ولا دين عندهم، ويتساوى في ذلك كبيرهم وصغيرهم، ولا يوجد استثناء تقريباً، وإن وجد فقلة من العجزة والمعلمين، فكل ما عند هؤلاء من إسلام يتركز فقط على

الشماتتين وهي: " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لقد أتمنى قول وصحبة هؤلاء  
الرجال لكن كان على أن أبقى فقلت فيهم هذا البيت:

هؤلاء مرفاق لأصحاب وعلى الصياد مراقتة الكلاب

ولحسن الحظ لم يدم ذلك طويلاً، فعندما عبرنا غريان لم أعير البشر  
اهتماماً، فقد كنت أأمل غنى وخصوبة البلاد، ثم اننسى كائنات تلاحقنى فكرة  
العصيدة الخائفة التى كانت تتردد علينا كل يوم، وتقوم بخلق المسافرين التعساء،  
وقد كتبت لنكرى هذه الأرض أرض العصيدة السعيدة هذين البيتين (بتصرف):

نعم الغريان أرض شهيرة أرض غنى وخيرات وفيرة

وهناك ملاعبة المسافرين العصا. هى العصيدة

تغضى الغريان حقائق الفاكهة، ومراعى وحدائق عاتية ويعمها عدد من  
مجارى المياه ولكن المسافرين لا ينوق ثمرة إلا بعينيه، فمن يمد يده لفاكهة واحدة  
يرجم بالحجارة أو بالعمى، أو يقتل برصاصة، فثمار هذه الأرض وكل أشجارها  
تنقل لتباع فى طرابلس، وقد قلت فى هذا الشأن هذه الأبيات (بتصرف):

غريان أرض الحقائق الساحرة تملؤها الألوان الباهرة

تبهج النفس والروح معاً دون مس أو ذوق للمسافر

وأخيراً عندما رأيت الغريانيين يسكنون تحت الأرض كالموتى ويخرجون  
كالأشباح من أجداثهم عندما يسمعون صياحاً، فخطر لى أن أكتب قليلاً (بتصرف):

الغريانيون سكنهم القبور يشبه خروجهم منها يوم النشور

توجهنا من غريان مباشرة صوب طرابلس، والتي دخلناها فى المساء  
ورأينا تحت بابها رجلاً مشنوقاً على الجدار، فنزلنا فى بيت محمد بن يونس، أحد  
أعوان يوسف باشا، وقد كنت نزلت فى مرزق أيضاً فى منزل محمد هذا.

لم أبق سوى أيام معدودات بطرابلس، وقد زرت المدينة وبيدو لى أن  
شهرتها أكبر من حقيقتها، وقد يأوى كل سكانها حتى واحد من أحباء القاهرة



والمدينة بقلاعها وحصونها يستلعمها ولا يترك شيئاً ظاهراً خارجها، حتى يرجون  
ويمكن اخفاؤها كلها في حي الجوينية بالقاهرة.

تشبه بيوت طرابلس بيوت مدن محافظات مصر، وتحديدأ تشبه بيوت  
الاسكندرية قبل أن يعيد محمد علي بناءها وترميمها، لا يوجد في طرابلس سوى  
بابين: أحدهما في اتجاه سوق الثلاثاء والذي دخلنا به، والآخر بجانب البحر،  
وتوجد في النهاية قاعة كبيرة تسمى سوق الرب، في كل مداخل هذه القاعة  
وضعت أبواب يقف عليها حراس وكلاب لحراستها في الليل، كل التجار أو جلهم  
من جزيرة جربة، ولا يوجد من أهالي طرابلس الا القليل الذي لا ينكر، ويوجد  
أيضاً سوق الترك، والذي يتكون من صنفين من الشكاكين بكل صف حوالى خمسة  
عشر دكاناً وتباع في هذا السوق الملابس وأشياء أخرى أكثر أو أقل قيمة على  
طريقة المزاد، وأخيراً أيضاً يوجد سوق الكاملى أو سوق الدلالة حيث تباع فقط  
الأدوات المستعملة أو القديمة.

إن أجمل مساجد طرابلس هو مسجد الباشا المقابل للقاعة، وهى عندما  
دخلتها عبارة عن متراس مشابه لقلاع أحد الكشاف، وقد لا يساوى منزل بيه فى  
مصر، وفى أحسن أحواله منزل باشا.

فى زمن الذى كنت فيه بطرابلس كانت العملة السائدة تُقِيم بقيمة ضئيلة  
جداً، فالريال التونسى، والذي يقدر بثلاث الشدور و الاسباني أو ثلث الفلورى  
النمساوى، يعادل تسعمائة وخمسون ريالاً طرابلسياً . وأقول يعادل لأنه لا يوجد فى  
الحقيقة عملة تسمى ريال طرابلسى، فالمسألة لا تتجاوز تقدير شفاهى أو خيسالى،  
صار مستخدماً، ومن خلاله يقدر الطرابلسيون قيمة بضائعهم<sup>(١)</sup>.

لا يوجد فى طرابلس من الأطعمة الجاهزة للبيع الا طرشى البازنجان، أى  
يعنى ثمار البازنجان مطبوخ بالخل، والذي يعد من الأطعمة الراقية، والمرغوبة  
فى طرابلس ويمكن للمرأ أن يحصل على غذاء مرتجل، بشراء رغيفة بخمسين  
ريالاً وطرشى بخمسين أخرى.

<sup>(١)</sup> توضيح للمعنى من النص: بطرחה المرساة.

لما الذى بيعت عن مائدة فعلية أن يشتري كباباً، وهو عبارة عن قطع كبيرة من اللحم على حجم الجوز، ترص في قطعة حديدية وتشوى على الجمر، أو يشتري لحماً مطبوخاً، أو المصيدة، وعليك أن تضحي من أجله بمائة ريال على الأقل.

يعقد سوق بين طرابلس والمنشية في يوم الثلاثاء من كل أسبوع وهو سوق يعمه عند معتبر من البدو، وأهالي طرابلس وضواحيها بالإضافة إلى سكان المنشية، قد يجد المرء صعوبة في المشي في السوق نسبة لكثرة عدد الناس، ويجتمع في السوق تجار الأكمشة والطرايش في صف، وتجد باعة الأدوية في صف آخر، وفي ثالث تجد الجزارين الذين يذبحون ويبيعون في ذلك اليوم كمية من الخراف الجديدة.. وترى اللحم المنشور الناظرين، في ذلك اليوم يتمتع كل سكان طرابلس باللحم الطازج، أما في الأيام الأخرى عموماً فلا يوجد إلا الميسورين الذين يستطيعون إرسال من يجلب لهم اللحم من سوق الجمعة في المنشية، والذي يبعد حوالي ربع ساعة فقط من طرابلس.

إن المنشية مدينة ذات مساحة بامتداد وطول واسعين، وقد لا يعبرها المرء في طولها إلا في أربع ساعات، بيوتها مبنية على طراز بيوت مدن المحافظات في مصر، باستثناء بيوت وقصور الأكابر.. أن السبب في طول المنشية يكمن وراء أن كل بيت (عزبة) فيها حديقة ذات أشجار ونخيل وأرض زراعية، وتربياً كل السكان من العرب البدو في الأصل.

عند إقامتي في طرابلس قررت بيع ماعندي من رقيق، وأن أقبض القيمة نقداً، لأنه كان في الميناء سفينة تستعد للبحار إلى تركيا، والسعر كان مجزياً، ولم أبق إلا لمة واحدة من الباقرة اسمها زيتون، ثم استبدلت عند أحد اليهود ماعندي بنقود تونسية.

ثم ركبنا في قارب كبير متحرك صوب تونس، وبعد ثلاثة أيام من العبور أو السفر بحراً، وصلنا إلى جزيرة جربة، فنزلنا واشترينا بعض الطعام، ولكن بسعر أعلى بكثير من أسعار طرابلس، ثم ركبنا مرة أخرى وأبحرنا صوب صفاقس، والتي وصلناها بعد يومين من مغادرة جربة نزلنا بعد ساعة ونصف من



مغيب الشمس، ولم تكن تعرف أحداً بالمدينة، ولم تعرف أين ننام، لقد قادونا إلى وكالة بالقرب من باب البحر، حيث قضينا أتعس الليالي، ليلة كنا فيها غرباء مهملين لا يعرفون أين ينزلون، أو أين يدخلون، كانت الغرفة تطفح بالغبار الذي لم نستطع نفخه، إذ كان الليل داسماً، ولو كنا بقينا بالمركب لكان أفضل عشرين مرة، بدا الليل طويلاً بلا نهاية، واستسلمنا كغرائس للحشرات: القمل والبعوض.. وبدا لنا وكأن الصبح لن يأت أبداً ليعطى بداية النهار، ولأن الليل لن يجر أنياله أبداً وببزوغ الفجر هربنا من أسرتنا بأسرع ما يمكن كالتصوص، فأسرعنا لأداء صلواتنا بصلوات بالظهر وأخرى بالسر.

ذهبت لزيارة مدينة صفاقس وأسواقها فوجدت سكانها أجلاً بحق، حمر مستوحشة، ولا يجيبون على سؤال، ولا يسمعون شيئاً، حيوانات حقيقية في شكل بشر، اللهم إلا استثناءات نادرة، يتغذى سكان صفاقس على خبز الشعير والذرة الشامية، أما اللحم، فيستهلكون كميات من السبارس فقط، وهي صغار الأسماك التي تسمى في مصر بالتصير، وقد يستغرب المرء لكون صفاقس استطاعت أن تنجب علماء وكتاباً معتبرين، وشعراء، مثل علي حوليقي، والشيخ مقديش والشيخ علي غراب، أشهر الفقهاء، والذي عمت شهرته كل تونس، فقد كتبت عن غراب أبيات ساحرة وشعر في أبيات متفرقة، كحكم مأثورة، ولولا مخافة أن أطيل لسردت بعض أبياته كنيل لمؤلفاته المليئة بالحس والرفقة والروح والذوق.

تشتهر صفاقس بحدائقها الكثيرة، وبأشجارها المثمرة، ويكثر فيها الفستق الأخضر، وهذا النوع من الفستق كان في الحطب القديم وصف لتقوية النكاح، وتطوير المقدرات الذهنية وخاصة عند الأطفال، ويكثر أيضاً اللوز، وثبازنجان وخاصة الشمام الرومي، هذا اللوز يسمى في مصر التفرك وهو نوع سهل الفتح، ويكفي أي جهد بالأصابع لفتحه، أما الشمام الرومي في صفاقس فأحلى من السكر. ويبيع السمك في صفاقس بسعر زهيد مجافاً تقريباً، وقد اشترينا مسبارس بالكوم، وقد يزن الكوم خمسة أو ستة أرطال، ولا يساوي ثمن الكوم الواحد سوى فروبية واحدة، أو أربعة نثران، أو ربع ريال تونسي، أما السمك الكبير فيباع بالوزن أو بالتقدير أو بالقطعة، ولكن دائماً بسعر زهيد.

زرت في صفاقس عدداً من المساجد وأكبرهم ما يسمى بالمسجد الكبير  
والذي يسمعون تقريباً نفس سعة الجامع الأزهر في مصر، ولكنه دائماً مهجور إلا في  
ساعات الصلاة (بمعنى أنه لا تقام فيه أي دروس) يوجد في صفاقس بازار (سوق)  
صغير لمحت فيه محلين للأدوية، أحدهما كبير وبه عدد من الكتب وضعها الطبيب  
مالك المحل أمامه، وبجانبه ميزان يزن فيه الأدوية، أما داخل المحل فمزدان  
بالزجاجات والقمقم، سألت هذا الطبيب عن الكتب التي أمامه، فأجاب: إنها الكتب  
التي استشيرها وأبحث فيها عن الدواء الذي أسأل عنه، وأي دواء أو وصفة وأي  
جرعة للأدوية المختلفة.

استرحنا لمدة ثلاثة أيام في صفاقس، واستأجرت حمارين، وفي صباح اليوم  
الرابع سلكت درب تونس، وخرجنا مع بداية النهار ومعنا كل ما نحتاج لخمس  
محطات أي خمسة أيام من المشي، لقد وصلنا نهاية للرحلة حوالي الساعة الثالثة  
أو الرابعة بعد الظهر.

في هذه المسافة بين صفاقس وتونس بدت لي غريبة قرية الجسم بقلعتها  
وأسوارها القديمة العالية، وهي قلاع ذات طول غريب ومبنية بشكل محكم.  
على الجدار فتحات صغيرة عمودية، تقبت عند بناء القلعة تشبه هذه الثقوب  
تلك التي ترى في هياكل بعض القرى، والتي يحتوى بها الأهالي عندما يهاجمهم  
العدو، وتشكل كرات رمي حقيقية تطلق منها القذائف، كانت القلعة بلا سقف وبلا  
سلم فسألت صاحب الحمار التي استأجرتها عن من الذي بنى هذا البناء، فقال: بنى  
هذا البرج في زمن المجوس، بناء العماليق، وقد بنته امرأة أقامت فيه، وكانت تقيم  
بشكل طبيعي في القمة، وتقضي نهارها تنزل الصوف.. وكانت تنزل بشكل جيد  
لدرجة أن أبناءها ينزلون به من أعلى القصر إلى أسفل.

وفي تونس سألت عن قصر الجمل ولكني لم أجد إجابة شافية، لم نجس في  
الجمل ما هو أرخص من اثنين الشوكي، وقد اشتريت منه حمل حمار برربع دينار  
تونسى، فأكلنا مليء بطوننا وتركنا باتية.



## الدخول الى تونس وملاقة الوالد

أقربنا من تونس، لمحناها من بعيد، تبهر العيون ببياضها الناصع وزجاج بيوتها العاكس، وبرنداتها المغطاة بالحديد الأبيض، وقبابها المغطاة بالقرميد شبه الأسطواني، ومطلة بالبرنيق الأخضر، وصلنا دمرات صباح خميس في الثالث الأول من شهر شعبان، ونزلنا في وكالة مسافري صفاقس.

استأجرت على الفور حمارين، حيث وضعت عليهما معدات مطبخي وفراشي وركبت أنا في واحد، وأمتى على الآخر، ودخلت المدينة سائلاً عن: أين يقيم أبي، فأخبروني بأن المنزل مفلق، وأنه في سائيته، أي حديقته بلفة أهل طرابلس وتونس، ومازل الناس يسمون البئر التي يسقى الناس منها الحدائق والمزارع سائية، وخاصة في قران، إذ يستخرج الماء بواسطة ثور يتعد ويقرب من البئر بالتأوب لا تزال الدلو ثم جره، والكلمة: سائية، مشتقة من الفعل: سنا، ماضى سمنو بمعنى يسقى، أو يجر الماء من البئر، سألت عن المكان الذي توجد فيه سائية أبي والطريق المؤدى اليها، قالوا لي إنه في مكان اسمه حقر أو حفار، ولكي أذهب الى السائية، يجب أن أخرج من الباب الأخضر الذي يؤدي الى طريق قرية عريانة، فتبعنا الوصف حتى وصلنا السائية عند منتصف النهار، فدخلنا ولمحنا أحد العبيد فسألني عن: من أنت؟ قلت: مسافر ضيف الله جنت من وداي، كانت هذه الكلمات كاقية ليعرفني، فجرى يخبر والدي، والذي كان يعمل مع رجاله في الحديقة، وكان لا يزال معه حوالى اثنتى عشرة جارية سرية، وخمسة خدم من العبيد، وعبدتين من السود، يسمى أحدهما: خميس والثاني سعدان، إضافة الى ذلك كان قد أعطى أمه جارية شابة للعناية بها، فجاء والدي على الفور، سلم على وقبلت يديه واصطحبني الى داخل المنزل الذي يسكن فيه، ثم جاءت بنتا عمى وبنتا المرحوم محمد مع أختي، وأنتى ولدتها سرية أبى المفضلة في دارفور، وأنتى تركها لعمى زروق في وداي، جاءت الثلاثة الى وتضمن بالتهنئة لي على العودة، ثم جاءت جنتى وأنتى شمرتى بلعنفها وحفاوتها.

بعد قليل قدمت لنا وجبة وبعدها حكيت لوالدي ظروف سفري وكل ما حدث لي طوال غيابي، ومنذ خروجي من دارفور إلى وداي، وحتى وصولي إلى تونس، لكنني لم أتحدث عن النقود التي كانت في حوزتي وقت أيضاً لخادمتي التي أتحدثت عن ذلك لي أي من كان.

وفي المساء أمر أبي خدمه أن يعدوا لي الحمام، وعندما جهز جلبوا لي ملابس جديدة على طريق لبس أهل تونس، ثم قال لي: قم استحجم، فلن الحمام سيريحك، ونظف غبار السفر.

وأجبت على طلب والدي ثم جاءت خادمة وأخذت الملابس التي خلعتها، وكانت نقودي فيها، وكانت تتكون من محبوبات ذهبية مصرية وقسطنطينية وبعض ريالات تونس محفوظة في الحزام، وعندما أخذ والدي الحزام ووجده ثقيلاً فتحه وفرغه في أسفل جلبابه، ثم ذهب وصحبها فسي خزانة دون أن يعدها أو يتفحصها؛ وكنت أنا في الحمام لم أر شيئاً من كل ذلك.

خرجت من الحمام وارتديت ملابس، وأخذت حزامي لكي أربط به ردائي، فوجدته خالياً كنزاً لم موسى، بقيت مرتبكاً، وقد تبدد فرح عودتي، كنت أمل بعد بضعة أيام من الراحة مع أبي أن أشتري بضائع مناسبة وأعود إلى وداي، كنت أريد العودة بحثاً عن الثراء وعن مستقبل أكثر يسراً، ولكن مع ضياع ثروتي القليلة هذه، بفعل أبي بأن أجنحتي قد قصت، وبالتالي أصبحت عاجزاً عن مواصلة الطيران، تَحجرت ولم أعد قادراً على التحلق بكلمتين، فلاح لي أمل ضعيف وتخلت بطيبة لي والدي أخذ نقودي ليس للاستيلاء عليها، وإنما ليحفظها ويردها لي متى أشاء، هددت نفسي بهذه الأوهام لأهدي حمي النعم الذي أخذ قلبي.

وبعد أيام جاء لي بيتنا فقيه من مصرارة اسمه عمر، ينتمي إلى عائلة شيخ مشهور باتنقوي، هو الشيخ أحمد زروق، قطب الفضيلة، وكانت الوظيفة (وهي مجموعة من الأدعية تقرأ لمدة ساعة أو ساعة ونصف، تقبل مانسميه 'المسبحة' الساعات، من قرأ هذا الحرز يبقى في مأمن من كل سوء حتى اليوم التالي.

تربط الفقيه عمر صداقة بوالدي في وداي، وكان والدي مسروراً برويته، فاستقبله وعنه باهتمامه، واستضافه في البيت في الجزء الذي أسكن فيه، لقد خففت



عنى أحاديث الفقيه المعجوز، لأنه كان رجل علم وحصافة وحكمة، وكان بليغاً مهذباً فى القول والفعل، وافر علم غزير ومتنوع، فخطر لى ذات يوم أن أحدثه عن نقودى، وعن الكيفية التى استولى بها والذى عليها، وأنه بذلك دمرنى وجعلنى بلا مورد، وحزنت ولا أعرف إن كان قد استولى عليها لم أنه سيردها لى.

فقال لى الشيخ عمر: سأمسّين والدك هذا المساء حول نواياه فى هذا الشأن، وفى صباح اليوم التالى، ذهبت الى الفقيه وسألته عن نتيجة حوارى، فأجاب: يا صديقى العزيز ما أن بدلت حديثى الذى أوكلتلى بنقله اليه، حتى تقلب حاجباً لبيك، وتجهم وجهه، وقال لى بليهة صارمة: من أين جاءه هذا المال، إن هذا المال مالى، وهذه ثروتى، إن كان ولدى قد جمعها من حرث الأرض، فالأرض لرضى، وإن كان من التجارة، فرأس المال الأولى كان من مالى، وإن كنت ممن عطايا السلطان فهى بسببى، لأنه أعطاه إكراماً لى، فإن تحدثت لى مرة أخرى عن هذا الموضوع سأطرده من هنا دون أى شيء غير الملابس التى يرتديها، وسأضرب مثلاً يحتذى فى الصرامة له وللآخرين، فكان أن سكنت، والافمذا كان يمكن أن يكون، فلم أقل كلمة، فأنثر فى غضباً جديداً، ونمت بعمق على أنفى لم أفكر فى إخفاء كنزى الصغير فى مكان آمن، وبعد أيام نادانى والذى وقال لى: أريد أن أسافر مرة أخرى الى وداى، لأحضر أولادى وأسرتى من هناك، وأرتب أمورى، أما أنت فستبقى هنا فى السانية، سأتركها لك مع الأرض الملحقة بها مقابل النقود التى أخذتها منك، راقب هذه الحيازة، لزراع الأشجار وأقلح الأرض الصالحة وسأترك لك كل مايلزمك لذلك، الثيران للسقى والحرث، وأدوات العمل، وإضافة الى ذلك سيكون لك فى المكان الذى تحفظ فيه الغلال مخزون جيد من الشعير، لتغذية البهائم، وكمية من القمح للزراعة ولاستهلاككم جميعاً، وعندك أيضاً الخمكسى، أو عمال الخمس، وسيكون معك أيضاً عبدى خميس وزوجه سعدان، وابنتها، ثم أوصيك بأمرى، وبذات عمك، فأوليين عنايتك، قلت يا والذى لماذا تعرض نفسك للمخاطر والتعب برحلة طويلة كهذه، فقد تقمت بك السن، وستكون هذه المسافة شاقة بالنسبة لك، أسمح لى بالسفر فى مكانك، وسأقوم مقامك فى ترتيب المعائل والقيام بكل ما تريد، أعطنى فقط خطابات للسلطان، وأخيك

زروق واتنى اتعهد بان كل امورك مستتم على خير، وانت تبقى هنا فى الحصون والراحة.

فأجاب بحزم: لا، لا، لا أحد يستطيع أن يصفى أموري غيرى، ولاستطيع أن تحل محلى، فسافر وذهبت الى تونس معه، وترك فى المساقية أمه وبنات أخيه، كان ذلك فى رمضان، فقضينا باقى شهر الصوم فى تونس، وفى هذه الفترة باع والدى كل عبيده، ولم يترك الا سعدان، وأعد طرداً من مختلف البضائع المطلوبة فى وداى، واشترى مجموعة أشياء كان يود ان يهديها الى سلطان وداى، وكان من بين هذه الأشياء ساعة حائط تصدر موسيقى لمدة ثلاث أو أربع دقائق قبل إعلان كل ساعة، ثم ترن معلنة تمام الساعة، لقد كتبت والدى غالياً، حيث دفع فيها مائة وستون ريالاً تونسياً (٢٦٥ فرنك) وتكونت الهدية أيضاً من بعض الكتب، وكمية كبيرة من الشاي (لأن السلطان صلبون مولع به) وخرز ذات جودة عالية، وملابس قيمة، وشمع أبيض كالكافور، وبعد انتهاء الإعداد للسفر غادر والدى تونس وكان ذلك فى شعبان عام ١٢٢٧هـ (مايو ١٨١٢م).

بقيت لبعض الوقت فى تونس، ثم عدت الى المساقية، بقيت هناك مع بنات عمى، وكنت حينها قد تضاءلت الى الصفر، صفر من الذهب، وصفر من الفضة، اقرب للموت، فأعددت الأرض وزرعتها وكنت عندما أحتاج لبيع شيئاً من مخزون الشعير.

بعد سفر والدى بقليل اقترحت على جدتى أن أتزوج بنت عمى قصبرى، رفضت فى الأول، لكننى أخيراً قبلت، وتمت الخطوبة فى شهر ذى القعدة، وتزوجت نهاية ذى الحجة.

مر عامان، وفى نهاية عام ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) أخبرنى محمد يونس ب وفاة والدى، فرتبت لمرى للسفر سريعاً الى طرابلس، فخرجت، وكان على أن أسافر الى السودان، ولكن لعدم وجود قافلة متجهة الى فزان كان على أن أنتظر، وبعد قليل وصلتنا قافلة من مرزق كان من بين مسافريها سعدان عبد والدى، فذهبت لمقابلته، فقال أن والدى أرسله من وداى الى فزان بعند من العبيد، وبعد بيع العبيد فى مرزق وعندما كان يستعد للعودة الى وداى سمع خبر وفاة سيده، وبعد ذلك



وصل الخبر الى مسامع المكنى حاكم فزان الذى استولى على ثمن قرقيق والبالغ ٩٦٠ تسمانة وستون دورو، كما صادر المكنى منه جملاً وملاية حجازية، فذهبت وأخبرت محمد يونس بهذا السلب، فكتب لى على الفور أمراً باسم يوسف باشا الى المكنى لأرجاع المال الذى أخذه من عبد والذى.

وباستلام الخطاب استریت هدية معتبرة للمكنى، وبعد أيام تحركت القافلة الى فزان، فخرجت معها، فتبعنا درب بونجيم وسوكنة (تبتعد بونجيم عن سوكنة مسافة أربعة أيام من المشى، وعندها دائماً يهاجم عرب بنو سليمان القوافل، ما بعد ذلك فالتريق آمن وجيد) كان المسير سريعاً ومناسباً ودون أى عوائق، وصلت الى فزان ثم الى مرزق، وذهبت على الفور لمقابلة المكنى، وسلمته الأمر الذى كنت أحمله، لم يقض المكنى لى حاجتى على الفور، وكان يماطلنى يوماً بعد يوم، وبعد مدة طويلة وجهود، وبشق الأنفس سلمنى ٩٦٠ (تسمانة وستون دورو).

كان القافلة التى أتيت معها من طرابلس قد غادرت مرزق، وكان على أن أنتظر قافلة أخرى، وفى هذه الأثناء استریت بضائع متنوعة، يمكن أن تباع فى وداى بسرعة، وكنت فى مرزق أذهب دائماً لزيارة الفقيه على مهيدى، وعندما كنت على وشك السفر، احتاج الفقيه الى بعض النقود فطلب منى مائة دورو فأعرتة إياها، وكتب لى مستنداً بذلك.

أكملت القافلة ترتيباتها وغادرت، وعبرت المسافة التى تقع بين فزان وأرض التبورشاد، وعندما وصلنا الى تخومهم رأينا قافلة كبيرة قادمة من وداى فلمحت فيها عسى زروق، لقد عاد ومعه كل ما ترك والذى من ثروة، وكذلك ثروة عسى المرحوم طاهر وشركائه فى التجارة.

تسألنا وتوقفت القافلتان، وقبلنا أن تستجما لمدة أربع وعشرين ساعة نزولاً عن رغبتنا أنا وعسى، عندما كنا فى وقت الراحة تحدثت مع زروق عن أبى، سألته عما بقى لنا من ثروة، فقال لى: إن أبى لم يترك شيئاً، مع أننى عندما غادرت وداى لم يكن لزروق سوى أربعة عبيد، بالإضافة الى جواريسه، لكننى لرى له فى القافلة ما يزيد عن المائة عبد، ومائتى جمل على الأقل، وعلمت أن له شحنة من ريش النعام، وشحنة من المرجان والحلى الفضية، من الأساور ولم شقة

والمحضر، وأن كل مسافر في القافلة قد استدانوا منه ذكوداً أو جمالاً أو غلة، ولاحظت أيضاً أن كل من كان في القافلة تقريباً تحت امره وخدمته، وأنه عليه أن يقول فقط يأمر أو ينهى والتكل يطيع.

ترجيت الذين كانوا يعرفون زروق ويعرفون ثروته الشخصية أن يشهدوا لي أو يقرروا لي أمام المحكمة، لكنهم رفضوا، خشية أن يغضبوه، لم يكن لي عون أو نجدة أمل فيها، عرفت أن أحد المسافرين يريد العودة إلى وداي، وأن لديه عشرة من العبيد الشباب يريد بيعهم، فقررت عليه استبدال عبيده بما كان عندي من بضائع، فقبل وتم التبادل في الحال، وعدت إلى فزان مع القافلة القادمة من وداي، والتي فيها عني زروق وبقية أقربائي ممن كانوا يرافقونه.

بمجرد وصولي إلى فزان شكوت زروق، لكن لم يهتم أحد بالقضية، كان زروق يحمل أوراقاً بها إقرار والدي بأن أخيه هو شريكه في كل ما يمتلك في وداي وتونس، وشهد على ذلك الفقيه عمر الذي تحدثت عنه، وشاهد آخر، ثم وثق ذلك بختم الفقيه نور كبير قضاة وداي، اقترح زروق أن يرد لي نصيب القليل من الارث، وكاد النزاع بيني وبينه أن يكون عنيفاً، ولكن تدخل بعض الناس وحثونا على الصلح فرضخنا لنصالحهم، وقبلت استلام ثمانية عشر رقيقاً، ولقطع الطريق أمام أي اعتراض لاحق، كتبنا مكتوباً بأن زروق لم يعد مداناً لي بشيء، وأنا لن أطلب منه شيئاً بعد اليوم، باتمام الاتفاق رد لي زروق أختي الصغرى والتي كانت أمها جارية من أصل ميدوبي والتي كان قد أعطاها سلطان دارفور لوالدي مع جارية أخرى زغاوية، فالتحرت الزغاوية لأنها كانت تغار من نساء والدي.

أسرعت للعودة إلى تونس، في هذه لم تدم غيبتى سوى عشرة أشهر، وعند عودتي كانت كل ثروتي على ما اعتقد خمسة وعشرين عبداً وفي هذه الرحلة الأخيرة تحملت مشاقاً كثيرة، ومتاعب ومخاطر لن أنكرها حتى لا تكون حكايتي طويلة ومملة، كانت عودتي إلى تونس حدثاً وعيداً لأصدقائي، وبعد أيام من وصولي وبعد ترتيب أموري شهد الله بأن الناس جاءوا لزيارتي من كل حذب وصوب وتهنئتي بالعودة، وشراء العبيد الذين جلبتهم، وفي زمن وجيز بيعت كل



العبيد والجواري ولم أبق معي الا واحداً يسمى سعد، أما العجوز سعدان فقد اعتنقته صدقة جارية لوالدي، ولكنني ابتليت زوجته وابنته في عهد سيدينا.

كان نصيب جدتي من الارث جاريتين شابتين الحائمتين بخدمتها الخاصة،  
أما أنا فكان نصيبي من بيع عبيدي قد وصل الى ألف محبوب أو أربعة آلاف  
وخمسمائة ريال تونس، وعندما حصلت على هذا المبلغ اشتغلت بزراعة السائبة،  
ولكنني لاحظت بعد ذلك انني كنت أخسر وأن هذه الحيازة تصلح لرجل غني  
يمتلكها للرفاهية، ولما كانت بلا ربح بعته بكامل ملحقاتها بثمانيه ألف وخمسمائة  
ريال تونس (٨٠٠ ص) وفي هذه الفترة ماتت اختي الكبرى، وباتتني عازة الى  
تلقائياً التلنان من نصيبها في الميراث.

أقيمت في تونس حوالي عامين، كانت الأسرة كبيرة والغلال غنية، وقد  
صرفت لمعاشنا قطعاً كبيراً مما كنت أملك، فأيقنت بأنني إذا بقيت هكذا لعامين  
آخرين، ستلاشي ثروتي الصغيرة هذه تماماً.

فقررت أداء شعيرة الحج، وعند المرور بالقاهرة يمكننى زيارة والدتى التى كنت قد تركتها منذ سفرى الى السودان، فأعددت لهذه الرحلة الجديدة، كل ما والدى بمقتك بيتاً فى تونس، واشتريت بيتاً آخر بالقرب من دار الباشا (خزانة الحربية) بمبلغ ثلاثة الاف ريال.

طلبت من بنت عمى وكانت حينها زوجتى أن ترافقنى إلى الحج، لكنها رفضت، فاشتركت فى صفقة طراييش مع صانع الطراييش المشهور محمد البمرى، والذي أوكنته دلالة شنون بيتنا فى غيايى، وأخيراً غادرت تونس فى شهر رجب، كان فى حينها الشيخ أحمد السنارى الملقب بابن الطيب فى تونس وكان أيضاً يتوى الذهاب إلى الحج، والمصافاة السعيدة خرجنا فى وقت واحد، والتقينا عند باب المدينة، ومن ثم استأجرنا معاً مركباً صغيرة، كان ذلك فى يوم الجمعة، وبعد صلاة الظهر ركبنا من ميناء حلق الواد، ميناء تونس، لكننا لم نتحرك إلا بعد ثلاثة أيام، حيث أخذ الرئيس<sup>(١)</sup> هذه الثلاثة أيام يرتب أموره فى المدينة.

١١) الرئيس هو الذي يحدد عدد المراتب أو المستويات.

والخيراً قلنا وقضينا الليل في البحر، وفي اليوم التالي كنا في ميناء سوسة  
أكثر المدن إثارة للانتباه في أفريقيا بعد تونس، معمار سوسة رائع، ومكثراً  
مليون، وبشوشون، توقفت فيها ثلاثة أيام، وكان سبب ضياع هذا الوقت يعود  
أيضاً للرئيس، سألناه لم يؤخر القيام هكذا؟ فقال إنه ينتظر شحنة من الصابون في  
الموق قلنا له: ألا يمكننا في وقت انتظارك هذا أن نذهب إلى القيروان لزيارة قبر  
المصطفى الجليل عبدالله بن أبي زامة، وسعود قبل أن تستعد للسفر، قال: حسناً  
يمكنكم الذهاب إلى القيروان، فاستأجرنا محلياً، وفي صباح اليوم التالي كنا في  
الطريق، مررنا بمستير ومساكن، وفي اليوم الثالث لمغادرتنا سوسة وصلنا  
القيروان، كنا سبعة أو ثمانية، بجانب ابن الطبيب الذي كان دليلنا وقائدنا، فزرننا  
قبور الصالحين المدفونين في القيروان وقبل كل شيء قبر عبدالله بن أبي زامة  
يوجد قبره في مكان بنى بشكل رائع وجميل، والتراب مرصوف بالرخام الأبيض  
والجدران، مغطى بالرخام بمختلف الألوان وأطر النوافذ مزينة برسومات مختلفة  
الألوان، أحمر وأزرق وبنفسجي... الخ. إن قبر هذا الولي بجمال وروعة تفوق  
الوصف، ثم زورنا مقابر وقباب عدد من العلماء المشهورين كالامام أبوزيد، وابن  
الناجي.. وكلهم من أتباع الامام مالك المخلصين.

فقد استقبلنا واستضافنا مفتي القيروان، وعاملنا بحفاوة، وجاء عدد من  
سكان المدينة لرؤيتنا، والتقوا من حولنا، حاولوا تأخير سفرنا بدعوتنا إلى ولائم  
ومناسبات، لكننا كنا على عجلة للعودة إلى سوسة، اعتذرنا بحجة أن المركب  
ينتظرنا، وتركناه على وشك أن يفك أسرعه، فرضخوا لطلبنا بعد لأي، أخيراً  
غادرنا القيروان ورافقنا أكثر الشيوخ اعتباراً لمسافة طويلة خارج المدينة،  
وعبروا عن أسفهم لمغادرتنا، لقد غمرونا بلطفهم.

عدنا إلى سوسة وكانت السفينة في نفس مكانها، بقينا يومين آخرين في  
سوسة ولا أعرف لماذا لم نذهب لزيارة أي من العلماء على الرغم من أن فيها  
عدداً منهم، كان من بين المعتبرين منهم بعض أقاربي.

وضعت السفينة لشرعتها وبعد قليل كنا في لج البحر لا نرى إلا السماء  
والماء ومررنا كذلك عشرة أيام متتالية، وفي اليوم الحادي عشر دخلنا ميناء



الاسكندرية، وبعد ساعة من مغيب الشمس رمينا الحبال، وقضينا الليل على  
المركب، وفي صباح اليوم التالي ركبنا قارباً ونزلنا الى الأرض، واستأجرنا شقة  
في الاسكندرية في وكالة تباشي، وفي اليوم التالي أرسلوا البضاعة الى الجمارك،  
فكانت عليها رسوم دخول، وكان معي خطاب لأحد التجار، هو أحمد زياد المقيم  
بالاسكندرية، لقد دفع أحمد زياد الرسوم الجمركية واستلم البضاعة التي جلبتها،  
وهي طردين من الطرايش، وحقيرة (أحذية صفراء بلغة أهل القيروان، اشتريتها  
من هناك، لم أبق في الاسكندرية سوى ثمانية وأربعين ساعة، ولذهاب الى القاهرة  
ركبت الى روزيت، لأنه في ذلك الوقت لم تفتح قناة المحمودية بعد، عبرنا بوغاز  
روزيت ودخلنا الى الميناء.

كنت أحمل خطاباً الى محمد نانا أحد أوائل تجار المدينة، ولم أبق في  
روزيت سوى أربعاً وعشرين ساعة، وكان الوقت صيفاً، فقضيت الليل في دار  
نانا، لكنها كانت ليلة عذاب، فقد كنت فريسة للناموس الذي التهمني للحسد الذي  
لرغبت فيه على ترك المنزل بالليل، وذهبت للنوم على شاطئ البحر.  
وفي اليوم التالي وعند استيقاظي أقسمت على أن لا أبقى ليلة أخرى في  
روزيت، وقد أنعم الله عليّ بأحد اصحاب المراكب على النيل ويسمى مصطفى  
لاله، وكان يمتلك قارباً صغيراً، استأجره نانا بخمسة وعشرين قرشاً لي وحدي،  
رفع لاله طردى الطرايش، وكل ما كان معي، ففرشت السجاد الذي كنت استغله  
كمقعد وسرير، كانت الريح مواتية، وفي أقل من ثلاثة أيام وصلنا بولاق، فنزلت  
ونقلت بضاعتي الى الجمارك، وتركتها هناك، وحملت معي حقيرة أمتعتي  
الشخصية وملابسي، استأجرت حمارين، وضعت على أحدهما الكريو، أي معدات  
مطبخي التي عطلتها بفرائش وحقيرة الأدوات المعفية من الجمارك، وركبت على  
الأخر.

وصلت الى القاهرة وذهبت الى البيت الذي كنت أسكنه قبل ذهابي الى  
السودان، وسألت عن أمي، فقيل لي إنها بصحة جيدة، فذهبوا وأخبروها بوصولي،  
وبعد لحظات جاءت مع أخيها فهناوني بالعودة وأحسست فرحهم برؤيتي.

بعت بعض طراييدى بالاسكندرية، ودفعت أولاً رسوم الجمارك التى  
أعزنى إياها أحمد زياد، واستندت من المتبقى كمصاريف للرحلة، وبقي لى منها  
مبلغ معتبر أعطيت والدتى منه مائة قرش لمصروفات المنزل.  
استقبلت عدداً من الزوار، أشخاص أعرفهم وأشخاص لا أعرفهم، أتوا  
لإلقاء التحية وتهنئتى بالعودة، وقد أعد عمى ووالدتى وجبة للاستقبال، بعد سبعة  
أيام من وصولى الى القاهرة اشتريت جارية حبشية جعلتها سرية، كانت بنتاً  
جذابة، جميلة ناعمة، وكانت تعتنى بمصالحى، ويقلب طيب ومحب، لم يكن لها أى  
مزاج أو متعة أو رغبة أو أى لشواق غير شوقى وفرحى ومزاجى ورغبى،  
أبقيتها لمدة ستة أعوام ولم أر فيها سوى الرغبة فى إسعادى والتفوز بحبى، ماتت  
بداء الطاعون فى العام ١٢٣٧هـ (١٨٢١-١٨٢٢م) لم تسبب أى خسارة أئماً  
وحزناً لى أكثر من موت حبشيتى الجميلة، تغمدنا الله بواسع رحمته.



## نهاية المطاف:

الآن، ولكي نكمل هذه القصة، أريد أن أعرض بإيجاز بعض الأحداث التي وقعت أثناء رحلتي من تونس إلى فزان، وعودتي من فزان إلى تونس، لقد قررت أولاً عدم ذكر تفاصيل بعض الأحداث خوفاً من أن تكون طويلة أو مملة، لكنني عدلت عن قرارى، فقلت انه يمكننى كتابة هذه الأسطر الأخيرة لإكمال سرد كل ماحدث لى فى رحلتى، لان مثل هذه الحكاوى تخدم مسافرين آخرين، ومن المفيد دوماً معرفة ماحدث للآخرين، حتى يتمكن المرء من تجنب المشاق فى هذه الرحلات، ويعلم الله كم قاسيت وتخطيت صعاباً ومخاطر، وكان من الممكن أن أموت مائة مرة لو لا ان انقذنى قدرى، ولم تحن ساعتي الأخيرة.

عند سماع خبر وفاة والدى قررت العودة إلى وداى، وقد كنت يومها لا أملك أحمر ولا أبيض، ولا أصفر، وكنت كالمسافر فى الصحراء وقد تعب جسمه، وأمامه الفناء الممتد والمعلش، وأحسست بالخيبة أعاننى الله.

لقد أعطانى محمد البمرى فى تونس حقيبة فيها خمسين نسمة من الطرابيش، كانت على الموضوعة فى طرابلس، لأنها تباع فيها، ولاتباع فى غيرها، لأن لونها أحمر غامق، يميل للسود، فقد كانت مصبوغة بالفضة مضافاً إلى القرمز، ولأن اللفظة الحريرية الخالصة مخاطة بخمسة من خيوط الحرير المذهب، بلغت قيمة هذه البضاعة البسيطة (١٢٥٠) ألف ومائتان وخمسون ريالاً (تونسياً) وأعاننى البمرى فوق ذلك (٢٥٠) مئتان وخمسون ريالاً وكتبت له مستنداً بألف وخمسمائة ريال، ووقع على المستند شهود.

لم يوافق البمرى على تسليمى الطرابيش والنقود الا بعد مدة تنتظر طالت لستة أشهر، وكان كلما اطلب منه الوفاء بالاتفاق يردنى إلى الغد يجيبنى بالوعود دوماً، حتى فترت من الاتحاح ولو أنى وجدت شخصاً آخر يعيرنى لتركت البمرى لأنه كان شديد الخوف على ماله، شديد الحرص على مصالحه.

وما أن خلصت حتى استأجرت جملأ من وكالة مسافرى صفاقس وقد جهزت كمية كبيرة من (الزك) مرتباً لمرى على ألا أشتري شيئاً حتى وداى ومن

جملة ما كان عندي من أشياء جرة كبيرة من الفخار معلقة بشبكة من الحبال صنعت من نبات الأسل، مليئة بالقديد الناضج حتى تلتئها، والمغمور في الزيت، كان في هذه الجرة مايزن خمسين رطلاً من لحم وزيت، لقد حمل الجمال، امتعسى إلى الوكالة لأنه ما زالت هناك ترتيبات في الوكالة، يجب أن تتم قبل المغادرة، وصل الجمال وأناخ الجمل وذهب لقضاء بعض حوائجه، وعندما خلص وعاد، انبهض الجمل، فقام الجمل مسرعاً، فالتفت جرتي التي لم تكن مربوطة بشكل جيد وسقطت وانكسرت، وساق الزيت على الأرض، وتناثرت حبات القديد لتنتثر بالتراب والأوساخ، لم تلتني الشجاعة الكافية لأجمع منه شيئاً، لكن بواب الوكالة وابنته وعدداً من الفقراء جمعوا ما استطاعوا جمعه، فأسفت لهذه الخسارة.

حادثه أخرى مزعجة حدثت لي عندما وصلت إلى صفائس في الحادي عشر من شعبان، وأسرعت مع بعض المسافرين للصعود إلى المركب للعبور إلى طرابلس، كنت نيتاً جميعاً الوصول إلى طرابلس قبل نهاية شهر رمضان حتى تتمكن من بيع ما عندنا من طرابيش، لكن شاء المولى غير ذلك، ولابد لمشيئته أن تنفذ، فبقينا في صفائس حوالي خمسة أيام ثم إقلعنا، كان المركب الذي ركبناه قلعية صغيرة ذات صاريين استأجرناهما أنا وجلون، من أمالي طرابلس، وعمرو الزفيرى وهو ابن أحد كبار أعوان يوسف باشا، وعلى الحنيذلى، من قبيلة حنابلة أحد بطون زولرة، كنت قد اشتريت من صفائس عوضاً عن جرة قديدى المكسورة زيتاً وسمناً، واشترينا أيضاً كمية من الشمع الرومى.

تحركنا غادرنا الشاطئ مع موجة هواء باردة، واعتقدنا أننا سنرسموا في طرابلس خلال يومين، ولم تكن نعرف ما يخبره لنا الغيب، في اليوم الثانى وصلنا إلى جزيرة جربة، ولقد علمه الله كان لربان المركب ثلاثة ملاحين هو رابعهم، فتساجر في جربة مع أحد ملاحيه فمنع الرجل من العمل، وأقسم أنه لا يتعامل مع هذا الملاح الماكر ولم يبق إلا رجلين للعمل، وكان من المستحيل أن يقوموا بكل شئ، احترنا في الكيفية التي سيسير بها هذا المركب النعس.

كنا نأمل أن يجد القبطان رجلاً بدلاً من جربة، قضى يومين في البحث عن الشخص، لكن كل الذين كانوا هنا رفضوا العمل مع القبطان، أو السفر معه، فقد



كان مشهوراً بسرعة الغضب والبذاءة، ولا يعرف الحديث مع صلاح دون إهنته  
وسبه بأقذر الاتفاظ واسوأ الشتائم. كان علينا إذن أن نبهر مع رجلين فقط جلس  
القائد على مقبض النفة وبدأ بإدارة العمل مثل: انزال الأشرعة طيها، إصلاحها..  
وعندما يكون العمل كثيراً أو شاقاً عليهما يساعدتهما المسافرون، قضينا على ذلك  
يومين من التعب والانهك، والأبحار (برضو ولابرضو) كما يقول البحارة من  
أهل المغرب، وفي اليوم الثالث دخلنا رأس المخبر وهو ميناء ممتد تدخل إليه  
المراكب بعد منعطف، وهو مكان هادئ حيث لا يعرف المرء أنه في بر أو بحر،  
قضينا ليلة هادئة هناك، وكنا نعتقد أننا سنواصل المسير صبيحة اليوم التالي، ولكن  
ما إن أفلعنا حتى هبت رياح شرقية أعادتنا إلى الخلف ولرغمتنا على العودة،  
فرسونا من جديد، رأينا صيادين في قارب، فاشترينا منهم كمية من السمك بسعر  
زهيد، كان معنا في طرابلس رجل مسكين يسمى الحاج ميلاد، خبير في الطبخ،  
أعطيناه السمك، فطبخه لنا، وبفضل الحاج ميلاد تعشنا بشكل جيد وبقي ما يكفي  
للسحور (كان الشهر رمضان) رفع قائدنا الهلب وحاول الخروج، لكن الهواء رده،  
وكررنا نفس الشيء لمدة عشرة أيام، كلما نستعد للابحار يعيدنا الهواء، فإغضبنا  
هذا الأخير وأحبطنا، وفي الليلة الحادية عشرة قمنا قبل الفجر بزم من أعدنا وجبتنا،  
وما إن أكلنا حتى هبت ريح عاتية فجأة فالتفت الشراع وكان غير مربوط بإحكام،  
وتقاذفته الريح، انفك المركب المتراقص من حبله وصار لعبة في يد الأمواج  
والرياح، فعندما يميل يمنة يغرف ماءً وعندما ينفعه الهواء في الاتجاه الآخر  
ينسكب الماء من ذلك الاتجاه.

كان لنا في سطح المركب مطبخ، وكانت النار متقدة فيه، وبهبة واحدة  
أخذت الريح النار والأولى وألقت بها في البحر، وطارَت الجمرات في كل  
الاتجاهات، وصار البحر كما لو كان مغطى بالشرر، انتظرنا لحظة الفرق حيث  
لم يعد البحارة قادرين على طي الشراع الذي نشره الهواء.  
كنا في أشد حالات التوتر تطاردنا ألف فكرة مزعجة، قرأ البعض سورة  
يسين، ونادى البعض الولي عبدالقادر الجيلاني، واستجد آخرون بالشيخ الكبير

الساغرني، وتوسل اخرون بالشيخ أحمد زروق، توسل كل بتشيخ الذي يراه لصلح  
وأقوى، وتوجه كل الى سيده.

دعونا بالنجدة والسلامة، لكنها لم تأت سريعاً لقد هددتنا المركب، وكان  
الليل دامساً ولم نعرف الى أين دفع بنا، وأخيراً حل النهار وحدث الرياح وحدثت  
معه قلوبنا، أعننا المركب الى المكان الذي كنا فيه قبل العاصفة ثم نزلنا وأنينا  
صلاة الشكر لله الذي أنقنا وحننا بعضنا بعضاً بالنجاة من الموت.

أقسم عند منا بأن لا يضيع أقدامه مرة أخرى في المركب الذي عاملنا بهذه  
القسوة، وقررنا جميعاً أن نذهب بالبئر، وعلى الأقدام حتى زوارة، وهي بلدة  
صغيرة على حدود محمية طرابلس، ادعى الجميع أن زوارة قريبة، ويمكن  
للوصول اليها قبل منتصف النهار، شاركهم القرار وخرجنا، سرنا طويلاً اليوم  
ولم نصل الا في زمن منع القبول، حوالي أربع ساعات بعد مغيب شمس، فكان  
علينا أن نقم أنفسنا للحرس قبل الدخول الى البلدة.

أخبرنا أحد رفقتنا وهو التاجر الطرابلسي جلون، فقد أعياه التعب وهذه،  
وكان يترنج، فساعدناه أنا والحاج ميلاد ودعمناه من التجانيين، ومساعدناه على  
المشي حتى زوارة، عند وصولنا، تعرف علينا عمورة الزفيري، قريب وصهر  
الباشا واستضافونا في بيت أحد المخاصيص، وقدموا لنا العشاء، وقضينا لسوا  
الليالي رغم تعبنا، وفي صباح اليوم التالي سألنا عن المكان الذي توجد فيه مطايا  
للأجرة لتوصلنا الى طرابلس، قالوا لنا لن نجد إلا الخيول، فقلنا أعطونا خيولاً  
فاستأجرنا الحصان الواحد بسبعة ريالات تونسية، غادرنا برفقة مالك الخيول،  
ومشينا حتى الرابعة بعد الظهر، ونزلنا في أبو عجيل في دار حسين بيه، أحد كبار  
رجال بلاط الباشا وحاكم أبو عجيل، استقبلنا بشكل طيب، وأعدوا لنا مكاناً جيداً  
للنوم لأنه كان يعرف عموره، ثم استأنفنا السير في اليوم التالي وفي المساء كنا  
في طرابلس، كنت أظن أن أحد رفائي يتكرم باستضافتي في منزله، لأنه عندما نفذ  
زاد بعضهم في البحر علشوا على زادي، لضافة الى أن جلون كان سعيداً بلقائي  
ومساعدتي له في المشي حتى زوارة، كنت أهتم به بشكل خاص، وكان عندما



يرحمه العطش كنت أذهب مع آخر أجلب له الماء من أماكن بعيدة، باختصار  
عندما دخلنا طرابلس اختفى رفائي كما يختفي الملح عندما يذوب في الماء.  
بقيت وحيداً فكان علي أن أتوجه إلى منزل القائم بالأعمال التونسي في  
طرابلس، والذي كان يسمى أحمد مهنّي، استقبرت عن مكان سكنه فقانوني إليه،  
استقبلني بحفاوة، كان ذلك في ليلة السابع والعشرين من رمضان، وبقيت حتى  
العيد أتوقع في كل لحظة وصول المركب الملغون الذي تركنا فيه امتعنا  
وبضاعتنا، مر العيد وعائلة الأربعة أيام التي تليه ولم يصل المركب، لايت  
مسافرين من سوكنة كانوا يستعدون للسفر إلى فزان وكانت فرصة طيبة بالنسبة  
لي، فكرت في الأمر ملياً فلم أر أفضل من العودة إلى رأس المخبر، مستأجراً  
حماراً بسعر زهيد (تبلغ اجرة الحمار مائة ريال طرابلس في اليوم) ثم استأجر  
جمالاً من زوارة بنقل امتعتي وأعود إلى طرابلس بأسرع ما يمكن وأبيع طرابيشي،  
ثم أغادر مع القافلة إلى فزان، عندما استأجرت الحمار وكنت على وشك الذهاب  
جاء جلون وعمورة اللذان علما بمشروعني، جاءا لاستجداني بأن أحضر لهما معي  
كل ما تركوه في المركب، كانت كل بضائع عموره ملكاً للباشا، فقد كان وكيله  
ورجل ثقته.

علم أحد المغاربة من وسط المغرب نبأ ذهابي إلى رأس المخبر، فجاء  
يحمل حقيبة جلدية فيها أمتعته الشخصية، وطلب مني الآن بمرافقتي، كان رجلاً  
فقيراً عارياً الرأس حافي القدمين، لا يرتدي سوى كشيبة محزومة بحزام ضعيف،  
وافقت طواعية على عرض المسكين، كانت تلك على الأقل فرصة للأمن في تلك  
المسافة متحاشياً بذلك التفر من الوحدة، فاصطحبت المغربي ودخلنا أبو عجيل  
حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، ثم واصلنا المسير لأننا لا نريد إضاعة الوقت،  
ومشيئاً حتى أدركنا الليل فسيرنا سائرين حتى دخلنا زوارة مع الفجر، حدثت في  
تلك الليلة أحداث عجيبة.

عندما كنا نسير مع المغربي جنباً إلى جنب، سألتني عن سبب ذهابي إلى  
السودان، فقلت له: إن والدي قد توفي هناك وأريد الذهاب لجمع ما ترك من ثروة،  
زل لسألي وقلت له إن من التركة أيضاً ثمن عند من العبيد كان قد أرسلهم إلى

الى فزان مع أحد عبيده وأن هذا العدد قد بيع بمبلغ تسعمائة دورو وانها قد اقتضت،  
لأن العبد عندما أراد العودة الى السودان علم بنبا وفاة سيده وعلم حاكم فزان أيضاً  
بالنبا، فنادى اليه العبد ومنعه من السفر وصائر منه التسعمائة دورو، وبالتالي فإن  
أول مبلغ ساسلمه من مال أبي هو تسعمائة دورو، وساسلمها في فزان، الدهش  
المغربى ورأى في التسعمائة دورو مبلغاً إن حصل عليه سيكون ثرياً، فجن جنونه  
لمجرد التفكير في ذلك، وتخيل أن المبلغ في حوزتى، لقد قلت له إن المبلغ فى  
مرزق لكنه نسي ذلك، ولم يملك نفسه من شدة الفرح، ابتعد عنى قليلاً ثم عاد  
فجاء بخطى سريعة قائلاً: كيف؟ تسعمائة دورو عندك تسعمائة دورو يا بنى، قلت:  
بالأكيد، ثم ابتعد مسرعاً وعاد شاهراً عصاً يبدو انه يريد أن يضربنى ويمزقنى  
بها، فكرر قائلاً: تسعمائة دورو يا بنى تسعمائة دورو: نعم، نعم، ردت مرتعباً  
لأننا كنا اثنين فقط ولا شاهد لنا الا الله، فاذا رضح هذا الطماع لجنونه وأراد أن  
يضربنى أو يقتلنى فمن يستطيع الدفاع عنى أو اخراجى من مخالبه.

وللمرة الثالثة يبتعد المجنون ويعود فجأة جارياً والعصا مرفوعة مثل كل  
مرة ويصيح: تسعمائة دورو، عندك تسعمائة دورو قلت: لكن إسمع يا حاج هل  
تتخيل أن المبلغ معى الآن؟ لا ليس هنا المبلغ فى مرزق فى يد الحاكم، ولا أعرف  
إن كان سيعطينى له كاملاً أو مجزء ولا أستطيع أن أتخيل كيف سيحل الله هذه  
المشكلة، هذه الكلمات هدأت من روع الرجل، وردته الى حال أكثر هدوءاً وقال  
لى: هل تريد أن أذهب معك الى فزان، أحببت بكل سرور لأننى كنت أخاف أن  
أغضبه، قال: وإذا ذهبت معك كم ستعطينى من التسعمائة دورو؟ النصف؟ الثلث؟  
قلت: كما تشاء، كنت مستاءً وناقماً على نفسى للتحدث عن سبب سفرى الى  
السودان، بحمد الله مر الليل دون أحداث أخرى، وفى الصباح الباكر دخلنا زوارة  
واختفى المغربى.

أسرعت فى طلب الجمال وقلت للجمالة إننى أريد أربعة جمال للذهاب الى  
رأس المخبر، حيث توجد بضاعتى فى قارب، ويجب أن أنقلها الى طرابلس،  
حصلت سريعاً على الجمال الأربعة برفقة أربعة جمالة جيدهى للتسلح، ثم توجهنا  
نحو رأس المخبر.



عندما أصبحنا على مسافة لا تزيد على ثلاثة أو أربعة أميال من زوارة رأينا رجلاً مسلحاً على حصان يعدو. وجهه مغطى بلفاف لم يترك إلا عينيه، توقف برهة بالقرب منا، ثم قال: سلام أيها المسافرين أحبنا بشيء من الخوف، سلام، قال: إلى أين ذاهبون؟ قلنا: إلى رأس المخبر، ونريد أن نأخذ بضائع ولينة من على المركب حبسه للريح في المرفأ، قال: سيغشاكم الذعر يا أصدقائي، ثم ابتعد بدون أن يقول كلمة أخرى أو يوضح من ماذا سنخاف لاحتربنا فيما نفعل، وفكر كل منا في كيفية الخلاص من هذا الخطر، فقال أحدهم: لنعد إلى زوارة، فربما نعلم هناك سبب هذا الخوف، وقال آخر: لا، يجب ألا نعود، ولنسلك درب الساحل، برغم طوله، لكنه أسلم وسيوصلنا إلى المرفأ ثم نحمل جملتنا ونعود بالساحل إلى زوارة.

أخيراً قبلت الغلبة هذا الرأي الأخير حتى لانفقد شيئاً مما ستجلبه الرحلة من ربح وفائدة.

تركنا الطريق المسالك الذي كنا نتبعه وانعطفنا جانب شاطئ البحر، لكن عند المنعطف رأينا فارساً آخر كالسابق يتقدم نحونا جارياً فتابعناه بأعيننا حتى اقترب منا، كان عبداً أسوداً قال لنا: ألم يمر بالقرب منكم رجل يلبس كذا وكذا؟ قلنا: نعم، قبل دقائق فقط، ثم أردف سائلاً: وإلى أين أنتم ذاهبون؟ أحبناه: إلى رأس المخبر، وحثمنا لإجابتنا بنفس ما قلناه للفارس الأول، فقال: سيصحبكم خوف وذعر، ثم اختفى مسرعاً دون أن يوضح لنا سبب الخوف، فوقتنا مذهشين وأكثر قلقاً مما كنا سابقاً.

أمرعنا وانعطفنا يمنة ناحية الشاطئ، انقسمنا على أنفسنا في تفسير قول الفارسين، قال أحدهما: لنختبئ بالنهار ونسير في الليل، قل آخر: لا، يجب أن نعود وقال ثالث: يجب أن نواصل السير، فوافقه آخرون وواصلنا.

وصلنا رأس المخبر في عتمة الليل وبنا فيها، وفي صباح اليوم التالي ذهبنا لرؤية المركب، وكان على مسافة من الشاطئ فلوحنا إليه براية فنزل قارب يحمل القائد: أخبرناه بقرارنا فذهب وأحضر بضائعنا ووضعها على الشاطئ لما الذين بقوا في المركب كميلاد وتركى جيد التسليح وأخريين كلّفوا بمراقبته:

ومرافقة بضائع الباشا فنزلوا ايضاً في نفس الوقت، فاستملت بضائعي وأمتعتي الشخصية وأسلحتي وكل ما كان يمت لي بصلة، الا زادي فلم أجده منه شيئاً فقد أكله الثنين بقوا في المركب، حملنا رحلتنا وتحركنا متوكلين على الله، تذكرت الفارسين، وتأسفت لأخذي بضائع يوسف باشا، كنت قلقاً جداً ولزائب باستمرار ما اذا كانت هناك ومن على البعد خيول تقترب منا، أو عدواً سيقتضي علينا.

وبعد ان قطعنا حوالي خمسة أو ستة أميال، رأينا على الأرض آثار خيول كانت جارية وروث مازال لدينا، و آثار بول كأنه زلق قبل دقائق فقط ارتجفت، سيطر علينا القلق والارتباك، لم نهدأ ولم نطمئن الا بعد مغيب الشمس، ومع ذلك بقينا في حالة استعداد، لتفطنا على الا نتفوه بكلمة، لأن الصوت يذهب بعيداً في هدأة الليل، وجدنا الناس قلتين، فالبعض كان ينتظر ويخشى أن نكون قد ذهبنا وعند وصولنا فقط حل لغز مصيبيكم ذعر حيث قيل لنا أن حمودة باشا، باشا تونس قد مات، وأن العرب البدو في حدود المحميات قد اقتضوا على بعضهم البعض، وأن الحمارنة (قبيلة في الأراضي التونسية) قد قتلت من الأورغمة (قبيلة في الأراضي الطرابلسية) عدداً كبيراً من الرجال، ونهبوا عدداً معتبراً من القطعان، وأخذوا أملاًباً وسبائاً، ثم قالوا لنا: 'إن الله قد أخرجكم من مخابئ عرب تونس، فإن وجدوكم كانوا سيقبضونكم دون رحمة، وإن نجا منكم أحد فسينيرونه ويتركونه عارياً.

بالنسبة لي وإن افترضت أنني قد نجوت، فمأفك كل ما عندي وما بقي حوزتي من أملاك يوسف باشا، من جواهر وأحجار كريمة، ولقد كانت بحوزتنا ما يزيد قيمته على خمسين ألف فرنك، كنا نسمع دوى العيارات النارية على طول المسافة بين رأس المخبر وزوارة.

نمنا لساعات قليلة وفي الصباح قمنا للاستعداد للرحيل، اشترينا كبشاً ونبحناه، وأعدنا منه وليمة، وهذا أنفسنا بئساة من الخطر، ثم توجهنا صوب طرابلس، وقد رافقنا حوالي خمسين فارساً كانوا في حمايتنا لمسافة ثلاثة أو أربعة فراسخ، نمنا السماء في أبو عجيل.



في اليوم الثاني استأنفنا السير على طريق طرابلس، كنت في المقدمة، فتخلتها حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، وجدت عدداً من الناس في انتظارنا عندما سمعوا بالخطر الذي كنا مستعرضين له، هناؤنا بالوصول سالمين، وحمدوا الله على انقاذنا من أيدي العرب.

بعد لحظات علم الباشا بوصولي، فناداني وطرح عليّ عدداً من الأسئلة حول رحلتي إلى رأس المخبر، قصصت عليه كل التفاصيل، فحمد الله الذي حفظ له جواهره، قام باهدائي غطاءً أحمر لا يقل سعره عن مائة ريال تونسي، ولم تصل الجمال إلى طرابلس إلا في صباح اليوم التالي.

عندما فرغت من ترتيب أموري كتسلیم البضاعة.. سألت عن القافلة المتوجهة إلى فزان، فقالوا لي: إنها تحركت، ولا توجد امكانية للحاق بها، ذهبت على ذهابي إلى رأس المخبر، فإن كنت أعلم أنني سأتأخر لما تركت طرابلس، وكنت أنتظرت المركب ولم أعرض نفسي للأخطار.

سمع رجل من سوكنة يقيم في طرابلس يسمى محمد الذكشي مع الناس يتحدثون عني، فجاء إلى الوكالة التي انزل فيها وهي منزلة أهالي تونس، وطلب مني الذهاب معه لمسكنه، فقبلت واصطحبني، مكثت في منزله ثلاثة أشهر، منتظراً في كل تحرك قافلة إلى فزان، وفي نهاية شهر ذي الحجة جاء إلى طرابلس مسافرون من سوكنة، ومعهم رفيق، كان من بينهم رجل اسمه محمد خير الطريق، وعبد الذي أرسله مع الرقيق، وصائر منه المكنى مبلغ تسعمائة وستون درو، لقد احتفظت بالعبد، وكان مفيداً جداً بالنسبة لي، فارتبط بي ارتباطه بوالدي وخمسي بإخلاص.

كان عليّ أن أنتظر تجار سوكنة يبيعون رقيقهم ويشترون ما يريدون ثم نسافر، وفي نهاية محرم أعدوا عندهم، وأعدت عدتي: فاشتريت جملاً ومؤناً كافية، وتبعنا درب بونجيم، ولشعوري بالسعادة قمت بإطعام رفاقي، فحمدوا إلى هذا الصنيع وسأحكي من بين الأحداث الكثيرة التي وقعت في هذه الرحلة قصة واحدة.

ذلك عندما تجاوزنا مصراثة بثلاث أو أربع محطات، توقفتنا في واد مليء  
بالتخضرة، وقررنا قضاء النهار والليل فيه، فشاء القدر أن ينزل مطر غزير على  
مسافة من هناك، تجمع الماء وسال في الوادي، فامتلاً وتوجه نحونا ونحن نغمس  
في نوم عميق، فسمعنا فجأة أصواتاً من كل الاتجاهات تصرخ (الهرب؛ الهرب)  
جاء عبيد سعدان بسرعة وحملني على ظهره وأنزلني في مكان آمن، ثم عاد وقد  
جملي وأناخه بالتقرب مني، كما ساعد عدد من المسافرين اثنين أكلوا زادي سعدان  
في هذه المهمة الخطيرة، فإن لم يبعث الله لي العبد سعدان في هذه الرحلة لكنت قد  
ضمت: غرقت، مت... فلو لا سعدان لكنت تلك ليلتي الأخيرة، ولم يكن ظهري  
الأيوم أمس، أما اليوم فساكون راقداً في قبري بدلاً من أن أكون حياً واقفاً.  
كانت تلك رحمة إلهية، لقد وضع الله تاجاً من رحمته على رأسي، ولرب أن  
يكون سعدان وإخلاصه السبب في نجاتي، وكرد مني لجميله أعطيت الشجاع  
حريته، لقد عتقته.

قبل الوصول إلى قران نفذ زادي، وعند وصولي عنيت كل شيء منه،  
لكنني هذا الأمر ولم أدر ما أفعل.  
حدث أن وجد سعدان مسجماً في الطريق، طلبت منه أن يبيعه، لكنه لم  
يتحسس للفكرة، لقد أصبحت معنماً وضائق بي الأرض بما رحبت كيف يمكن أن  
أزود من جديد؟ فكرت في طريقة لتخلص بها من هذا الهم، فجاءت امرأة ووقفت  
بالتقرب مني، ثم قالت: لي ابنه لا يستطيع الوقوف رغم أنها في زهرة شبابه، لقد  
أصابها المرض، منذ ما يقرب من عام، ونريد أن نكتب لها آيات للتوسل والبركة،  
وادعو الله لي أن يساعني ويعالج ابنتي، قلت للعجوز: حسناً، تعالى غداً،  
فانصرفت وعندما حل الليل توضأت، وصليت المغرب، ثم العشاء، ثم كتبت ورقة  
صغيرة للعجوز، عانت في الوقت المحدد بيننا، فأعطيتها الورقة ثم ذهبت،  
قضيت ذلك اليوم أفكر في طريقة لتخلص بها من الضيق ولم أنجح، وتضايقت  
فلم أعد أميز بطني من ظهري، قضيت الليل في حالة من الهم وضيق الصدر.  
عند طلوع الشمس رأيت عدداً من النساء يسرن ناحيتي تحمل كل منها على  
رأسها سلة مليئة، وعندما اقتربن رأيت أن كل السلال مليئة بالدقيق والتمر، وكانت



المعجوز من بينهم، فقالت لي: 'إقبل منا هذه الهدية، هذه السلال بها قليل من الزاد  
أتمنى أن تكون مقبولة لديك، فيفضلتك شفى الله اجنتى، فكانت فرحتى فى الحقيقة  
بقدر مايفكر الفرد كانت أكبر، فشكرت الله على هذا العطاء وهذه النعمة التى  
أرسلها لى، فشكرت قول الله تعالى:

وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن  
يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين'

لقد قبلت هدية النسوة، وجعلت منها زادى، وبعد يومين سلكنا طريقنا، وكان  
معنا رجل من سوكنة اسمه أبوبكر، سرنا يوماً ويومين، وكان الجمل الذى امتطيه  
فى حالة هيجان، رفض الجمل الأكل، وكان يسير أمامى جمل آخر، وفجأة انقض  
عليه جملى، وأراد أن يعضيه، فسقطت على الأرض من شدة ومسرعة الوثبة،  
ولحسن الحظ سقطت على ظهري، ومع ذلك فقد أصابنى انهيار، فقدت فيه وعيى،  
وأحسست بالموت يقترب منى، فما عدت قادراً على الحركة، فأمرع الى كل من  
سعدان وأبوبكر ورجل آخر يسمى كادار، ووضعونى على قفاى، استطعت أن  
أتنفس لتوى، فحزموا خاصرتى بقوة بحزام، فاستعنت القدرة على التنفس بشكل  
لسهل وبألم أقل، ثم وضعونى على جملى، وساروا بجانبى لنجدتى عند الضرورة.  
عبرنا الصحراء فى أربعة أيام، وفى اليوم الخامس كنا فى حدود فزان كان  
يلزمنا يومين للعبور، فى اليوم الثالث دخلنا مرزق.

لم يبق لى إلا أن أحكى قصة قصيرة حدثت لى فى صفاقس، كانت تلك  
الآخيرة لأنها كانت عند عودتى من فزان، وقبل خمسة أيام من عودتى الى تونس.  
كنت فى وكالة فى صفاقس مع العبيد الذين أخذتهم من عمى زروق، كنت  
جالساً مسترخياً بالداخل، فرأيت رجلاً قائماً الى كنت أعرفه من تونس، اسمه  
محمد كوبى، كان فقيراً يعمل فى صناعة الطرابيش، وكان فى حالة يرثى لها،  
متسخ ورت الثياب، يهرج من كلا رجلية، فسألته: كيف تشوه هكذا؟ فقال: إن  
حلوقاً<sup>(١)</sup> هجم عليه وقطع عرقوبيه، أشفقت لحال المسكين الذى كانت الدموع تنزل  
من عينيه، طلب منى أن أعطيه صدقة، لقد أثرتنى بؤسه، وكان الجو بارداً، وكوبى

(١) الحلوق: حيوان مفرس له أسنان بارزة، ولا شكك بأنه المذموم ولما يعرف ل بعض الأماكن بالمذموم القوي.

يرتفع دخل الثمالة، فالتقيت عليه عباتي، ثم تعشينا معاً ورقد بجاني مدعياً النوم، وعندما رأيته يرتفع غطيته بالعباءة.

كان قبل ذلك كله كنت أخرج محفظة نقودي لأمامه، أدفع قيمة أشياء اشتريها، ثم وضعت المحفظة تحت وسائتي، ونمت، قام كوبي، وأخذ المحفظة من تحت رأسي وذهب، فقد أخذ عباتي ونقودي، ولبتعد يهدوء، فلن عبيدي التي أرسلته في مهمة فلم يفكروا في إيقافه، عندما استيقظت لم أجد الرجل، بعثت للبحث عنه في كل مكان، ولكن لم يوجد له أثر، يعلم الله أنه لم يبق لي نقود إلا تلك التي في المحفظة، كان فيها أكثر مما احتاج إليه حتى نهاية الرحلة، كان فيها حوالي سبعين ريالاً تونسياً، والمحفظة نفسها من الحرير.

اضطرت لاستلاف حوالي خمسين ريالاً من الجمال لدفع نفقات السفر، من جانب آخر كان ضياع عباتي سبباً لتعرضي للبرد خلال خمسة أيام قضيتها في السفر بين صفاقس وتونس، كانت هذه هي الحكاية الوحيدة التي أزعجتني خلال رحلتي الأخيرة هذه.

إن الأول أن أغلق كتابي الآن، وأوقف كلامي عن التيه في قصة رحلتي

للسودان.

أفكر الآن في كتابة مذكراته في الحج إلى مكة والمدينة المنورة، وزيارة قبر رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، ثم أحكي عن سفري إلى المورة، وخامسة مواسفتي، وما شهدت من أحداث وكوارث، وسيكون ذلك مادة لجزء آخر.

أسأل الله أن يحفظني من كل سوء، من عمل وقول، وأسأله أن يهديني الصراط المستقيم، صراط الحقيقة: الإسلام، والله قريب يجيب دعوة الداعي، وهو الجامع بحمده، يسمع ويجيب، لك العزة يا ذا الجلال والإكرام، وبارك الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رب ارحمهم يوم الحشر، والحمد للذات رب العالمين - آمين.

انتهى في يوم ٢٤ يناير عام ١٩٨٥ الموافق السادس عشر من محرم عام ١٤٠٦ هـ.



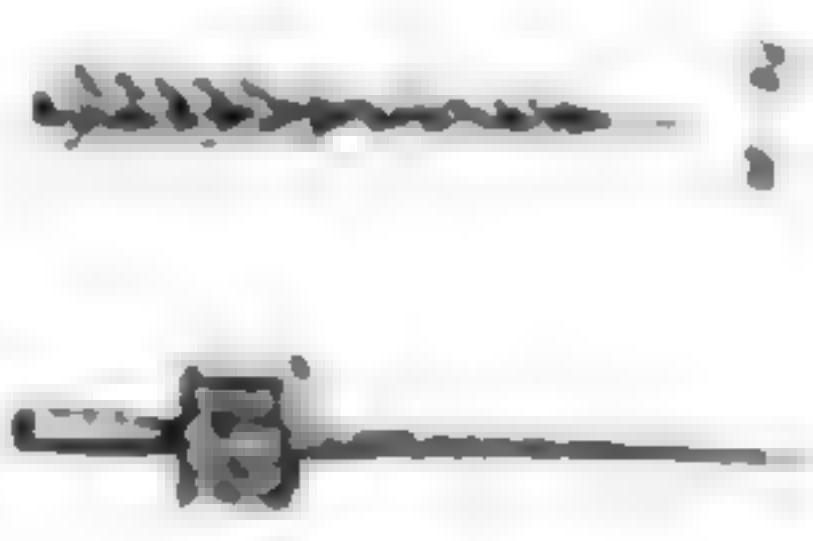
## فهرس البروضمات

رقم	الموضوع	الصفحة
١	الأسماء	١
٢	المقدمة (المحتق)	١
٣	مقدمة يسرون	١١
٤	مقدمة حومار	٣١
٥	الفصل الأول: فى سبب إرتدادى من دارفور الى وداى	٧١
٦	الفصل الثانى: فى طول داروداى وعرضها وما اشتملت عليه من العلواتف والأمم والأجناس على اختلاف أحوالهم وتباين أشكتهم	٩٣
٧	الفصل الثالث: فى أحوال دار وداى وعوائد ملوكهم وأسماء مناصبهم	١٢٩
٨	الفصل الرابع: فى نبذة من سيرة السلطان صابون وكيف وصل الى الحكم	١٤٢
٩	الفصل الخامس: فى ذكر ماوقع من السلطان صابون من الحروب وقهر الملوك	١٦٢
١٠	الفصل السادس: فى عوائد ملوك الوداى وأسماء مراتبهم ومناصبهم وقيل السلطان معهم	٢٤٢
١١	الفصل السابع: فى وفاة السلطان صابون وماتلى ذلك من أحداث	٢٧٣
١٢	الفصل الثامن: فى قصاص الجذابات	٢٨٢
١٣	الفصل التاسع: فى ذكر الحروب وكيفيتها	٢٩٠
١٤	الفصل العاشر: فى ذكر التجارة وذكر مايجز به	٣٠٨
١٥	الفصل الحادى عشر: فى أمراض السودان وأنواع التلاوى وصحة الأتائم والصيد	٣٢٢
١٦	الفصل الثانى عشر: فى اصطلاح تزويج النور	٣٤١
١٧	الفصل الثالث عشر: فى الخصيان المعروفين فى مصر بالطواشبة	٣٥٧
١٨	الفصل الرابع عشر: فى العودة الى المغرب ومصر	٣٧١
١٩	التحول الى تونس وملاقة الولد	٤١٨
٢٠	نهاية المطاف	٤٢٨



من: ٤٥٥-٥١

١١



من: ٥١١-٥١٢

١٢



من: ٥١٣-٥١٤

١٣



من: ٥١٥-٥١٦

١٤



من: ٥١٧-٥١٨

١٥



من: ٥١٩-٥٢٠

١٦



من: ٥٢١-٥٢٢

١٧



من: ٥٢٣-٥٢٤

١٨



من: ٥٢٥-٥٢٦

١٩



من: ٥٢٧-٥٢٨

٢٠



من: ٥٢٩-٥٣٠

٢١



من: ٥٣١-٥٣٢

٢٢



من: ٥٣٣-٥٣٤

٢٣



من: ٥٣٥-٥٣٦

٢٤



من: ٥٣٧-٥٣٨

٢٥



من: ٥٣٩-٥٤٠

٢٦



من: ٥٤١-٥٤٢

٢٧



من: ٥٤٣-٥٤٤

٢٨



من: ٥٤٥-٥٤٦

٢٩



من: ٥٤٧-٥٤٨

٣٠



من: ٥٤٩-٥٥٠

٣١



من: ٥٥١-٥٥٢

٣٢



من: ٥٥٣-٥٥٤

٣٣



من: ٥٥٥-٥٥٦

٣٤



من: ٥٥٧-٥٥٨

٣٥



من: ٥٥٩-٥٦٠

٣٦



من: ٥٦١-٥٦٢

٣٧



من: ٥٦٣-٥٦٤

٣٨



من: ٥٦٥-٥٦٦

٣٩



من: ٥٦٧-٥٦٨

٤٠



من: ٥٦٩-٥٧٠

٤١



من: ٥٧١-٥٧٢

٤٢



من: ٥٧٣-٥٧٤

٤٣



من: ٥٧٥-٥٧٦

٤٤



من: ٥٧٧-٥٧٨

٤٥



من: ٥٧٩-٥٨٠

٤٦



من: ٥٨١-٥٨٢

٤٧



من: ٥٨٣-٥٨٤

٤٨



من: ٥٨٥-٥٨٦

٤٩



من: ٥٨٧-٥٨٨

٥٠



من: ٥٨٩-٥٩٠

٥١



من: ٥٩١-٥٩٢

٥٢



من: ٥٩٣-٥٩٤

٥٣



من: ٥٩٥-٥٩٦

٥٤



من: ٥٩٧-٥٩٨

٥٥



من: ٥٩٩-٦٠٠

٥٦



من: ٦٠١-٦٠٢

٥٧



من: ٦٠٣-٦٠٤

٥٨



من: ٦٠٥-٦٠٦

٥٩



من: ٦٠٧-٦٠٨

٦٠



من: ٦٠٩-٦١٠

٦١



من: ٦١١-٦١٢

٦٢



من: ٦١٣-٦١٤

٦٣



من: ٦١٥-٦١٦

٦٤



من: ٦١٧-٦١٨

٦٥



من: ٦١٩-٦٢٠

٦٦



من: ٦٢١-٦٢٢

٦٧



من: ٦٢٣-٦٢٤

٦٨



من: ٦٢٥-٦٢٦

٦٩



من: ٦٢٧-٦٢٨

٧٠



من: ٦٢٩-٦٣٠

٧١



من: ٦٣١-٦٣٢

٧٢



من: ٦٣٣-٦٣٤

٧٣



من: ٦٣٥-٦٣٦

٧٤



من: ٦٣٧-٦٣٨

٧٥



من: ٦٣٩-٦٤٠

٧٦



من: ٦٤١-٦٤٢

٧٧



من: ٦٤٣-٦٤٤

٧٨



من: ٦٤٥-٦٤٦

٧٩



من: ٦٤٧-٦٤٨

٨٠



من: ٦٤٩-٦٥٠

٨١



من: ٦٥١-٦٥٢

٨٢



من: ٦٥٣-٦٥٤

٨٣



من: ٦٥٥-٦٥٦

٨٤



من: ٦٥٧-٦٥٨

٨٥



من: ٦٥٩-٦٦٠

٨٦



من: ٦٦١-٦٦٢

٨٧



من: ٦٦٣-٦٦٤

٨٨



من: ٦٦٥-٦٦٦

٨٩



من: ٦٦٧-٦٦٨

٩٠



من: ٦٦٩-٦٧٠

٩١



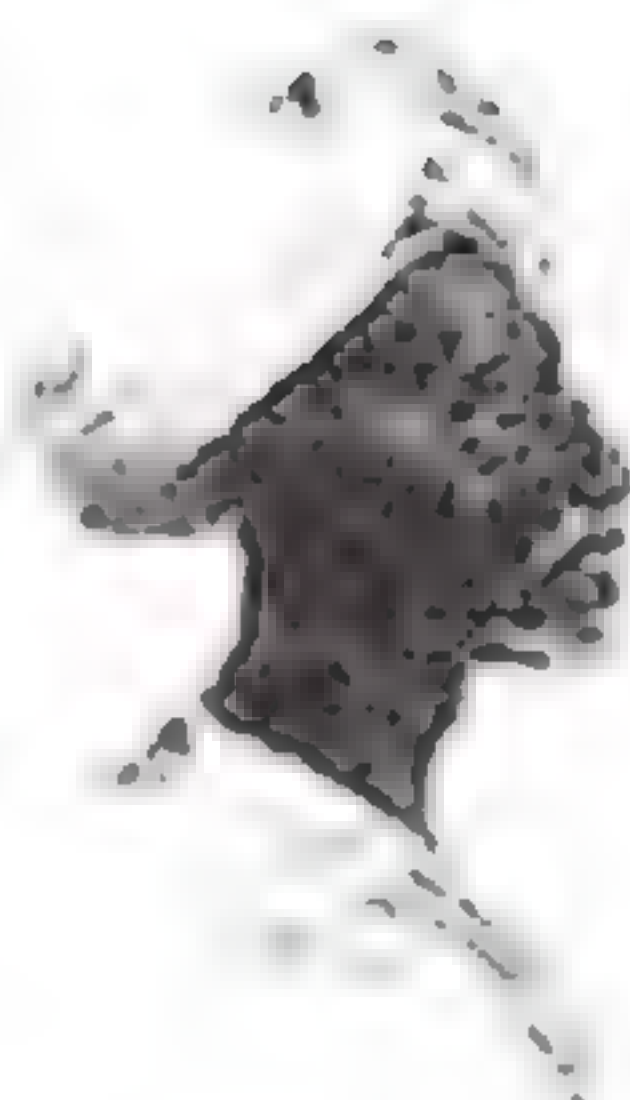
من: ٦٧١-٦٧٢

٩٢

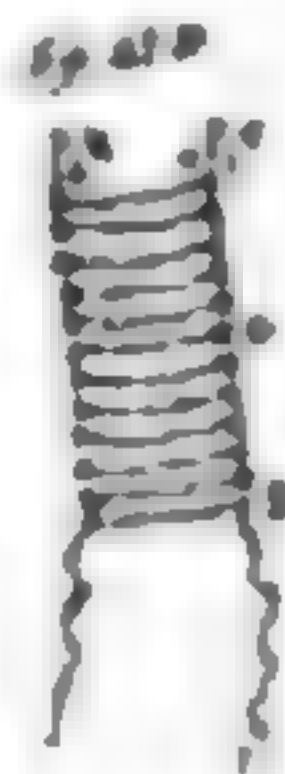




التمج الهللي  
من لسل وادي  
ولا في ولة  
في سكتها  
حتى الآن  
وكان يسكن  
نفس البيت الذي  
سكن فيه التمج النولسي من: ٢٢٤



كثير لسل وادي  
لغته نيل من لسل عربي ولكنه ولد في  
وادي وتعلم في الأزهر في القاهرة من ٥١٤



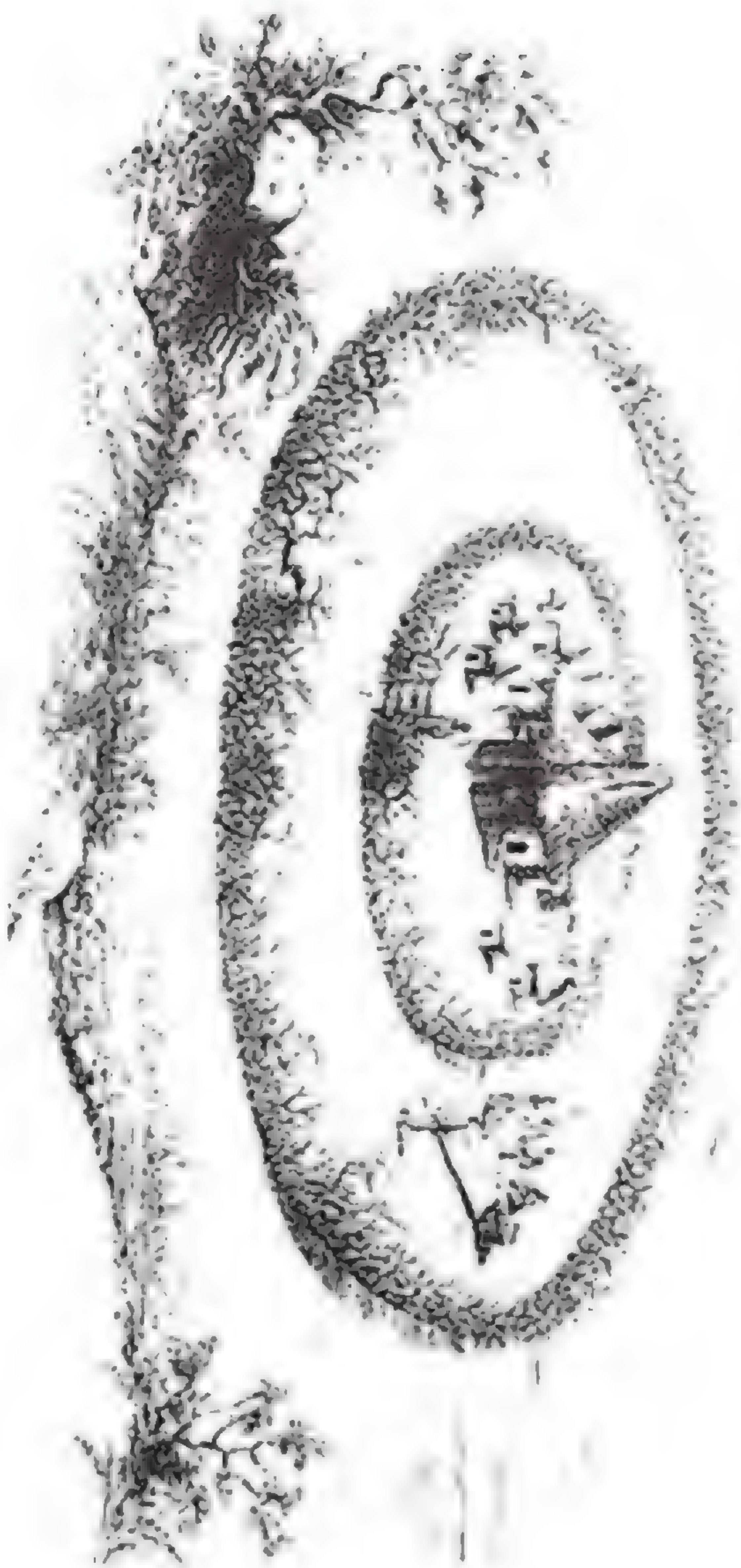
لم تنقاه من ١٧٨



وجه الممر  
لوداي في  
قرية كركس  
كن في رفق الغنية الهللي في واحة الفصح التي مر عليها بالقاهرة  
١٤٧



إبراهيم من وادي مزينة بالم تنقاه من ٢٩٨



# منزل الأمير صليوبن قبل توليه العرش

١. البيت صغير جداً، مقبول بهزاع شجرة مقورة.

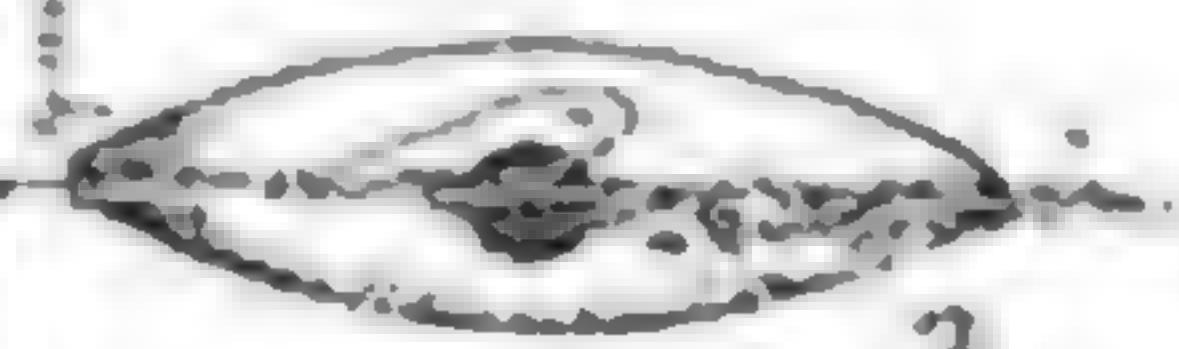
٢. قبل ذلك: سداة خشبية ص. ٩٥. حيزه الأول، البيت الرابع



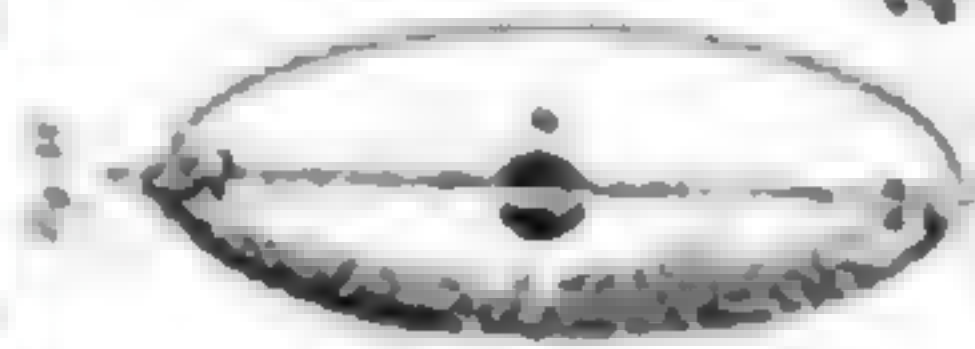
نرینه



نرینه



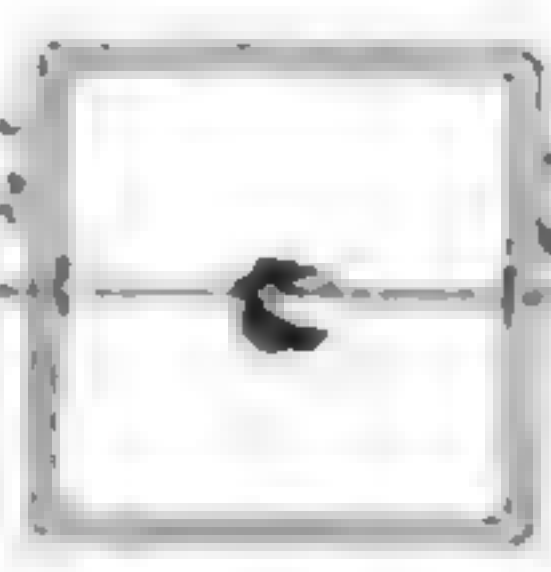
نرینه



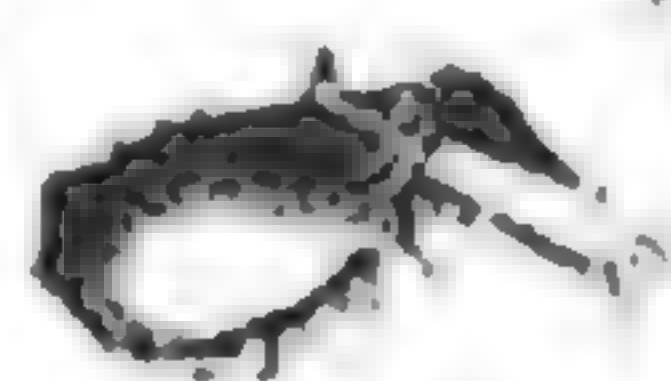
نرینه



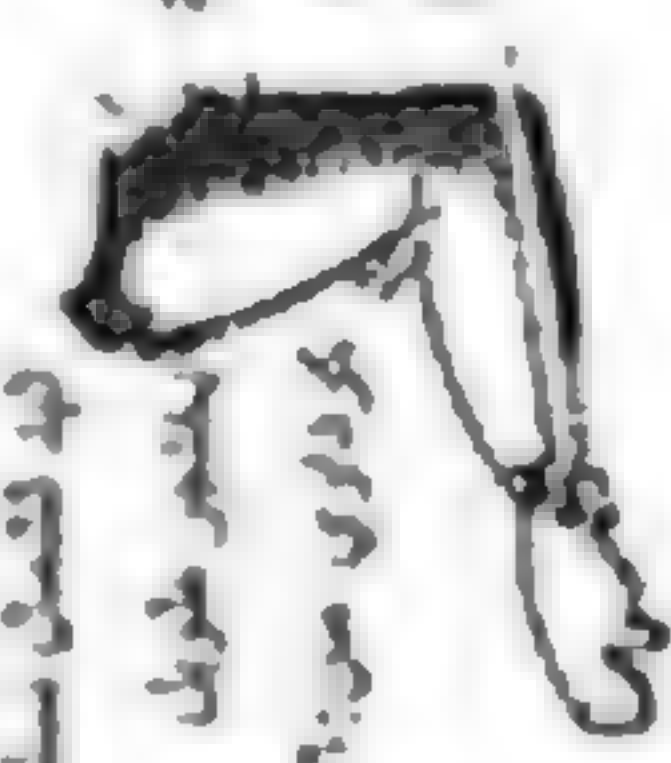
نرینه



نرینه

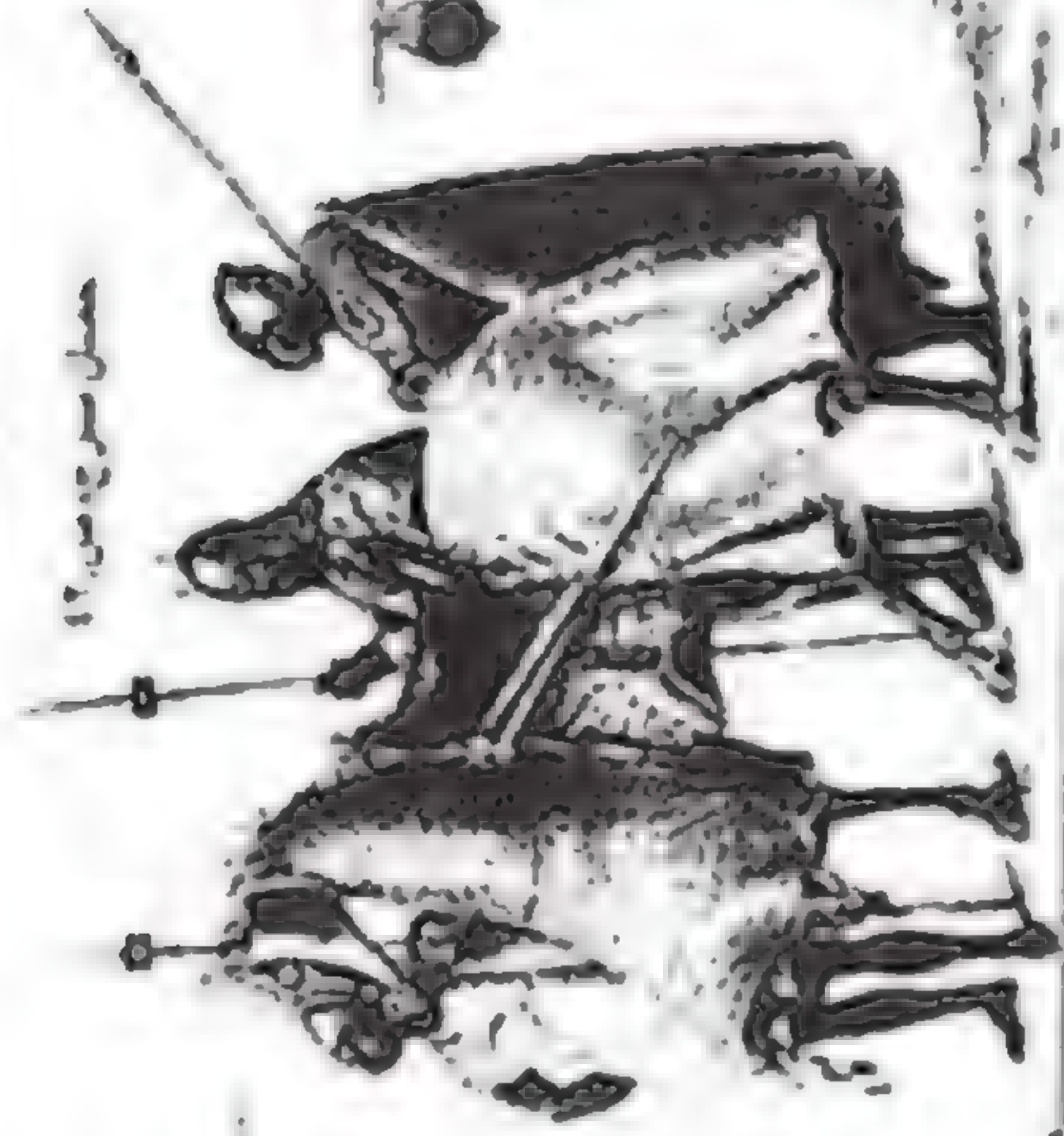


مردا  
مردا  
مردا



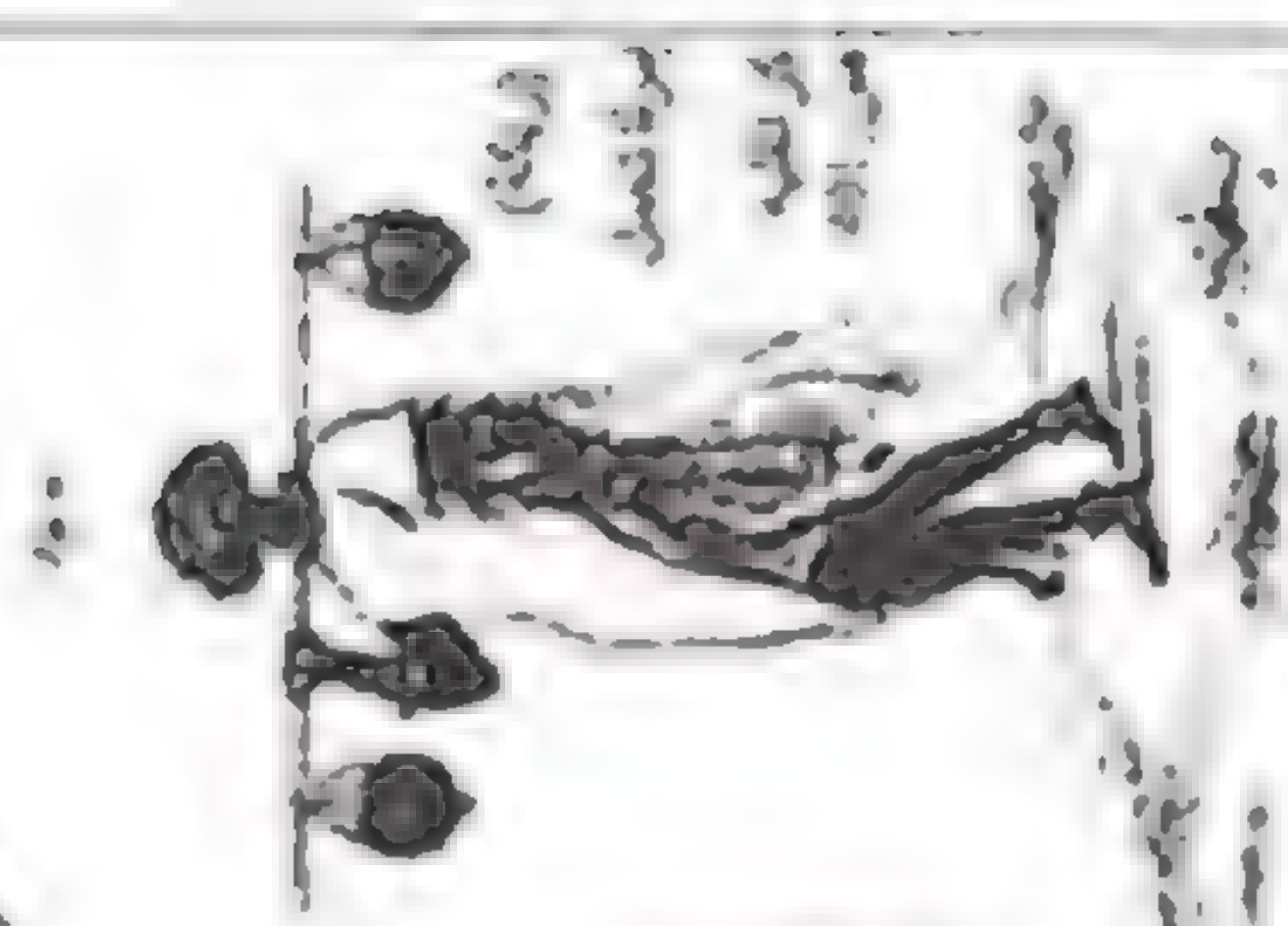
نرینه  
نرینه  
نرینه

نرینه



نرینه

نرینه  
نرینه  
نرینه





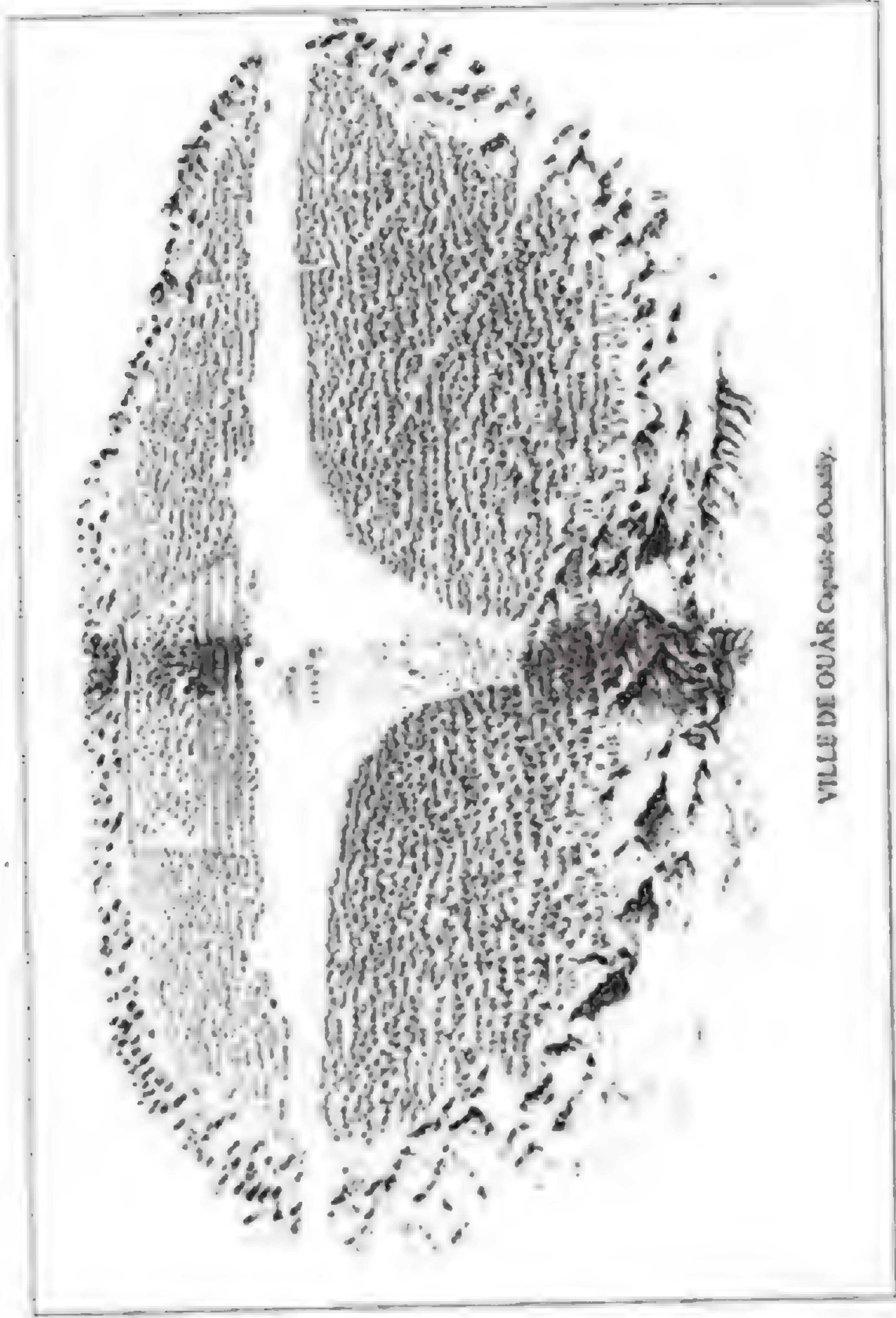


حدود بلاد وادی  
حدود التميمية الأثرية  
حدود السلطنة الجارية  
خيران واديان

المفتاح

مملكة وادي





VILLE DE OUARGHÂ Cap de Ouarghâ.

منهله و لارة غاصصة و لاري  
صو. 1902

F



وكان في برني برنو



هذه الصورة لأحد  
سكان البرنو رحمت  
له في منزل  
السلطان أبو مقين  
في القاهرة وقد تعلم  
في الأزهر  
بما يراه أن  
يكون قاضيا في برنو

Barnaby

برنوي

هذا المندراوي من سكان  
ولاية الجنوبية برنو  
هذا الشخص كان جنديا  
في خدمة باشا مصر  
وحضر في القاهرة  
بعد حرب سوريا التي  
شارك فيها وقد رآه  
في مستشفى القصر العين  
التي دخلها مريضا  
مرضا شديدا  
ويكلم العربية جيدا



Mandawry

مندراوي

6





ABU MADIYAN SULTAN ABU MADIYAN.

Engraving by W. H. Jones from a portrait  
by J. H. Smith, Esq. of the Sultan of Oman.

صورة للأمير أبو مدين  
إن شبه بين الرسم والخطبة مذهبة على الرسم  
من سرعة الرسم  
بعنا تم تصوير السلطان أبو مدين، قد شدي البرداني من  
بينه وسلكه ونماحت معه وبعد تلك اصطنى الأمر للميد  
مشيرو الرسم وجلنا



## CLIENTS DE QUALITY

CHANT  
N. 1

Garn bon ty ly in ga bla  
wa ya wa

ya in ga bla wa ya wa ya wa ya in ga bla

CHANT  
N. 2

lo ya lo ka lo ka lo ka dje

bon dje ny ka li lo  
nog de ye ga ba lan di o

CHANT  
N. 3

lo ye xy di lo dje gué lo ya du wei de

ye in da wa du lo ba ca de ye

CHANT  
N. 4

O - mas dno ho in kel buch

mas di o kel buch kel buch ye kel buch

**CHANT,**  
N<sup>o</sup>. 6.

Lel lel lel wa le  
lou coul e la la vaugle e

eit sou sy bi nou-é-lin léty el léou mon far van élo lo

**CHANT,**  
N<sup>o</sup>.

fava lo sou-gilla ra.  
Vair et-dja

mous na end el-mell yé chader el chem péfé erch revé fahé

**CHANT,**  
N<sup>o</sup> 7.

Chout loum lu - ça . bi chout loum lu . ça

bi Abdy . rah chout Loum lu . ça . ba . ab

**CHANT,**  
N<sup>o</sup> 8.

Sin ha mé e g . b . ab . né d.)

Myl ha . bé dar far gué fé nou ré-cy na - nou . ab



